المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم القرآن وعلومه

علوم القرآن عند شيخ الإسلام ابن تيمية

(جمعـــــاً ودراســـــــة)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في القرآن الكريم وعلومه

إعـــــداد
بجاد بن حمود بن محمد العماج

إشـــــــراف
أ. د. إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري
الأستاذ في قسم القرآن وعلومه

هـ - هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب قيماً ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً، وصلى الله وسلم على من بعثه الله ليبين للناس ما نزل إليهم، وجعله سراجاً منيراً، وعلى آله الأخيار، وصحبه الأبرار، ما تعاقب ليل ونهار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين... وبعد:

فإن أفضل ما اشتغل به المشتغلون من العلوم، وأفنيت في درسه الأعمار، وكدَّ فيه أصحاب القرائح والحجى عقولهم هو كتاب الله تعالى؛ إذ الاشتغال بهذا الكتاب الكريم تعلماً وعملاً وتعليماً وتدبُّراً من أفضل القرب وأجلّ الأعمال، وهو المقصود الأعظم من إنزاله، قال تعالى: ﴿ ج ج ج ج ج ج ج ج ﴾. [ص: 29].

والناس في العلم طبقات، موقعهم من العلم بقدر درجاتهم في العلم به، فحق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه، والصبر على كل عارض دون طلبه، وإخلاص النية لله في استدراك علمه: نصاً واستنباطاً، والرغبة إلى الله في العون عليه، فإنه لا يدرك خيرٌ إلا بعونه، فإن من أدرك علم كتابه نصّاً واستدلالاً، ووفقه الله للقول والعمل بما علمَ منه، فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الريب، ونوَّرت في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الإمامة. (الرسالة للشافعي، ص 19).

ولما كان الأمر بهذه المنزلة انكبّ العلماء على كتاب الله تعالى قراءة وتدبراً وتفسيراً واستنباطاً، فأضحوا من علمه يغترفون، وعن كنوزه وجواهره يبحثون، فجاءت تصانيفهم تفوق الحصر والعد.

ومن هؤلاء: شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية – رحمه الله –، فقد انعقدت له الإمامة في التفسير وعلوم القرآن، وأقبل عليه إقبالاً كلياً حتى حاز فيه قصب السبق.

قال البزار: =أما غزارة علمه فمنها: ذكر معرفته بعلوم القرآن المجيد واستنباطه لدقائقه، ونقله لأقوال العلماء في تفسيره، واستشهاده بدلائله، وما أودعه الله تعالى فيه من عجائبه، وفنون حكمه، وغرائب نوادره، وباهر فصاحته، وظاهر ملاحته، فإنه في الغاية التي يُنتهى إليها، والنهاية التي يعوّل عليها. ولقد كان إذا قُرئ في مجلسه آيات من القرآن يشرع في تفسيرها، فينقضي المجلس بجملته، والدرس بزمنه، وهو في تفسير بعض آية منها+. (الأعلام العلية للبزار: 23 – 24).

ولشيخ الإسلام رحمه الله تحريرات قيمة متينة في كثير من مباحث علوم القرآن قد تناثرت في ثنايا كتبه ورسائله، فهو – رحمه الله – كما هو معهود ومعروف عنه إمام محقق يستوعب في كثير من الأحيان الخلاف وأقوال الناس ويناقش ويرجح.

ولما كان الأمر كذلك صح العزم على تتبع كلامه – رحمه الله – المفرق في كتبه مما ينتمي إلى علوم القرآن وترتيبه وتصنيفه، وذلك قدر الطاقة، ثم دراسته حسب ما سيأتي في منهج البحث.

وقد كان مما صَعُب عليَّ في هذا البحث :كثرة مسائله وتنوعها، وطول كلام شيخ الإسلام وتعدده، وتعدد مظانه، وكثرة استطراده والذي أحوجني كثيراً إلى قراءة كلام الشيخ مراراً وتكراراً، لمعرفة رأيه، وتحليل كلامه تحليلاً علمياً، وثمة مسائل في البحث كان كلام الشيخ فيها طويلاً للغاية، بل هي مصنفات كاملة تناهز صفحاتها المائة والمائتين، كمسألة التفاضل، والمحكم والمتشابه،وغيرها فكان ذلك مما شق علي في البحث، وخاصة مع التزام المنهج المعهود في كتابة مثل هذه الرسائل، حيث كان الأمر يتطلب المحافظة على كلام الشيخ بعبارته، والمباينة بينه وبين الدراسة، مما جعل المهمة في غاية الصعوبة.

وبفضل الله ومنه وتوفيقه تم البحث على ما انتهى إليه، وأرجوا أن أكون قد

اجتهدت، وإلا فالمقاربة فضلاً عن الكمال عزيزة، وخاصة على من كانت بضاعته في العلم مزجاة، مع ما صاحب ذلك من عوارض صارفة، لم تترك لي وقتاً صالحاً للبحث، ولما أصلح الله الحال لم يتبق من مدة البحث النظامية إلا القليل، فاجتهدت وأفرغت الوسع في مبادرة الوقت، قبل انقضائه، فكان ذلك سبباً في عدم بلوغ ما ترنو النفس وتصبو إليه، إذ كان في الخلد أن يكون على حال أحسن مما إليه آل.

والحمد والشكر لله أولاً وآخراً حمداً وشكراً يكافئ نعمه ويوافي المزيد من منحه، فكم من نعمة أسبغها، وكم من عثرة أقالها، وكم من زلة قد غفرها، فله الحمد عدد ما اختلج في الصدر من نَفَس، حمداً تستجلب به النعم وتدفع به النقم.

ثم الشكر للوالدين الكريمين على ما تفضلا به من حسن التربية، والحث على الدرس والطلب، وكثرة الدعاء بظهر الغيب، فاللهم ارحمهما وجازهما خير ما جزيت والداً عن والده.

والشكر يمتد إلى الأفراد الذين أعانوا وشجعوا على إتمام هذا البحث، وأخص منهم فضيلة المشرف الأستاذ الدكتور إبراهيم بن سعيد الدوسري، فقد كان نعم الموجه منذ شرفت بمعرفته والدراسة عليه في المرحلة الجامعية، وبعد ذلك في هذه المرحلة، فقد كان لتوجيهه الكريم ودعمه المتواصل الأثر الجميل في نفسي، ومع أن فضيلته لم يسند الإشراف إليه على هذه الرسالة إلا في نهاية المدة، إلا أنه تفضل بقراءة جميع فصولها، فأفدت منه، فجزاه الله خير الجزاء وأطال في عمره على علم نافع وعمل صالح.

ويتصل الشكر للمشرف السابق فضيلة الأستاذ الدكتور سعيد جمعة الفلاح، والذي أشرف على هذه الرسالة في أول أمرها، فجزاه الله خير الجزاء.

وأشكر المرشد العلمي على خطة البحث إبّان إعداده، فضيلة الدكتور عبدالله بن عبدالعزيز المديميغ، على دقة نظره، وحسن إفادته، فجزاه الله خيراً على ما تفضل

به.

والشكر للمناقشين الفاضلين على تفضلهما بقبول مناقشة الرسالة، وهما فضيلة الدكتور عبدالعزيز بن ناصر السبر، الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه، وفضيلة الدكتور محمد بن سريع السريع الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه.

وأجزل الشكر لصرح العلم والعلماء جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في كلية أصول الدين، وقسم القرآن وعلومه.

والشكر موصول لأهل بيتي على تعاونهم وصبرهم وتحملهم معي عناء البحث.

جزى الله الجميع خير الجزاء، وأسبغ عليهم النعم، ودفع عنهم النقم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أولاً: عنوان الرسالة:

علوم القرآن عند شيخ الإسلام ابن تيمية (جمعاً ودراسة).

ثانياً: أهمية الموضوع:

1 – شرفه لكونه متعلقاً بالقرآن الكريم.

2 – أن شيخ الإسلام – رحمه الله – إمام من أئمة أهل السنة والجماعة، قد انعقدت له الإمامة في كثير من العلوم، ومن أبرزها علوم القرآن والتفسير، وتميز فيهما بالتحرير والتحقيق والاستقلال مع الاستفادة من كلام السلف، مع حسن التصنيف، وجودة العبارة، ورصانتها حتى قيل: (ألان الله له العلوم كما ألان لداود الحديد).(مختصر طلقات علماء الحديث – ضمن الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية).

3 – عدم وجود مؤلَّف ضم علوم القرآن عند شيخ الإسلام في كتاب واحد، وخاصة أن الوقوف على كثير منها قد يصعب لوجوده في غير مظانه؛ لما هو معهود عن هذا الإمام من كثرة استطراده لأدنى ملابسة لغزارة علمه وسيلان ذهنه رحمه الله.

ثالثاً: أسباب اختيار الموضوع:

1 – أهميته السابقة التي تعد من أهم الأسباب.

2 – أن مسائل هذا العلم لا يزال بعضها بحاجة إلى تحرير وتحقيق ودراسة، وجمع ودراسة كلام هذا الإمام له أثر في ذلك.

3 – أن في بحث هذا الموضوع ودراسته تدبراً وتفهماً لكتاب الله، واشتغالاً بمصنفات شيخ الإسلام، وأكرم بهذا.

4 – المشاركة في إكمال الجهود التي بذلها قسم القرآن وعلومه في خدمة علوم شيخ الإسلام، ومن هذه الجهود: (ابن تيمية ومنهجه وأثره في التفسير)، وسلسلة (اخيتارات ابن تيمية في التفسير، جمعاً وترتيباً ودراسة).

رابعاً: أهداف الموضوع:

1 – جمع أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية في علوم القرآن ودراستها.

2 – إبراز منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في علوم القرآن.

خامساً: الدراسات السابقة:

قمت بتتبع فهارس الرسائل العلمية، وسألت المؤسسات العلمية التي تعنى برصد الرسائل والبحوث العلمية فتبين لي أن هذا الموضوع لم يتم بحثه.

ومن الدراسات السابقة التي وقفت عليها ما يأتي:

1 – **أصول التفسير بين شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من المفسرين.**

عبدالله ديريه أبتدون، الجامعة الإسلامية – ماجستير 1403هـ، ومجمل ما بحثه الباحث في هذه الرسالة:

-نشأة أصول التفسير وتعريفه.

-التفسير الموضوعي.

-الفرق بين علوم القرآن وأصول التفسير.

-مذاهب ومناهج المفسرين.

-طرق ومصادر التفسير.

-أنواع التفسير.

-المقارنة بين شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – وغيره من المفسرين.

وهذه الدراسة تختلف عن الموضوع الذي أريد بحثه؛ إذ هي متعلقة ببعض مسائل أصول التفسير عند شيخ الإسلام من خلال مقدمة شيخ الإسلام في أصول التفسير.

ودراستي تعنى بجمع نصوص شيخ الإسلام في علوم القرآن ودراستها كما سيأتي في منهج وخطة البحث.

2 – **ابن تيمية ومنهجه وأثره في التفسير:**

د. ناصر بن محمد الحميد (دكتوراه) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه 9/ 10/ 1405هـ.

3 - **ابن تيمية وجهوده في التفسير:**

إبراهيم خليل بركة (ماجستير)، كلية أصول الدين بالأزهر 1985م.

وهاتان الدراستان تتعلق بمنهج ابن تيمية وطريقته في التفسير، بينما دراستي تعنى بجمع أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية في علوم القرآن ودراستها.

4 - **إعجاز القرآن عند شيخ الإسلام ابن تيمية مع المقارنة بكتاب إعجاز القرآن للباقلاني.**

للباحث محمد عبدالعزيز بن محمد العواجي (ماجستير) الجامعة الإسلامية 1414هـ.

5 - إنكار المجاز عند ابن تيمية بين الدرس البلاغي واللغوي:

تأليف إبراهيم بن منصور التركي.

وقد دُرس علم المجاز عند شيخ الإسلام في عدة بحوث ورسائل علمية منها:

-(المجاز بين الإجازة والمنع) للدكتور المطعني.

-الدراسات اللغوية والنحوية في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، للدكتور هادي الشجيري (رسالة دكتوراه).

-مواقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، للدكتور سليمان الغصن (رسالة دكتوراه).

وجميع هذه الدراسات قد درست رأي شيخ الإسلام في المجاز مما يغني عن دراسته مرة أخرى في هذا البحث.

سادساً: نطاق البحث:

سيكون نطاق البحث هو جمع علوم القرآن التي تناولها شيخ الإسلام، ما عدا علمي الإعجاز والمجاز، وكذلك بعض المسائل المتعلقة بأصول التفسير، ومنهجه فيه، لدراستها في رسائل علمية سابقة.

سابعاً: منهج البحث:

المنهج الذي سرت عليه كان على النحو الآتي:

أ – جمع وترتيب مادة البحث العلمية وذلك على النحو الآتي:

1 – جمعت أقوال شيخ الإسلام في علوم القرآن التي لم تجمع من خلال كتبه المطبوعة.

2 – قسمت كلام شيخ الإسلام ورتبته إلى فصول ومباحث ومطالب ومسائل بما يناسب طبيعة كل موضوع، وذلك وفق ما اصطلح عليه المؤلفون في علوم القرآن مع مراعاة ذلك عند شيخ الإسلام.

3 – ألفت بين كلام شيخ الإسلام المفرَّق في كتبه مما ينتمي إلى موضوع واحد، وإذا تكرر كلامه في موضوع أو مسألة فإني أنقل أفضل الصيغ وأجمعها ما أمكن، وأحيل في الحاشية على بقية المواضع، وقد أورد الموضع الآخر عند دراسة المسألة.

4 – الأصل الذي قام عليه العمل – بفضل الله ومنته – هو الحفاظ على عبارة شيخ الإسلام كما هي لا أخرج عن ذلك إلا في حالات نادرة تقتضيها ضرورة الاختصار. وفي هذه الحالة أميّز موضوع التصرف.

5 – وثقت أقوال شيخ الإسلام بعزوها إلى كتبه.

6 – قمت بخدمة كلام الشيخ بتخريج الآيات والآثار التي يوردها وتوثيق الأقوال التي يذكرها.

ب – دراسة كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وفق ما يأتي:

1 – صدرت كل مسألة من مسائل البحث بتمهيد موجز، أوضح فيه رأي شيخ الإسلام، وأعرف ما يحتاج إلى تعريف، وهذا في الغالب.

2 – إذا كان رأي شيخ الإسلام موافقاً لما عليه الجمهور، أو أكثرهم فأكتفي بنقل كلامه، مع ذكر الموافقين له.

3 – أذكر الأقوال المخالفة لرأي شيخ الإسلام في المسألة، وذلك إذا كان الخلاف في المسألة له حظ من النظر؛ إذ ليس كل خلاف جاء معتبراً.

4 – عند ذكر الخلاف يتم استيعابه في الجملة، من حيث ذكر أدلة كل قول مع مناقشة هذه الأدلة وترجيح ما يتبين رجحانه بالدليل.

ج – توثيق المادة العلمية في البحث كما يأتي:

1 – عزو الآيات إلى سورها مع بيان أرقامها.

2 – توثيق القراءات وذلك من مصادرها المعتمدة مع بيان المتواتر والشاذ.

3 – تخريج الأحاديث والآثار الواردة في البحث من مصادر السنة المعتمدة بذكر المصدر والجزء والصفحة ورقم الحديث إن وجد، وذكر كلام أهل العلم في التصحيح والتضعيف، وإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالإحالة عليهما.

4 – توثيق النقول والأقوال بالإحالة على مصادرها.

5 – التعريف بالأعلام غير المشهورين تعريفاً مختصراً.

6 – نسبة الأبيات الشعرية إلى قائليها ومصادرها من كتب اللغة ودواوين الشعر.

7 – التعريف بالفرق والطوائف والبلدان والأماكن تعريفاً مختصراً.

د – وضعت خاتمة، عرفت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

هـ – تم عمل فهارس تفصيلية لمادة البحث العلمية وهي كما يأتي:

1 – فهرس الآيات الكريمة.

2 – فهرس الأحاديث والآثار.

4 – فهرس الأعلام.

5 – ثبت المصادر والمراجع.

6 – فهرس الموضوعات.

ثامناً: خطة البحث:

تشتمل خطة البحث على مقدمة، وتمهيد، وسبعة فصول، وخاتمة، وفهارس علمية وهي بالتفصيل كما يأتي:

المقدمة: وتشتمل على: أهمية الموضوع - أسباب الاختيار - أهداف الموضوع - الدراسات السابقة - منهج البحث - خطة البحث.

تمهيد: ويشتمل على ما يأتي بإيجاز:

-بيان أهمية علوم القرآن.

-ترجمة موجزة لشيخ الإسلام.

-عناية شيخ الإسلام بعلوم القرآن.

الفصل الأول: تعريف القرآن الكريم وفضائله وأحكام قراءته عند ابن تيمية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف القرآن الكريم وأسماؤه وصفاته، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أسماء القرآن الكريم ودلالاتها.

المطلب الثالث: صفات القرآن الكريم ودلالاتها.

المبحث الثاني: فضل القرآن الكريم وأحكام قراءته، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: فضل تلاوة القرآن الكريم.

المطلب الثاني: تحزيب القرآن الكريم وتلاوته.

المطلب الثالث: مسائل في قراءة القرآن الكريم.

المطلب الرابع: البدع المحدثة في قراءة القرآن الكريم.

المطلب الخامس: مسائل متعلقة بالمصحف الشريف.

المبحث الثالث: تفاضل آي القرآن الكريم وسوره، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: القائلون بتفاضل القرآن الكريم وأدلتهم.
المطلب الثاني: حقيقة التفاضل بين آي القرآن الكريم وسوره.
المطلب الثالث: المانعون من التفاضيل ومناقشة أدلتهم.
المبحث الرابع: القراءات، وفيه سبعة مطالب:
المطلب الأول: المتواتر من القراءات.
المطلب الثاني: أول من جمع القراءات السبع وسبب جمعه لها.
المطلب الثالث: تنوع القراءات فيما احتمله خط المصحف، وسببه.
المطلب الرابع: حكم القراءة بالقراءات الشاذة.
المطلب الخامس: الجمع بين القراءات.
المطلب السادس: توجيه القراءات.
المطلب السابع: التكبير في أوائل السور وأواخرها.
الفصل الثاني: الوحي ونزول القرآن عند ابن تيمية، وفيه أربعة مباحث:
المبحث الأول: أقسام التكليم.
المبحث الثاني: العموم والخصوص بين الوحي والتكليم في كتاب الله.
المبحث الثالث: نزول القرآن الكريم، وفيه خمسة مطالب:
المطلب الأول: تنزلات القرآن الكريم.
المطلب الثاني: نزول القرآن على سبعة أحرف.
المطلب الثالث: أسباب النزول.
المطلب الرابع: تكرار النزول.
المطلب الخامس: أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم.
المبحث الرابع: المكي والمدني، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: ما يميز به القرآن المكي.

المطلب الثاني: ما يميز به القرآن المدني.

الفصل الثالث: جمع القرآن وترتيبه ورسمه وترجمته عند ابن تيمية، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: جمع القرآن الكريم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: جمع القرآن الكريم في عهد النبي ﷺ.

المطلب الثاني: جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما.

المبحث الثاني: ترتيب سور القرآن الكريم وآياته.

المبحث الثالث: رسم المصحف وكتابته، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حكم التزام الرسم العثماني في كتابة المصحف الشريف.

المطلب الثاني: نقط المصحف وشكله.

المطلب الثالث: تجزئة المصحف وكتابة أسماء السور وحكم هذه الزيادات.

المبحث الرابع: ترجمة القرآن الكريم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أنواع الترجمة.

المطلب الثاني: ترجمة القرآن الكريم بغير العربية.

الفصل الرابع: النسخ عند ابن تيمية، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: النسخ في اصطلاح المتقدمين.

المبحث الثاني: الحكمة من النسخ.

المبحث الثالث: طرق القول بالنسخ.

المبحث الرابع: ما لا يدخل في النسخ.

المبحث الخامس: أقسام النسخ.

الفصل الخامس: المحكم والمتشابه والتأويل عند ابن تيمية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المحكم والمتشابه، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الإحكام والتشابه بالاعتبار العام والاعتبار الخاص.

المطلب الثاني: أنواع الإحكام (المحكم) باعتبار ما يقابله.

المطلب الثالث: الخلاف في المراد بالمحكم والمتشابه.

المطلب الرابع: تحقيق الكلام في كون الأسماء والصفات من المحكم.

المبحث الثاني: التأويل، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اشتقاق التأويل.

المطلب الثاني: معاني التأويل.

المطلب الثالث: شروط التأويل الصحيح.

الفصل السادس: دلالات الألفاظ، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: العموم والتخصيص، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعرف العام والخاص.

المطلب الثاني: طريقة السلف في تفسير اللفظ العام.

المطلب الثالث: صيغ العموم.

المطلب الرابع: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

المطلب الخامس: المخصصات.

المبحث الثاني: المطلق والمقيد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: شرط حمل المطلق على المقيد.

المطلب الثاني: أحوال حمل المطلق والمقيد بالنسبة للحمل وعدمه.

المبحث الثالث: المنطوق والمفهوم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دلالة المنطوق وأقسامها.

المطلب الثاني: دلالة المفهوم وأقسامها.

المبحث الرابع: المشترك والمتواطئ.

المبحث الخامس: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم.

المبحث السادس: الترادف.

الفصل السابع: قصص القرآن الكريم وأمثاله وأقسامه، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: قصص القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أنواع القصص في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: تكرار القصص في القرآن الكريم وحِكَمه.

المطلب الثالث: فوائد قصص القرآن الكريم.

المبحث الثاني: أمثال القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مدار ضرب الأمثال في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أنواع الأمثال المضروبة في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: فوائد ضرب الأمثال في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: أقسام القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المقسم به في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أحوال المقسم به.

المطلب الثالث: القسم والشرط.

الخاتمة.

الفهارس.

تمهيد: ويشتمل على ما يأتي بإيجاز:

-بيان أهمية علوم القرآن.

-ترجمة موجزة لشيخ الإسلام.

-عناية شيخ الإسلام بعلوم القرآن.

أولاً :أهمية علوم القرآن:

يمكن اجمال أهمية علوم القرآن في هذه النقاط الآتية :

1 -شرف علوم القرآن فرع عن شرف القرآن الكريم ؛ إذ هو كلام رب العالمين.

قال ابن الجوزي: =شرف العلم بشرف المعلوم +[1] ويقول ابن جزي : =إن علم القرآن العظيم هو أرفع العلوم قدراً وأجلها خطراً وأعظمها أجراً وأشرفها ذكراً+[2].

2 -أن هذا العلم جامع للعلوم المتعلقة بالقرآن الكريم، نزوله، وجمعه وقراءته، وغيرها من علوم القرآن

3 -أنه مقدمة ومدخل لعلم التفسير؛ إذ المفسر يحتاج إلى معرفة أنواع علوم القرآن قبل الدخول في التفسير. وقد جعل السيوطي كتابه الإتقان مقدمة لتفسيره مجمع البحرين الذي شرع فيه ولم يتمه [3] والناظر في مقدمات التفاسير -والتي حوت نبذاً وأنواعاً من علوم القرآن - يظهر له جلياً عناية المفسرين بهذا الأمر.

---

(1) زاد المسير لابن الجوزي:1/ 3.

(2) التسهيل لابن جزي:1/ 2.

(3) ينظر: الإمام السيوطي وجهوده في علوم القرآن للشربجي:235.

-ثانياً : ترجمة موجزة لشيخ الإسلام :

هناك مئاتُ التراجم لهذا العلَم الكبير مفردةٌ وغير مفردة مطوَّلة ومختصرة بالعربية, وغيرها.

ابتدأت في حياته ومازالت تترى إلى يومنا هذا[1].

وإلى جانب ذلك لم يزل أهلُ العلم ينهلون من بحر علمه الغزير ويغرفون من زُلال فقهه العذب النَّمير إلى هذه الساعة وإلى ما شاء الله.

وفي هذا العصر أقبلُ الناس على علوم هذا الإمام وانتشرت كتبه – ولله الحمد – وقد كُتب حوله نحو أكثر من مائتي رسالة علمية جامعية في فنون متعددة [2] ومثلها أو أَزيد من الدراسات الأخرى؛ ولا تكاد تخلوا واحدةٌ منها من ترجمة.

وماذا عسى أن يكتب المرء أو يذر في ترجمة هذا العلم الفذَّ وقد حفلت سيرته العطرة ، وحياته الماتعة بجوانب عديدة من جوانب الفضل، والتميز، والقوة، تَألهًّاً ونُسكاً و زهداًوورعاً و علماً وحفظه وفقهاً وشجاعة وجرأة في الحق وماتعرض له من الابتلاء والمحرة والذي ظهر فيه صبره وحلمه على خصومه.

---

(1) انظر : الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون فقد أحصى جامعاه خمس عشرة ترجمة مفردة، وخمساً وسبعين ترجمة غير مفردة وذلك ابتداءً من حياته إلى عام 1300 هـ وذكر محمد بن إبراهيم الشيباني إحدى وستين ترجمة حديثة له وجملة كبيرة من البحوث والدراسات والمقالات عنه – رحمه الله –. انظر : أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية لمحمد بن إبراهيم الشيباني ص188، 212 كما ذكر الدكتور عبد الرحمن الفريوائي في كتابه شيخ الإسلام وجهوده في الحديث وعلومه تسعة كتب في ترجمة الشيخ بالأردية وكتابين بالبنغالية وثلاثة بالإنجليزية. 1/ 244 – 248.

(2) انظر : دليل الرسائل الجامعية في علوم شيخ الإسلام ابن تيمية حيث ذكر مائة وسبعاً وسبعين رسالة منها : سبع وأربعون دراسة وتحقيق لبعض كتبه وقد فاته كثيراً وجدَّ بعده جديد.

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلت عن الحصر
هو حُجَّةٌ لله قاهرةٌ هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية للخلق ظاهرةٌ أنوارها أربت على الفجر [1]

وأبلغ من هذا قول تلميذه الحافظ أبي الحجاج المزِّي :

=ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه+ [2].

وبعد : فهذه إشارات سريعة ونُبَذٌ يسيرة عن حياة شيخ الإسلام تذكر تمهيداً لهذا البحث.

اسمه ونسبه :

هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم بن الشيخ العلاَّمة مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الخَضِر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تَيْمِيَّة النُّمَيْرِي الحرَّاني ثم الدَّمشقي.

و(تَيْمِيَّة) لقب لجدَّه محمد وفي تعليلها قولان مشهوران :

---

(1) هذه أبيات قالها فيه تلميذه ابن الزملكاني انظر البداية 14/ 142 والعقود ص11 والذيل لابن رجب 2/ 392.

(2) انظر : العقود الدرية ص9 وكان يقول : " لم يُر مثله منذ أربعمائة سنة " وعن ابن الزملكاني أنه قال : "لم يُر من خمسمائة سنة أو أربعمائة سنة أحفظ منه " انظر : الذيل 2/ 293. وكان ابن الزملكاني محباً ومعظماً له ثم عاد ذا مَّا له ولا دَّا عليه آخر حياته انظر : البداية والنهاية 14/ 137، وقال عنه المقريزي في المقفَّى الكبير 1/ 468 " ثم نزغ الشيطان بينهما وغلبت على ابن الزملكاني أهويته فمال عليه مع من مال ".

أحدهما : أن جدَّه محمداً ذهب إلى الحج وله امرأة حامل ومرَّ على دَرْب تَيْماء[1], فرأى جارية فلما رجع إلى حرَّان وجد امرأته ولدت بنتاً فلما رآها قال : يا تَيْمِيَّة يا تيمية فلقَّب بذلك.

والثاني : أن جدَّه محمداً هذا كان اسمُ أُمَّه تيمية وكانت واعظة فنسب إليها وعرف بها[2].

و(النُّمَيْرِي) نسبة إلى بني نُمير القبيلة العربية المعروفة[3].

مولده ونشأته :

ولد – رحمه الله – بحرَّان [4] يوم الاثنين العاشر من ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة في بيت علم وفضل ودين فأبوه وأجداده وكثير من أهل بيته من العلماء, ولَّما تمَّ له ستُ سنين وذلك في عام 667هـ هاجر مع والده وأهل بيته من حرَّان إلى دمشق, وذلك بسبب جَور التتار وقد حَملوا معهم كتبهم في رحلة شاقة أنجاهم الله فيها من قبضة التتار.

وقد نشأ – رحمه الله – نشأةً صالحةً فكان تقياً ورعاً عفيفاً صوَّاماً قوَّاماً باراً بوالديه مقتصداً في المأكل والملبس معرِضاً عن الدنيا ولم يتزوج ولم يتسرَّ[5].

---

(1) تَيْمَاء : بلدة معروفة شمال المملكة العربية السعودية.

(2) انظر : العقود الدرية ص4 والتبيان لبديعة البيان لابن ناصر الدين الدمشقي ضمن الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية ص491 والكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية ص52.

(3) انظر : التبيان لبديعة الزمان ضمن الجامع لسيرة شيخ الإسلام ص492.

(4) حَرَّان : بلدة مشهورة في الجزيرة الفراتية بين الشام والعراق ليست هي التي بقرب دمشق ولا التي في تركيا, ولا التي بقرب حلب. أفاده الشيخ العلامة بكر أبو زيد في المداخل إلى آثار شيخ الإسلام ابن تيمية ص16.

(5) أفاده ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة 2/ 395 قال الشيخ بكر أبو زيد : " لا رغبة عن هذه السُّنة

قال عنه تلميذه الذهبي : =والله ما مَقَلَت عيني مثله ولا رأى هو مثل نفسه كان إماماً متبحراً في علوم الديانة صحيح الذهن سريع الإدراك سيَّال الفهم كثير المحاسن, موصوفاً بِفَرْط[1] الشجاعة والكرم فارغاً من شهوات المأكل والملبس والجماع لا لذة له في غير نشر العلم وتدوينه والعمل بمقتضاه+ [2].

=وما رأيت في العالم أكرمَ منه ولا أفرغَ منه عن الدينار والدرهم لا يذكره ولا أظنه يدور في ذهنه وفيه مروءة وقيام مع أصحابه وسعي في مصالحهم وهو فقير لا مال له+[3].

وقد رُزق – رحمه الله – ذكاءً خارقاً وحافظة عجيبة فنبغ مبكراً وفاق الأقران وأدهش الناس ومازال صبياً وقد ناظر وهو دون البلوغ وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره فيتكلم ويناظر ويفحم الكبار وأفتى في سن السابعة عشرة من عمره, وبدأ التأليف وهو في تلك السن أيضاً ودرَّس وهو في الحادية والعشرين من عمره وذلك في مدرسة الحديث السُّكَّرية خلفاً لأبيه بعد وفاته.

قال عنه ابن سيِّد الناس[4] : =ألفيتُه ممن أدرك من العلوم حظاً وكاد يستوعب السنن والآثار حفظاً إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته وإن أفتى في الفقه فهو مدرك غايته أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته أو حاضر بالنحل

ولكنه مثقل الظهر بهموم العلم والدعوة والجهاد " المداخل ص23.

(1)الفَرْطُ : تجاوز الحد. انظر : المعجم الوسيط 2/ 683 مادة (فرط).

(2) المعجم المختصُّ ص25 – 27 ط2 والجامع لسيرة شيخ الإسلام ص279.

(3) الذيل على طبقات الحنابلة 3/ 395.

(4) هو محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس الربعي، أبو الفتح، فتح الدين،محدث مؤرخ عالم بالأدب، ولد بالقاهرة سنة671هـ، وتوفي بها سنة734هـ، من مؤلفاته : عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير وبشرى اللبيب في ذكرى الحبيب. انظر : الدرر الكامنة4/ 279، وفوات الوفيات3/ 287.

والملل لم يُرَ أوسع من نحلته ولا أرفع من درايته برز في كل فن على أبناء جنسه ولم تر عينُ من رآه مثله ولا رأت عينُه مثلَ نفسه+ [1].

وقال كمال الدين ابن الزملكاني[2] : =كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن وحكم أن أحداً لا يعرف مثله+ [3].

شيوخه :

تتلمذ شيخ الإسلام على عدد كبير من الشيوخ قال ابن عبد الهادي [4] : " وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ " [5] ومنهم ما يلي :

1 - والده الشيخ عبد الحليم بن عبد السلام[6].

2 - أبو الفرج جمال الدين بن سليمان البغدادي[7].

---

(1) الرد الوافر ص58، والعقود الدرية ص11، والذيل على طبقات الحنابلة 2/ 39.

(2) هو محمد بن علي بن عبد الواحد الأنصاري، كمال الدين، ابن الزملكاني، فقيه شافعي، ولد سنة 667هـ، وتوفي بالقاهرة سنة 727هـ، من مؤلفاته : تعليقات على المنهاج للنووي، وعجالة الراكب في ذكر أشرف المناقب. انظر : الدرر الكامنة 4/ 192، وفوات الوفيات 4/ 7.

(3) العقود الدرية ص9.

(4) هو محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي، شمس الدين، أبو عبد الله، ابن قدامة المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي، حافظ للحديث، عارف بالأدب، من كبار الحنابلة، ولد سنة 705هـ، وتوفي سنة 744هـ، من مؤلفاته : العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، والمحرر في الحديث. انظر : الدرر الكامنة 3/ 421، وشذرات الذهب 6/ 141.

(5) العقود الدرية ص6.

(6) هو أبو المحاسن، شهاب الدين، عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني، ولد سنة 623هـ بحران، وتوفي سنة 683هـ. انظر : شذرات الذهب 5/ 376، والذيل على طبقات الحنابلة 2/ 302.

(7) هو أبو الفرج أو أبو محمد، جمال الدين، عبد الرحمن بن سليمان بن سعد بن سلمان البغدادي الحراني الحنبلي، ولد سنة 585هـ، وتوفي بدمشق سنة 670هـ. انظر : شذرات الذهب 5/ 332، والذيل 2/ 281.

3 – الشيخ شرف الدين أحمد بن كمال الدين شيخ الشافعية ومفتي دمشق[1].

4 – الشيخ أبو العباس زين الدين أحمد بن عبد الدائم المقدسي[2].

5 – الشيخ تقي الدين أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر التَّنوُّخي[3].

6 – الشيخ شمس الدين، أبو محمد عبد الله بن محمد بن عطاء الأذرعي الحنفي[4].

7 – الشيخ أبو حامد محمد بن علي الصابوني[5].

8 – الشيخ شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي[6].

9 – الشيخ علي بن أحمدبن عبد الواحد المقدسي المعروف بابن البخاري[7].

---

(1) هو شرف الدين، أحمد بن أحمد بن نعمة بن أحمد المقدسي الشافعي، ولد سنة 622هـ، وتوفي سنة 694هـ. انظر : شذرات الذهب 5/ 424، وفوات الوفيات 1/ 57.

(2) هو أحمد بن عبد الدائم بن نعمة بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المقدسي، مسند الشام وفقيهها ومحدثها، ولد سنة 575هـ، وتوفي بدمشق سنة 668هـ. انظر : شذرات الذهب 5/ 325، وفوات الوفيات 1/ 81.

(3) هو إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر شاكر بن عبد الله التنوخي الدمشقي الكاتب، ولد سنة 589هـ، وتوفي سنة 672هـ. انظر : شذرات الذهب 5/ 338، وفوات الوفيات 1/ 170.

(4) هو القاضي عبد الله بن محمد بن عطاء الأذرعي الحنفي، كان المشار إليه في مذهبه، مع الدين والصيانة والتعفف والتواضع، توفي سنة 673هـ. انظر : شذرات الذهب 5/ 340، والفوائد البهية في تراجم الحنفية 2/ 197.

(5) هو الجمال، أبو حامد، محمد بن علي بن محمود الصابوني الحافظ، شيخ دار الحديث النووية، ولد سنة 604هـ، وتوفي سنة 680هـ. انظر : شذرات الذهب 5/ 369، والأعلام 6/ 282.

(6) هو شيخ الإسلام، عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الصالحي الحنبلي، ولد سنة 597هـ ، صاحب شرح المقنع، توفي سنة 682هـ. انظر : شذرات الذهب 5/376، وفوات الوفيات 2/291.

(7) هو فخر الدين، أبو الحسن، علي بن أحمد بن عبد الواحد السعدي المقدسي الصالحي الحنبلي، علامة

10 – الشيخ شمس الدين أبو عبد الله بن عبد القوي بن بدران المقدسي المرداوي[1].

تلاميذه :

تتلمذ على شيخ الإسلام خلق كثيرٌ أضحى كثير منهم من أكابر علماء الإسلامٌ ومنهم :

1 – الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكرٌ ابن قيم الجوزية.

قال ابن حجر : =ولو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب إلا تلميذه الشهير شمس الدين ابن قيم الجوزية صاحب التصانيف النافعة السائرةٌ التي انتفع بها الموافق والمخالف ؛ لكان غاية في الدلالة على عظم منْزلته+ [2].

2 – الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثيرٌ الشافعي.

3 – الإمام الحافظٌ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الشافعي.

4 – الإمام الحافظ جمال الدين أبو الحجاجٌ يوسف بن عبد الرحمن المزَّي.

5 – الإمام الحافظٌ علم الدينٌ أبو محمد القاسم بن محمد بن ا لبِرْزالي[3] الشافعي.

6 – القاضي شمس الدين، أبو عبد اللهٌ محمد بن مفلح الحنبلي[1].

بالحديث، ولد سنة 595هـ، وتوفي سنة 690هـ. انظر : شذرات الذهب 5/ 414، والأعلام 4/ 257

(1) هو محمد بن عبد القوي بن بدران بن سعد الله المقدسي المرداوي الصالحي الحنبلي، ولد سنة 630هـ، توفي سنة 699هـ. انظر : شذرات الذهب 5/ 452، والأعلام 6/ 214.

(2) انظر : تقريظه للرد الوافر ص248.

(3) هو أبو محمد، علم الدين، القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد البرزالي الإشبيلي الدمشقي، محدث مؤرخ، ولد بدمشق سنة 665هـ، وتوفي سنة 731هـ، من مؤلفاته : ثلاثيات من مسند أحمد، ومختصر المئة السابعة. انظر : الدرر الكامنة 3/ 321، وفوات الوفيات 3/ 196.

7 – القاضي أبو العباس، أحمد بن الحسن بن عبد الله بن قدامة المقدسي الحنبلي المشهور بقاضي الجبل[2].

8 – الشيخ أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي.

9 – الشيخ الحافظ أبو حفص عمر بن علي البزّار[3].

10 الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي المعروف بابن شيخ الحزَّامين[4].

علمه:

- حفظ القرآن وهو في الصغر، في سن تعلم الخط والحساب وهو في الكتاب.

أتقن العلوم من التفسير والحديث والفقه والأصول و العربية والتاريخ والجبر والمقابلة والمنطق والهيئة وعلم أهل الكتابين، والملل الأخرى، وعلم أهل البدع، وغيرها في سن مبكر، حتى أنه حذق العربية في أيام، وفهم كتاب سيبويه في أيام، وفي الحديث سمع =المسند + مرات وما ضبطت عليه لحنة متفق عليها، وكان إقباله على التفسير إقبالاً كلياً منقطع النظير. وحقاً إن التسلح بالعلم هو كما قال الباجي – رحمه الله تعالى في وصيته لولديه: =والعلم ولاية لا يعزل صاحبها، ولا يعرى من جمالها لابسها+.

ناظر واستدل وهو دون البلوغ.

---

(1) هو محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي الراميني الصالحي، أعلم أهل عصره بمذهب الإمام أحمد، ولد ببيت المقدس سنة 708هـ، من مؤلفاته : الفروع، والآداب الشرعية الكبرى، وتوفي بدمشق سنة 763هـ. انظر : الدرر الكامنة 5/ 30، والسحب الوابلة ص452.

(2) هو جمال الدين، أبو العباس، أحمد بن الحسن بن قدامة، شيخ الحنابلة في عصره، ولد بدمشق سنة 693هـ، وتوفي بها سنة 771هـ. انظر : الدرر الكامنة 1/ 129، وشذرات الذهب 6/ 219.

(3) هو زين الدين، عمر بن سعد الله بن عبد الأحد الحراني الدمشقي الفقيه الفرضي القاضي الحنبلي، ولد سنة 685هـ، وتوفي سنة 749هـ. انظر : الدرر الكامنة 3/ 242، وشذرات الذهب 6/ 162.

(4) هو عماد الدين، أبو العباس، من مؤلفاته : البلغة في مذهب الإمام أحمد، ومختصر للسيرة النبوية، ولد سنة 657هـ، وتوفي سنة 711هـ. انظر : الدرر الكامنة 1/ 96، وشذرات الذهب 6/ 24.

- أفتى في سن السابعة عشرة من عمره أي سنة 677.
- درس في الحادية والعشرين من عمره أي سنة 681 بعد موت أبيه في المدرسة السكرية، وتولى مشيختها يوم الاثنين 2/ محرم/ 683.
- بدأ درس التفسير بالجامع الأموي في 10/ صفر/ 691 أي وهو ابن ثلاثين سنة، واستمر سنين طويلة.
- حج مرة واحدة سنة 692 أي وعمره 31 سنة، وبعد عودته من الحج آلت إليه الإمامة في العلم والدين.
- نشر العلم في: دمشق، ومصر: في القاهرة، والإسكندرية، وفي سجونها، وفي طريقه إلى مصر مر بغزة، وعقد في جامعها مجلساً علمياً عظيماً، فكان يوماً مشهوداً.
- درس بالمدرسة الحنبلية في يوم الأربعاء 17/ شعبان/ 695.
- أول رحلاته إلى مصر في القاهرة والإسكندرية مرتان سنة 700، ثم عاد إلى دمشق، ثم رجع إلى مصر سنة 705، وكانت إقامته بها نحو سبع سنين وسبع جمع، أي إلى سنة 712 متنقلاً في جلها بين سجون القاهرة الإسكندرية.
- بدأ في التأليف وهو ابن سبع عشرة سنة.

وهكذا من البدايات المبكرة، الدالة على نبوغه وتأهله للاجتهاد والتجديد والإمامة في العلم والدين. [1]

مؤلفاته :

شيخ الإسلام له مؤلفات كثيرة جداً لا تكاد تحصى ومع ذلك هي غاية في الجودة وآية في التحقيق.

---

(1) البداية والنهاية 14/ 23.

وقد فُقد منها شيء كثير لأسباب منها : شدةُ عداوة بعض معاصريه له وسعيهم في كتم علمه وإخماد ذكره حتى بقيت بعض كتبه حبيسةً عند بعض تلاميذه لا يجرؤن على إظهارها [1] وقد كان لمؤلفاته – رحمه الله – نفع عظيم وأثر بالغ منذ تأليفها إلى يومنا هذا.

قال تلميذه ابن عبد الهادي : =ولا أعلم أحداً من متقدمي الأمة ولا متأخريها جمع مثل ما جمع ولا صنَّف نحو ما صنَّف ولا قريباً من ذلك مع أن أكثر تصانيفه إنما أملاها من حفظه وكثير منها صنَّفه في الحبس وليس عنده ما يحتاج إليه من الكتب+ [2].

وكان – رحمه الله – سريع الكتابة حاضر البديهة سريع الاستحضار للنصوص.

يقول أخوه عبد الله[3] : =وقد منَّ الله عليه بسرعة الكتابة ويكتب من حفظه من غير نقل+ [4].

ونظراً لكثرة مؤلفاته وضياع بعضها وتفرَّقها بين تلاميذه في عدد من الأمصار وإخفاء بعض أتباعه لها خوفاً على أنفسهم تعذر إحصاؤها وجمعها واختلف الناس في تعدادها[5].

قال تلميذه الحافظ عمر البزَّار : =وأما مؤلفاته ومصنفاته فإنها أكثر من أن أقدر

---

(1) ينظر المداخل لآثار شيخ الإسلام للعلامة بكر أبوزيد ص 34

(2) العقود الدرية ص 24.

(3) هو عبد الله بن عبد الحليم بن عبد السلام، ولد سنة 660هـ، تفقه ودرَّس، ولم يشتغل بالتصنيف، كان الشيخ يكرمه ويعظمه، توفي سنة 727هـ. انظر : الدرر الكامنة 2/ 371، وشذرات الذهب 6/ 76.

(4) العقود الدرية ص72.

(5) انظر : العقود الدرية ص73.

على إحصائها أو يحضرني جملة أسمائها بل هذا لا يقدر عليه غالباً أحد لأنها كثيرة جداً كباراً وصغاراً وهي منثورة في البلدان فقلَّ بلد نزلتُه إلا ورأيتُ فيه من تصانيفه+ [1].

وقال تلميذه الحافظ الذهبي : =جمعت مصنفات شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية – رضي الله عنه – فوجدته ألف مُصنَّف ثم رأيت له أيضاً مصنفاتٍ أُخر+ [2].

وقال العلامة تقي الدين أحمد المقريزي : =وأكثر مصنفاته مسوّدات لم تبيَّض [3] وأكثر ما يوجد منها الآن بأيدي الناس قليل من كثير ؛ فإنه أُحرق منها شيء كثيراً ولا قوة إلا بالله+ [4].

هذا ولا يتسع المقام هنا لذكر ما وصل إلينا منها والتعريف بها ويمكن الرجوع إلى بعض المصادر التي اهتمت بجمعها [5] وهذه نماذج قليلة لكتبه الكبار وهي متداولة ومشهورة بين أهل العلم :

1 – منهاج السنة النبوية مطبوع في ثمانية مجلدات بتحقيق : محمد رشاد سالم.

---

(1) الأعلام العلية ص25.

(2) الرد الوافر ص72.

(3) المراد بتبييض الكتاب : نقله من خط مؤلفه لتكثر نسخه وينتشر.

(4) انظر : المقفَّى الكبير للمقريزي 1/ 468.

(5) هناك رسالة لتلميذه ابن رُشَيِّق جمع فيها مؤلفاته وهي مطبوعة منسوبة لابن القيم وهو غلط. انظر : الجامع لسيرة شيخ الإسلام ص56 وممن اهتم بجمع مؤلفاته ابن عبد الهادي في العقود الدرية ص 24 وما بعدها والصفدي في الوافي بالوفيات 7/ 23 وما بعدها وابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة 2/ 403 والعلامة المحدث محمد عطاء الله حنيف الفوجياني في كتاب له بعنوان فهرس مؤلفات شيخ الإسلام مرتبة على الفنون مطبوع في آخر كتاب شيخ الإسلام لأبي زهرة المترجم إلى اللغة الأردية انظر : شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه 1/ 247.

2 – درء تعارض العقل والنقل مطبوع في عشرة مجلدات بتحقيق : محمد رشاد سالم.

3 – الصارم المسلول على شاتم الرسول مطبوع في مجلدين بتحقيق : محمد الحلواني ومحمد شودري.

4 – الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح مطبوع في ست مجلدات بتحقيق : علي بن حسن بن ناصر وزميليه.

5 – اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم مطبوع في مجلدين، بتحقيق : ناصر العقل.

6 – الاستغاثة في الرد على البكري مطبوع في مجلدين، بتحقيق : عبد الله السهلي.

7 – شرح العمدة في الفقه باب العبادات وقد طبع منه كتاب الطهارة في مجلد، بتحقيق : سعود العطيشان وأول كتاب الصلاة في مجلد، بتحقيق : خالد الشيقح, وكتاب الصيام في مجلدين، بتحقيق : زايد النشيري وكتاب المناسك في مجلدين، بتحقيق : صالح الحسن.

8 – مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية مطبوع في خمسة وثلاثين مجلداً جمعها: الشيخ عبد الرحمن بن قاسم وساعده ابنه محمد وقد حوى هذا المجموع كتباً وفتاوى ورسائل عديدة.

9 – النبوات مطبوع في مجلدين، بتحقيق : عبد العزيز الطويان.

10 –الاستقامة مطبوع في مجلدين بتحقيق : محمد رشاد سالم.

جهاده :

شيخ الإسلام من الأئمة المجددَّين ولا شك في ذلك وقد عاش في عصر انتشرت فيه البدع والضلالات وكثرت فيه الفتن وتسلَّط فيه الأعداء من التتار والصليبيين فقام هذا البطل المقدام مجاهداً بلسانه، وقلمه وسنانه فردَّ على أهل

الأهواء والبدع وكشف عوارهم وأبطل شبهاتهم وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وحثَّ الناس على قتال التتار وأمرهم بالصبر والمصابرة ووعدهم بالنصر ولمّا التقى الصفان كان في طليعة الصفوف كالأسد الهصور يجالد الأعداء ويستنهض الهمم ويأمر الناس بالثبات حتى نصرهم الله.

قال أبو حيان الأندلسي النحوي صاحب البحر[1] :

قام ابن تيمية في نصر شرعتنا مقام سيّد تيمٍ [2] إذ عصت مضر

فأظهر الدين إذ آثاره درست[3] وأخمد الشرك إذ طارت له شرر

يا من تحدث عن علم الكتاب أصخ[4] هذا الإمام الذي كان قد ينتظر [5]

ويقول تلميذه الحافظ أبو حفص البزار واصفاً شجاعته وقوة قلبه وجهاده :

=كان – رحمه الله – أشجع الناس وأقواهم قلباً ما رأيت أحداً أثبت جأشاً[6] منه ولا أعظم عناءً في جهادِ العدوَّ منه كان يجاهد في سبيل الله بقلبه ولسانه ويده ولا يخاف في الله لومة لائم.

أخبر غير واحد أن الشيخ – رحمه الله – كان إذا حضر مع عسكر المسلمين في جهادٍ يكونُ بينهم أَوقَفَهم وقُطْبَ ثباتهم إن رأى من بعضهم هلعاً أو رقّة وجبانة،

---

(1) هو أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان الغرناطي، الأندلسي، مفسر، محدث، لغوي، من تصانيفه : تفسيره البحر المحيط، وتحفة الأريب في غريب القرآن، وغيرهما، توفي في القاهرة عام 745هـ. انظر : طبقات المفسرين 2/ 286، والأعلام 7/ 152.

(2) سيَّد تيم هو أبو بكر الصديق.

(3) دَرَسَت : انمحت. انظر : مختار الصحاح ص95، مادة (درس).

(4) أَصِخْ : اسمع. انظر المعجم الوسيط 1/ 508 مادة (صخَّ)

(5) انظر : الذيل على طبقات الحنابلة ص392.

6 الجأش : النفس،أو القلب. انظر المعجم الوسيط 1/ 103 مادة (جأشت)

شجعَّه وثبته وبشره ووعده بالنصر والظفر والغنيمة وبيَّن له فضل الجهاد والمجاهدين وإنزال الله عليهم السكينة وكان إذا ركب الخيل يتحنَّك ويجول في العدو كأعظم الشجعان ويقوم كأثبت الفرسان ويكبَّر تكبيراً أنكى في العدو من كثير من الفتك بهم ويخوض فيهم خوض رجل لا يخاف الموت+ [1].

ومن مواقفه الجهادية التي خلدها التاريخ جهاده ضد التتار ومن ذلك :

-أنه لما قدم قازان' ملك التتار بجيوشه إلى الشام عام 699هـ توجه إليه الشيخ مع جماعة من أعيان دمشق لمقابلته وأخذ الأمان لأهل البلد وكلمّه الشيخ كلاماً قوياً شديداً وكان في ذلك مصلحة عظيمة للمسلمين[2].

-ومن ذلك أنه في رجب من تلك السنة خرج الشيخ لملاقاة ملك التتر وكلمه في فك من عنده من أسارى المسلمين فاستنقذ كثيراً منهم من أيدي التتار ثم رجع.

-ومن ذلك أنه في عام 700هـ وردت الأخبار أن التتار قد قصدوا بلاد الشام وأنهم عازمون على دخول مصر فانزعج الناس لذلك وازدادوا ضعفاً على ضعفهم, وطاشت عقولهم وخافوا خوفاً شديداً وشرعوا في الهرب إلى بلاد مصر , والحصون المنيعة وغلت الدواب وبيعت الأمتعة بأرخص الأثمان فنهض الشيخ وحرَّض الناس على القتال وذهب إلى نائب الشام فثبته وقوَّاه ثم توجه إلى مصر وقابل السلطان واستحثه على تجهيز الجيوش إلى الشام وقال لهم : إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته أقمنا له سلطاناً يحوطه ويحميه ويستغلُّه في زمن الأمن، ولم يزل بهم حتى خرجت الجيوش إلى الشام، فخاف

(1) الأعلام العلية ص63.

(2) انظر : البداية والنهاية 14/ 7.

التتار واندحروا، ورجعوا، فسكن الناس وأمنوا[1].

وفي عام 702 وردت الأخبار أن التتار عازمون على غزو الشام ففزع الناس فزعاً شديداً ثم قدموا وجاءت الجيوش المصرية وخرج الشيخ وحث الأمراء والجند على الصبر ورغبهم في الجهاد وأفتى الناس بالفطر وقال : إن الفطر أقوى لكم. ووَعَدَ الناس بالنصر وبدأت المعركة العظيمة المشهورة بمعركة شَقْحَب[2] ووقف الشيخ فيها موقف الموت فانتصر المسلمون وغنموا مغانم كثيرة وانهزم التتار وولوا مدبرين[3].

مِحَنُه:

تعرض شيخ الإسلام لمحن وابتلاءات عديدة وهذه سُنَّةٌ ماضية ؛ فإن الله تعالى يبتلي

عباده المؤمنين لِيَمِيز الخبيث من الطيب والصادق من الكاذب ويرفع درجات الصابرين, ويَحُطَّ خطاياهم وكلَّما زاد إيمان العبد وقوى يقينه، زِيد في بلائه ولَمَّا ارتفع ذكرُ الشيخ – رحمه الله – وذاع صيته وعظُمت مكانته في القلوب حَسَده بعض الناس لا سيما أهلُ الأهواء والبدع والتعصُّب المذهبي الذين ناظرهم وردّ عليهم وكشف أستارهم فسعوا في أذاه وَوَشَوا به إلى السلاطين ورموه بما هو منه براء وقد سجن بسبب هذه المكائد سبع مرات أربعاً بمصر وثلاثاً بدمشق وجميعها نحو خمس سنين[4] وقد مات – رحمه الله – محبوساً في قلعة دمشق وكانت مدة حبسه في هذه

(1) البداية والنهاية 14/ 23.

(2) شَقْحَب : على وزن جَعْفَر عين ماء جنوب دمشق وهي الآن مزرعة تبعد أربعين كلم عن دمشق. انظر : تاج العروس 1/ 324 وترجمة شيخ الإسلام لمحمد كرد علي ص23.

(3) البداية والنهاية 14/ 23.

(4) انظر : المداخل لبكر أبو زيد ص31.

المرَّة الأخيرة سنتين وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوماً وذلك بسبب مسألة الزيارة وشد الرَّحال إلى قبور الأنبياء والصالحين وقد ضُيِّق عليه قبل وفاته بأشهر فمنع التلاميذ من الدخول عليه, وأخرج ما عنده من الكتب والأوراق والأقلام والدواة فتفرغ للعبادة والذكر وقراءة القرآن إلى أن توفي.

ورغم ما أصابه من الأذى بسبب أعدائه فقد حَلِم عليهم وعفا عنهم ولمَّا أراد الملكُ الناصر أن ينتقم ممن سعى في سجنه وأفتى بقتله في مصر من القضاة والفقهاء ثناه عن ذلك, وأخذ يثني عليهم وأنهم لو ماتوا لم تجد مثلهم في دولتك وقال له : = أمَّا أنا فهم في حل من جهتي+.. حتى سكَّن ما عنده عليهم[1].

وكان القاضي ابن مخلوف المالكي[2] يقول إثر ذلك : =ما رأينا أتقى من ابن تيمية لم نبق ممكنا في السعي فيه ولما قدر علينا عفا عنَّا+ [3].

وقبل وفاته بقليل – وهو في حبسه – حلَّل من عاداه وهو لا يعلم أنه على الحق وحلّل السلطان الملك الناصر من حبسه له لكونه فعل ذلك مقلداً لغيره ولم يفعله من تلقاء نفسه بل لما بَلَغَه مما ظنه حقاً من مُبَلِّغيه[4].

الله أكبر هذه أخلاق العلماء الربانيين.

وفاته :

لم يزل الشيخ – رحمه الله – مقبلاً على العبادة وقراءة القرآن والذكر صابراً محتسباً

---

(1) انظر : البداية والنهاية 14/ 54 والعقود الدرية ص221.

(2) هو زين الدين، علي بن مخلوف بن ناهض النويري المالكي، قاضي المالكية بمصر، توفي بمصر عن 83 عاماً سنة توفي سنة 718هـ. انظر : شذرات الذهب 6/ 49.

(3) البداية والنهاية 14/ 54.

(4) الأعلام العلية ص72.

إلى أن توفى ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة 728هـ وذلك بعد مرض لازمه أياماً معدودة وقد كانت وفاته مصيبة عظيمة وفاجعة كبيرة حزن لها الناس وبكوا وفزعوا فزعاً شديداً لا سيما وأنهم لم يعلموا بمرضه وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً.

ولنْسمع لتلاميذه وهم يصفون ذلك اليوم العظيم وتلك الجنازة الباهرة.

يقول تلميذه الحافظ أبو حفص البزار : = فما هو إلا أن سمع الناس بموته حتى لم يَبْقَ في دمشق من يستطيع المجيء إلى الصلاة عليه وأراده إلا حضر لذلك وتفرّغ له حتى غُلقت الأسواق بدمشق وعُطِّلت معايشها حينئذ وحصل للناس بمصابه أمر شغلهم عن غالب أمورهم وأسبابهم وخرج الأمراء والرؤساء والعلماء والفقهاء والأتراك والأجناد والرجال والنساء والصبيان من الخواص والعوام.

ولم يتخلف أحد من الناس فيما أعلم إلا ثلاثة أنفس كانوا قد اشتهروا بمعاندته فاختفوا من الناس خوفاً على أنفسهم، بحيث غلب على ظنهم أنهم متى خرجوا رجمهم الناس فأهلكوهم... + [1].

ويقول ابن كثير : =واتَّفق وفاته في سحر ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ثمان عشرين وسبعمائة فما أصبح الناس إلا وقد تسامعوا بهذا الخطب العظيم والأمر الجسيم، فبادر الناس على الفور إلى الاجتماع حول القلعة من كل مكان أمكنهم المجيء منه ولم يطبخ أهلُ الأسواق شيئاً ولا فتحوا كثيراً من الدكاكين التي من شأنها أن تفتح أوائل النهار على العادة وفُتح باب القلعة وباب القاعة لمن يدخل من الخواص والأصحاب والأحباب فاجتمع عند الشيخ في قاعته خلق من أخصاء أصحابه من البلد والصالحية، وجلسوا حوله وهم يبكون ويثنون وكنت فيمن

(1) الأعلام العلية ص72 بتصرف يسير.

حضر هناك مع شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي – رحمه الله – وكشفت عن وجه الشيخ ونظرت إليه، وعلى رأسه عمامة بعذبة [1] مغروزة، وقد علاه الشيب أكثر مما فارقناه.

ثم شرعوا في غسل الشيخ – وخرجت إلى مسجد هناك – ولم يمكث عنده إلا من ساعد في تغسيله، وفيهم شيخنا الحافظ المزي وجماعة من كبار الصالحين، فما فُرغ منه حتى امتلأت القلعة بالرجال، وكذلك ما حولها إلى الجامع، فصُلي عليه بدركات القلعة، وضج الناس بالبكاء والثناء والدعاء والترحم، ثم ساروا به إلى الجامع، ودخلوا بالجنازة الجامع الأموي، والخلائق فيه لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، فصرخ صارخ : هكذا تكون جنائز أئمة المسلمين. فتباكى الناس عند سماع ذلك الصارخ.

ووضع الشيخ في موضع الجنائز مما يلي المقصورة، وجلس الناس على غير صفوف بل مرصوصين لا يتمكن أحد من السجود إلا بكلفة، وذلك قبل أذان الظهر بقليل، وجاء الناس من كل مكان، وكثروا كثرة لا توصف، فلما أذن الظهر وفرغ من الأذان أقيمت الصلاة على السدَّة بخلاف العادة ليسرعوا بالناس، فلما فرغوا من صلاة الظهر خرج نائب الخطيب لغيبته بالديار المصرية فصلى عليه إماماً ؛ وهو الشيخ علاء الدين بن الخراط [2].

ثم خرج الناس من كل مكان، من سائر أبواب الجامع، والبلد كما ذكرنا، واجتمعوا بسوق الخيل، ومن الناس من تعجل إلى مقابر الصوفية، والناس في بكاء وتهليل، ودعاء وثناء، وتأسف، والنساء فوق الأسطحة من هناك إلى المقبرة، يبكين ويدعين.

---

(1) العذبة : طرف العمامة. انظر المعجم الوسيط 2/ 589، مادة (عذب).

(2) هو الشيخ المعمر، علاء الدين، علي بن عثمان بن الخراط، توفي بدمشق سنة 739هـ، له خطب ومقامات. انظر : شذرات الذهب 6/ 122.

وبالجملة كان يوماً مشهوداً لم يعهد مثله بدمشق اللهم إلا أن يكون في زمن بني أمية حين كان الناس بها كثيراً جداً ثم دفن عند أخيه قريباً من أذان العصر.

ولم يتخلف من الناس إلا القليل من الضعفاء والمخدَّرات وما علمت أحداً من أهل العلم تخلف عن الحضور في جنازته إلا النفر اليسير وعُمِلت له ختمات كثيرة ورئيت له منامات باهرة صالحة عجيبة ورُثي بأشعار كثيرة جداً.

وقد أُفردت له تراجم كثيرة وصنف في ذلك جماعة من الفضلاء وغيرهم "[1].

رحمه الله رحمة و اسعة ورفع درجته في المهديين، وجمعنا به في جنات النعيم.*

ثالثاً : عناية شيخ الإسلا م بعلوم القرآن:

(1) البداية والنهاية 14/ 135 وانظر : [ط التركي] 18/ 299 – 203 باختصار.

* أهم المصادر في ترجمته :

1 -العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي.

2 -ذيل طبقات الحنابلة، للحافظ ابن رجب الحنبلي 2/ 387.

3 -البداية والنهاية لابن كثير 14/ 135 وما بعدها. قال الشيخ بكر أبو زيد : " وهذه الثلاث هي عيون تراجمه ".

4 -الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية، لمرعي بن يوسف الحنبلي.

5 -الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، للحافظ أبي حفص عمر البزار.

6 -الوافي بالوفيات للصفدي 7/ 15 – 33.

7 -الدرر الكامنة في أعيان المائة الثانية للحافظ ابن حجر العسقلاني 1/ 144 – 160.

8 -الرد الوافر على من زعم بأن من سمي ابن تيمية شيخ الإسلام كافراً لابن ناصر الدين الدمشقي.

9 -تذكرة الحفاظ، للذهبي 4/ 1496.

10 -وهناك كتاب معاصر نفيس تقدم ذكره بعنوان الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون جمعه محمد عزيز شمس، وعلي العمران وقدَّم له الشيخ العلامة بكر أبو زيد وقد حوى هذا الجامع خمساً وسبعين ترجمة لشيخ الإسلام مجموعة من بطون كتب التواريخ والتراجم المطبوعة والمخطوطة. وسبقت الإشارة إلى كثرة تراجمه القديمة والحديثة.

شيخ الإسلام ابن تيمية من أئمة التفسير وعلوم القرآن، له فيه منْزلة رفيعة، ودراية واسعة، ومنهج فريد، شهد له بذلك تلاميذه وعلماء عصره، وكل منْصِف اطَّلع على كلامه فيه من بعده .

يقول تلميذه شمس الدين الذهبي : =وأمَّا التفسير فمسَلَّم إليه، وله من استحضار الآيات من القرآن – وقتَ إقامة الدليل بها على المسألة – قوة عجيبة، وإذا رآه المقرئ تحيَّر فيه، ولِفَرْط إمامته في التفسير، وعظم اطلاعه ، يبين خطأ كثير من أقوال المفسرين، ويوُهي [1] أقوالاً عديدة، وينصر قولاً واحداً موافقاً لما دل عليه القرآن والحديث + [2] .

ويقول تلميذه ابن عبد الهادي : =وأقبل على التفسير إقبالاً كلياً، حتى حاز فيه قَصَب السَّبْق + [3] .

وسبق قول ابن سيِّد الناس فيه : =إن تكلَّم في التفسير فهو حامل رايته+ [4] .

ويقول تلميذه علم الدين البِرْزَالي : =وكان إذا ذكر التفسير أبهت الناس من كثرة محفوظه، وحسن إيراده، وإعطائه كلَّ قول ما يستحق من الترجيح، والتضعيف والإبطال، ... وكان يجلس في صبيحة كل جمعة على الناس، يفسر القرآن العظيم،

(1) يوهي : يضعِّف . انظر : المعجم الوسيط 2/ 1061 مادة (وهى) .

(2) العقود الذرية ص23 ، والذيل على طبقات الحنابلة 2/ 391 ، والعقود الدرية ص23 .

(3) العقود الدرية ص6 .

(4) انظر ص15 .

فانتفع بمجلسه، وبركة دعائه، وطهارة أنفاسه، وصدق نيته، وصفاء ظاهره وباطنه، وموافقة قوله لعمله، وأناب إلى الله ، خلق كثير + [1] .

وقد أقبل – رحمه الله – على التفسير في آخر حياته، وقال مقولته المشهورة، وهو محبوس في القلعة : = قد فتح الله عليَّ في هذا الحصن، في هذه المرَّة من معاني القرآن، ومن أصول العلم بأشياء، كان كثيرٌ من العلماء يتمنونها، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن+ [2] .

ومن أبرز خصائص منهجه ما يأتي :

أولاً : اتباعه لمنهج السلف الصالح، أهل السنة والجماعة في باب الأسماء الصفات ؛ حيث أثبت ما أثبته الله لنفسه في كتابه الكريم من الأسماء الحسنى والصفات العُلى من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف، وفند شبه المؤلة والمعطلة ، و نصر – رحمه الله – مذهب أهل السنة والجماعة، وهذا أمر ظاهر جلي في أكثر كتبه[3]

ثانياً : اهتمامه بالأثر وتقديمه على غيره :

من أبرز خصائص شيخ الإسلام تعظيمه للمأثور من الأحاديث المرفوعة إلى النبي ﷺ، وما أُثر عن الصحابة والتابعين، وله الاطلاع الواسع والاستظهار العجيب لدواوين السنة ، والأثر. ولا يحيد عمّا صحَّ من ذلك .

---

(1) العقود الدرية ص13، وقال الذهبي، كما في العقود ص8 : " وأخذ في تفسير الكتاب العزيز في الجُمع على كرسي من حفظه، فكان يورد المجلس ولا يتلعثم، وكذا كان الدرس بتؤدة وصوت جهوري فصيح " . وانظر : المقفي للمقريزي 1/ 469 .

(2) العقود الدرية ص25 .

(3) انظر – على سبيل المثال – : العقيدة الواسطية، والحموية، والتدمرية .

فكان – رحمه الله – يقول : =ومما ينبغي أن يعلم أن القرآن والحديث إذا عرف تفسيره من جهة النبي لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم+ [1] .وهذا ظاهر لمن تأمل أقواله في مسائل هذه الرسالة.

ثالثاً : عنايته بالترجيح بين الأقوال :

شيخ الإسلام له عناية كبيرة بالاختيار والترجيح بين الأقوال، فهو يستوعب الخلاف أقوالاً واستدلالاً ، وذلك في الغالب ،و يستدل للصحيح منها، ويناقش أدلة القول المرجوح بنفس يعز مثله .

وقد قال– رحمه الله– : =فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف : أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام ، وأن ينبه على الصحيح منها ويبطل الباطل وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلا يطول لنِزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته فينشغل به عن الأهم+ [2] .

رابعاً : سعة اطلاعة على أقوال المفسرين :

ومن تأمل كلامه في تفسير سورة الإخلاص وغيره ظهر له ذلك جلياً .

ويقول – قدس الله روحه – : =ربما طالعت في الآية الواحدة نحو مائة تفسير، ثم أسأل الله الفهم، وأقول : يا معلم آدم وإبراهيم علمني، وكنت أذهب إلى المساجد المهجورة، ونحوها، وأمرَّغ وجهي في التراب، وأسأل الله – تعالى – وأقوال : يا معلم إبراهيم فهمني+ [3] .

ويقول – رحمه الله – : =وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة وما رووه من الحديث ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر

---

(1) مجموع الفتاوى 7/ 286 .

(2) مجموع الفتاوى 13/ 367 ، ومقدمة في أصول التفسير ص89 .

(3) العقود الدرية ص24 .

من مائة تفسير فلم أجد – إلى ساعتي هذه – عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئا من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف ; بل عنهم من تقرير ذلك وتثبيته ...+ [1] .

خامساً: اتباعه الدليل ونبذ التعصب:

كلُّ من يطالعُ تراث شيخ الإسلام يظهر له جلياً أنه طالب حق ومتبع للدليل لا يصرفه عنه تقليد أعمى أو اتباع لهوى بل إنه رجع عن مسائل تبين له أن الحق بخلافها[2] وكثيراً ما كان يعتذر عمَّن يخالفه الرأي ويفترض أنه مجتهد والمجتهد يخطئ ويصيب[3] .

وهذه السمة ظاهرة في تأليفه .

سادساً : عنايته بالاستنباط:

شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ من بحور العلم ،و أوعية الفقه ، ومن الأذكياء المعدودين كما قال الحافظ الذهبيّ وغيره.

و قال تلميذ تلميذه الحافظ ابن رجب ـ رحمه الله ـ: =وبرع في التفسير والقرآن، وغاص في دقيق معانيه، بطبع سيّال، وخاطر إلى مواقع الإشكال ميّال، واستنبط منه أشياء لم يُسبق إليها+[4].

(1) مجموع الفتاوى 6/ 394

(2) ينظر: على سبيل المثال – : مجموع الفتاوى 2/ 464 6/ 258 .

(3) انظر : ابن تيمية وجهوده في التفسير ص123 .

(4) **الذيل على طبقات الحنابلة**: 2/ 390.

الفصل الأول

تعريف القرآن الكريم وفضائله وأحكام قراءته عند ابن تيمية

وفيه أربعة مباحث

- المبحث الأول: تعريف القرآن الكريم وأسماؤه وصفاته.
- المبحث الثاني: فضل القرآن الكريم وأحكام قراءته.
- المبحث الثالث: تفاضل آي القرآن الكريم وسوره.
- المبحث الرابع: القراءات.

المبحث الأول

تعريف القرآن الكريم وأسماؤه وصفاته

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: تعريف القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: أسماء القرآن.
- المطلب الثالث: صفات القرآن الكريم.

المبحث الأول
المطلب الأول: تعريف القرآن الكريم

تعريف القرآن لغة:

قال الشيخ: القرآن هو في الأصل مصدر قرأ قرآناً ولفظه =القرآن + يراد به المصدر ويراد به الكلام، قال الله تعالى: ﴿ ئۇ ئۆ ئۈ ئې ئې ئى ئى ﴾ ﴿ بى بي تج تح ﴾[1] وفي الصحيحين عن ابن عباس قال: إن علينا أن نجمعه في قلبك وتقرأه بلسانك[2]. وقال أهل العربية: يقال: قرأت الكتاب قراءةً وقرآناً [3]، ومنه قول حسان رضي الله عنه:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يُقطِّع الليل تسبيحاً وقرآنا [4].

وقد قال تعالى: ﴿ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ﴾[5] وقال تعالى: ﴿ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﴾[6]. وقال تعالى: ﴿ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ﴾[7] وهم إنما يستمعون الكلام نفسه ولا يستمعون مسمى المصدر الذي هو الفعل فإن ذلك لا يسمع فقوله: ﴿ ۓ ۓ ﴾[8] من هذا الباب من باب نقرأ عليك أحسن القصص ونتلو عليك أحسن القصص كما قال

---

(1) سورة القيامة، الآيات: 17 – 19.

(2) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ص 22، رقم (5)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة ص 188، رقم (448).

(3) ينظر: لسان العرب (11/ 79) مادة (قرأ).

(4) ينظر: ديوانه (ص 248) وهو من قصيدة له مطلعها:

من سره الموت صرفا لا فراج له فليأت مأسدة في دار عثمان

(5) سورة النحل، الآية: 98.

(6) سورة الإسراء، الآية: 45.

(7) سورة الأعراف، الآية: 204.

(8) سورة يوسف، الآية: 3.

تعالى: ﴿ ۀ ہ ہ ہ ھ﴾[1] وقال: ﴿ ئې ئى ﴾[2] قال ابن عباس: أي قراءة جبريل ﴿ ئى ی ی ﴾ فاستمع له حتى يقضي قراءته. والمشهور في قوله: ﴿ ھ ھ ھ﴾[3] أنه منصوب على المفعول به فكذلك أحسن القصص لكن في كلاهما معنى المصدر أيضاً كما تقدم، ففيه معنى المفعول به ومعنى المصدر جميعاً، وقد يغلب هذا كما في قوله: ﴿ ی ئج ئح ئم ﴾[4] فالمراد هنا نفس مسمى المصدر، وقد يغلب هذا تارة كما في قوله: ﴿ ۇ ۆ ۆ ﴾ وقوله: ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ﴾[5]. وقوله:﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ﴾[6] وغالب ما يذكر لفظ =القرآن+ إنما يراد به نفس الكلام لا يراد به التكلم بالكلام الذي هو مسمى المصدر. ومثل هذا كثير في اللغة يكون أمران متلازمان إما دائماً وإما غالباً فيطلق الاسم عليهما ويغلب هذا تارة وهذا تارة، وقد يقع على أحدهما مفرداً كلفظ =النهر + و=القرءة+ و=الميزان+ ونحو ذلك مما فيه حال ومحل فالاسم يتناول مجرى الماء والماء الجاري[7].

الدراسة:

1 – يرى شيخ الإسلام رحمه الله أن لفظ القرآن مصدر مهموز مشتق من قرأ بمعنى تلا على وزن فعلان، كالرجحان، وسمي به المقروء من باب تسمية اسم المفعول بالمصدر، وهو قول ابن عباس – رضي الله عنهما –[8] وهو اختيار ابن جرير

(1) سورة القصص، الآية: 3.

(2) سورة القيامة، الآية: 18.

(3) سورة الإسراء، الآية: 45.

(4) سورة القيامة، الآية: 17.

(5) سورة الإسراء، الآية: 88.

(6) سورة الإسراء، الآية: 9.

(7) مجموع الفتاوى (17/ 36 – 37).

(8) جامع البيان (1/ 90).

وابن عطية[1]. وقال به اللحياني [2]، والراغب الأصفهاني، والفيروزأبادي [3] رحمهم الله أجمعين.

هذا هو **(القول الأول)** من أقوال القائلين بأن لفظ (القرآن) مشتق ومهموز.

وقيل: إنه مصدر مشتق من القَرْء بمعنى الجمع والضم من قول العرب: قرأت الشيء، إذا جمعته وضَممْتُ بعضه إلى بعض، ومن ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض عند القراءة، ومن جمع السور بعضها إلى بعض والتأليف بينها، وهو قول قتادة [4]، قال قُطْرب [5] رحمه الله: قرأت الماء في الحوض: أي جمعته، وقرأت القرآن: لفظت به مجموعاً[6].

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى رحمه الله: سمي بذلك لأنه جمع السور بعضها إلى بعض[7]، وقال الراغب رحمه الله: قال بعضهم: سُمي قرآناً لكونه جامعاً لثمرات الكتب بل لجمعه ثمرة جميع العلوم[8].

---

(1) ينظر: جامع البيان (1/ 9)، والمحرر الوجيز (1/ 45).

(2) هو أبو الحسن: علي بن حازم من بني لحيان، من كبار أهل اللغة وله نوادر، أخذ عن الكسائي، وأخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلام وغيره، ولم يذكر أحداً وفاته، ترجمته في نزهة الألباء: 176، وبغية الوعاة (2/ 185).

(3) ينظر: تهذيب اللغة (9/ 272) =قرأ +، والمفردات: 2668، والقاموس المحيط 62 =القرآن +، ومناهل العرفان (1/ 7).

(4) انظر قوله في: جامع البيان (1/ 91).

(5) هو أبو علي: محمد بن المستنير، أديب لغوي، أخذ عن سيبويه، وهو الذي لقبه بقُطرب؛ لأنه كان يخرج بالسحر فيراه على بابه: فيقول له: إنما أنت قُطْرب ليل، والقطرب دويبة تدب ولا تفتر، وكان يرى رأي المعتزلة، من مؤلفاته: =المثلث + و=معاني القرآن +. ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان (4/ 312)، ونزهة الألباء (910).

(6) ينظر: معاني القرآن للزجاج (1/ 170)، وجمال القراء (1/ 163)، والإتقان (1/ 147).

(7) مجاز القرآن لأبي عبيدة(1/ 1).

(8) مفردات القرآن: 402.

2 – **وقيل: إنه مصدر مشتق** وغير مهموز وأصحاب هذا القول على ثلاثة أنحاء:

أ – قيل: إنه مشتق من (قرنت الشيء بالشيء)، إذا ضممت أحدهما إلى الآخر، ونسب للأشعري [1] رحمه الله، وسُمي به القرآن لأن السور والآيات قد قرن بعضها ببعض[2]. واعترض على هذا القول بجعله النون في (قرآن) أصلية وهي زائدة، وفي هذا القول إغفال لمعنى التلاوة[3].

ب – وقيل مشتق من القَرْي، وهو الجمع، ومنه قريتُ الماء في الحوض، أي جمعته، ونسبه الزركشي للجوهري[4][5] رحمهما الله.

واعترض عليه غير واحد، فقال الراغب رحمه الله: =لا يقال لكل جمع قرآن ولا لجمع كل كلام قرآن؛ ولعل مراده بذلك في العرف والاستعمال لا أصل للغة +[6]. وقال السمين الحلبي رحمه الله: هو غلط لأنهما مادتان متغايرتان [7]. وقال مناع القطان رحمه الله: =إن في هذا الرأي تكلفاً ظاهراً لكونه يؤدي إلى أن يكون أصل الهمزة حرف علة، وأن تكون النون زائدة، مع ما فيه من إغفال معنى التلاوة[8].

---

(1) هو أبو الحسن: علي بن إسماعيل الأشعري، كان من أئمة المتكلمين، وهو مؤسس مذهب الأشاعرة، ثم رجع عنه، من مؤلفاته: =مقالات الإسلاميين +، توفي سنة 324هـ، ترجمته: طبقات الشافعية (2/ 245)، وسير أعلام النبلاء (15/ 18).

(2) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (قرأ): (9/ 271)، والبرهان (1/ 374).

(3) ينظر: جمال القراء للسخاوي (1/ 166)، ومذكرة الدراسات العليا لمناع القطان 1407هـ.

(4) هو إسماعيل بن حماد الجوهري، إمام في علوم اللغة، وخطه يضرب به المثل في الحسن، له كتاب =الصحاح+ في اللغة، توفي (398هـ) بنيسابور. ترجمته، إنباه الرواة (1/ 229).

(5) ينظر: البرهان (1/ 273).

(6) المفردات: 402.

(7) الدر المصون (2/ 281).

(8) ينظر: مذكرة الدراسات العليا لمناع القطان، عام 1407هـ.

جـ - وقيل: مشتق من القرائن؛ لأن سوره يصدق بعضها بعضاً، ويشبه بعضها بعضاً، ونسبه الزركشي للقرطبي [1]، والسيوطي للفراء [2] رحمه الله، واعترض عليه الزجاج رحمه الله فقال: =هذا سهو، والصحيح أن ترك الهمزة فيه من باب التخفيف، ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها+[3].

3 - القول الثالث: أن لفظ (القرآن) علم مرتجل غير مشتق ولا مهموز، وضع عَلَماً على الكتاب المنزل على النبي ﷺ وهو قول الشافعي[4].

فقد روي عنه أنه قال: =قرأت القرآن على إسماعيل بن قسطنطين [5] وكان يقول: القرآن اسم وليس مهموزاً، ولم يؤخذ من قرأت؛ ولو أخذ من =قرأت+ لكان كل ما قرئ، ولكنه اسم للقرآن، مثل التوراة والإنجيل، يهمز قرأت، ولا يهمز القرآن... [6])[7].

ويَرِدُ على هذا القول أمران:

1 - أن العلم المرتجل نادر جداً، وأن الغالب في الأعلام، والأسماء الاشتقاق[8].

---

(1) هو يحيى بن سعدون بن تمام الأزدي القرطبي النحوي، أخذ عن الزمخشري وغيره، كان بارعاً في العربية، بصيراً بعلل القراءات، من مؤلفاته القرطبية في القراءات، توفي سنة (560)، ترجمته في السير للذهبي (20/ 54)، والأعلام للزركلي (8/ 147).

(2) ينظر: البرهان (1/ 374)، الإتقان (1/ 68).

(3) ينظر: المصدر السابق.

(4) انظر قوله في: مناقب الشافعي للبيهقي1/(276 -277)، والأسماء والصفات للبيهقي2/(27 -28).

(5) هو إسماعيل بن عبدالله بن قسطنطين المخزومي، مقرئ مكة، قرأ على ابن كثير، توفي سنة (170هـ). ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (1/ 165)، ومعرفة القراء للذهبي (1/ 141).

(6) ينظر: تاريخ بغداد للخطيب، ترجمة الشافعي (2/ 62)، والبرهان (1/ 374)، واختار هذا القول السيوطي، ينظر: الإتقان (1/ 163).

(7) وهي قراءة ابن كثير المكي؛ فإنه يقرأ =القران+ و=القرآن+ بنقل حركة الهمز إلى ما قبلها وحذفها.

(8) ينظر: علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير، د/ محمد صفاء (1/ 38).

2 – أن حذف الهمز من لفظ (القرآن) ليس لأنه غير مهموز ولا مشتق، بل للتخفيف والنقل، وهو وجه لغوي مشهور وهو أصل من أصول القراءة عند ابن كثير وغيره.

هذه هي أشهر الأقوال في لفظ (القرآن) لغةً.

والذي يظهر أنه لا تضاد بينها، وكل منها له وجهٌ ودلالة، وتؤول في الغالب إلى معنى واحد هو الجمع، غير أن القول بأن لفظ (القرآن) مشتق ومهموز من =قرأ+ بمعنى =تلا+ وهو اختيار شيخ الإسلام، وهو أمثلها؛ لسلامته لغة ومعنى، مع اتفاقه مع الأقوال الأخرى؛ إذ يصدق على التلاوة الجمع؛ لأن القارئ يجمع الحروف بفِيْه ويقرأها مجتمعة، وفيه معنى التلاوة التي هي ميزةٌ من ميزات هذا الكتاب، حيث يتعبد بتلاوته.

تعريف القرآن اصطلاحاً

تمهيـــد:

إن مسألة الحد، وتحديد المصطلح وتحريره بتعريف جامع مانع يعد من أصعب أبواب العلم والتأليف؛ إذ يحتاج ذلك إلى خبرة ودراية بالحدود والضوابط والموانع، وزد على هذا أن الناس يتباينون في تحديد وتحرير التعاريف، كل حسب منزعه الذي ينزع منه، ومقصده الذي يبتغيه، وهذا ظاهر في الحدود التي ذُكرت في تعريف القرآن الكريم.

ثم إنه حينما يُذْكر تعريفٌ للقرآن الكريم، ليس لرفع الجهالة عنه، إذ هو أشرف من أن يُعرَّف، وإنما يذكر التعريف ضبطاً لحده بالقيود التي تخرج غيره عن مسماه، وهذه طريقة أهل الاصطلاح، وإما رداً على الفرق المخالفة التي ضلَّت في الاعتقاد في صفة كلام الله عز وجل – ومنه القرآن الكريم – وهذا المسلك الذي سلكه شيخ الإسلام – رحمه الله – في تقريره لتعريف القرآن كما سيظهر لك قريباً.

ومع تنوع مقاصد أصحاب المسلكين إلا أنك تجد تداخلاً وتوافقاً في كثير من الحدود في تعريف القرآن الكريم في كلا المسلكين.

ومما ينبغي أن يُذكر هنا أن مسألة تعريف القرآن الكريم – متعلقة بمسألة عظيمة في الاعتقاد هي مسألة (كلام الله عز وجل) وهي من أعظم مسائل الاعتقاد التي كثر فيها الاختلاف وعظم فيها الاضطراب في عصر الشيخ، وفي القرون المتقدمة عنه، قال رحمه الله: **=والناس قد تنازعوا في كلام الله عز وجل نزاعاً كثيراً، والطوائف الكبار نحو ست فرق+**[1] وقد بسط شيخ الإسلام رحمه الله التقرير في

(1) مجموع الفتاوى (12/ 42).

هذه المسألة بسطاً محرراً - يَنْدُر مثله - في كثير من مصنفاته، وذلك بجمع الأدلة من الكتاب والسنة مع حسن استدلال وقوة حجة، ونقضٍ لأدلة المخالفين، وكشفٍ لتلبيسهم، ونسفٍ لشبههم، فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه خيراً عن الإسلام والمسلمين.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

=القرآن كلام الله لفظه ومعناه، سمعه منه جبريل، وبلغه عن الله إلى محمد، ومحمد سمعه من جبريل، وبلغه إلى أمته... مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور+[1].

الدراسة:

بالنظر في التعريف المتقدم يمكن تحليله إلى العناصر الآتية:

- **القرآن كلام الله**: الكلام جنس شامل لكل كلام، وإضافته إلى الله إخراج لكلام غيره، إذ ليس شيء منه كلاماً لغيره، لا جبريل عليه السلام، ولا محمد ﷺ، ولا غيرهما.

- **لفظه ومعناه**: في هذا القيد إخراج ما يأتي:

1 - الحديث القدسي: إذ إن معناه من الله باتفاق، ولفظه مختلف فيه.

2 - الحديث النبوي: إذ إن لفظه ومعناه من كلام النبي ﷺ مع كونه وحياً.

وفي هذا القيد والذي قبله رد على الفرق المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة فيما يعتقدونه في صفة كلام الله عز وجل وهي:

أ - الفلاسفة الذين زعموا أن كلام الله - عز وجل - فيض فاض من العقل الفعال، على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها فتقبلته هذه النفوس وتصورته.

---

(1) مجموع الفتاوى (3/ 160 - 12/ 564). ومن الحدود التي ذكرها الشيخ للقرآن الكريم قوله: =القرآن كلام الله منزَّل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود +. انظر مجموع الفتاوى (12/ 258)، (3/ 129).

ب – الجهمية والمعتزلة القائلون بخلق القرآن الكريم.

د – الكلابية القائلون بأن القرآن معنى قائم بالنفس والحروف والأصوات حكاية له دالة عليه، وهي مخلوقة.

هـ – الأشاعرة القائلون بأن القرآن معنى واحد قائم بذات الرب، وهو صفة أزلية قديمة، وألفاظ القرآن عبارة عن كلام الله، وهي مخلوقة، ولم يتكلم الله بهذا الكلام العربي، ولا سمع من الله، وإنما المسموع حقيقة هو المعنى فقط[1].

– **سمعه منه جبريل وبلّغه عن الله إلى محمد...**

في هذا القيد بيان للطريقة التي نقل بها القرآن الكريم، وفيه رد على الفرق المنحرفة في مسألة صفة كلام الباري عز وجل كما تقدم.

مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور...

في هذا الوصف بيان لسمة من سمات القرآن، وخصيصة من خصائصه، وهي حفظه مكتوباً ومحفوظاً، وهي مما انفرد به القرآن عن سائر الكتب المنزلة.

***

(1) ينظر: مقالات هذه الفرق في مجموع الفتاوى (12/ 42 – 53)، وردود شيخ الإسلام عليها في الجزء الثاني عشر من الفتاوى، والعقيدة الأصفهانية، والعقيدة التسعينية، وبيان تلبيس الجهمية (1/ 423 وما بعدها)، ومنهاج السنة (2/ 253)، (5/ 421)، والفتاوى الكبرى (1/ 291، 5/ 75).

المطلب الثاني
أسماء القرآن الكريم ودلالاتها

أسماءُ القرآن: القرآنُ الفرقانُ، الكتابُ، الهَدى، النورُ، الشفاءُ، البيانُ، الموعظةُ، الرحْمَةُ، بصائِرُ، البلاغُ، الكريمُ، المجيدُ، العزيزُ، المُبارَكُ، التنزيلُ، المنزَّلُ، الصراطُ، المستقيمُ حَبلُ الله، الذِّكر، الذِّكْرَى، تذكرةٌ، ﴿ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

ث ث ڈ ژ[1] حكمةٌ في قوله: ژ ۈ ۇ ۋ ۅ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ژ[2] وحكماً في قوله: ژ ڈ ڈ ژ ژ[3]، ونبأٌ على قولٍ في قوله: ژ ې ې ې ى ژ[4]، ونذيرٌ على قولٍ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ژ[5] في حديث أبي موسى شافعاً مُشفَّعاً وشاهداً مصدِّقاً وسمَّاه النبي ﷺ =حجةٌ لك أو عليك + [6] وفي حديث الحارث عن عليٍّ: =عصمة لمن استمسك به+ [7] [8].

الدراسة:

ذكر الشيخ – رحمه الله – اثنين وخمسين اسماً للقرآن الكريم، سالكاً كغيره مسلك التوسع في عد أسماء القرآن، فقد صنف غير واحد من أهل العلم في أسماء القرآن، كالقاضي أبي المعالي المعروف بـ شيذله [9] رحمه الله؛ فقد أنهى أسامي القرآن إلى خمسة وخمسين اسماً، وصنف في ذلك الحرالي [10] رحمه الله جزءاً، أنهاها فيه إلي

---

(1) سورة النجم، الآية: 4.

(2) سورة القمر، الآية: 4، 5.

(3) سورة الرعد، الآية: 37.

(4) سورة النبأ، الآية: 2.

(5) سورة النجم، الآية: 56.

(6) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، ص 119، ح (223).

(7) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 741) ح (2040).

(8) مجموع الفتاوى (14/ 1 – 2).

(9) هو أبو المعالي عزيز بن عبدالملك بن منصور الجيلي القاضي، الفقيه الشافعي الواعظ، صنف في الفقه وأصول الدين، وله كتاب البرهان في مشكلات القرآن، توفي سنة 494، انظر ترجمته في: البداية والنهاية 12/ 160، وشذرات الذهب 3/ 401.

(10) هو علي بن أحمد الحسن التجيبي، أبو الحسن الحرالي، نسبة إلى حَرَالة، بفتح الحاء والراء المهملتين وبعد الألف مشدودة مكسورة، قرية من أعمال مرسية في جزيرة الأندلس، ولد بمراكش، له تفسير فيه عجائب، طبقات المفسرين للداودي 1/ 273، طبقات المفسرين للسيوطي 1/ 76، الوافي بالوفيات 10/ 120.

وتسعين اسماً[1]، وجرى على ذلك الفيروزآبادي رحمه الله – الذي أورد مئة اسم من القرآن الكريم، وستة عشر اسماً من السنة [2]، والزمخشري رحمه الله في مقدمة تفسيره أوصلها إلى اثنين وثلاثين اسماً [3]، وكذا السيوطي رحمه الله في إتقانه أوصلها إلى سبعة وخمسين اسماً[4]، ومن المتأخرين الشيخ صالح بن سليمان بن سليمان البليهي؛ في كتابه (الهدي والبيان في أسماء القرآن)؛ فقد عد للقرآن ستة وأربعين اسماً، فصلها وشرحها على طريقة الوعظ والتذكير[5].

والمتأمل في هذا المسلك، في التوسع في عد أسماء القرآن، يجد أن كثيراً من هذه الأسماء هي في الحقيقة أوصاف لا أسماء؛ فهذه الأسماء التي عدها الشيخ يرد أكثرها وصفاً بعد ذكر اسم من أسماء القرآن المتفق على علميتها على القرآن الكريم، فمثلاً: عدوا من الأسماء (كريم) أخذاً من قوله تعالى: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ژ[6]، وأيضاً (مبارك) أخذاً من قوله تعالى: ژ ﮒ ﮓ ﮔ ژ[7] مع أن التحقيق كونهما وصفين لا اسمين. وقد ذهب غير واحد من المفسرين إلى تحديد أسماء القرآن الكريم بأربعة أسماء فقط كالطبري والماوردي وابن عطية رحمهم الله، وهي: القرآن والفرقان والذكر والكتاب[8].

وزاد ابن عاشور رحمه الله على هذه الأسماء الأربعة ثلاثة أسماء هي الوحي،

---

(1) ينظر: البرهان للزركشي (1/ 273).

(2) ينظر: بصائر ذوي التمييز (1/ 58).

(3) ينظر: الكشاف (1/ 32).

(4) ينظر: الإتقان.

(5) ينظر: الهدي والبيان في أسماء القرآن.

(6) سورة الواقعة، الآية: 77.

(7) سورة الأنبياء، الآية: 50.

(8) ينظر: جامع البيان (1/ 89 – 96)، والنكت والعيون (1/ 23 – 24)، والمحرر الوجيز (68 – 69).

وكلام الله، والتنزيل[1].

والتحقيق أن الوحي، وكلام الله، ليسا بعلمين خاصين للقرآن؛ إذ يدخل في الوحي الكتب المنزلة، والسنة النبوية، ويدخل في كلام الله، الكتب المنزلة كالتوراة، وكذا اسم التنزيل؛ فإنه غالب في الوصفية لا العلمية، ويشترك مع القرآن غيره في التنزيل.

إذا تبين هذا فإن أسماء القرآن التي إذا أطلقت لا ينصرف الذهن إلا إلى القرآن الكريم هي أربعة: القرآن، الفرقان، الكتاب، والذكر، وهذا مسلك دقيق محرر، وفيه سلامة من الخلط بين الأسماء والصفات، وذلك أن (الأسماء: ألفاظ وضعت علامةً ودليلاً للشيء)[2].

وهذا الحد للأسماء لا يصح في أسماء القرآن الكريم إلا في الأسماء الأربعة (القرآن، الفرقان، الكتاب، الذكر) فإنها إذا أطلقت على القرآن كانت علامة ودليلاً عليه، ولا ينصرف الذهن إلا إليه – بخلاف الأسماء الأخرى، فإنها إذا أطلقت اشترك مع القرآن غيره في الاتصاف بها، والناظر في الآيات التي وردت فيها هذه الأسماء الأربعة للقرآن الكريم، يظهر له جلياً أنها صريحة في العلمية على القرآن الكريم، بخلاف غيرها.

(1) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (1/ 72).

(2) الكليات للكفوي: 84.

معاني أسماء القرآن الكريم:

الفرقان:

قال شيخ الإسلام – رحمه الله -: =والفرقان مصدر فرق فرقاناً مثل الرجحان والكفران والخسران+ . فإذا أريد به المصدر كان المراد أنه أنزل الفصل والفرق بين الحق والباطل، وهذا منزل في الكتاب فإن في الكتاب الفصل، وإنزال الفرق هو إنزال الفارق، وإن أريد بالفرق ما يفرق فهو الفارق أيضاً، فهما في المعنى سواء، وإن أريد بالفرق نفس المصدر فيكون إنزاله كإنزال الإيمان وإنزال العدل، فإنه جعل في القلوب التفريق بين الحق والباطل بالقرآن، كما جعل فيها الإيمان والعدل، وهو سبحانه وتعالى أنزل الكتاب والميزان، والميزان فسر بالعدل، وفسر بأنه ما يوزن به ليعرف العدل، وهو كالفرقان يفسر بالفرق ويفسر بما يحصل به الفرق، وهما متلازمان؛ فإذا أريد الفرق نفسه فهو نتيجة الكتاب وثمرته ومقتضاه، وإذا أريد الفارق فالكتاب نفسه هو الفارق[1].

الدراسة:

الفرقان: منقول عن المصدر، وهو من المصادر التي جاءت على وزن فعلان، وقال أبو عبيدة رحمه الله: الفرقان عند النحويين: مصدر فرقت بين الشيء أفرق فرقاً وفرقاناً[2].

وأما معنى الفرقان: فقد ذكر المفسرون له معاني عدة كلها صحيحة: قال ابن جرير رحمه الله: وأما تأويل اسمه الذي هو الفرقان فإن تفسير أهل التفسير جاءت في ذلك بألفاظ مختلفة، هي في المعاني مؤتلفة على عباس ومجاهد وعكرمة[3].

ومن الفرقان أنه فرق بين أهل الحق المهتدين المؤمنين المصلحين أهل

---

(1) مجموع الفتاوى (13/ 3).

(2) ينظر: جمال القراء (1/ 174).

(3) جامع البيان في تأويل آي القرآن (1/ 95).

الحسنات وبين أهل الباطل الكفار الضالين المفسدين أهل السيئات، قال تعالى: ﴿ ۋ ۋ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ﴾[2] وقال: ﴿ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ﴾[3].

وسمي الله القرآن فرقاناً في أربعة مواضع من القرآن الكريم، ومن هذه المواضع:

قوله تعالى: ﴿ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ﴾[4] فالفرقان هنا هو القرآن باتفاق المفسرين[5].

قوله تعالى: ﴿ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ﴾[6] فالفرقان هنا على قول بعض السلف كقتادة، والربيع ابن أنس رحمه الله، هو القرآن[7].

(1) سورة الجاثية، الآية: 21.

(2) سورة ص، الآية: 28.

(3) سورة هود، الآية: 24.

(4) سورة الفرقان، الآية: 1.

(5) ينظر: تفسير الطبري (9/ 363)، تفسير البغوي (6/ 71).

(6) سورة آل عمران، الآيتان: 3، 4.

(7) ينظر: تفسير الطبري (3/ 168).

قال شيخ الإسلام: =سمي كتاباً باعتبار أنه مجموع مكتوب تحفظ حروفه، ويقرأ ويكتب +[1]. وقال رحمه الله: =ولفظ الكتاب قد يراد به المكتوب فيكون هو الكلام، وقد يراد به ما يكتب فيه كما قال تعالى: ژ ٱ ب ب. ب پ پ ژ وقال: ژ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ژ[2]+.

الدراسة:

الكتاب: مصدر من كتب، والكتب: الجمع، يقال: كتب إذا جمع الحروف بعضها إلى بعض، وتكتب بنو فلان: أي اجتمعوا[3]....

قال السخاوي رحمه الله: =وسمي بذلك لما اجتمع فيه من المعاني، كالأمر والنهي والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام. ونبأ ما كان وما يكون، ما يحتاج إليه من أمر الدين وتفصيل ما اختلف فيه من الأحكام، قال –عز وجل–:

ژ چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ژ[4]، وقال عز وجل: ژ ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم ژ[5][6].

ويطلق الكتب على الفرض والإيجاب، ومنه قوله تعالى: ژ ٱ ب ب ب پ پ پ پ ژ[7]. فسمي القرآن كتاباً لما فيه من الواجبات التي كتبها على عباده أي أوجبها[8].

ويطلق الكتاب، ويراد به المكتوب الذي هو كلام الله، ويطلق ويراد به ما

---

(1) مجموع الفتاوى (13/ 9).

(2) مجموع الفتاوى (12/ 125).

(3) انظر المفردات: (كتب) 423، والبرهان (1/ 276)، والإتقان (1/ 146).

(4) سورة الأنعام، الآية: 38.

(5) سورة يوسف، الآية: 11.

(6) جمال القراء (1/ 172).

(7) سورة النساء، الآية: 66.

(8) ينظر: جمال القراء (1/ 173).

يكتب فيه.

وفي تسمية كتاباً إشارة إلى أنه سيجمع مكتوباً كما يدل على ذلك الأصل اللغوي لمادة كتب؛ إذ تدل على الجمع، وكما هو الحال في جمع القرآن في العهد النبوي، وفي عهد الخلفاء الراشدين، قال ابن عاشور رحمه الله: =وفي هذه التسمية معجزة للرسول ﷺ بأنه ما أوحي إليه سيكتب في المصاحف قال تعالى: ژ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ژ[1] [2].

وقال محمد بن عبدالله دراز وفي تسميته بهذين الاسمين (القرآن، الكتاب) إشارة إلى أنه من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعاً، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى. فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب، المنقول إلينا جيلاً بعد جيل على هيئته التي وضع عليها أول مرة، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر[3].

وقد وردت تسمية القرآن بالكتاب في سبع وسبعين آية: منها قوله تعالى: ژ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ژ[4]، ومنها: ژ ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ژ[5]، ومنها: ژ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ژ[6].

الذكر: مصدر ذكرت ذكراً.

وذكر العلماء في تسمية القرآن بالذكر ثلاثة أوجه هي:

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 92.

(2) التحرير والتنوير (1/ 68).

(3) النبأ العظيم، ص 6.

(4) سورة العنكبوت، الآية: 47.

(5) سورة البقرة، الآيتان: 1، 2.

(6) سورة الزمر، الآية: 1.

1 – أنه ذكر من الله جل ذكره، ذكَّر به عباده الصالحين، فعرفهم حدوده وفرائضه وسائر ما أودعه من حكمه[1].

2 – أنه شرف وفخر لمن آمن به وعمل به، كما قال جال ثناؤه: ژ ڭ ۇ ۇ ۆ ژ[2] وكذا قوله تعالى: ژ ۋ ۋ ۇ ۇ ې ې ژ[3][4].

(1) ينظر: تفسير ابن جرير (1/ 96).

(2) سورة الزخرف، الآية: 44.

(3) سورة الأنبياء، الآية: 10.

(4) ينظر: تفسير القرطبي (16/ 81)، والبرهان (1/ 375)، وجمال القراء (1/ 176)، والقاموس المحيط (ذكر) 507.

المطلب الثالث
صفات القرآن الكريم

**قال رحمه الله: (وأما وصفه بأنه يقص وينطق ويحكم ويفتي ويبشر ويهدي فقال: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ[1] ﮋ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

تعدد أسماء القرآن وأوصافه:

قال شيخ الإسلام: ويكون له اسمان – أي القرآن – كل اسم يدل على صفة ليست هي الصفة الأخرى سمي كتاباً باعتبار أنه مجموع مكتوب تحفظ حروفه ويقرأ ويكتب وسمي فرقاناً باعتبار أنه يفرق بين الحق والباطل كما تقدم، كما سمي هدىً باعتبار أنه يهدي إلى الحق وشفاء باعتبار أنه يشفي القلوب من مرض الشبهات والشهوات ونحو ذلك من أسمائه. وذلك أسماء =الرسول+ كالمقفي والماحي والحاشر. وكذلك =أسماء الله الحسنى+ كالرحمن والرحيم والملك والحكيم ونحو ذلك.

وكذلك القرآن إذ قيل فيه، قرآن، وفرقان وبيان، وهدى، وبصائر، وشفاء، ونور، ورحمة، وروح، فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الآخر[1].

(1) مجموع الفتاوى (13/ 9).

الدراسة:

هذه قاعدة جليلة في تنوع وتعدد الأسماء والصفات، ومن ذلك أسماء الله وصفاته، وأسماء النبي ﷺ وأسماء القرآن الكريم، وهي قاعدة قررها شيخ الإسلام في أكثر من موضع [1]؛ فإن كل اسم وصفة للقرآن الكريم، تدل على معنى جليل، وحكمة سامية، غير الذي تدل عليه الأسماء والصفات الأخرى، مع اتحادها في الدلالة على القرآن، وتنوع أسماء القرآن وصفاته فيه دلالة على شمولية القرآن، وتنوع مقاصده، وكثرة خصائصه وفضائله.

قال ابن جرير: =ولكل اسم من أسمائه الأربعة في كلام العرب معنى ووجه غير معنى الآخر ووجهه+ [2].

(1) ينظر: مجموع الفتاوى (13/ 9، 20/ 494، 19/ 167)، ودرء تعارض العقل والنقل (3/ 330 – 331).

(2) جامع البيان (1/ 95).

المبحث الثاني

فضل القرآن الكريم وأحكام قراءته

وفيه خمسة مطالب:

- المطلب الأول: فضل تلاوة القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: تحزيب القرآن الكريم وتلاوته.
- المطلب الثالث: مسائل في قراءة القرآن الكريم.
- المطلب الرابع: البدع المحدثة في قراءة القرآن الكريم.
- المطلب الخامس: مسائل متعلقة بالمصحف الشريف.

المطلب الأول
فضل تلاوة القرآن

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

فرب رجل يحفظ حروف العلم التي أعظمها حفظ حروف القرآن ، ولا يكون له من الفهم، بل ولا من الإيمان ما يتميز به على من أوتي القرآن ، ولم يؤت حفظ حروف العلم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه: (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب. ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر. ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها)[1].

فقد يكون الرجل حافظًا لحروف القرآن وسوره، ولا يكون مؤمنا بل يكون مناف قاً فالمؤمن الذي لا يحفظ حروفه وسوره خير منه. وإن كان ذلك المنافق ينتفع به الغير كما ينتفع بالريحان. وأما الذي أوتي العلم والإيمان فهو مؤمن عليم، فهو أفضل من المؤمن الذي ليس مثله في العلم مثل اشتراكهما في الإيمان، فهذا أصل تجب معرفته[2].

---

(1) أخرجه البخاري في فضائل القرآن ، باب فضل القرآن على سائر الكلام ح (5020) (ص 435) ، وفي فضائل القرآن باب إثم من راءى بقراءة القرآن ، أو تآكل به ، أو فجر به ح (5059) (ص438)، وفي الأطعمة باب ذكر الطعام ح (5427) (ص 468) ، وفي التوحيد ، باب قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وتلاوتهم لا تتجاوز حناجرهم ، ح (7560) (ص 631) ، وأخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضيلة حافظ القرآن ح (1860) ، ح (1861) (ص803) .

(2) مجموع الفتاوى (11/ 397 – 398).

الدراسة :

أشار شيخ الإسلام إلى أمر ينبغي لحملة كتاب الله التفطن له وهو خلق واجب ، وأدب رفيع ، وهو أن حفظ حروف القرآن الكريم لابد أن يكون مقروناً بالإيمان به، والعمل بما دل عليه ، فمن كان حافظًا لحروف القرآن وسوره، و لم يكن مؤمناً به فهو منافق ، والمؤمن الذي لا يحفظ حروفه وسوره خير منه. وإن كان ذلك المنافق ينتفع به الغير كما ينتفع بالريحان.

وأشارالشيخ إلى أن الذي أوتي العلم والإيمان هو مؤمن عليم، وهو أفضل من المؤمن الذي ليس مثله في العلم مثل اشتراكهما في الإيمان، وماذكره الشيخ هو مادل عليه الحديث الأنف الذكر .

قال ابن بطال : = إن قراءة الفاجر والمنافق لا ترتفع إلى الله ولا تزكو عنده ، إنما يزكو عنده ما أريد به وجهه ، وكان على نية التقرب إليه ، وشبهه ﷺ بالريحانة ، حيث لم ينتفع ببركة القرآن ولم يفز بحلاوة أجره ، فلم يجاوز الطيب موضع الصوت وهو الحلق ، ولم يتصل بالقلب الذي هو موطن الاعتبار +[1] .

---

(1) نقلاً عن ابن حجر في فتح الباري (9/ 66، 67) ، (13/ 536) .

المطلب الثاني
تحزيب القرآن وتلاوته

تمهيـــــد:

لا يخفى على أحد فضل تلاوة كتاب الله الكريم، فقد أمر الله بتلاوته وتدبَّره، فقال عز وجل: ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٩١ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[4].

وأثنى الله على الذين يتلون كتابه، وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقهم الله سرّاً وعلانية، فقال عز وجل: ﴿ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[5].

وأثنى النبي ﷺ على من تعلم كتاب الله وعلَّمه، فعن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **=خيركم من تعلَّم القرآن وعلمه+**[6].

وأخبر ﷺ بالمنزلة الكريمة عند الله للماهر بقراءة القرآن، فقال ﷺ: **=الذي يقرأ القرآن وهو ماهرٌ به مع السَّفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه،**

---

(1) سورة النمل، الآيتان: 91، 92.

(2) سورة ص، الآية: 29.

(3) سورة محمد، الآية: 24.

(4) سورة القمر، الآية: 17.

(5) سورة فاطر، الآيتان: 29، 30.

(6) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (ص 534)، ح (5027) وح (5028).

وهو عليه شاق له أجران +[1].

وجاء عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة تحثُّ على تلاوة القرآن الكريم، وترغِّب في تلاوته، وتبين الأجر المضاعف المترتب عليها، فقال: **=اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه +**[2].

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: **=من قرأ حرفاً من كتاب الله فله بكل حرف حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: (ألم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف +**[3].

وعن عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ قال: **= لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار +**[4].

وكان له ﷺ حزب من القرآن الكريم يتعاهد تلاوته كل يوم وليلة، فعن أوس بن حذيفة قال: قلنا لرسول الله ﷺ: لقد أبطأت عنا الليلة، قال: **=إنه طرأ علي حزبي من القرآن فكرهت أن أخرج حتى أتمه +**[5].

---

(1) أخرجه البخاري فيكتاب التفسير، باب سورة عبس ح (4937) (ص425)، وأخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتعتع فيه ح(1863) وح (1863) (ص83).

(2) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ح (1874)، ح (1875) (ص 804).

(3) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في من قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر (ص 1944) ح (2910)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وأخرجه الحاكم في المستدرك (1/755) ح (2080) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبي، وأخرجه الطبراني في الكبير (9/130) ح (8647)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (2/1103) ح (6469).

(4) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب من لم يتغن بالقرآن، ح (4737، 7091)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، ص317، ح(815).

(5) أخرجه أحمد في المسند (4/ 9، 343)، ح(162266)، وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب

ففي هذه الأحاديث وغيرها – مما لم أذكره – ما يزيد المؤمن تشويقاً إلى تلاوة القرآن الكريم، وتسابقاً إلى نيل الدرجات العالية.

وكان سلف الأمة من أصحاب النبي ﷺ وتابعيهم أحرص الناس على تلاوة القرآن الكريم، والاعتصام به، ومعرفة معانيه، وبذل الجهد في تعلمه وتعليمه. فقلما تقرأ في ترجمة أحدهم إلا وتجد أنه كان يختم القرآن في كذا وكذا، وكان لهم أوراد وأحزاب من القرآن يداومون على تلاوتها ويتعاهدونها[1].

وفي هذا المطلب بيان للهدي المشروع في تلاوة القرآن وتحزيبه كما قرره شيخ الإسلام من خلال هاتين المسألتين:

المسألة الأولى: في مدة ختم القرآن، أو في كم يقرأ القرآن الكريم؟

المسألة الثانية: هل يكون التحزيب بالسور أو بالأجزاء؟

تحزيب القرآن (ص 1327) ح (1393)، وابن ماجه في إقامة الصلاة، باب كم يستحب أن يختم القرآن (ص 2556) ح (1345)، وحسن إسناده الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار (1/ 225) ح (875)، والهيثمي في مجمع الزوائد (2/ 269)، كما أورده الشيخ مورد الاحتجاج به، ينظر: (ص 15) من هذا البحث (13/ 408)، وابن كثير في تفسيره (4/ 221)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ص135)، وضعيف سنن ابن ماجه (ص 99) ح (283).

(1) ينظر: التبيان في آداب حملة القرآن للنووي.

المسألة الأولى: تحزيب القرآن وتلاوته

قال شيخ الإسلام – رحمه الله -:

في =تحزيب القرآن + وفي =كم يقرأ + وفي =مقدار الصيام والقيام المشروع+ . عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: =أنكحني أبي امرأة ذات حسب، فكان يتعاهد ابنته فيسألها عن بعلها فتقول: نعم الرجل لم يطأ لنا فراشاً، ولم يفتش لنا كنفاً مذ أتيناه، فلما طال ذلك عليه ذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: ألقن به فلقيته بعد، فقال: كيف تصوم؟ قلت: كل يوم. قال: متى – أو كيف – تختم؟ قلت: كل ليلة. قال: صم من كل شهر ثلاثة أيام، واقرأ القرآن في كل شهر. قلت: إني أطيق أكثر من ذلك. قال: صم ثلاثة أيام من كل جمعة. قلت: إني أطيق أكثر من ذلك. قال: أفطر يومين وصم يوماً، قال: قلت إني أطيق أكثر من ذلك. قال: صم أفضل الصوم صوم داود، صيام يوم وإفطار يوم، واقرأ القرآن في كل سبع ليال مرة. قال: فليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ، وذلك أني كبرت وضعفت، فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار، والذي يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل؛ فإذا أراد أن يتقوى أياماً وأحصى وصام مثلهن كراهية أن يترك شيئاً فارق عليه النبي ﷺ.

وقال بعضهم: في ثلاثة وفي خمس، وأكثرهم على سبع. وفي لفظ: =اقرأ القرآن في شهر، قلت: إني أجد قوة. قال: فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك + رواه بكماله البخاري وهذا لفظه. وروى مسلم الحديث بنحوه واللفظ الآخر مثله. وفي رواية ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة فقلت: نعم يا نبي الله. وفيه قال: =اقرأ القرآن في كل شهر، قال: قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال فاقرأه في كل عشر، قال: قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال: فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك. قال: فشددت فشدد علي + وقال لي النبي ﷺ: =إنك لا

تدري لعلك يطول بك عمرك: قال: فصرت إلى الذي قال النبي ﷺ+ . وعن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: =اقرأ القرآن في كل ثلاث+ رواه أحمد وأبو داود[1].

قلت هذه الرواية نبه عليها البخاري. وقال بعضهم: في ثلاث، وهي معنى ما روى عن سعد بن المنذر الأنصاري أنه قال: يا رسول الله أقرأ القرآن في ثلاث؟ قال: =نعم+ وكان يقرؤه حتى توفي، رواه أحمد من طريق ابن لهيعة. وذكر أن بعضهم قال: في خمس وأكثرهم على سبع، فالصحيح عندهم في حديث عبدالله بن عمرو أنه انتهى به النبي ﷺ إلى سبع، كما أنه أمره ابتداء بقراءته في الشهر، فجعل الحد ما بين الشهر إلى الأسبوع، وقد روى أنه أمره ابتداء أن يقرأه في أربعين، وهذا في طرف السعة يناظر التثليث في طرف الاجتهاد.

وأما رواية من روى: =من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقه + فلا تنافي رواية التسبيع فإن هذا ليس أمراً لعبدالله بن عمرو، ولا فيه أنه جعل قراءته في ثلاثة دائماً سنة مشروعة، وإنما فيه الإخبار بأن من قرأه في أقل من ثلاث لم يفقه، ومفهومه مفهوم العدد، وهو مفهوم صحيح أن من قرأه في ثلاث فصاعداً فحكمه نقيض ذلك، والتناقض يكون بالمخالفة، ولو من بعض الوجوه.

فإذا كان من يقرأه في ثلاث أحياناً قد يفقهه حصل مقصود الحديث ولا يلزم إذا شرع فعل ذلك أحياناً لبعض الناس أن تكون المداومة على ذلك مستحبة؛ ولهذا

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن (ص 437) ح (5052)، وأخرجه مسلم في الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به (ص 864) ح (2730).
وأخرجه أبو داود في أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله، باب تحزيب القرآن ح (1395) (ص1327)، والترمذي في أبواب القراءات، باب في كم أقرأ القرآن ح (2947) (ص 1948)، وقال: =حديث حسن غريب+، وأخرجه النسائي في فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن ح (93) (1/ 121)، وصححه الألباني: [ضعيف سنن أبي داود (ص 136) ح (298)].

لم يعلم في الصحابة على عهده من داوم على ذلك – أعني على قراءته – دائماً فيما دون السبع، ولهذا كان الإمام أحمد – رحمه الله – يقرأه في كل سبع[1].

الدراسة:

تناول الشيخ رحمه الله هذه المسألة مورداً بعض الأحاديث المتعلقة بمدة ختم القرآن الكريم، وذكر بعض التقريرات التي سأشير إليها في هذه الدراسة.

والكلام في هذه المسألة مداره على الروايات الواردة في مدة ختم القرآن الكريم، والأصل في هذه المسألة حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه والذي تنوعت رواياته.

وقد أفادت هذه الروايات – والتي ساق شيخ الإسلام جملة منها – ما يأتي –:

1 – أن يُقرأ القرآن في كل شهر مرة، أو في كل أربعين يوماً مرة، وقد دل عليه قوله ﷺ: **=اقرأ القرآن في كل شهر مرة +**[2]. وفي رواية أخرى: **=في أربعين يوماً+**. والأمر بقراءته في كل شهر مرة أو في كل أربعين كان ابتداءً، وهذا في طرف السعة يناظر التثليث في طرف الاجتهاد كما أشار شيخ الإسلام رحمه الله.

وكره بعضهم أن يؤخر ختمه أكثر من أربعين؛ لهذا الحديث، ولأن تأخيره أكثر من ذلك يفضي إلى نسيان القرآن والتهاون به، وهذا ما لم يكن عذر فأما مع العذر فواسع له[3].

ورأى آخرون أنه ليس في الحديث ما يدل على كراهة الختم في أكثر من أربعين، فدلالة الحديث ليست حاصرة حتى يكون ما عداها ليس من السنة، فالتوقيت

---

(1) مجموع الفتاوى (13/ 405 – 407).

(2) سبق تخريجه (ص 7).

(3) انظر المغني لابن قدامة.

لم يكن لبيان أقصى ما يختم به القرآن، وإنما كان توجيهاً لعبدالله بن عمرو للتأنِّي في التلاوة وأخذ النَّفس بالرفق، وغاية ما يدل عليه الحديث أن ذلك كان حالة من حالاته، أو أنه كان الغالب منها[1]، وهو كما قالوا، إذ ليس في الحديث ما يدل على أن الأربعين خرجت مخرج التحديد لأكثر مدة الختم، ولا فيه دلالة على كراهية ختمه في أكثر من أربعين يوماً.

وترك الختم إلى ما فوق الأربعين لا ينبغي ما وجد المسلم إليه سبيلاً؛ لعظيم ما يفوته من تدبُّر القرآن والتذكّر به، وزيادة الإيمان ومضاعفة الأجر، إلا أن يشغل بما هو أولى في تقدير الشرع.

2 – التدرج بعد ذلك بطريق التدلي – مع الطاقة – إلى قراءته في أقل من شهر، وذلك في خمس وعشرين، ثم في عشرين، ثم في خمس عشرة، ثم في عشر، ثم في سبع؛ كما دلت عليه إحدى روايات حديث عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – وفيها أنه سأل النبي ﷺ في كم يختم القرآن؟ قال: **=في أربعين يوماً +** ثم قال: **=في شهر+** ثم قال: **=في عشرين+** ثم قال: **=في خمس عشرة +** ثم قال: **=في عشر+**[2].

3 – أن يختمه في كل سبع ليال مرة، لقوله ﷺ**=فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك+**[3].

---

(1) انظر المدخل لأبي شهبة (ص 426)، والمقدمات الأساسية في علوم القرآن للجديع (ص 479).

(2) أخرجه أبو داود في أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله، باب تحزيب القرآن (ص 1327) ح (1395)، والترمذي في أبواب القراءات، باب في كم أقرأ القرآن (ص 1948) ح (2947)، وقال: =حديث حسن غريب +، وأخرجه النسائي في فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن ح (93) (1/ 121)، وقال الألباني: =صحيح، إلا قوله (لم ينزل من سبع) شاذ لمخالفته لقوله المتقدم =اقرأه في ثلاث+ [ضعيف سنن أبي داود (ص 136) ح (298)].

(3) أخرجه البخاري في الصوم، باب صوم يوم وإفطار يوم (ص 155) ح (1978)، وفي كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن (ص 437) ح (5052، 5053، 5054)، وأخرجه مسلم في الصيام،

ومعنى النهي: لا تقرؤه في أقل من سبع.

وهل هذا النهي للمنع؟ أم أنه لبيان الأولى؟ والأظهر الثاني؛ إذ قد جاء الإذن بقراءته في أقل من سبع؛ فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قلتُ لرسول الله ﷺ: إن بي قوة، قال: =اقرأه في ثلاث+[1].

وعن سعيد بن المنذر الأنصاري رضي الله عنه: =أنه قال: يا رسول الله، أقرأ القرآن في ثلاث؟ قال: =نعم+، قال: فكان يقرأه حتى توفي [2]. كما أن سياقات مرويات الختم لا تدل على المنع من الختم في أقل من سبع.

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله=وكأن النهي عن الزيادة ليس على التحريم، كما أن الأمر في جميع ذلك ليس للوجوب، وعرف ذلك من قرائن الحال التي أرشد إليها السياق، وهو النظر إلى عجزه عن سوى ذلك في الحال، أو في المآل[3].

قال شيخ الإسلام: =ولا يلزم إذا شرع ذلك أحياناً لبعض الناس أن تكون المداومة على ذلك مستحبة؛ ولهذا لم يعلم في الصحابة على عهده من داوم على ذلك أعني على قراءته دائماً فيما دون السبع+[4].

باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به، أو فوت به حقاً (ص 864) ح (2730، 3732).

(1) أخرجه أبو داود في أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله، باب في كم يقرأ القرآن (ص 132) ح (1391)، وقد صححه الألباني [صحيح سنن أبي داود (1/ 161) ح (1249)].

(2) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن، باب القارئ يقرأ القرآن في سبع ليالٍ أو ثلاث (ص 179)، والطبراني في الكبير (6/ 51) ح (5481)، وقد عزاه ابن كثير والهيثمي للإمام أحمد، فلعله ساقط من المسند المطبوع. قال ابن كثير في فضائل القرآن (ص 79): =هذا إسناد جيد قوي حسن+، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (2/ 268): =فيه ابن لهيعة وفيه كلام+، وقد أجاب ابن كثير عن هذه العلة، فقال: =وابن لهيعة إنما يخشى من تدليسه، أو سوء حفظه، وقد صرح هاهنا بالسماع+ [فضائل القرآن لابن كثير (ص 79)].

(3) فتح الباري (8/ 715).

(4) مجموع الفتاوى (13/ 307).

4 – الإخبار بأن من قرأه في أقل من ثلاث لم يفقه؛ فعن عبدالله بن عمرو – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: =**لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث**+[1]، ومعنى الحديث: أن من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقه ويفهم ما يقرأ؛ لأن المقصود الأعظم من القراءة هو الفهم والتدبّر، وهذا لا يحصل في الغالب لمن قرأ القرآن في أقل من ثلاث؛ لشدة إسراعه وعجلته في القراءة، والتي يفوت معها تحصيل الفهم والتدبر.

وليس في الحديث أمرٌ بقراءته في ثلاث، ولا فيه أن قراءته في ثلاث دائماً مشروعة كما أشار إلى ذلك الشيخ.

ولا تنافي هذه الرواية رواية التسبيع كما قرر ذلك شيخ الإسلام؛ إذ قد كره غير واحد من السلف قراءة القرآن في أقل من ثلاث؛ فعن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت: =ولا أعلم نبي الله قرأ القرآن كله في ليلة +[2]، وعنها قالت: =كان رسول الله ﷺ لا يختم القرآن في أقل من ثلاث+[3]، وقال ابن مسعود

---

(1) أخرجه أبو داود في أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله (ص 1326) ح (1390)، والترمذي في أبواب القراءات، باب في كم يقرأ القرآن (ص 1948) ح (2949)، وقال: =حديث حسن صحيح+، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في كم يستحب أن يختم القرآن (ص 2556) ح (1347)، والنسائي في كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن (1/ 120) ح (92)، وصححه الألباني [صحيح سنن أبي داود (1/ 261) ح (1239)]، وأخرجه الإمام أحمد (2/ 164، 165، 189، 193، 195)، وفي تحقيق المسند (11/ 92): =إسناده صحيح على شرط الشيخين+.

(2) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض ح (ص 794) (1739)، ضمن حديث مطول.

(3) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن، باب القارئ يقرأ القرآن في سبع ليال أو ثلاث (ص 179)، قال ابن كثير في فضائل القرآن (ص 80): =هذا حديث غريب جداً، وفيه ضعف، فإن الطيب بن سليمان هذا بصري، ضعفه الدارقطني، وليس هو بذاك المشهور+، وضعفه الألباني [ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (5/ 600) ح (2466)].

– رضي الله عنه –: =من قرأ القرآن في أقل من ثلاث، فهذٌّ كهذِّ الشِّعر [1]، ونثر كنثر الدَّقَل+[2][3].

وقال – رضي الله عنه –: =من قرأ القرآن في أقل من ثلاث فهو راجز+. قال ابن الأثير: =وإنما سماه راجزاً؛ لأن الرجز أخف على لسان المنشد، واللسان به أسرع من القصيد+[4].

إذا تقرر هذا، فقد روي عن بعض السلف أنه كان يختم في أقل من ثلاث، وبعضهم كان يختم كل ليلة، قال ابن كثير: =وقد ترخص جماعات من السلف في تلاوة القرآن في أقل من ذلك+، وذكر منهم: أمير المؤمنين عثمان بن عفان – رضي الله عنه – وتميم الداري – رضي الله عنه – وسعيد بن جبير – رحمه الله –[5].

---

(1) جاء في اللسان (3/ 517): =الهذ والهذذ: سرعة القطع وسرعة القراءة، وفي الحديث: أهذّاً كهذ الشعر؟+، أراد أتهذّ القرآن هذّاً فتسرع فيه كما تسرع في قراءة الشعر+.

(2) قال ابن الأثير في النهاية (2/ 127): =ونثراً كنثر الدقل، هو رديء التمر ويابسه، وما ليس له اسم خاص، فتراه ليبسه ورداءته لا يجتمع ويكون منثوراً+، وينظر: غريب الحديث لابن قتيبة (2/ 254).

(3) أخرجه بهذا اللفظ سعيد بن منصور في سننه، كتاب فضائل القرآن (2/ 443) ح (147)، وقال: =سنده ضعيف+، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان، الباب التاسع عشر، فصل في مقدار ما يستحب فيه القراءة (2/ 395) ح (2170)، وأخرجه بلفظ: =من قرأ القرآن في أقل من ثلاث فهو راجز+ أبو عبيد في فضائل القرآن، باب القارئ يقرأ القرآن في سبع ليال أو ثلاث (ص 180)، وعبدالرزاق في كتاب فضائل القرآن، باب إذا سمعت السجدة وأنت تصلي وفي كم يقرأ القرآن (3/ 353)ح (5946، 5947)، وابن أبي شيبة في الصلوات، باب القرآن في كم يختم (2/ 241)ح (8574)، والطبراني في الكبير (9/ 142) ح (8701، 8702، 8703، 8704، 8705)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (2/ 269): =رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح+، وقد صحح إسناده الجديع في المقدمات الأساسية (ص 495).

(4) الرجز: شعر خفيف الأداء، وقيل يشبه القصيد، انظر النهاية في غريب الحديث (2/ 200).

(5) ينظر: فضائل القرآن لابن كثير (ص 256).

ويخرَّج صنيعهم هذا بأمور:

1 – أن يكون لم يبلغهم النهي عن ذلك.

2 – أو أنهم خصصوا النهي بمن ورد في حقه، وقالوا: إن مقدار القراءة يختلف باختلاف الأشخاص[1].

3 – أو أنهم لم يداوموا على ذلك – أي على ختمه في أقل من ثلاث – كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام، وإنما كان في بعض الأحوال كالأزمنة الفاضلة.

وعلى كل فخير الهدي وأكمله، هديه ﷺ قولاً وفعلاً، وكانت عائشة – رضي الله عنها – تقول: =ولا أعلم نبي الله ﷺ قرأ القرآن كله في ليلة+[2].

وبعد، فهذا تحليل لما ورد من روايات في هذه المسألة، مع ذكر لتقريرات شيخ الإسلام – رحمه الله – ثم أشير في نهاية مطاف هذه المسألة إلى أمور:

الأول: أن اختلاف الروايات الواردة في مدد ختم القرآن الكريم هو من قبيل اختلاف التنوع لا التضاد، وهو راجع إلى أحد أمرين:

أ – أن يزيد الراوي على غيره ما ليس عنده من العلم، وهذا ظاهر في بعض روايات حديث عبدالله بن عمرو المتقدم.

ب – أن تتعدد القصة أو يتعدد السائلون؛ فيتعدد الجواب عليها من النبي ﷺ.

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله بعد سياق رواية عبدالله بن عمرو عند أبي داود وغيره[3]: =فلا مانع أن يتعدد قول النبي ﷺ لعبدالله بن عمرو ذلك تأكيداً، ويؤيده الاختلاف الواقع في السياق+[4].

---

(1) ينظر: المقدمات الأساسية في علوم القرآن (ص 494)، وهدي السلف في تحزيب القرآن، لمحمد الدويش، مقال في مجلة البيان، العدد 42 (ص 51).

(2) سبق تخريجه (ص 11).

(3) سبق تخريجه.

(4) فتح الباري (8/ 715).

الثاني: أن الذي ظهر بعد التأمل، أن مدة ختم القرآن الكريم تختلف بأحوال الناس، في الطاقة، والقوة، والفهم، والفراغ، والشغل، والزمان، وما للقارئ وما عليه من حقوق وواجبات، وهذا ظاهر في تنوع البيان الوارد من النبي ﷺ في مدد ختم القرآن الكريم، وما ذاك – والله أعلم – إلا بسبب اختلاف أحوال السائلين، فكان ﷺ يبين لكل واحد منهم ما يناسب حاله.

يقول النووي – رحمه الله –: =والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدرٍ يحصل له به كمالُ فهم ما يقرأ وكذا من كان مشغولاً بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة، فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهذرمة+[1][2].

وعلى قارئ القرآن أن يقرأ بتأنٍّ وترسلٍ متدبراً لما يقرأه، إذ الغاية والمقصود من قراءة القرآن هو حصول التدبر والتذكر، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ولا يكن هم القارئ آخر السورة، أو أن يكثر من الختمات، فهذا خلاف هدي السلف من الصحابة رضي الله عنهم.

جاء رجل إلى عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – فقال: إني لأقرأ المفصل في ركعة، فقال عبدالله: =هذّاً كهذِّ الشعر؟ إن أقواماً يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع+[3].

---

(1) الهذرمة: – بالذال – السرعة في القراءة والكلام، يقال: هذرم وِرْدَه أي هذّه، مختار الصحاح مادة (هذرم) (ص 611).

(2) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي (ص 62).

(3) أخرجه البخاري في كتاب الاذان، باب الجمع بين السورتين في الركعة، ص 160، ح(775)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب ترتيل القراءة ص319، ح(822)، واللفظ له.

وعن أبي جمرة الضُّبعيِّ [1] رحمه الله قال: قلت لابن عباس: إني سريع القراءة وإني أقرأ القرآن في ثلاث، فقال: =لأن أقرأ البقرة في ليلة فأدبرها وأرتِّلها أحبُّ إليَّ من أن أقرأ كما تقول+[2].

❊ ❊ ❊

(1) هو نصر بن عمران اليزني البصري أبو جمر ة الضبعي، سمع ابن عباس وروى عن شعبة وحماد بن سلمة وحماد بن زيد، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن سعد: كان ثقة مأموناً،وقال ابن عبدالبر: أجمعوا على أنه ثقة.

انظر ترجمته في: تقريب التهذيب (1/ 629)، تهذيب التهذيب (10/ 385)، التاريخ الكبير (8/ 104).

(2) أخرجه أبو عبيد في =الفضائل + (ص 157، 158)، والآجري في =أخلاق حملة القرآن + (ص 222)، وصحح إسناده عبدالله الجديع في المقدمات الأساسية لعلوم القرآن (ص 491).

المسألة الثانية: هل التحزيب يكون بالسور أم بالأجزاء؟

قال شيخ الإسلام – رحمه الله -:

(والمقصود بهذا الفصل أنه إذا كان التحزيب المستحب ما بين أسبوع إلى شهر – وإن كان قد روى ما بين ثلاث إلى أربعين – فالصحابة إنما كانوا يحزبونه سوراً تامة، لا يحزبون السورة الواحدة، كما روى أوس بن حذيفة، قال: قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف، قال: فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة، ونزل رسول الله ﷺ بني مالك في قبلة له، قال: وكان كل ليلة يأتينا بعد العشاء، يحدثنا قائماً على رجليه حتى يراوح بين رجليه من طول القيام، وأكثر ما يحدثنا ما لقي من قومه من قريش. ثم يقول: لا سواء كنا مستضعفين مستذلين بمكة، فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم ندال عليهم ويدالون علينا، فلما كانت ليلة أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه، فقلنا: لقد أبطأت عنا الليلة، قال: إنه طرأ على حزبي من القرآن، فكرهت أن أجيء حتى أتمه.

قال أوس: سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل واحد. رواه أبو داود، وهذا لفظه وأحمد وابن ماجه. وفي رواية للإمام أحمد قالوا: نحزبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل من (ق) حتى يختم. ورواه الطبراني في معجمه فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ كيف كان رسول الله ﷺ يحزب القرآن؟ فقالوا: كان رسول الله ﷺ يحزبه ثلاثاً، وخمساً، فذكره[1].

وهذا الحديث يوافق معنى حديث عبدالله بن عمرو، في أن المسنون كان

---

(1) سبق تخريجه (ص 40).

عندهم قراءته في سبع؛ ولهذا جعلوه سبعة أحزاب، ولم يجعلوه ثلاثة ولا خمسة، وفيه أنهم حزبوه بالسور، وهذا معلوم بالتواتر؛ فإنه قد علم أن أول ما جزىء القرآن بالحروف تجزئة ثمانية وعشرين، وثلاثين، وستين. هذه التي تكون رؤوس الأجزاء والأحزاب في أثناء السورة، وأثناء القصة ونحو ذلك، كان في زمن الحجاج وما بعده، وروي أن الحجاج أمر بذلك. ومن العراق فشا ذلك ولم يكن أهل المدينة يعرفون ذلك.

وإذا كانت التجزئة بالحروف محدثة من عهد الحجاج بالعراق، فمعلوم أن الصحابة قبل ذلك على عهد النبي ﷺ وبعده كان لهم تحزيب آخر: فإنهم كانوا يقدرون تارة بالآيات فيقولون: خمسون آية، ستون آية. وتارة بالسور لكن تسبيعه بالآيات لم يروه أحد ولا ذكره أحد فتعين التحزيب بالسور.

فإن قيل: فترتيب سور القرآن ليس هو أمراً واجباً منصوصاً عليه وإنما هو موكول إلى الناس؛ ولهذا اختلف ترتيب مصاحف الصحابة رضي الله عنهم، ولهذا في كراهة تنكيس السور روايتان عن الإمام أحمد =إحداهما + يكره لأنه خلاف المصحف العثماني المتفق عليه. و=الثانية+ لا يكره كما يلقنه الصبيان؛ إذ قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قرأ بالبقرة، ثم النساء، ثم آل عمران.

قيل: لا ريب أن قراءة سورة بعد سورة لا بد أن يكون مرتباً، أكثر ما في الباب أن الترتيب يكون أنواعاً، كما أنزل القرآن على أحرف، وعلى هذا فهذا التحزيب يكون تابعاً لهذا الترتيب. ويجوز أيضاً أن يكون هذا التحزيب مع كل ترتيب، فإنه ليس في الحديث تعيين السور.

وهذا الذي كان عليه الصحابة هو الأحسن؛ لوجوه:

=أحدها+ أن هذه التحزيبات المحدثة تتضمن دائماً الوقوف على بعض الكلام المتصل بما بعده، حتى يتضمن الوقف على المعطوف دون المعطوف عليه،

فيحصل القارئ في اليوم الثاني مبتدئاً بمعطوف، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ وقوله: ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ وأمثال ذلك. ويتضمن الوقف على بعض القصة دون بعض – حتى كلام المتخاطبين – حتى يحصل الابتداء في اليوم الثاني بكلام المجيب، كقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ [1].

ومثل هذه الوقوف لا يسوغ في المجلس الواحد إذا طال الفصل بينهما بأجنبي؛ ولهذا لو ألحق بالكلام عطف أو استثناء أو شرط ونحو ذلك بعد طول الفصل بأجنبي لم يسغ باتفاق العلماء، ولو تأخر القبول عن الإيجاب بمثل ذلك بين المتخاطبين لم يسغ ذلك بلا نزاع، ومن حكى عن أحمد خلاف ذلك فقد أخطأ، كما أخطأ من نقل عن ابن عباس في الأول خلاف ذلك، وذلك أن المنقول عن أحمد أنه فيما إذا كان المتعاقدان غائبين، أو أحدهما غائب والآخر حاضر فينقل الإيجاب أحدهما إلى الآخر، فيقبل في مجلس البلاغ وهذا جائز، بخلاف ما إذا كانا حاضرين، والذي في القرآن نقل كلام حاضرين متجاورين، فكيف يسوغ أن يفرق هذا التفريق لغير حاجة؟ بخلاف ما إذا فرق في التلقين لعدم حفظ المتلقن ونحو ذلك.

=الثاني+ أن النبي ﷺ كانت عادته الغالبة وعادة أصحابه أن يقرأ في الصلاة بسورة كـ (ق) ونحوها، وكما كان عمر رضي الله عنه يقرأ =بيونس+ و=يوسف+ و=النحل+[2]، ولما قرأ ﷺ بسورة =المؤمنين+ في الفجر أدركته سعلة فركع في أثنائها[3]. وقال: =إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد أن أطيلها، فأسمع بكاء الصبي

(1) سورة الكهف، الآية: 75.

(2) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (1/ 310) ح (3546) (3548).

(3) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب القراءة في الصبح ح(455) (ص 191 ـ 192).

فأخفف لما أعلم من وجد أمه به+[1].

وأما =القراءة بأواخر السور وأوساطها + فلم يكن غالباً عليهم؛ ولهذا يتورع في كراهة ذلك، وفيه النزاع المشهور في مذهب أحمد وغيره، ومن أعدل الأقوال قول من قال يكره اعتياد ذلك دون فعله أحياناً؛ لئلا يخرج عما مضت به السنة. وعادة السلف من الصحابة والتابعين[2].

وإذا كان كذلك فمعلوم أن هذا التحزيب والتجزئه فيه مخالفة السنة أعظم مما في قراءة آخر السورة ووسطها في الصلاة، وبكل حال فلا ريب أن التجزئة والتحزيب الموافق لما كان هو الغالب على تلاوتهم أحسن.

و =المقصود+ أن التحزيب بالسورة التامة أولى من التحزيب بالتجزئة.

=الثالث+ أن التجزئة المحدثة لا سبيل [فيها] إلى التسوية بين حروف الأجزاء؛ وذلك لأن الحروف في النطق تخالف الحروف في الخط في الزيادة والنقصان، يزيد كل منهما على الآخر من وجه دون وجه، وتختلف الحروف من وجه، وبيان ذلك بأمور:

=أحدها+ أن ألفات الوصل ثابتة في الخط، وهي في اللفظ تثبت في القطع وتحذف في الوصل، فالعادّ إن حسبها انتقض عليه حال القارئ إذا وصل وهو الغالب فيها، وإن أسقطها انتقض عليه بحال القارئ القاطع، وبالخط.

=الثاني+ أن الحرف المشدد حرفان في اللفظ، أولهما ساكن وهذا معروف بالحس واتفاق الناس، وهما متماثلان في اللفظ، وأما في الخط فقد يكونان حرفاً واحداً مثل (إياك) و(إياك)، وقد يكونان حرفين مختلفين مثل: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

(1) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي ح(709) (ص 149 ـ 150)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام ح (470) (ص 196).

(2) ينظر: المغني لابن قدامة (2/ 167)، الفروع (1/ 369).

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ ﴾

و(حينئذ) – و(قد سمع) – فالعادّ إن حسب اللفظ فالإدغام إنما يكون في حال الوصل دون حال القطع، ويلزمه أن يجعل الأول من جنس الثاني، وهذا مخالف لهذا الحرف المعاد بها. وإن حسب الخط كان الأمر أعظم اضطراباً، فإنه يلزمه أن يجعل ذلك تارة حرفاً وتارة حرفين مختلفين، وهذا وإن كان هو الذي يتهجى فالنطق بخلافه.

=الثالث+ أن تقطيع حروف النطق من جنس تقطيع العروضيين، وأما حروف الخط فيخالف هذا من وجوه كثيرة، والناس في العادة إنما يتهجون الحروف مكتوبة لا منطوقة، وبينهما فرق عظيم.

=الرابع+ أن النطق بالحروف ينقسم إلى ترتيل وبغير ترتيل، ومقادير المدات والأصوات من القراء غير منضبطة، وقد يكون في أحد الحزبين من حروف المد أكثر مما في الآخر فلا يمكن مراعاة التسوية في النطق، ومراعاة مجرد الخط لا فائدة فيه؛ فإن ذلك لا يوجب تسوية زمان القراءة.

وإذا كان تحزيبه بالحروف إنما هو تقريب لا تحديد، كان ذلك من جنس تحزئته بالسور هو أيضاً تقريب، فإن بعض الأسباع قد يكون أكثر من بعض في الحروف، وفي ذلك من المصلحة العظيمة بقراءة الكلام المتصل بعضه ببعض، والافتتاح بما فتح الله به السورة، والاختتام بما ختم به، وتكميل المقصود من كل سورة ما ليس في ذلك التحزيب. وفيه أيضاً من زوال المفاسد الذي في ذلك التحزيب ما تقدم التنبيه على بعضها، فصار راجحاً بهذا الاعتبار.

ومن المعلوم أن طول العبادة وقصرها يتنوع بتنوع المصالح، فتستحب إطالة القيام تارة وتخفيفه أخرى في الفرض والنفل بحسب الوجوه الشرعية، من غير أن يكون المشروع هو التسوية بين مقادير ذلك في جميع الأيام فعلم أن التسوية في مقادير

العبادات البدنية في الظاهر لا اعتبار به إذا قارنه مصلحة معتبرة، ولا يلزم من التساوي في القدر التساوي في الفضل؛ بل قد ثبت في الصحاح من غير وجه عن النبي ﷺ أن ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تعدل ثلث القرآن [1]، وثبت في الصحيح أن فاتحة الكتاب لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل، ولا في القرآن مثلها [2]، وثبت في الصحيح أن آية الكرسي أعظم آية في القرآن[3]، وأمثال ذلك.

فإذا قرأ القارئ في اليوم الأول البقرة، وآل عمران، والنساء بكمالها، وفي اليوم الثاني إلى آخر براءة، وفي اليوم الثالث إلى آخر النمل: كان ذلك أفضل من أن يقرأ في اليوم الأول إلى قوله: (بليغاً) وفي اليوم الثاني إلى قوله: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴾ فعلى هذا إذا قرأه كل شهر كما أمر به النبي ﷺ عبدالله بن عمرو أولاً عملاً على قياس تحزيب الصحابة؛ فالسورة التي تكون نحو جزء أو أكثر بنحو نصف أو أقل بيسير يجعلها حزباً، كآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف.

وأما البقرة فقد يقال: يجعلها حزباً وإن كانت بقدر حزبين وثلث؛ لكن الأشبه أنه يقسمها حزبين للحاجة؛ لأن التحزيب لا بد أن يكون متقارباً؛ بحيث يكون الحزب مثل الأجزاء ومثله مرة ودون النصف، وأما إذا كان مرتين وشيئاً فهذا تضعيف وزيادة.

وعلى هذا فإلى الأعراف سبعة أجزاء، والأنفال جزء، وبراءة جزء، فإن هذا

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب فضل (قل هو الله أحد) (ص 996) ح (5015)، ومسلم في كتاب المسافرين، باب فضل قراءة (قل هو الله أحد) (ص 327) ح (811).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بن كعب، (5/ 114) ح(2133)، والحاكم في المستدرك (2/ 383).

(3) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي (ص 327) ح (810).

أولى من جعلها جزءاً؛ لأن ذلك يفضي إلى أن يكون نحو الثلث في ثمانية والذي رجحناه يقتضي أن يكون نحو الثلث في تسعة، وهذا أقرب إلى العدل. وتحزيب الصحابة أوجب أن يكون الحزب الأول أكثر، ويكون إلى آخر العنكبوت العشر الثاني سورتين سورتين.

وأما يونس وهود فجزءان أيضاً أو جزء واحد، لأنهما أول ذوات (الر)، ويكون على هذا الثلث الأول سورة سورة، والثاني سورتين سورتين؛ لكن الأول أقرب إلى أن يكون قريب الثلث الأول في العشر الأول، فإن الزيادة على الثلث بسورة أقرب من الزيادة بسورتين، وأيضاً فيكون عشرة أحزاب سورة سورة، وهذا أشبه بفعل الصحابة، ويوسف والرعد جزء، وكذلك إبراهيم والحجر، وكذلك النحل وسبحان، وكذلك الكهف ومريم، وكذلك طه والأنبياء، وكذلك الحج والمؤمنون، وكذلك النور والفرقان، وكذلك ذات (طس) الشعراء والنمل والقصص، وذات (الم) العنكبوت والروم ولقمان والسجدة جزء، والأحزاب وسبأ وفاطر جزء، و(يس) و(الصافات) و(ص) جزء، والزمر وغافر و(حم) السجدة جزء، والخمس البواقي من آل (حم) جزء.

والثلث الأول أشبه بتشابه أوائل السور، والثاني أشبه بمقدار جزء من تجزئة الحروف وهو المرجح. ثم =القتال+ و =الفتح+ و =الحجرات+ و +ق+ و=الذاريات+ جزء، ثم الأربعة الأجزاء المعروفة، وهذا تحزيب مناسب مشابه لتحزيب الصحابة رضي الله عنهم، وهو مقارب لتحزيب الحروف، وإحدى عشرة سورة حزب حزب؛ إذ البقرة كسورتين؛ فيكون إحدى عشر سورة، وهي نصيب إحدى عشرة ليلة. والله أعلم[1].

(1) مجموع الفتاوى (13/ 408 - 416).

الدراسة:

تمهيد:

هذه المسألة مرتبطة بما قبلها [1]، وقد ساقها شيخ الإسلام في فصل واحد؛ فالمسألة الأولى متعلقة بمدة ختم القرآن الكريم، والمسألة الثانية متعلقة بكيفية القراءة من جهة تقسيمها على السور أو الأجزاء في المدة التي يختم فيها القارئ القرآن الكريم.

والتحزيب لغة: مأخوذ من الحزب.

قال ابن فارس: =الحاء والزاء والباء أصل واحد، وهو تجمع الشيء، والطائفة من كل شيء حزب، يقال: قرأ حزبه من القرآن+[2].

وجاء في اللسان: =حزب+ =الحزب: جماعة الناس، والجمع أحزاب، والحزب: الوِرد، ووِرْد الرجل من القرآن ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة+[3].

وقال ابن الأثير: =الحزب ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة أو صلاة كالوِرد+.

فالحزب من القرآن: هو أن يجعل المرء لنفسه قدراً من القرآن يقرؤه ويتعاهده كل يوم وليلة. ولفظ الحزب ورد في حديث أوس الثقفي =طرأ علي حزبي من القرآن+[4].

ويطلق على الحزب أيضاً الوِرد – كما مرَّ آنفاً – ويطلق عليه الجزء، وقد جاء هذان الإطلاقان في السنة والأثر.

---

(1) أعني المسألة الأولى.

(2) معجم مقاييس اللغة _ص 242) مادة (حزب).

(3) لسان العرب (1/ 308) مادة (حزب).

(4) سبق تخريجه (ص 4).

أ – فمن مجيئه بلفظ =الجزء+ قوله ﷺ: **=قرأت جزءاً من القرآن+**[1].

ب – ومن مجيئه بلفظ =الوِرد+ ما جاء عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: =إنه بقي عليَّ من وردي شيءٌ فأحببت أن أتمه+[2].

يقول السخاوي رحمه الله: =والورد: أظنه من الورد الذي هو ضد الصدر؛ لأن القرآن يروي ظمأ القلوب+[3].

وقد قرر شيخ الإسلام رحمه الله أن تحزيب الصحابة – رضي الله عنهم – إنما كان على السور لا على الحروف[4]، فكانوا يحزبون سوراً تامة.

---

(1) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن (ص 1327) ح (1392) وسكت عنه، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (1/ 262) ح (1241).

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (8/ 271) ح (15322)، والسيوطي في الدر المنثور (6/ 270) وعزاه إلى الطيالسي وابن أبي حاتم.

(3) جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي (1/ 383).

(4) وقد جزَّأ العلماء القرآن الكريم تجزئات شتى، بالنظر إلى عدد كلماته وحروفه، وإلى عدد آياته، وتارة بالنظر إلى عدد سوره، وتختلف أجزاء القرآن باختلاف التجزئة، ومن أشهر هذه التجزئات، ما هو موجود في أكثر مصاحف المسلمين اليوم، وهي تجزئة القرآن إلى ثلاثين جزءاً، ويطلق على كل واحد من هذه الأجزاء اسم الجزء ثم جزؤوا كل واحد من هذه الأجزاء إلى جزئين، وأطلقوا على كل واحد منها اسم الحزب، ومجموعها ستون حزباً.

ثم جزؤوا كل واحد من هذه الأحزاب الستين إلى أربعة أجزاء، ويطلق على كل واحد منها اسم الربع بالنسبة إلى الحزب، أو اسم الثمن بالنسبة إلى الجزء ومجموعها مائتان وأربعون ربعاً، وقد جرت عادة نساخ القرآن الكريم، أن يكتبوا هذه التجزئات الآنفة الذكر في حاشية المصحف. وهناك تجزئات أخرى باعتبار الأثلاث والأرباع والأخماس والأسداس والأسباع والأثمان والأتساع والأعشار، وغيرها مما لا يتسع المقام إلى ذكره هنا، وانظر تفاصيل هذه الأجزاء في فنون الأفنان لابن الجوزي (ص 253 –277)، وجمال القراء للسخاوي (1/ 124 –187)، وكتاب المصاحف لابن أبي داود (1/ 464 – 472). وغرضهم من هذه التحزبات تسهيل حفظ القرآن وقراءته.

وأورد حديث أوس بن حذيفة رحمه الله والذي فيه بيان كيفية تحزيب الصحابة

– رضي الله عنهم – للقرآن الكريم، وقد جعلوه سبعة أحزاب.

وأشار إلى أن حديث أوس يوافق معنى حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه المتقدم، والذي منه: أنهم كانوا يقرؤون القرآن في سبع، ولهذا جعلوه سبعة أحزاب كما في حديث أوس ولم يجعلوه ثلاثة ولا خمسة.

كما أشار إلى أن التجزئة بالحروف محدثة في زمن الحجاج في العراق [1]. وأشار

---

(1) أخرج ابن أبي داود في كتاب المصاحف بسنده عن راشد أبو محمد الحماني قال: جمع الحجاج ابن يوسف الحافظ والقراء، قال: فكنت فيهم، فقال أخبروني عن القرآن كله، كم هو من حرف؟ قال: فجعلنا نحسبه حتى أجمعوا أن القرآن كله (ثلاثمائة ألف حرف، وأربعين ألف وسبعمائة ونيف وأربعين حرفاً).

قال: فأخبروني إلى أي حرف ينتهي نصف القرآن؟ فحسبوا فأجمعوا: أنه ينتهي في الكهف =وليتلطف+ في الفاء [الآية: 19].

قال: فأخبروني بأسباعه على الحروف؟ قال يحيى: على عدد الحروف قال.....

فإذا أول سبع في النساء ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ ﴾ [النساء: 55] في الدال والسبع الثاني في الأعراف (أولئك حبطت) [الآية: 147] في التاء.

والسبع الثالث في الرعد: ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ ﴾ [الآية: 35] في الألف آخر أكلها.

والسبع الرابع في الحج: ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾ [الآية: 67] في الألف.

والسبع الخامس في الأحزاب: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ﴾ [الآية: 36] في الهاء.

والسبع السادس في الفتح: ﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ﴾ [الآية: 6] في الواو.

والسابع ما بقي من القرآن.

قال الحماني: وسألنا عن أرباعه، فإذا أول ربع خاتمة سورة الأنعام، والربع الثاني: الكهف [الآية: 19] (وليتلطف) والربع الثالث خاتمة الزمر، الرابع ما بقي من القرآن. قال الحماني: لمللناه وكان الحجاج يقرأه في كل ليلة. ينظر: كتاب المصاحف لابن أبي داود(467 – 470)، وقد أخرج هذا الأثر السخاوي في جمال

إلى بعض الإشكالات في التجزئة بالحروف، وهي أن رؤوس الأجزاء والأحزاب قد تكون في أثناء السورة، وأثناء القصة، ونحو ذلك.

كما أشار إلى أن للصحابة تحزيب آخر، فإنهم كانوا يقدرون بالآيات، لكن هذا التحزيب لم يروه أحد، ولا ذكره أحد، فتعين التحزيب بالسور.

ثم قرر بعد ذلك أن التحزيب الذي كان عليه الصحابة هو الأحسن، وذكر عدة أوجه بين فيها مزايا التحزيب على السور مقارناً بينه وبين التحزيب على الحروف، ومبيناً ما يعتريه التحزيب بالحروف من إشكالات، وهذه الأوجه باختصار:

الأول: أن هذه التحزيبات المحدثة تتضمن دائماً الوقوف على بعض الكلام المتصل بما بعده، كالوقوف على المعطوف دون المعطوف عليه، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ فهذه الآية رأس الجزء الخامس، وهي معطوفة على الآية الأخيرة من الجزء الرابع، والتي فيها ذكر المحرمات من النساء، ومثل هذه الوقوف لا يسوغ في المجلس الواحد إذا طال الفصل بينهما بأجنبي.

وبين – رحمه الله – أن التحزيب بالسور فيه تحقيق مصلحة عظيمة، بقراءة الكلام المتصل بعضه ببعض، والافتتاح بما فتح الله به السورة، والاختتام بما ختم به، وتكميل المقصود من كل سورة ما ليس في التحزيب بالحروف، وفيه إبطال زوال المفاسد الذي في ذلك التحزيب.

الثاني: أن النبي ﷺ كانت عادته الغالبة، وعادة أصحابه أن يقرأ في الصلاة بسورة تامة كـ(ق)، وكان عمر – رضي الله عنه – يقرأ بـ =يونس+ و=يوسف+

القراء بسنده عن أبي داود. ينظر: جمال القراء/(126)، وأورده الزركشي في البرهان1/ 249 –250).

و=النحل+، وأما القراءة بأواخر السور وأوساطها فلم يكن غالباً عليهم، وأشار الشيخ إلى كراهية اعتياد قراءة ذلك دون فعله أحياناً، لئلا يخرج عما مضت به السنة، وعادة السلف من الصحابة والتابعين.

وقرر الشيخ بعد ذلك أن تحزيب التجزئة بالحروف فيه مخالفة للسنة أعظم مما في قراءة آخر السورة ووسطها في الصلاة.

وموافقة ما كان غالباً من هدي النبي ﷺ وأصحابه من التحزيب بالسور التامة أولى من التحزيب بالتجزئة على الحروف.

الثالث: أن التجزئة المحدثة لا سبيل فيها إلى التسوية بين حروف الأجزاء، وذلك لأن الحروف في النطق تخالف الحروف في الخط في الزيادة والنقصان.

ثم ذكر الشيخ بعد ذلك تحزيباً للقرآن لمن أراد قراءته كل شهر، كما أمر به النبي ﷺ عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أولاً، وذلك قياساً على تحزيب الصحابة، وقريباً من التحزيب على الأجزاء والحروف، وهو كما يأتي:

الجزء الأول والثاني: سورة البقرة.

والجزء الثالث: آل عمران.

والجزء الرابع: النساء.

والجزء الخامس: المائدة.

والجزء السادس: الأنعام.

والجزء السابع: الأعراف.

والجزء الثامن: الأنفال.

والجزء التاسع: البراءة.

وهذه الأجزاء والأحزاب تمثل ثلث القرآن.

الجزء العاشر: يونس.

الجزء الحادي عشر: هود. ولا مانع أن تكون سورة يونس وهود جزءاً واحداً.

الجزء الثاني عشر: يوسف والرعد.

الجزء الثالث عشر: إبراهيم والحجر.

الجزء الرابع عشر: النحل والإسراء.

الجزء الخامس عشر: الكهف ومريم.

الجزء السادس عشر: طه والأنبياء.

الجزء السابع عشر: الحج والمؤمنون.

الجزء الثامن عشر: النور والفرقان.

الجزء التاسع عشر: الشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة.

الجزء العشرون: الأحزاب، وسبأ، وفاطر.

الجزء الحادي والعشرون: يس، والصافات، وص.

الجزء الثاني والعشرون: الزمر، وغافر، وفصلت.

الجزء الثالث والعشرون: الشورى، والزخرف، والدخان، الجاثية، والأحقاف.

الجزء الرابع والعشرون: محمد، والفتح، والحجرات، وق، والذاريات.

ثم الأربعة الأجزاء المعروفة.

ثم قال بعد ذلك: =فهذا تحزيب مناسب مشابه لتحزيب الصحابة – رضي الله عنهم – وهو مقارب لتحزيب الحروف+.

وبعد: فقد شاع بين المسلمين في مصاحفهم اليوم التجزئة المشهورة والتي هي على الحروف ومقدارها ثلاثون جزءاً، وفي كل جزء حزبان، والمجموع ستون حزباً، وفي كل حزب أربعة أرباع، وفي كل جزء ثمانية أثمان.

واشتهر العمل بها في الدرس والإقراء والصلاة، وفي أوراد الناس، والمقصود

من هذه التجزئة التيسير والتسهيل للحافظ والقارئ وغيرهم، وليس المعنى فيها تعبدياً، وليس في الأمر ما يمنع من ذلك ما دام بعيداً عن اللبس والزيادة والدخيل.

❊ ❊ ❊

المطلب الثالث
مسائل في قراءة القرآن الكريم

مسألة قراءة الألحان:

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

(الناسُ مأمورون أن يقرأوا القرآن على الوجه المشروع، كما كان يقرأه السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فإن القراءة سنةٌ يأخذها الآخر عن الأول.

وقد تنازع الناسُ في قراءة الألحانِ، منهم من كرهها مطلقاً بل حرَّمها، ومنهم من رخص فيها، وأعدلُ الأقوالِ فيها أنها إن كانت موافقة لقراءة السلف كانت مشروعة، وإن كانت من البدع المذمومة نُهي عنها. والسلف كانوا يحسِّنون القرآن بأصواتهم من غير أن يتكلفوا أوزان الغناء، مثل ما كان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه يفعل، فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: =لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود +[1]. وقال لأبي موسى الأشعري: =ممرتُ بك البارحة وأنت تقرأ، فجعلتُ أستمع لقراءتك +، فقال: لو علمت أنك تسمعُ لحبَّرته لك تحبيراً [2]. أي لحسَّنته لك تحسيناً. وكان عمر يقول لأبي موسى الأشعري: يا أبا موسى، ذكِّرنا ربَّنا، فيقرأ أبو موسى وهم يستمعون لقراءته[3].

وقد قال النبي ﷺ: =زيِّنوا القرآن بأصواتِكم +[4]. وقال: =لله أشدُّ أذَناً إلى

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن (6/ 190) ح (5048).

(2) أخرجه ابن حبان (16/ 170) وصححه، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(3) أخرجه ابن حبان (16/ 168) وصححه شعيب الأرنؤوط.

(4) أخرجه الإمام أحمد في المسند من حديث البراء بن عازب (4/ 304) ح(18731)، وأبو داود في سننه، كتاب باب استحباب الترتيل في الصلاة (2/ 174) ح (1468)، والنسائي في باب تزيين القرآن بالصوت (2/ 179) ح (1015)، وابن ماجه في باب حسن الصوت بالقرآن رقم (1342) (1/ 426)، وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط.

الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القَيْنةِ إلى قَيْنته +[1]. وقال: =ليس منّا من لم يتغنَّ بالقرآن +[2].

وتفسيره عند الأكثرين كالشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهما هو تحسين الصوت به. وقد فسره ابن عيينة ووكيع وأبو عبيد على الاستغناء به. فإذا حسَّن الرجلُ صوته بالقرآن كما كان السلف يفعلونه- مثل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وغيره- فهذا حسن.

وأما ما أُحدث بعدَهم من تكلُّف القراءة على ألحانِ الغناء فهذا ينهى عنه عند جمهور العلماء، لأنه بدعة، ولأن ذلك فيه تشبيه القرآن بالغناء، ولأن ذلك يورث أن يبقى قلب القارئ مصروفاً إلى وزن اللفظ بميزان الغناء، لا يتدبره ولا يعقله، وأن يبقى المستمعون يصغون إليه لأجل الصوت الملحّن كما يُصغى إلى الغناء، لا لأجل استماع القرآن وفهمه وتدبُّره والانتفاع به. والله سبحانه أعلم[3].

الدراسة:

تمهيـــد:

الألحان: مفردها: اللحْن، يقال: لَحَن في قراءته، إذا طرّب بها وغرد. وهو ألحن الناس إذا كان أحسنهم قراءةً أو غناءً[4]. وفي الحديث: **=اقرأوا القرآن بلحون**

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في المسند، مسند فضالة بن عبيد الأنصاري، (6/ 20) ح(24002)، وابن ماجه ، باب في حسن الصوت بالقرآن (1/ 425) ح (1340)، وابن حبان في صحيحه (3/ 31) ح (754) وصححه، والطبراني في المعجم الكبير (18/ 301) ح (772)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف لانقطاعه.

(2) أخرجه أبو داود في باب استحباب الترتيل في القراءة (2/ 74) ح (1071)، والدارمي في سننه باب التغني بالقرآن (1/ 416) ح (1490)، والإمام أحمد في مسنده، مسند سعد بن أبي وقاص(1/ 175) ح(1512)، وابن حبان في صحيحه (1/ 327)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(3) جامع المسائل (303 – 305).

(4) ينظر: الصحاح في اللغة (2/ 136)، ومختار الصحاح (1/ 282).

العرب+[1]. فالألحان في اللغة تطلق على عدة معانٍ منها: تحسين الصوت وتطريبه في قراءة القرآن، وتطلق أيضاً على ألحان الغناء.

وينتظم رأي الشيخ – رحمه الله – في هذه المسألة في عدة أمور:

الأولى: بين الشيخ – رحمه الله – أن الأصل أن يقرأ القرآن على الوجه المشروع، كما كان يقرأه السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فإن القراءة سنَّة متَّبعة يأخذها الآخِرُ عن الأول، وهذا أصل متين، وقاعدة جليلة أشار إليها الشيخ في أكثر من موضع، وهي قاعدة عاصمة من الانحراف والابتداع في أداء القرآن وتلاوته.

الثانية: أشار الشيخ إلى الخلاف الواقع في قراءة الألحان، فمن أهل العلم من كرهها مطلقاً بل حرمها، ومنهم من رخَّص فيها.

الثالثة: قرر الشيخ أن أعدل الأقوال في حكم قراءة الألحان أنها إن كانت موافقة لقراءة السلف كانت مشروعة، وذلك يكون بتحسين الصوت عند القراءة من غير تكلُّف أوزان الغناء، ثم ساق جملة من الأدلة على مشروعية تحسين الصوت عند قراءة القرآن.

وإن كانت القراءة على ألحان الغناء فبدعة، وأشار إلى هذا أيضاً في الفتاوى العراقية بقوله: =وأما قراءة القرآن بقصد التلحين الذي يشبه تلحين الغناء فهي مكروهة مبتدعة+[2].

وقد علل الشيخ النهي عن قراءة القرآن بألحان الغناء بأمور:

-أن في ذلك تشبيه القرآن بالغناء..

---

(1) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وعزاه للطبراني في الأوسط وقال: =فيه راوٍ لم يسم وبقية أيضاً + مجمع الزوائد (7/ 69)، ورواه أبو عبيد في فضائل القرآن، باب ما يستحب لقارئ القرآن.

(2) الفتاوى العراقية (1/ 51)، وجامع المسائل (4/ 355).

-وأن ذلك يورث أن يبقى قلب القارئ مصروفاً إلى وزن اللفظ بميزان الغناء لا يتدبره ولا يعقله.

وأن المستمع للقارئ بهذه اللحون يُصغي إليه لأجل الصوت الملحن كما يصغي إلى الغناء، لا لأجل استماع القرآن وفهمه وتدبره والانتفاع به.

وبعد التأمل في دلالة كلمة الألحان في اللغة وكلام السلف والأئمة في حكم قراءة الألحان تبين لي أن قراءة الألحان لها وجهان أحدهما مشروع والآخر ممنوع وهو معنى كلام شيخ الإسلام رحمه الله:-

فالوجه الأول: تحسين الصوت في القراءة والتغني بالقرآن من غير تكلف مع الأخذ بالاتباع في الأداء والتزام أحكام القراءة، فهذا مأمور به، فقد قال تعالى: ﴿ **وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً** ﴾[1]، وقال ﷺ: **=زيِّنوا القرآن بأصواتكم +**[2]. وقال ﷺ: **=ليس منَّا من لم يتغنَّ بالقرآن +**[3].

الوجه الثاني: قراءة القرآن على أوزان ولحون الغناء، وتمطيطه كما يصنع أهل الغناء، ومعنى هذا أن تُمطَّط الحروف أو يَفْرَط في المد، أو العكس، فيمد ما أجمع على قِصره، أو يُقصر ما أجمع مده، أو تشبع الحركات حتى تصير حروفاً، كإشباع حركة الضم حتى تصبح واواً، أو الزيادة على المقادير المتفق عليها عند أهل الأداء، كالزيادة في مقدار المد زيادة فاحشة، أو ترديد الغنّة ترديداً يزيد على ما قدره أهل الأداء، أو المبالغة في الترجيع.

وهذا الوجه من القراءة اشتهر إطلاق مصطلح قراءة الألحان، وهو بدعة محدثة، ومنعها طوائف من السلف -رحمهم الله- كالإمام مالك، وسعيد بن

(1) سورة المزمل، الآية: 4.

(2) سبق تخريجه (ص 92).

(3) سبق تخريجه (ص 93).

المسيب، وإبراهيم النخعي رحمه الله[1].

وقد بحث ابن القيم – رحمه الله – مسألة القراءة بالألحان بحثاً مستفيضاً، وجعل القراءة بالألحان على وجهين:

الوجه الأول: وهو ما اقتضته الطبيعة، وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين ولا تعليم... فذلك جائز.

ثم ذكر الوجه الثاني: وهو ما كان يحصل بتكلف وتصنع وتمرن كما يتعلم أصوات الغناء بأنواع الألحان البسيطة.... فهذه التي كرهها السلف وعابوها، وذموها، ومنعوا القراءة بها، وأنكروا على من قرأ بها[2].

وقد أنكر غير واحد من العلماء قراءة الألحان هذه

قال ابن كثير رحمه الله: =وأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهبة والقانون الموسيقائي، فالقرآن ينزه عن هذا ويجلّ ويعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب+[3].

وقال النووي رحمه الله: =الصحيح أنه إذا أفرط على الوجه المذكور فهو حرام، صرح به صاحب الحاوي فقال: هو حرام يفسق به القارئ، ويأثم المستمع؛ لأنه عدل عن لهجة التقويم+[4].

وقال بكر أبو زيد: =والتلحين في القراءة تلحين الغناء والشعر هو مسقط للعدالة، ومن أسباب رد الشهادة قضاء+[5].

---

(1) انظر التبيان في آداب حملة القرآن للنووي (ص 59).

(2) انظر زاد المعاد ا/ 482-493

(3) فضائل القرآن ص 59

(4) التبيان في آداب حملة القرآن (ص 59).

(5) بدع القراء (ص 9).

وقد أحدثت بدعة الإلحان هذه في القرن الرابع.

يقول أبو بكر الطرطوشي رحمه الله: =فأما أصحاب الألحان فإنما حدثوا في القرن الرابع.... فكانوا مهجورين عند العلماء، فنقلوا القراءة إلى أوضاع لحون الأغاني، فمدوا المقصور، وقصروا الممدود، وحرَّكوا الساكن، وسكنوا المتحرك، وزادوا في الحرف ونقصوا فيه، وجزموا المتحرك، وحركوا المجزوم لاستبقاء نغمات الأغاني المطربة+[1].

(1) البدع والحودادث لأبي بكر الطرطوشي ص (57-61)

مسألة: تلاوة القرآن أو الذكر أفضل

الحمد لله، سُئِلتُ أيُّ الأمرين أفضلُ: تلاوة القرآن أو الذكر؟

فأجبتُ قائلاً: الظاهر أن ذلك يختلف بحسب اختلاف الأشخاص والأحوال، فإن كان الشخص ممن أوتي فهماً في كتاب الله تعالى، إذا تلا متدبِّراً لآياته ازداد في الحِكَم والأحكام، وتجلَّت له معانٍ وحقائق في أصول الدين وفروع الحلال والحرام، كانت التلاوة في حقه أفضل، كيف وتلاوة القرآن من أفضل الأذكار، والنظر في أحكام الله تعالى من أفضل أعمال الأبرار. وكان عطاءٌ رحمه الله تعالى يقول: مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام، كيف تبيع وتشتري وتصلي وتصوم وتحج وتطلق ونحو ذلك.

وإن لم يكن الرجل ممن له أهلية الفهم عن كلام الله تعالى، وكان الذكر أجمع لهمته وأصفى لخاطره، كان اشتغاله بالذكر أفضل والحالة هذه.

وينبغي للسالك وطالب الزيادة من الخير أن لا يترك حظه منهما، فيذكر الله تعالى إلى أن يجد عنده سآمةً ما، فينتقل إلى الذكر بتلاوة القرآن متدبراً بترتيل وتفكُّرٍ، وتعظيم عند آيات التوحيد والتنزيه، وسؤال عند آيات الوعد والرجاء، وتضرع واستعاذة عند آيات الخوف والوعيد، واعتبار عند آيات القصص. فإن القرآن الكريم لا يسأمُ قارئه، لاختلاف المعاني الواردة فيه.

وعند اشتغاله بالذكر ينبغي أن لا يفوته دقيقة نبَّه عليها بعض المحققين، وهي أن يقصد مثلاً عند ذكر = لا إله إلا الله + تلاوة قوله تعالى في سورة محمد ﷺ: ﴿ بي تج تح تخ تم تى ﴾[1] لتُثْمِرَ له هذه الكلمة المباركة ثمرة الذكر والتلاوة، فيكون جامعاً بين الفضيلتين.

---

(1) سورة محمد، الآية: 19.

ولكل من التلاوة والذكر آدابٌ وشروطٌ ذكرها العلماء، فينبغي له أن يتحرى في المحافظة عليها، وإن كان له شيخ يُربِّيه ألقى زِمامَ أمرِه إليه، ليشير بما هو الأولى عليه. والله أعلم[1].

الدراسة:

قرر الشيخ في هذه المسألة أعني تلاوة القرآن والذكر، أيهما أفضل؟ أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، والناس في هذا على ضربين:

الأول: من أوتي فهماً في كتاب الله تعالى، فإذا تلا متدبراً ازداد في الحِكَم والأحكام، وتجلت له معانٍ وحقائق في أصول الدين وفروع الحلال والحرام فهذا تلاوة القرآن في حقه أفضل من الذكر.

الثاني: من لم يكن له أهلية الفهم عن كلام الله تعالى، وكان الذكر أجمع لهمته وأصفى لخاطره، فهذا اشتغاله بالذكر أفضل.

كما بيّن الشيخ – رحمه الله – أنه ينبغي للمرء أن لا يترك حظه من الأمرين.

(1) جامع المسائل (3/ 385 – 386).

مسألة الإدارة في القراءة

قال شيخ الإسلام:

قراءة كل واحد القرآن على حدته أفضل من قراءته مجتمعين بصوت واحد ؛ فإن هذه تسمى قراءة الإدارة، وقد كرهها طوائف من أهل العلم، كمالك، وطائفة من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم رحمهم الله، ومن رخص فيها كبعض أصحاب احمد لم يقل إنها أفضل من قراءة الانفراد ؛ إذ يحصل لكل واحد في قراءة الانفراد جميع القراءة، وأما هذه فلا يحصل لكل واحد جميع القراءة ؛ بل هذا يتم ما بدأ فيه هذا وهذا يتم ما بدأ فيه[1]

الدراسة:

أشار الشيخ في كلامه المتقدم إلى مسألتين من مسائل الاجتماع في القراءة:

المسألة الأولى: قراءة الجماعة للقرآن بصوت واحد، وذكر أنه كرهها غير واحد من أهل العلم كمالك[2] وجوَّزها الحنفية[3].

والذي يظهر أن قراءة الجماعة للقرآن بصوت واحد لها حالتان:

الحالة الأولى: أن تكون على وجه التعبد، فهذا لا يجوز، بل هو بدعة إذا فعل على وجه المداومة، لأن التعبد بهذه الطريقة لم يثبت عليه دليل، ولا فعله السلف من الصحابة والتابعين، والأصل في العبادات التوقيف على النص.

الحالة الثانية: أن يكون المقصود تعليم القرآن ومدارسته وضبط أدائه، كما هو معهود في تعليم الصبيان، فلا بأس به والحالة هذه، مع التزام الأدب مع كلام الله، وعدم تقطيعه والعبث عند قراءته.

المسألة الثانية: قراءة الجماعة للقرآن بطريقة الإدارة وصفتها: =أن يجتمع

---

(1) مختصر الفتاوى المصرية (1/ 393).

(2) انظر مختصر خليل (ص 37)، الشرح الكبير وحاشية الدسوقي عليه (1/ 308)، والأحكام الفقهية (2/ 1013).

(3) الفتاوى الهندية (5/ 317).

جماعة، يقرأ بعضهم عشراً أو جزءاً أو غير ذلك، ثم يسكت، ويقرأ الآخر من حيث انتهى الأول، ثم يقرأ الآخر+[1].

وقد أشار الشيخ إلى الخلاف في جواز قراءة الإدارة:

فالقول الأول: كراهية قراءة الإدارة ونسبه الشيخ لبعض المالكية [2]، وأكثر الحنابلة[3]، ونقل عن مالك أنه قال: =لا يجتمع القوم يقرأون في سورة واحدة كما يفعل أهل الإسكندرية هذا مكروه لا يعجبني+[4].

واستدل القائلون بالكراهية بأن قراءة الإدارة مخالفة للسنة في مدارسة جبريل للنبي ﷺ، وأن قراءة الإدارة تؤدي إلى المباهاة والمنافسة. قال الباجي رحمه الله: =إنما كرهه مالك للمباراة في حفظه والمباهاة بالتقدم فيه+[5].

القول الثاني: أن قراءة الإدارة مباحة، وبه قال الأحناف [6]، وهو قول للإمام مالك، فقد نقل النووي أن الإمام مالكاً سئل عن قراءة الإدارة فقال:لا بأس به+[7].

وبه قال بعض الحنابلة كما أشار الشيخ، قال ابن مفلح رحمه الله: =وكره أصحابنا قراء الإدارة، وقال حرب[8]: حسنه[9]+.

واستدلوا على جواز قراءة الإدارة بما يلي:

---

(1) التبيان للنووي (ص 122).

(2) ينظر: حاشية الدسوقي (1/ 308)، شرح منح الجليل (1/ 201).

(3) ينظر: الإقناع (11/ 14)، والفروع (1/ 554).

(4) ينظر: فتاوى الشاطبي (ص 200).

(5) ينظر: فتاوى الشاطبي (ص 200).

(6) ينظر: فتاوى قاضي خان، والفتاوى الهندية (5/ 317).

(7) ينظر: التبيان للنووي (ص 122).

(8) هو حرب بن إسماعيل الكرماني، من فقهاء الحنابلة، قد روى عن الإمام أحمد مسائل كثيرة، وقال عنه الخلال: رجل جليل القدر، طبقات الحنابلة (1/ 145)، المنهج الأحمد (287).

(9) الفروع (1/ 554).

-ما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – في حديث طويل جاء فيه أن النبي ﷺ قال: =**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**+[1].

-وبما رواه أبو هريرة، وأبو سعيد الخدري – رضي الله عنهما – قالا: قال رسول الله ﷺ: =ما من قوم يذكرون الله إلا حفَّت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده+[2].

فهذان الحديثان يدلان على استحباب الاجتماع على قراءة القرآن، ويدخل في ذلك قراءته بطريقة الإدارة، إذ هي اجتماع على قراءة القرآن.

ومعلوم أن الحاجة إلى مدارسة القرآن وتلاوته وتعليمه تدعو إلى الاجتماع على قراءته بطريقة الإدارة أو غيرها.

الترجيح:

بعد النظر فيما سبق من كلام الأئمة وما استدلوا به، سواءً في القول بجواز قراءة الإدارة، أو القول بكراهيتها، ظهر لي أن التفصيل في هذه المسألة بين الجواز والكراهية هو الأولى والأحسن، وبه تأتلف الأقوال ولا تختلف، ويصح الاستدلال ولا ينصرف، فيقال إن قراءة الإدارة على حالتين:

الحالة الأولى: ما كان المقصود منها الاجتماع على المدارسة والتلاوة، وتعليم القرآن ومدارسته دون أن يتخذ عادة في زمن معين، أو مكان معين، أو على سورة

---

(1) أخرجه أبو داود في أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله، باب في ثواب قراءة القرآن (2/ 71) ح(145).

(2) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء في القوم يجلسون فيذكرون الله عز وجل ما لهم من الفضل (5/ 459) ح (3378)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

معينة؛ كسورة الكهف، فهذا حسن مشروع.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: =الاجتماع على القراءة والذكر والدعاء حسن مستحب، إذا لم يتخذ عادة راتبة كالاجتماعات المشروعة، ولا اقترن به بدعة منكرة...+ [1].

وقال أيضاً: =الاجتماع لذكر الله واستماع كتابه والدعاء عمل صالح هو من أفضل القربات والعبادات... لكن ينبغي أن يكون هذا أحياناً في بعض الأوقات والأمكنة، فلا يجعل سنة راتبة يحافظ عليها+[2].

وعلى هذه الحالة يحمل قول من قال بجواز قراءة الإدارة.

والحالة الثانية: أن يكون الاجتماع على القراءة بالإدارة على هيئة متبعة كمن يجتمعون على قراءة سورة الكهف بعد صلاة العصر من يوم الجمعة، أو من يتخذ القراءة بالإدارة سُنة يعمل بها دائماً في أوقات محددة، فهذه الحالة مكروهة، وقد يقال ببدعيتها.

يقول الشاطبي رحمه الله: =وأما قراءة الإدارة في وقت معلوم فأمر مخترع وفعل مبتدع، لم يجر مثله قط في زمان رسول الله ﷺ، ولا في زمان الصحابة رضي الله عنهم+[3].

وقد أشار إلى هذا المعنى شيخ الإسلام فيما تقدم من النقل عنه.

رأي شيخ الإسلام في هذه المسألة:

لم ينص الشيخ نصاً صريحاً على رأي له في هذه المسألة غير أنه يفهم من مجموع كلامه أن رأيه قريب مما ذكر من التفصيل الآنف الذكر.

---

(1) مختصر الفتاوى المصرية (ص 210).

(2) المصدر السابق (ص 210).

(3) فتاوى الشاطبي بتصرف يسير (ص 20).

مسألة الوسوسة في مخارج الحروف وأحكام الأداء

قال شيخ الإسلام – رحمه الله -:

(ولا يجعل همته فيما حجب به أكثر الناس من العلوم عن حقائق القرآن، إما بالوسوسة في خروج حروفه، وترقيقها، وتفخيمها، وإمالتها، والنطق بالمد الطويل، والقصير، والمتوسط، وغير ذلك. فإن هذا حائل للقلوب قاطع لها عن فهم مراد الرب من كلامه، وكذلك شغل النطق بـ (أأنذرتهم)، وضم الميم من (عليهم) ووصلها بالواو، وكسر الهاء أو ضمها ونحو ذلك. وكذلك مراعاة النغم، وتحسين الصوت) [1].

الدراسة:

بين الشيخ – رحمه الله – في هذه المسألة أدباً من آداب تلاوة القرآن الكريم، وهو عدم التكلف والتنطع في أداء مخارج الحروف مما يصل معه القارئ إلى الوسوسة والانصراف عن المقصود الأعظم من التلاوة وهو التدبُّر والتفكُّر، وبيّن رحمه الله أن الوسوسة في المخارج، والتكلف، والتنطُّع، والاشتغال بكيفيات الأداء دون التدبر هو سبب من أسباب حجب فهم القرآن الكريم.

والتنطع والتكلف في مخارج الحروف وكيفياتها عن تدبر ما يقرأه أمر حذر منه غير واحد من أهل العلم.

يقول ابن الجوزي – رحمه الله -: =وقد لبس إبليس على بعض المصلين في مخارج الحروف فتراه يقول الحمد الحمد فيخرج بإعادة الكلمة عن قانون أدب الصلاة، وتارة يلبس عليه في تحقيق التشديد في إخراج ضاد المغضوب، ولقد رأيت من يقول المغضوب فيخرج بصاقه مع إخراج الضاد لقوة تشديده، وإنما المراد تحقيق

(1) مجموع الفتاوى (16/ 50).

الحرف فحسب، وإبليس يخرج هؤلاء بالزيادة عن حد التحقيق ويشغلهم بالمبالغة في الحروف عن فهم التلاوة+[1].

وقد ذكر ابن القيم الوسوسة في مخارج الحروف والتنطع فيها في معرض حديثه عن ذم التكلف فقال: =ومن تأمل هدي رسول الله ﷺ وإقراره أهل كل لسان على قراءتهم تبين له أن التنطع والتشدق والوسوسة في إخراج الحروف ليس من سنته+[2].

تنبيه:

قد فهم بعض المعاصرين من كلام الشيخ وتلميذه ابن القيم في ذم التكلف والوسوسة في مخارج الحروف وأحكام الأداء، أنهما يريان أن التجويد محدث، وهذا فهم مغلوط وتوهم خاطئ، فكلامهما إنما جاء في ذم التكلف والتنطع في هذا الباب، لا أن التجويد محدث لا أصل له، وهذا يظهر لمن تأمل سياق كلام الشيخ بالنظر في سباقه ولحاقه، والله أعلم.

(1) تلبيس إبليس (1/ 172).

(2) إغاثة اللهفان (1/ 162).

قراءة القرآن في الأسواق والجباية على ذلك

قال شيخ الإسلام – رحمه الله -:

(قراءة القرآن في الأسواق والجبايةُ على ذلك فهذا منهيٌّ عنه من وجهين:

أحدهما: من جهة قراءته لمسألة الناس، ففي الحديث: =اقرأوا القرآن واسألوا به الله قبل أن يجيء أقوامٌ يقرأونه يسألون به الناس+[1].

والثاني: من جهة ما في ذلك من ابتذال القرآن بقراءته لمن لا يستمع إليه ولا يُصغي إليه) [2].

الدراسة:

بين الشيخ – رحمه الله – أن قراءة القرآن في الأسواق والطرقات والجباية على ذلك مما ينهى عنه، وعلل ذلك بأمرين:

الأول: من جهة قراءته لمسألة الناس، لحديث عمران بن حصين – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: **=اقرأوا القرآن واسألوا به الله قبل أن يجيء أقوامٌ يقرأونه ويسألون به الناس+**[3].

الثاني: أن في ذلك ابتذال القرآن بقراءته على من لا يستمع إليه ولا يصغي إليه.

وقد كره غير واحد من السلف قراءة القرآن في الطرقات والأسواق ومنهم الإمام مالك.

قال ابن رشد: =كره مالك – رحمه الله – قراءة القرآن في الأسواق والطرق لوجوه ثلاثة:

أحدها: تنزيه للقرآن وتعظيم له من أن يقرأه وهو ماشٍ في الطرق،

---

(1) سبق تخريجه.

(2) جامع المسائل (3/ 137 – 138)، المستدرك (1/ 171).

(3) أخرجه الإمام أحمد في المسند (4/ 445) ح (20011)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.

والأسواق لما يكون فيها من الأقذار والنجاسات.

الثاني: أنه إذا قرأه على هذه الأحوال لم يتدبره حق التدبر.

الثالث: لما خشي أن يداخله في ذلك مما يفسد نيته+[1].

وجوز بعضهم قراءة القرآن في الطرقات أو الأسواق، مع توقير القرآن وإجلاله، وصيانته عن الابتذال، وخفف بعضهم لمن أراد مراجعة حفظه[2].

(1) البيان والتحصيل (/ 380 – 381).

(2) آداب المعلمين والمتعلمين (ص 281)، وفتاوى القرآن (1/ 188).

مسألة (المزاح حال قراءة القرآن)

قال شيخ الإسلام – رحمه الله -:

(وما كان مباحاً في غير حال القراءة مثل المزاح الذي جاءت به الآثار – وهو أن يمزح ولا يقول إلا صدقاً لا يكون في مزاحه كذب ولا عدوان – فهذا لا يفعل في حال قراءة القرآن؛ بل ينزه عنه مجلس القرآن. فليس كل ما يباح في حال غير القراءة يباح فيها، كما أنه ليس كل ما يباح خارج الصلاة يباح فيها؛ لا سيما ما يشغل القارئ والمستمع عن التدبر والفهم، مثل كونه يخايل ويضحك. فكيف واللغو والضحك حال القراءة من أعمال المشركين، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ﴾[2]، وقال: ﴿ أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ ﴾[3].

ووصف المؤمنين بأنهم يبكون ويخشعون حال القراءة.

فمن كان يضحك حال القراءة فقد تشبه بالمشركين لا بالمؤمنين؛ وليس لمن أنكر عليه ذلك أن يقول للذي أنكر: أنت مراء؛ بل عليه أن يطيع الله ورسوله، ولا يكون ممن إذا قيل له: اتق الله أخذته العزة بالإثم.

وليس لأحد استعمال القرآن لغير ما أنزله الله له؛ وبذلك فسر العلماء الحديث المأثور: =لا يناظر بكتاب الله+ أي لا يجعل له نظير يذكر معه؛ كقول القائل لمن قدم لحاجة: لقد﴿ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ﴾[4] وقوله عند الخصومة:﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ ﴾[5]

---

(1) سورة فصلت، الآية: 26.

(2) سورة الجاثية، الآية: 9.

(3) سورة النجم، الآيتان: 59، 60.

(4) سورة طه، الآية: 40.

(5) سورة النمل، الآية: 71.

أو: ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[1].

ثم إن خرجه مخرج الاستخفاف بالقرآن والاستهزاء به كفر صاحبه. وأما إن تلا الآية عند الحكم الذي أنزلت له أو كان ما يناسبه من الأحكام فحسن. كقوله لمن دعاه إلى ذنب تاب منه: ﴿ مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا ﴾[2] وقوله عندما أهمه: ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[3][4].

الدراسة:

تناول الشيخ في هذا النقل المتقدم مسألتين وهي من مسائل الأدب مع القرآن الكريم التي يحسن التنبيه عليها.

المسألة الأولى: المزاح والدعابة حال قراءة القرآن.

وأشار الشيخ في هذه المسألة أنه ما كان مباحاً من المزاح في غير حال القراءة، فهذا لا يفعل في حال القراءة ويجب تنزيه القرآن ومجالسه عن اللغو والمزاح، لاسيما ما يشغل القارئ والمستمع عن التدبر والفهم، مثل كونه يخايل ويضحك.

وأشار الشيخ إلى أن اللغو والضحك حال القراءة من أعمال المشركين، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ﴾[5]، ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾[6] فمن كان يضحك حال القراءة فقد تشبه بالمشركين لا

(1) سورة التوبة، الآية: 107.

(2) سورة النور، الآية: 16.

(3) سورة يوسف، الآية: 86.

(4) المستدرك (1/ 171 - 172).

(5) سورة فصلت، الآية: 26.

(6) سورة النجم، الآيتان: 59، 60.

بالمؤمنين.

وما ذكره الشيخ من ترك المزاح واللغط حال القراءة أدب جميل من آداب حملة القرآن ينبغي أن يحتذى، ويعوّد عليه أبناء المسلمين في حلقات التحفيظ والقراءة.

يقول النووي رحمه الله: =ومما يعتنى به ويتأكد الأمر به: احترامه من أمور قد يتساهل فيها بعض الغافلين القارئين مجتمعين، من ذلك اجتناب الضحك واللغط والحديث في حال القراءة إلا كلاماً يضطر إليه+[1].

المسألة الثانية: الاقتباس من القرآن.

وهو ما يعرف أيضاً عند بعضهم بتضمين القرآن، ويسمى أيضاً إرسال المثل.

وهو أن تستعمل آي القرآن وأمثلته وأقيسته في ثنايا الكلام على وجه المناظرة والمحاكاة.

وقد بين الشيخ أن هذا الاستعمال على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يتمثل بالقرآن في أحوال ينبغي أن ينزه القرآن وألفاظه عنها، ولا تدعو الحاجة إلى مثل هذا، بل هو خروج عن المعنى الذي أريد به ومنافٍ للأدب مع كتاب الله.

ومثل له الشيخ بقول القائل لمن قدم لحاجة: ﴿ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴾[2] وقوله عند الخصومة: ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾[3] أو ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[4].

وقد منع الشيخ من مثل هذا لما فيه من استعمال القرآن لغير ما أنزله الله له.

---

(1) التبيان (ص 110).

(2) سورة طه، الآية: 40.

(3) سورة النمل، الآية: 71.

(4) سورة التوبة، الآية: 107.

الثاني: أن يستعمل آي القرآن وأقيسته في مواطن الهزل والاستخفاف فهذا القسم جزم الشيخ بكفر فاعله.

وقد حكى الكفر غيره.

فقد جاء في (الفتاوى الهندية)... إدخال آية القرآن في المزاح والدعابة كفر؛ لأنه استخفاف به، وكذا المزاح به مثل أن يقول.... وجاء بالقدح الممتلئ.. ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾[1] أو قال عند الوزن أو الكيل: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[2] أو جمع الجماعة في موضع ثم قال: ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾[3] أو قال: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[4] أو قال لغيره: كيف تقرأ: والنازعات نزعاً [5] أو نزع وأراد به الطنز [6] كفر.

وقال الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي [7] – رحمه الله –: =يكفر العالم دون الجاهل+[8].

واستخدام ألفاظ القرآن وأمثاله في مواطن المزح والهزل فيه من صرف كلام الله عن وجهه والمقصود الأعظم الذي أنزل الله له، وتجاوز لما ينبغي من الأدب مع كلام الله جل جلاله، فالإنكار على من فعل هذا واجب، والتحذير من هذا المسلك مطلوب.

---

(1) سورة النبأ، الآية: 34.

(2) سورة المطففين، الآية: 3.

(3) سورة الكهف، الآية: 99.

(4) سورة الكهف، الآية: 47.

(5) الآية هي: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾.

(6) الطنز: السخرية والاستهزاء.

(7) أبو بكر محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري، الحنفي، من حفاظ الحديث، توفي سنة 380. الفوائد البهية (161)، وكشف الظنون (1/ 225)، والإعلام (5/ 295).

(8) الفتاوى الهندية (6/ 339).

القسم الثالث: أن يتلو الآية عند الحكم الذي أنزلت له، أو كان ما يناسبه من الأحكام، ويكون هذا في مقام الجد، كقوله لمن دعاه إلى ذنب تاب منه: ﴿ مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا ﴾[1] وقوله عندما أهمه ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[2] فهذا حسن. وقد استعمل مثل هذا بعض أهل العلم في خطبهم ودروسهم مثل ابن الجوزي والقاضي عياض.

وهذا التقسيم الذي أشار إليه الشيخ جيّد في بابه، وفيه توسط بين المنع المطلق والجواز، وقد وافقه غير واحد من أهل العلم كالعز بن عبدالسلام وابن عقيل والسيوطي[3].

وقد منع المالكية الاقتباس مطلقاً، وشددوا النكير على فاعله [4].

* * *

(1) سورة النور، الآية: 16.

(2) سورة يوسف، الآية: 86.

(3) ينظر: الإتقان (1/ 348).

(4) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (1/ 347 – 351)، والزيادة والإحسان في علوم القرآن (2/ 340 – 345)، والآداب الشرعية لابن مفلح (2/ 300)، والفواكه الدواني (1/ 50).

المطلب الرابع
البدع المحدثة في قراءة القرآن الكريم

تمهيـــد:

تعريف البدعة لغة وشرعاً:

1 – البدعة في اللغة:

البدعة مصدر (بَدَعَ)، وتأتي مادة بَدَع في اللغة على معنيين:

الأول: ابتداء الشيء وصنعه على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: ﴿ ژ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ژ ﴾[1][2].

ومنه البدعة في الدين فهي مخترعة على غير دليل من الشرع السابق.

الثاني: الانقطاع والكِلال، يقال أبدعت الراحلة إذا كلت وتعبت، وأبدع الرجل إذا كلت ركابه وبقي منقطعاً[3].

والمعنى الثاني: راجع إلى الأول، فالانقطاع والتعب ناشئ عارض بعد عادة الاستمرار في السير، فهو إنشاء أمر خارج عما اعتيد عليه[4].

2 – البدعة في الاصطلاح:

تنوعت عبارات العلماء في بيان حد البدعة في الاصطلاح، ومن أبرز من عرَّف البدعة– شيخ الإسلام ابن تيمية– ويُكتفى بتعريفه، حيث قال رحمه الله: =البدعة في الدين: هي ما لم يشرعه الله ورسوله وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب[5].

وقال أيضاً: البدعة: ما خالفت الكتابة والسنة أو إجماع سلف الأمة من

---

(1) سورة الأحقاف، الآية: 9.

(2) ينظر: لسان العرب (9/ 351 – 352).

(3) ينظر: معجم مقاييس اللغة (1/ 209.

(4) ينظر: النهاية في غريب الحديث (1/ 107)، ولسان العرب (9/ 352).

(5) مجموع الفتاوى (4/ 107).

الاعتقادات والعبادات+[1] [2].

قال شيخ الإسلام:

(والقراءة على الجنازة بدعة مكروهة باتفاق الأئمة الأربعة، فإذا وقفوا تضاعفت المكروهات، والإعطاء نقوطاً لمثل هؤلاء مما يُنهى عنه فاعله، ولا يُثابُ عليه، فإنه بإعطائه أعان على ما يكرهه الله ورسوله، والله أعلم.

الدراسة:

نص الشيخ على أن الوقوف بالميت ليقرأ القُرَّاءُ مما ينهى، وأن القراءة على الجنازة بدعة مكروهة باتفاق الأئمة الأربعة.

وفي الاختيارات الفقهية قال – رحمه الله –: =والقراءة على الميت يقدمونه بدعة+[3].

وهي بدعة كما ذكر؛ لأنه لم يثبت دليل على مشروعيتها وليست من عمل السلف،والقراءة عبادة، ومبنى العبادة على التوقيف والحظر إلا بدليل شرعي، ونصَّ على بدعيَّتها ابن القيم، وعدّها الألباني من بدع الجنائز[4].

وقد قرر الشيخ في غير ما موضع بدعية استئجار قُرَّاء يقرأون القرآن ويهدون ذلك للميت لعدَّة أمور:

1 – أن هذا إحداث في الدين، ولم يفعله السلف ولا استحبها الأئمة.

2 – أن قراءة القرآن إذا وقعت لمجرد العوض، لم تكن قربة، وفات ثواب القراءة

---

(1) مجموع الفتاوى (18/ 436).

(2) البدع نوعان: بدع في الأقوال والاعتقادات، وبدع في الأفعال والعبادات، وهي البدع العملية، ومنها ما يتعلق بالقرآن الكريم الذي نحن بصدد بحثه عند شيخ الإسلام ابن تيمية.

(3) الاختيارات الفقهية (ص 91).

(4) ينظر: زاد المعاد (1/ 527)، وأحكام الجنائز للألباني (257)، وفتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (3/ 229)، والبحث والاستقراء في بدع القراء (11).

على القارئ، لما فيه من إرادة الإنسان بعمله الدنيا، وفات على المستأجر لأنه عمل مبتدع، فلا ثواب ولا إهداء.

3 – أن هذا سبب لحصول مفاسد عدة، منها: قراءة القرآن لغير الله، والتآكل بالقرآن، وقراءته على غير الوجه المشروع، واشتغال النفوس بذلك عن القراءة المشروعة.

وقد نص على بدعية الاكتراء هذا غير واحد من أهل العلم، منهم ابن الحاج في المدخل، وبكر أبو زيد في بدع القراء[1].

أفاد كلام الشيخ في بدعية جمع القراءات أموراً:

- أن جمع حروف القراء كلهم لا على سبيل الدرس والحفظ ولكن على سبيل التلاوة والتدبر، مع تنوع المعاني بدعة مكروهة قبيحة، ومثَّل له الشيخ بمن يقرأ في الصلاة ژ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

بتركيب القراءات وخلطها، وهو أن يأخذ القارئ حكماً أو أحكاماً من قراءة أو رواية، وحكماً آخر أو أحكاماً أخرى من قراءة أو رواية ثانية... ويقرأ بها كلها في آن واحد بكيفية لم ترد عن أحد من القراء أو الرواة عنهم، ويكون فيها إخلال بالمعنى أو بقواعد اللغة وهو الذي منعه المحققون من أئمة القراءة وأهل العلم.

يقول ابن الجزري في المنجد: =وأما ما أخذ به بعض المتأخرين من أنهم يجمعون كلمة كلمة، فبدعة وَحِشَة، تُخرج القرآن عن مقصوده ومعناه، ولا يحصل منها مراد السامع، والله أعلم بما على مَن يتعمد ذلك+[1].

ويقول النووي في التبيان: =إذا ابتدأ بقراءة أحد القراء فينبغي أن يستمر على القراءة بها مادام الكلام مرتبطاً، فإذا انقضى ارتباطه فله أن يقرأ بقراءة أحد من السبعة، والأولى دوامه على الأولى في هذا المجلس+[2].

وقال أبو عمرو بن الصلاح: =وإذا شَرعَ القارئُ بقراءة، ينبغي أن لا يزال يقرأ بها ما بقي للكلام تعلق بما ابتدأ به+[3].

ويُستفاد من هذه النقول عن هؤلاء الأئمة أن جمع القراءات – الذي تكون فيه مترتبة بعضها على بعض – وهو ما يسمى بالخلط والتركيب الممنوع، مما ينتج عنه فساد في المعنى مما لا تجيزه العربية مما ينبغي تركه.

وقد فرّق شيخ الإسلام بين جمع القراءات للدرس والحفظ وبين جمعها في الصلاة أو على سبيل التلاوة والتدبر، فقال في موضع: =ومعلوم أن المسلمين متفقون على أنه لا يستحب للقارئ في الصلاة، والقارئ عبادة وتدبراً خارج الصلاة: أن يجمع بين هذه الحروف، إنما يفعل الجمع بعض القراء بعض الأوقات

(1) منجد المقرئين (ص 74).

(2) التبيان في آداب حملة القرآن (ص 124).

(3) المصدر السابق.د

ليمتحن بحفظه للحروف، وتميزه للقراءات، وقد تكلم الناس في هذا، وأما الجمع في كل القراءة المشروعة المأمور بها فغير مشروع باتفاق المسلمين، بل يُخيَّر بين تلك الحروف، وإذا قرأ بهذه تارة، وبهذه تارة كان حسناً+[1].

* * *

(1) مجموع الفتاوى (22/ 459).

القسم الثاني
مسائل متعلقة بالمصحف الشريف

المسألة الأولى: (كتابة القرآن بحيث يهان)

قال شيخ الإسلام – رحمه الله -:

(ولا يجوز كتابة القرآن بحيث يهان، كما لو كتب على نصيبة قبر تبول عليه الكلاب ويدوسه الناس، فتجب إزالته وإزالة ما كتب فيه من موضع الإهانة بالاتفاق)[1].

الدراسة:

نص الشيخ – رحمه الله – على عدم جواز كتابة القرآن في موضع يتعرض فيه للإهانة، ككتابته على نصيبة القبر، وحكى الاتفاق في وجوب إزالة ما كتب فيه من موضع الإهانة.

وهو كما ذكر – رحمه الله – فقد قال بتحريم كتابة القرآن في موضع يتعرض فيه للإهانة جماهير أهل العلم[2].

ففي مغني المحتاج: =والقياس الظاهر تحريم كتابة القرآن على القبر لتعرضه للدوس عليه والنجاسة والتلويث+[3].

---

(1) المستدرك على مجموع الفتاوى (1/ 417).

(2) ينظر: الفتاوى الفقهية الكبرى (2/ 12)، وحاشية الجمل على شرح المنهاج (2/ 207)، ونهاية المحتاج (2/ 207)، وحاشية ابن عابدين (2/ 246)، وكشاف القناع (1/ 137).

(3) مغني المحتاج (1/ 364).

المسألة الثانية: (كتابة القرآن على الدراهم والدنانير)

قال شيخ الإسلام – رحمه الله -:

(كتابة القرآن عليه: فيشبه كتابة القرآن على الدرهم والدينار. ولكن يمتاز هذا بأنها تعاد إلى النار بعد الكتابة، وهذا كله مكروه. فإنه يفضي على ابتذال القرآن، وامتهانه، ووقوعه في المواضع التي ينزه القرآن عنها. فإن الحياصة، والدرهم، والدينار، ونحو ذلك. هو في معرض الابتذال، والامتهان.

وإن كان من العلماء من رخص في حمل الدراهم المكتوب عليها القرآن، فذلك للحاجة، ولم يرخص في كتابة القرآن عليها، والله أعلم) [1].

الدراسة:

بين الشيخ في هذه المسألة أن كتابة القرآن على الدراهم والدنانير والذهب والفضة مكروه لما فيه من ابتذال القرآن وامتهانه ووقوعه في المواضع التي ينزه القرآن عنها.

وقد قال بكراهية كتابة القرآن على الدراهم والدنانير غير واحد من أهل العلم[2].

---

(1) مجموع الفتاوى (25/ 66 – 67)، المستدرك على الفتاوى (1/ 172).

(2) ينظر: كشاف القناع (2/ 272)، وحاشية ابن عابدين (2/ 246).

المسألة الثالثة: (تقبيل المصحف والقيام له)

قال شيخ الإسلام – رحمه الله -:

(لا نعلم في القيام للمصحف شيئاً مأثوراً عن السلف. وقد سئل أحمد عن تقبيله؟ فقال: ما سمعت فيه شيئاً، ولكن روي عن عكرمة بن أبي جهل: أنه كان يفتح المصحف ويضع وجهه عليه ويقول: =كلام ربي، كلام ربي+.

والسلف وإن لم يكن من عادتهم قيام بعضهم لبعض إلا لمثل القادم من غيبة ونحو ذلك، ولم يكن أحد أحب إليهم من رسول الله ﷺ، ولم يكونوا يقومون له، لما يرون في وجهه من كراهته لذلك.

والأفضل للناس اتباع السلف في كل شيء.

فأما إذا اعتادوا القيام لبعضهم بعضاً، فقد يقال: إن تركوا القيام للمصحف مع تعود القيام لبعضهم: لم يكونوا محسنين، بل هم إلى الذم أقرب، حيث يجب للمصحف من احترامه وتعظيمه ما لا يجب لغيره، وفي ذلك تعظيم حرمات الله وشعائره.

وقد ذكر بعض الفقهاء الكبار: قيام الناس للمصحف. ذكر مقرر له غير منكر.

وأما جعله عند القبر، وإيقاد القناديل هناك، فهو منهي عنه، ولو جعل للقراءة هناك، فكيف إذا لم يقرأ فيه؟ وقد قال ﷺ: =لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها السرج والمساجد+ وترتيب الذم على المجموع يقتضي أن كل واحد له تأثير في الذم، والحرام لا يتولد بالانضمام المباح.

والناس قد تنازعوا في القراءة عند القبر.

وجعل المصحف عند القبر ليقرأ فيه بدعة منكرة لم يفعلها السلف، بل يدخل في معنى اتخاذ المساجد على القبور، ولا نزاع في النهي عن اتخاذها مساجد.

ومعلوم أن المساجد بنيت للصلاة والدعاء والذكر والقراءة) [1].

الدراسة:

---

(1) مختصر الفتاوى المصرية (39 – 310).

هذه المسألة تتضمن مسألتين:

الأولى: تقبيل المصحف.

رأي شيخ الإسلام:

وقد أشار الشيخ إلى أنه لا يعلم فيه شيئاً مأثوراً عن السلف ونقل عن الإمام أحمد قوله إنه لم يسمع فيه شيئاً، ولكن روي عن عكرمة بن أبي جهل – رضي الله عنه – أنه كان يفتح المصحف ويضع وجهه عليه ويقول: كلام ربي، كلام ربي[1].

الأقوال في تقبيل المصحف:

1 – نقل عن الإمام أحمد ثلاث روايات في تقبيل المصحف:

الأولى: جواز ذلك.

الثانية: استحبابه؛ لأن عكرمة بن أبي جهل كان يفعل ذلك.

الثالثة: التوقف.

وقد علل القاضي أبو يعلى [2] توقف الإمام أحمد فقال: =إنما توقف عن ذلك وإن كان فيه رفعة وإكرام؛ لأن ما طريقه القُرَب إذا لم يكن للقياس فيه مدخل لا يستحب فعله، وإن كان فيه تعظيم إلا بتوقيف[3].

2 – وكره المالكية تقبيل المصحف؛ لأنه لم يرد عن النبي ﷺ ولا عن صحابته، إلا ما روي عن عكرمة وليس بكاف في الدلالة على مشروعية ذلك[4].

---

(1) أخرجه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب في تعاهد القرآن (2/ 532) ح (3350).

(2) هو العلامة، شيخ الحنابلة، القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين البغدادي ابن الفراء، صاحب التصانيف المفيدة في المذهب، توفي سنة (458هـ)، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (18/ 89 – 92).

(3) الآداب الشرعية لابن مفلح (2/ 273).

(4) ينظر: منح الخليل (2/ 267).

3 – واستحب الشافعية تقبيل المصحف، وجوزه بعضهم [1]، قال الزركشي:

=ويستحب تقبيل المصحف لأن عكرمة بن أبي جهل كان يقبله، وبالقياس على تقبيل الحجر الأسود، ولأنه هدية من الله لعباده، فيشرع تقبيله كما يستحب تقبيل الولد الصغير+[2].

الترجيح:

الذي يظهر رجحانه في هذه المسألة – والله أعلم – أن تقبيل المصحف ليس بمشروع؛ لعدم ورود الدليل على مشروعية ذلك، ولم يؤثر عن السلف فعله، وما ذُكر من قياس تقبيل المصحف على تقبيل الحجر وغيره، لا يُسلَّم له، إذ العبادات مبناها على التوقيف ولا يجري فيها القياس، كما أن هذا قياس مع الفارق، وما ذُكِر من أن التقبيل يقصد به احترام وإكرام المصحف لا يكفي في الدلالة على المشروعية، ومعلوم أن احترام المصحف وإكرامه يكون بالعمل به وقراءته وتدبره والوقوف عند حدوده، وكم من مُقبلٍ له، وهو من المخالفين لأوامره وأحكامه!

يقول ابن الحاج: =فتعظيم المصحف قراءته والعمل بما فيه لا تقبيله، ولا القيام له كما يفعل بعضهم في هذا الزمان+[3].

المسألة الثانية: القيام للمصحف:

رأي شيخ الإسلام:

بين الشيخ أنه لم يكن مأثوراً عن السلف القيام للمصحف. كما أشار الشيخ إلى أن الناس إذا اعتادوا القيام لبعضهم بعضاً، فقيامهم للمصحف من باب أولى.

---

(1) ينظر: نيل الأوطار (5/ 115).

(2) البرهان في علوم القرآن (2/ 107 – 108).

(3) المدخل لابن الحاج (1/ 263).

الأقوال في هذه المسألة:

القول الأول: القيام للمصحف بدعة، وهو قول للمالكية، يقول العز بن عبدالسلام[1]: =القيام للمصاحف بدعة لم تعهد في الصدر الأول+[2].

القول الثاني: أن القيام للمصحف مستحب، وهو قول للشافعية، يقول النووي: =ويستحب أن يقوم للمصحف إذا قدم به عليه؛ لأن القيام مستحب للفضلاء من العلماء والأخيار، فالمصحف أولى+[3].

وفي البرهان للزركشي: =والصواب ما قاله النووي في =التبيان+ من استحباب ذلك والأمر به لما فيه من التعظيم وعدم التهاون به+[4].

الترجيح:

الذي يظهر أن القيام للمصحف ليس بمشروع وإن كان فيه إكرام للمصحف؛ لعدم ورود الدليل على مشروعيته، ولم يكن عليه عمل السلف. وما ذكره الشيخ – قدس الله روحه – من التعليل بقيام الناس بعضهم لبعض فمن الأولى أن يقوموا للمصحف ليس بكافٍ في المشروعية، إذ عادة الناس في القيام لا يقصد بها التقرب ولا التعظيم، وإنما يراد إكرام من يقومون له، وقيام الناس بعضهم لبعض لم يؤمر به شرعاً، ولا يستحب فعله، فكيف يقاس عليه.

---

(1) هو الشيخ عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام الدمشقي السلمي، كان شيخاً للإسلام عالماً ورعاً زاهداً آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، كان فقيهاً أصولياً، ومن أشهر كتبه: قواعد الأحكام، توفي سنة (660هـ). انظر ترجمته في فوات الوفيات (1/ 682)، وطبقات الفقهاء (1/ 267).

(2) ينظر: البرهان للزركشي (2/ 106)، والمدخل لابن الحاج (1/ 263).

(3) التبيان للنووي (ص 232).

(4) البرهان للزركشي (2/ 107).

المسألة الرابعة: (مسألة فتح المصحف للفأل)

قال شيخ الإسلام – رحمه الله -:

(وأما استفتاح الفأل بالمصحف فلم ينقل عن السلف فيه شيء. وقد تنازع فيه المتأخرون.

وذكر القاضي أبو يعلى: أن ابن بطة فعله. وذكره عن غيره أنه كرهه) [1].

الدراسة:

رأي شيخ الإسلام:

بيَّن الشيخ أن فتح المصحف للفأل لم ينقل عن السلف فيه شيء، وليس هذا من الفأل الذي يحبه رسول الله ﷺ، وأشار إلى النزاع الحاصل في هذه المسألة بين أهل العلم.

الأقوال في هذه المسألة:

القول الأول: منع فتح المصحف للفأل وهو قول للمالكية، فقد نقل عن الإمام مالك أنه لا يجوِّز التفاؤل من المصحف[2]. هو ظاهر مذهب الحنابلة[3].

القول الثاني: كراهية ذلك، وهو ظاهر مذهب الشافعية[4].

القول الثالث: جواز ذلك، وهو منقول عن ابن بطة من الحنابلة، فقد كان يفتح المصحف للفأل[5].

الترجيح:

الذي يظهر – والله أعلم – عدم جواز فتح الفأل من المصحف؛ لعدم ورود الدليل عليه، ولم يؤثر عن السلف فعله، وهذا هو معنى كلام شيخ الإسلام رحمه الله.

---

(1) مجموع الفتاوى (2/ 66 – 67)، المستدرك على الفتاوى (2/ 17)، مختصر الفتاوى المصرية (1/ 266).

(2) ينظر: الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيثمي (ص 231)، والمبدع (1/ 175).

(3) ينظر: الفروع لابن مفلح (1/ 159)، مطالب أولي النهى (1/ 159).

(4) ينظر: قرة العين (13 – 14).

(5) ينظر: كشاف القناع (1/ 137).

المبحث الثالث

تفاضل آي القرآن الكريم وسوره

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: القائلون بتفاضل القرآن الكريم وأدلتهم.
- المطلب الثاني: حقيقة التفاضل بين آي القرآن الكريم وسوره.
- المطلب الثالث: المانعون من التفاضيل ومناقشة أدلتهم.

تمهيـــد:

يطلق التفاضل في اللغة العربية ويراد به التمايز في الفضل بين شيئين فأكثر، فيقال: تفاضل القوم إذا تنافسوا في الفضل، وادعى كل فريق الفضل على الآخر[1].

وتفاضل آي القرآن: هو فضل بعضها على بعض.

ومسألة تفاضل القرآن الكريم مبنية على مسألة تفضيل بعض كلام الله على بعض، وقد وصفها شيخ الإسلام بأنها =مسألة كبيرة+.

وقد كَثُر النزاع فيها واضطرب بين الطوائف والفرق.

وقد صنَّف الشيخ – رحمه الله – مصنَّفاً كبيراً في هذه المسألة حشد فيه الشيخ الأدلة المتضافرة الكثيرة الدالة على وجود التفاضل في كلام الله عامة، وفي القرآن الكريم بالخصوص، وناقش المنكرين وفنَّد حججهم بنَفَسٍ طويل ظهر فيه سِعة علم الشيخ، وهذا المصنَّف كتبه الشيخ جواباً على سؤال عن هذه المسألة واسمه =جواب أهل العلم والإيمان بأن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن+.

وقد أفرد لها الزركشي في البرهان نوعاً سماه =هل في القرآن شيء أفضل من شيء؟+ [2] وتبعه السيوطي وجعل لها نوعاً سماه =أفضل القرآن وفضائله+[3].

وقد ذكر المسألة والخلاف فيها غير واحد من المفسرين عند تفسيره قوله تعالى: ژ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ [4][5]. وهي من المسائل التي يبحثها أهل الاعتقاد عند الحديث عن تفاضل صفات الله – عز وجل – وتفاضل الصفة

---

(1) ينظر: الاشتقاق لابن دريد (ص 64)، وتهذيب اللغة (12/ 39)، ولسان العرب (5/ 3428).

(2) البرهان (2/ 67).

(3) الإتقان (2/ 199).

(4) سورة البقرة، الآية: 106.

(5) ينظر: تفسير الطبري (1/ 382، تفسير القرطبي (1/ 373)، البحر المحيط (1/ 344)، تفسير النسفي (1/ 68)، تفسير البغوي (1/ 104).

الواحدة من صفات الله عز وجل.

ومسألة التفاضل لها تعلق بمسائل النسخ التي تبحث في كتب أصول الفقه[1].

والبحث في هذه المسألة بعد هذا التمهيد ينتظم في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المثبتون لتفاضل آي القرآن الكريم وسوره وأدلتهم.

المطلب الثاني: وجه التفاضل بين آي القرآن الكريم وسوره.

المطلب الثالث: المانعون من التفاضل ومناقشة أدلتهم[2].

(1) ويبحثونها تحديداً في مسألة نسخ القرآن بالسنة. ينظر: الفروع لابن مفلح (1/ 416)، المستصفى للغزالي (1/ 125)، والواضح في أصول الفقه لابن عقيل (1/ 254)، والفصول في الأصول لأبي بكر الجصاص (2/ 349).

(2) قسمت كلام الشيخ وفق هذا الترتيب كي يسهل تصوره للقارئ.

المطلب الأول: القائلون بتفاضل القرآن الكريم وأدلتهم

قال شيخ الإسلام:

فطوائف يقولون بعض كلام الله أفضل من بعض، كما نطقت به النصوص النبوية؛ حيث أخبر عن (الفاتحة) أنه لم ينزل في الكتب الثلاثة مثلها، وأخبر عن سورة (الإخلاص) أنها تعدل ثلث القرآن[1]، وعدلها لثلثه يمنع مساواتها لمقدارها في الحروف، وجعل (آية الكرسي) أعظم آية في القرآن كما ثبت ذلك في الصحيح أيضا وكما ثبت ذلك في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال لأبي بن كعب: (يا أبا المنذر أتدري أي آية في كتاب الله معك أعظم؟) قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله أعظم؟)، قال: فقلت: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) قال: فضرب في صدري وقال: (ليهنك العلم أبا المنذر) [2]. ورواه ابن أبى شيبة في مسنده بإسناد مسلم وزاد فيه (والذي نفسي بيده إن لهذه الآية لساناً وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش)[3] وروي أنها سيدة آي القرآن، وقال في المعوذتين: (لم ير مثلهن قط)[4].

وقد قال تعالى: ژ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ژ فأخبر أنه يأتي بخير منها أو مثلها، وهذا بيان من الله لكون تلك الآية قد يأتي بمثلها تارة أو خير منها أخرى،

---

(1) أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، 4/ 1915، ح(7426)، صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، 1/ 556، ح811.

(2) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، 1/ 556، ح(81).

(3) المسند المستخرج على الصحيحين، باب فضل آية الكرسي، 2/ 406، ح(1836) ومسند أبي عوانة باب ذكر الخبر الموجب قراءة البقرة وآل عمران، 2/ 486، ح(3937).

(4) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل قراءة المعوذتين، 1/ 558، ح(814).

فدل ذلك على أن الآيات تتماثل تارة وتتفاضل أخرى.

وأيضاً فالتوراة والإنجيل والقرآن جميعها كلام الله مع علم المسلمين بأن القرآن أفضل الكتب الثلاثة؛ قال تعالى: ﴿ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﴾، وقال تعالى: ﴿ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﴾، وقال تعالى: ﴿ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﴿؛ فأخبر أنه أحسن الحديث، فدل على أنه أحسن من سائر الأحاديث المنزلة من عند الله وغير المنزلة، وقال تعالى: ﴿ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﴾، وسواء كان المراد بذلك الفاتحة أو القرآن كله، فإنه يدل على أن القرآن العظيم له اختصاص بهذا الوصف على ما ليس كذلك. وقد سمى الله القرآن كله مجيداً وكريماً وعزيزاً، وقد تحدى الخلق بأن يأتوا بمثله أو بمثل عشر سور منه أو بمثل سورة منه؛ فقال:

﴿ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﴾، وقال: ﴿ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﴾، وقال: ﴿ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﴿.

وخصه بأنه لا يقرأ في الصلاة إلا هو، فليس لأحد أن يقرأ غيره مع قراءته ولا بدون قراءته، ولا يصلي بلا قرآن فلا يقوم غيره مقامه مع القدرة عليه، وكذلك لا يقوم غير الفاتحة مقامها من كل وجه باتفاق المسلمين، سواء قيل بأنها فرض تعاد الصلاة بتركها، أو قيل بأنها واجبة يأثم تاركها ولا إعادة عليه، أو قيل إنها سنة، فلم يقل أحد إن قراءة غيرها مساو لقراءتها من كل وجه.

وخص القرآن بأنه لا يمس مصحفه إلا طاهر، كما ثبت ذلك عن الصحابة؛ مثل سعد، وسلمان، و ابن عمر، وجماهير السلف، والخلف؛ الفقهاء الأربعة وغيرهم. ومضت به سنة رسول الله في كتابه الذي كتبه لعمرو بن حزم الذي لا ريب في أنه كتبه له، ودل على ذلك كتاب الله، وكذلك لا يقرأ الجنب القرآن عند

جماهير العلماء؛ الفقهاء الأربعة وغيرهم، كما دلت على ذلك السنة.

وتفضيل أحد الكلامين بأحكام توجب تشريفه يدل على أنه أفضل في نفسه، وإن كان ذلك ترجيحا لأحد المتماثلين بلا مرجح، وهذا خلاف ما علم من سنة الرب تعالى في شرعه، بل وفى خلقه، وخلاف ما تدل عليه الدلائل العقلية مع الشرعية.

وأيضاً فقد قال تعالى: ژ ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ژ، وقال تعالى: ژ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ژ، وقال تعالى: ژ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ژ. فدل على أن فيما أنزل حسن وأحسن، سواء كان الأحسن هو الناسخ الذي يجب الأخذ به دون المنسوخ إذ كان لا ينسخ آية إلا يأتي بخير منها أو مثلها، أو كان غير ذلك.

والقول بأن كلام الله بعضه أفضل من بعض هو القول المأثور عن السلف، وهو الذي عليه أئمة الفقهاء من الطوائف الأربعة وغيرهم، وكلام القائلين بذلك كثير منتشر في كتب كثيرة مثل ما سيأتي ذكره عن أبى العباس بن سريج في تفسيره لهذا الحديث بأن الله أنزل القرآن على ثلاثة أقسام؛ ثلث منه أحكام، وثلث منه وعد ووعيد، وثلث منه الأسماء والصفات. وهذه السورة جمعت الأسماء والصفات..... وفى الجملة فدلالة النصوص النبوية، والآثار السلفية، والأحكام الشرعية، والحجج العقلية على أن كلام الله بعضه أفضل من بعض هو من الدلالات الظاهرة المشهورة[1].

(1) مجموع الفتاوى (17/ 10 - 13، 57).

الدراسة:

بين الشيخ أن القول بأن بعض القرآن أفضل من بعض هو قول الأكثرين من الخلف والسلف.

وقال في موضع آخر: =**القول بأن كلام الله بعضه أفضل من بعض هو القول المأثور عن السلف، وهو الذي عليه أئمة الفقهاء من الطوائف الأربعة وغيرهم+**[1].

وممن صرح بتفاضل القرآن الكريم من العلماء المتقدمين إسحاق بن راهويه[2]، قال: =إن الله جعل لكلامه فضلاً على سائر الكلام، ثم فضل بعض كلامه على بعض، فجعل لبعضه ثواباً أضعاف ما جعل لغيره من كلامه+[3].

وصرح به أبو عبدالله الحليمي[4]، والقاضي أبو يعلى [5]، وأبو المظفر السمعاني [6]،

---

(1) مجموع الفتاوى (17/ 21).

(2) هو أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي الإمام الحافظ الكبير، أحد أئمة الإسلام، قال عنه الإمام أحمد: =إسحاق عندنا من أئمة المسلمين، وما عبر الجسر أفقه من إسحاق+ توفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين.

ينظر: تاريخ بغداد (6/ 345)، وتذكره الحفاظ (2/ 433).

(3) التمهيد (19/ 232).

(4) ينظر: المنهاج في شعب الإيمان (2/ 244)، والحليمي هو أبو عبدالله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم الجرجاني الشافعي، روى عنه الحاكم والبيهقي، قال الذهبي: =له مصنفات نفيسة+ توفي سنة ثلاث وأربعمائة.

ينظر: وفيات الأعيان (2/ 137)، وسير أعلام النبلاء (17/ 231).

(5) ينظر: العدة في أصول الفقه (3/ 791 – 792).

(6) ينظر: قواطع الأدلة (3/ 170)، وأبو المظفر السمعاني هو: منصور بن محمد بن عبدالجبار السمعاني التميمي الشافعي، صنف في التفسير والحديث والفقه، من كتبه: منهاج أهل السنة، والانتصار، توفي سنة تسع وثمانين وأربعمائة.

ينظر: سير أعلام النبلاء (19/ 114)، وطبقات الشافعية للسبكي (5/ 335).

وأبو إسحاق الشيرازي[1]، وأبو حامد الغزالي[2]، وأبو الوفاء بن عقيل الحنبلي [3]، وأبو بكر ابن العربي[4]، ورجحه القرطبي في تفسيره[5]، والنووي [6]، والزركشي [7]، والسيوطي[8].

ورجح شيخ الإسلام هذا القول ونَصَره واستدلَّ له بأدلة كثيرة منها:

1 – أن الأحاديث النبوية قد نطقت بأن بعض كلام الله أفضل من بعض؛ حيث أخبر عن (الفاتحة) أنه لم ينزل في الكتب الثلاثة مثلها؛ فنفى أن يكون لها مثل، فكيف يقال: إنه متماثل.

وجعل آية الكرسي أعظم آية في القرآن كما ثبت ذلك في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال لأبيّ بن كعب: **(يا أبا المنذر، أتدري أي آية في كتاب الله معك أعظم؟)** قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **(يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله أعظم؟)** قال: قلت: قال: ژ ڈ ڈ ژ فضرب في صدري وقال: **(ليهنك العلم أبا المنذر)** [9].

فقد بيَّن أن هذه الآية أعظم آية في القرآن، وهذا بيِّن أن بعض الآيات أعظم من بعض.

---

(1) ينظر: شرح اللمع في أصول الفقه (2/ 220)، والشيرازي هو:

(2) ينظر: جواهر القرآن ودرره (ص 44).

(3) ينظر: الواضح في أصول الفقه (4/ 261).

(4) ينظر: القبس في شرح موطأ مالك بن أنس (1/ 230).

(5) ينظر: الجامع لأحكام القرطبي (1/ 95).

(6) ينظر: شرح مسلم للنووي (6/ 94).

(7) البرهان (2/ 69).

(8) ينظر: الإتقان (2/ 199).

(9) سبق تخريجه (ص 128).

وقال في المعوذتين: (لم ير مثلهن قط)[1]، وهذا يفيد تفضيلها على غيرها.

2 – ما جاء في القرآن الكريم من الإخبار بأن القرآن بعضه خير من بعض، وبعضه أحسن من بعض.

قال تعالى: ژ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ژ[2].

فهذا بيان من الله لكون تلك الآية قد يأتي بمثلها تارة أو خير منها أخرى، فدلَّ ذلك على أن الآيات تتماثل تارة وتتفاضل أخرى.

وقال تعالى: ژ ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ژ[3].

وقال تعالى: ژ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ژ[4].

وقال تعالى: ژ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ژ[5].

فدل ذلك على أن فيما أنزل حسن وأحسن، سواء كان الأحسن هو الناسخ الذي يجب الأخذ به دون المنسوخ، إذا كان لا ينسخ آية إلا إذا أتى بخير منها أو مثلها، أو كان غير ذلك.

3 – التوراة والإنجيل والقرآن جميعها كلام الله مع علم المسلمين بأن القرآن أفضل الكتب الثلاثة، قال تعالى: ژ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ژ[6]. والمهيمن على الشيء أعلى منه مرتبة، وخصَّ الله القرآن الكريم بخصائص وأحكام، وتفضيل أحد الكلامين بأحكام توجب تشريفه يدل على أنه أفضل في نفسه، وهذا دليل على

(1) سبق تخريجه (ص 128).

(2) سورة البقرة، الآية: 106.

(3) سورة الزمر، الآية: 55.

(4) سورة الزمر، الآيتان: 17، 18.

(5) سورة الزمر، الآيتان: 17، 18.

(6) سورة المائدة، الآية: 48.

تفاضل كلام الله عز وجل[1].

4 – جاء في الشرع تخصيص بعض الآيات والسور بالقراءة في مواضع ومناسبات دون غيرها، كسورة الفاتحة، وسورة الإخلاص، وآية الكرسي، وهذا التخصيص يدل على فضلها على غيرها، وقد ذكروا أوجهاً لتفضيل سورة الفاتحة على غيرها من السور، ومن هذه الأوجه:

– أن سورة الفاتحة تصلح عوضاً عن جميع السور ولا تصلح جميع السور عوضاً عنها.

– وتشتمل على ما لا تشتمل سورة ما على قدرها من الآيات، وذلك من الثناء والتحميد للرب والاستعانة، والاستعاذة، والدعاء من العبد، فصارت هذه الصورة أشرف السور.

– أن قراءة سورة الفاتحة ركن من أركان الصلاة لا تصح الصلاة إلا بقراءتها على أصح القولين، وهذا يدل على شرفها وفضلها.

– أن الله قابلها بجميع القرآن فقال: ﴿ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۆ ﴾[2]، وهذه حقيقة لا يدانيها غيرها فيها.

– ولأنها تسمى أمّ القرآن، وأمّ الشيء أصله ومادته.

– ولأنه لم ينزل مثلها في التوراة والإنجيل ولا في الزبور ولا في شيء من الكتب.

فهذه أوجه تدل على فضل وشرف سورة الفاتحة على غيرها[3].

---

(1) ينظر: مجموع الفتاوى (17/ 12، 43 – 45).

(2) سورة الحجر، الآية: 87.

(3) ينظر: مجموع الفتاوى (17 – 13 – 17).

المطلب الثاني: حقيقة التفاضل بين آي القرآن الكريم وسوره

قال شيخ الإسلام:

القرآن وإن كان كله كلام الله، وكذلك التوراة والإنجيل، والأحاديث الإلهية التي يحكيها الرسول عن الله تبارك وتعالى، كقوله: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا)[1] (الحديث)، وكقوله: (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي)[2]، وأمثال ذلك هي وإن اشتركت في كونها كلام الله فمعلوم أن الكلام له نسبتان نسبة إلى المتكلم به، ونسبة إلى المتكلم فيه، فهو يتفاضل باعتبار النسبتين، وباعتبار نفسه – أيضاً – مثل الكلام الخبري له نسبتان؛ نسبة إلى المتكلم المخبر، ونسبة إلى المخبَر عنه المتكلم فيه، فقل هو الله أحد، وتبت يدا أبي لهب، كلاهما كلام الله، وهما مشتركان من هذه الجهة، لكنهما متفاضلان من جهة المتكلم فيه المخبر عنه؛ فهذه كلام الله وخبره الذي يخبر به عن نفسه وصفته التي يصف بها نفسه و كلامه الذي يتكلم به عن نفسه، وهذه كلام الله الذي يتكلم به عن بعض خلقه ويخبر به عنه ويصف به حاله، وهما في هذه الجهة متفاضلان بحسب تفاضل المعنى المقصود بالكلامين.

ألا ترى أن المخلوق يتكلم بكلام هو كله كلامه، لكن كلامه الذي يذكر به ربه أعظم من كلامه الذي يذكر به بعض المخلوقات، والجميع كلامه فاشتراك الكلامين بالنسبة إلى المتكلم لا يمنع تفاضلهما بالنسبة إلى المتكلم فيه، سواء كانت النسبتان أو

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، 4/ 1994، ح(2577).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: [ويحذركم الله تفسه]، 6/ 2694، ح(6970)، وصحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله تعالى، 4/ 2061، ح(2675).

إحداهما توجب التفضيل أو لا توجبه، فكلام الأنبياء ثم العلماء والخطباء والشعراء بعضه أفضل من بعض، وإن كان المتكلم واحداً، وكذلك كلام الملائكة والجن، وسواء أريد بالكلام المعاني فقط، أو الألفاظ فقط، أو كلاهما، أو كل منهما، فلا ريب في تفاضل الألفاظ والمعاني من المتكلم الواحد، فدل ذلك على أن مجرد اتفاق الكلامين في أن المتكلم بهما واحد لا يوجب تماثلهما من سائر الجهات.

فتفاضل الكلام من جهة المتكلَم فيه سواء كان خبرا أو إنشاء أمر معلوم بالفطرة والشرعة، فليس الخبر المتضمن للحمد لله والثناء عليه بأسمائه الحسنى كالخبر المتضمن لذكر أبي لهب وفرعون وإبليس، وإن كان هذا كلاما عظيما معظما تكلم الله به، وكذلك ليس الأمر بالتوحيد والإيمان بالله ورسوله وغير ذلك من أصول الدين الذي أمرت به الشرائع كلها وغير ذلك مما يتضمن الأمر بالمأمورات العظيمة والنهي عن الشرك وقتل النفس والزنا ونحو ذلك مما حرمته الشرائع كلها وما يحصل معه فساد عظيم كالأمر بلعق الأصابع وإماطة الأذى عن اللقمة الساقطة والنهي عن القران في التمر ولو كان الأمران واجبين، فليس الأمر بالإيمان بالله ورسوله كالأمر بأخذ الزينة عند كل مسجد، والأمر بالإنفاق على الحامل وإيتائها أجرها إذا أرضعت.

ففي الجملة من المستقر في فطر العقلاء أن كلا من الخبر والأمر يلحقهما التفاضل من جهة المخبر عنه والمأمور به، فإذا كان المخبَر به أكمل وأفضل كان الخبر به أفضل، وإذا كان المأمور به أفضل كان الأمر به أفضل، ولهذا كان الخبر بما فيه نجاة النفوس من العذاب وحصول السعادة الأبدية أفضل من الخبر بما فيه نيل منزلة أو حصول دراهم..... فهذا نوع من تفاضل الكلام من جهة المتكلَّم فيه، وإن كان المتكلِّم به واحداً.

وهو أيضاً متفاضل من جهة المتكلم به، وإن كان المتكلَّم فيه واحدا، كما قال

تعالى: ژ ئى ئى ئد ى ى ي ي ج ح خ م ى ي ج ح خ م ى ي ج ح خ م ى

عظيماً معظَّماً تكلم الله به، وكذلك ليس الأمر بالتوحيد والإيمان بالله ورسوله وغير ذلك من أصول الدين الذي أمرت به الشرائع كلها كالأمر بكتابة الدَّيْن وبأخذ الزينة عند كل مسجد والأمر بالإنفاق على الحامل وإيتائها أجرها إذا أرضعت.

النسبة الثانية: هي نسبة المتكلم به، فالكلام يتفاضل بالنسبة إلى المتكلِّم به، وإن كان المتكلم فيه واحداً؛ كما قال تعالى: ﴿ ئى ئى ئد ى ى ي ي ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج ﴾ [1]. ومعلوم أن تكلُّمه من وراء حجاب أفضل من تكلمه بالإيحاء، وبإرسال رسول.

ولهذا كان من فضائل موسى عليه السلام أن الله كلمه تكليماً، وقال: ﴿ پ پ پ پ ﴾ [2]. وقال: ﴿ پ پ پ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ﴾ [3].

فهاتان النسبتان هما اللتان يتفاضل الكلام ويتماثل باعتبارهما وهو الذي يعتقده أهل السنة والجماعة.

* * *

(1) سورة الشورى، الآية: 51.

(2) سورة الأعراف، الآية: 144.

(3) سورة البقرة، الآية: 253.

المطلب الثالث
المانعون من التفاضل ومناقشة أدلتهم

القول الثاني: أن كلام الله لا يفضل بعضه على بعض سوره وآياته في الفضل والشرف سواء لا مزية لبعضها على بعض.

قال شيخ الإسلام:

والطائفة الثانية تقول: إن كلام الله لا يفضل بعضه على بعض.

و لهم مأخذان :

أحدهما: أنه إذا قيل بعضه أفضل من بعض كان المفضول ناقصا عن الفاضل، وصفات الله كاملة لا نقص فيها، والقرآن من صفاته، قال هؤلاء: صفات الله كلها متوافرة في الكمال متناهية إلى غاية التمام لا يلحق شيئا منها نقص بحال.....

والثاني: أنه واحد، والواحد لا يتصور فيه تفاضل ولا تماثل، ولا يتفاضل في نفسه؛ لأنه كله كلام الله، وكلام الله صفة له. قالوا: وصفة الله لا تتفاضل، لا سيما مع القول بأنه قديم؛ فإن القديم لا يتفاضل.... ثم لهؤلاء في تأويل النصوص الواردة في التفضيل قولان؛ أحدهما: أنه إنما يقع التفاضل في متعلقه، مثل كون بعضه أنفع للناس من بعض؛ لكون الثواب عليه أكثر، أو العمل به أخف مع التماثل في الأجر، وتأولوا قوله: ﴿ ﴾؛ أي نأت بخير منها لكم، لا أنها في نفسها خير من تلك. وهذا قول طائفة من المفسرين كمحمد بن جرير الطبري قال: نأت بحكم خير لكم من حكم الآية المنسوخة؛ إما في العاجل لخفته عليكم، وإما في الآخرة لعظم ثوابه من أجل مشقة حمله، قال: والمراد ما ننسخ من حكم آية، كقوله: ﴿ ﴾؛ أي حبه، قال: ودل على أن ذلك كذلك قوله: ﴿ ﴾، وغير جائز أن يكون من القرآن شيء خيرا من شيء لأن جميعه كلام الله ولا يجوز في

صفات الله تعالى أن يقال بعضها أفضل من بعض أو بعضها خير من بعض وطرد ذلك في أسماء الله فمنع أن يكون بعض أسمائه أعظم أو أفضل أو أكبر من بعض، وقال: معنى الاسم الأعظم العظيم، وكلها سواء في العظمة، وإنما يتفاضل حال الناس حين الدعاء؛ فيكون الأعظم بحسب حال الدعاء، لا أنه في نفسه أعظم.

وهذا القول الذي قاله في أسماء الله نظير القول الثاني في تفضيل بعض كلام الله على بعض، فإن القول الثاني لمن منع تفضيله أن المراد بكون هذا أفضل أو خيرا كونه فاضلا في نفسه، لا أنه أفضل من غيره، وهذا القول يحكى عن أبى الحسن الأشعري ومن وافقه. قالوا: إن معنى ذلك أنه عظيم فاضل، وقالوا: مقتضى الأفضل تقصير المفضول عنه، وكلام الله لا يتبعض، وهذا يقولونه في الكلام لأنه واحد بالعين عندهم، يمتنع فيه تماثل أو تفاضل، وأما في الصفات بعضها على بعض فلامتناع التغاير[1].

الدراسة:

ممن صرح بمنع التفاضل في القرآن الإمام المفسر ابن جرير الطبري – رحمه الله – حيث قال: =وغير جائز أن يكون من القرآن شيء خيراً من شيء+[2].

وينسب هذا القول إلى أبي الحسن الأشعري، وأبي بكر الباقلاني من الأشاعرة.

وقد صنَّف أبو عبدالله بن الدراج مصنفاً في منع التفاضل، وحكى فيه إجماع أهل السنة على منع تفضيل بعض القرآن على بعض، وقد رد شيخ الإسلام عليه فيما حكاه من إجماع[3].

---

(1) مجموع الفتاوى (17/ 68 – 69، 162 – 163.

(2) جامع البيان (1/ 480)، وصرح بمنع التفاضل البغوي في معالم التنزيل (1/ 135).

(3) ينظر: مجموع الفتاوى (17/ 73).

والمانعون من التفاضل وإن اتفقوا في المنع إلا أنهم مختلفون فيما يعتقدونه في كلام الله، لذا ففي القائلين بمنع التفاضل غير واحد من أهل السنة والجماعة، وقد صرح الشيخ أن القول بمنع التفاضل لم يُعرف قط عن أحد من السلف[1].

نشأة هذا القول:

ذكر الشيخ أن القول بإنكار التفاضل اشتهر بعد المائتين لما أظهرت الجهمية القول بأن القرآن مخلوق، واتفق أئمة السنة وجماهير الأمة على إنكار ذلك وردّه عليهم، وظنَّت طائفة كثيرة مثل الكلابية ومن سَلَك مسلكهم أن القول بتفاضل كلام الله بعضه على بعض لا يمكن إلا على قول الجهيمة ونحوهم الذين يقولون إن القرآن مخلوق، فإن القائلين بأنه مخلوق يرون فضل بعضه على بعض، فضل مخلوق على مخلوق، فظن أولئك أن القول بتفضيل بعض كلام الله على بعض مستلزم لكون القرآن مخلوقاً، ففروا من ذلك وأنكروا القول به؛ لأجل ما ظنوه من التلازم، وليس الأمر كما ظنّوه، بل سلف الأمة وجمهورها يقولون: إن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وكذلك سائر كلام الله غير مخلوق، ويقولون مع ذلك: إن كلامه بعضه أفضل من بعض كما نطق بذلك الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين من غير خلاف يُعرف في ذلك عنهم[2].

وذكر الشيخ أن جملة ما استدل به المانعون من التفاضل تعليلان:

الأول: أن القرآن كله كلام الله، ولا يجوز في صفات الله تعالى أن يقال بعضها أفضل من بعض، إذ التفضيل يلزم منه أن يكون المفضول ناقصاً[3].

لذا يقول ابن جرير بعد أن منع التفاضل في القرآن: =لأن جميعه كلام الله،

---

(1) مجموع الفتاوى (17/ 46).

(2) ينظر: مجموع الفتاوى (17/ 53 – 54).

(3) انظر المصدر السابق (17/ 69).

ولا يجوز في صفات الله – تعالى ذكره – أن يقال بعضها أفضل، وبعضها خير من بعض+[1].

ويقول الحافظ ابن عبدالبر – رحمه الله –:

=ولسنا نقول في ذاتها أفضل من غيرها – يعني ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ژ – لأن القرآن عندنا كلام الله، وصفة من صفاته، ولا يدخل التفاضل في صفاته؛ لدخول النقص في المفضول منها+[2].

الثاني: أن القرآن كلام الله تعالى، وكلامه واحد قائم بالنفس لا يتعدد ولا يتبعَّض ولا يتفاضل، فهو معنى واحد قائم بالنفس. وذكر الشيخ أن هذا يُنسب لأبي الحسن الأشعري[3] ومن وافقه كأبي بكر الباقلاني، وهو قول جمهور الأشاعرة.

يقول أبو بكر الباقلاني: =والقديم لا يجوز أن يفضل بعضه على بعض، ولا يوصف بالإبعاض، وإنما الذي يبعض تلاوة القديم، لا نفس الكلام+[4].

وقد ذكر الشيخ أن للمانعين من التفاضل في تأويل النصوص الواردة في التفضيل قولان:

الأول: أن التفاضل إنما يقع في متعلقه، مثل كون بعضه أنفع للناس من بعض لكون الثواب عليه أكثر أوالعمل به أخف مع التماثل في الأجر، وتأولوا قوله تعالى: ژ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ژ أي نأتِ بخير منها لكم، لا أنها في نفسها خير من تلك[5].

وهذا قول طائفة من المفسرين كابن جرير، والبغوي والخازن [6].

---

(1) جامع البيان (1/ 480).

(2) الاستذكار (8/ 117).

(3) ينظر: مجموع الفتاوى (17/ 69).

(4) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به (ص 153).

(5) مجموع الفتاوى (17/ 68).

(6) ينظر: جامع البيان (1/ 480)، ومعالم التنزيل (1/ 135)، ولباب التنزيل للخازن (1/ 94).

الثاني: أن المراد بكون هذا أفضل أو خيراً كونه فاضلاً في نفسه، لا أنه أفضل من غيره، قالوا: وما ورد من ذلك بقوله: =أفضل + و=أعظم + لبعض الآي والسور فمعناه عظيم وفاضل؛ لا أنه أعظم وأفضل من غيره؛ لأن مقتضى الأفضل تقصير المفضول عنه، وكلام الله لا يتبعَّض[1].

وهذا التأويل ينسب لأبي الحسن الأشعري ومَن وافقه.

الجواب على ما استدلوا به:

أولاً: الجواب على ما استدل بعضهم به – من أنه لا يجوز في صفات الله – ومنها كلامه عز وجل – أن يقال بعضها أفضل من بعض، إذ التفضيل يلزم منه أن يكون المفضول معيباً منقوصاً.

قال شيخ الإسلام :

والنصوص والآثار في تفضيل كلام الله - بل وتفضيل بعض صفاته على بعض - متعددة، وقول القائل: =صفات الله كلها فاضلة في غاية التمام والكمال ليس فيها نقص+ كلام صحيح، لكن توهمه أنه إذا كان بعضها أفضل من بعض كان المفضول معيبا منقوصا خطأ منه، فإن النصوص تدل على أن بعض أسمائه أفضل من بعض، ولهذا يقال دعا الله باسمه الأعظم، وتدل على أن بعض صفاته أفضل من بعض، وبعض أفعاله أفضل من بعض، ففي الآثار ذكر اسمه العظيم، واسمه الأعظم، واسمه الكبير، والأكبر، كما في السنن ورواه أحمد وابن حبان في صحيحه عن ابن بريدة عن أبيه قال: دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فإذا رجل يصلي يدعو اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذ ي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. فقال النب ي ﷺ: (والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به

(1) ينظر: مجموع الفتاوى (17/ 51، 69).

أجاب)[1].

وعن أنس قال كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحلقة ورجل قائم يصلي فلما ركع وسجد تشهد ودعا فقال: في دعائه اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم فقال النبي ﷺ: (والذي نفسي بيده لقد دعا باسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى)[2] وقد ثبت في الصحيح عن أبى هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله كتب في كتاب فهو موضوع عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي)، وفي رواية: (سبقت رحمتي غضبي)[3]. فوصف رحمته بأنها تغلب وتسبق غضبه، وهذا يدل على فضل رحمته على غضبه من جهة سبقها وغلبتها، وقد ثبت في صحيح مسلم عن عائشة عن النبي ﷺ أنه كان يقول في سجوده: (اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك) [4] وروى الترمذي أنه كان يقول ذلك في وتره لكن هذا فيه نظر.

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الدعوات، باب ما جاء في جامع الدعوات عن النبي صلى الله عليه وسلم5/ 515، ح(3475)، وابن ماجه في سننه: كتاب الدعاء، باب باسم الله الأعظم، 2/ 1267، ح(3857)، والحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء والتكبير التهليل والتسبيح، 1/ 684، ح/ 1895، وقال في التلخيص: على شرط مسلم 1 / 505، ووصححه الألباني، ينظر: صحيح سنن أبي داود: 1/ 279، ح (1324).

(2) أخرجه ابن حبان في صحيحه: كتاب الرقائق، باب ذكر البيان بأن دعاء المرء بما وصفنا إنما هو دعاؤه باسم الأعظم: 3/ 174، ح (892).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: [بل هو قرآن مجيد]، 6/ 2745، ح/ 7114، ومسلم في صحيحه: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، 4/ 2107، ح/ 2750.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، 1/ 352، ح(486).

وقد ثبت في الصحيح والسنن والمساند من غير وجه الاستعاذة بكلماته التامات كقوله: (أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون)[1] وفى صحيح مسلم عن خولة أنه قال ﷺ: (من نزل منزلاً فقال أعوذ بكلمات الله التامة. لم يضره شيء حتى يرتحل منه)[2] وفى الصحيح أنه قال لعثمان ابن أبى العاص: (قل أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر)[3] ومعلوم أن المستعاذ به أفضل من المستعاذ منه، فقد استعاذ برضاه من سخطه، وبمعافاته من عقوبته[4].

(1) أخرجه مالك في الموطأ: كتاب الشعر، باب ما يؤمر به من التعوذ، 2/ 950، ح(1704)،وأحمد في المسند، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، 2/ 181، ح(6696)، وأبو داود في سننه: كتاب الطب، باب كيف الرقى، 4/ 12، ح/ 3893، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود:.....

(2) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، 4/ 2080، ح(2708).

(3) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب السلام، باب استحباب وضعه يده على موضع الألم مع الدعاء، 4/ 1728، ح (2202).

(4) مجموع الفتاوى (17/ 89 – 91).

الدراسة:

أجاب الشيخ على القائلين إنه إذا كان بعض الصفات أفضل من بعض كان المفضول معيباً منقوصاً أن هذا توهم وخطأ، وأن التفضيل بين الصفتين أو الآيتين فرع كون كل منهما به كمال ما، لكن أحدهما أفضل وأكمل من الآخر[1].

وإلى هذا المعنى أشار النحاة في باب =أفعل التفضيل+ وهو كون المفضول مشاركاً للمفضَّل فيما ثبت فيه التفضيل لكن في المفضل قدر زائد[2].

ويقول أبو العباس القرطبي رادّاً على من قال بنقص المفضول: =إن أُريد بالنقص اللازم من التفضيل إلحاق ما يعيب المفضول، فهذا ليس بلازم مطلقاً، وإن أريد بالنقص أن المفضول ليس فيه ما في الأفضل من ذلك القدر الذي زاد فهو الحق، ولولا ذلك لما تحققت المفاضلة، ثم لا يجوز إطلاق النقص ولا الأنقص على شيء من كلام الله تعالى+[3].

وبين الشيخ – رحمه الله – أن النصوص والآثار في تفضيل كلام الله، بل وتفضيل بعض صفاته على بعض متعددة، وساق جملة من هذه النصوص.

---

(1) ينظر: مجموع الفتاوى (17/ 146).

(2) ينظر: شرح التسهيل لابن مالك (3/ 54).

(3) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (2/ 436).

ثانياً: الجواب على ما استدل به بعضهم من أن القرآن كلام الله، وكلامه معنى واحد قائم بالنفس لا يتعدد ولا يتبعَّض ولا يتفاضل.

قال شيخ الإسلام:

وجمهور العقلاء يقولون: فساد هذا معلوم بالاضطرار، فإنا نعلم أن معاني ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﮊ ليست هي معاني ﮋ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﮊ ولامعاني آية الدين معاني آية الكرسي، ولا معاني الخبر عن صفات الله هي معاني الخبر عن مخلوقات الله، بل لا يميز بين خبر الله عن نفسه وعن قوم نوح وعاد، إذ كان المعنى الواحد لا تعدد فيه فضلا عن أن يمتاز بعضه عن بعض....

فمن قال إن صفات الرب لا تتعدد، فهو يقول العلم هو القدرة، والقدرة هي الإرادة، والسمع والبصر هو العلم، وقد يقول بعضهم: أيضا العلم هو الكلام، ويقول آخرون: العلم والقدرة هو الإرادة، ثم قد يقولون: إن الصفة هي الموصوف؛ فالعلم هو العالم، والقدرة هي القادر، وهذه الأقوال صرح بها نفاة الصفات من الفلاسفة والجهمية ونحوهم، كما حكيت ألفاظهم في غير هذا الموضع. ومعلوم أن في هذه الأقوال من مخالفة المعقول الصريح والمنقول الصحيح بل مخالفة المعلوم بالاضطرار للعقلاء والمعلوم بالاضطرار من دين الإسلام ودين الرسل ما يبين أنها في غاية الفساد شرعاً وعقلاً .....

ثم لما اعتقد هؤلاء أن التفاضل في صفات الله ممتنع ظنوا أن القول بتفضيل بعض كلامه على بعض لا يمكن إلا على قول الجهمية من المعتزلة وغيرهم القائلين بأنه مخلوق، فإنه إذا قيل إنه مخلوق أمكن القول بتفضيل بعض المخلوقات على بعض، فيجوز أن يكون بعضه أفضل من بعض، قالوا: وأما على قول أهل السنة والجماعة الذين أجمعوا على أن القرآن كلام الله غير مخلوق فيمتنع أن يقع التفاضل في صفات الله القائمة بذاته....

وقول من قال صفات الله لا تتفاضل ونحو ذلك قول لا دليل عليه بل هو مورد النزاع.....

وصفة الموصوف من العلم والإرادة والقدرة والكلام والرضا والغضب وغير ذلك من الصفات تتفاضل من وجهين؛ أحدهما: أن بعض الصفات أفضل من بعض، وأدخل في كل الموصوف بها، فإنا نعلم أن اتصاف العبد بالعلم والقدرة والرحمة أفضل من اتصافه بضد ذلك، لكن الله تعالى لا يوصف بضد ذلك، ولا يوصف إلا بصفات الكمال، وله الأسماء الحسنى يدعى بها، فلا يدعى إلا بأسمائه الحسنى، وأسماؤه متضمنة لصفاته، وبعض أسمائه أفضل من بعض و أدخل في كمال الموصوف بها، ولهذا في الدعاء المأثور (أسألك باسمك العظيم الأعظم الكبير الأكبر) و (لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى)، وأمثال ذلك، فتفاضل الأسماء والصفات من الأمور البينات. والثانى: أن الصفة الواحدة قد تتفاضل، فالأمر بمأمور يكون أكمل من الأمر بمأمور آخر، والرضا عن النبيين أعظم من الرضا عمن دونهم، والرحمة لهم أكمل من الرحمة لغيرهم، وتكليم الله لبعض عباده أكمل من تكليمه لبعض، وكذلك سائر هذا الباب، وكما أن أسماءه وصفاته متنوعة فهي أيضا متفاضلة، كما دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع مع العقل، وإنما شبهة من منع تفاضلها من جنس شبهة من منع تعددها، وذلك يرجع إلى نفي الصفات كما يقوله الجهمية لما ادعوه من التركيب، وقد بينا فساد هذا مبسوطا في موضعه[1].

(1) مجموع الفتاوى (71 – 83، 168، 211 – 212).

الدراسة:

قد أجاب الشيخ على هذا التعليل الذي هو في حقيقته شبهة وقعت في قلوب هؤلاء، فهم فروا من موافقة الجهمية والمعتزلة القائلين بخلق القرآن إلى الوقوع في هذه البدعة، فقالوا: كلام الله واحد بالعين لا يتبعَّض ولا يتعدَّد ولا يتماثل ولا يتفاضل، وهو معنى قائم بالنفس.

=وفساد هذا معلوم بالاضطرار فإنا نعلم أن معاني ﴿ ﷺ ﷻ ﴾ ليست هي معاني ﴿ ﷼ ﷽ ﴾، ولا معاني آية الدَّين هي معاني آية الكرسي، ولا معاني الخبر عن صفات الله هي معاني الخبر عن مخلوقاته+[1].

وقد قرر الشيخ أن القول بأن معاني كتاب الله شيء واحد لا يتعدد ولا يتبعَّض ولا يتفاضل يلزم منه لوازم فاسدة.

فيلزم منه أن معنى آية الكرسي، وآية الدين، والفاتحة، وقل هو الله أحد، وتبَّت، ومعنى التوارة والإنجيل، وكل حديث إلهي، وكل ما يكلم به الرب عباده يوم القيامة، وكل ما يكلم به الملائكة والأنبياء إنما هي معنى واحد [2].

و قرر الشيخ أن الصفات تتفاضل من وجهين:

أحدهما: أن بعض الصفات أفضل من بعض، وأدْخَل في كمال الموصوف بها، فصفة الرحمة أفضل من صفة الغضب، فتفاضل الأسماء والصفات من الأمور البينات.

والثاني: أن الصفة الواحدة قد تتفاضل، فتكليم الله لبعض عباده أكمل من تكليمه لبعض، والرضا عن النبيين أعظم من الرضا عن غيرهم، والرحمة لهم أكمل من الرحمة لغيرهم.

---

(1) ينظر: مجموع الفتاوى (17/ 71).

(2) ينظر: مجموع الفتاوى (17/ 70).

ثالثاً: الجواب عن تأويلهم للنصوص الواردة في التفضيل:

أ) الجواب عن قولهم أن الخيرية المذكورة في قوله تعالى: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الدراسة:

1 – ذهب بعض من منع التفضيل إلى تأويل ما ورد في النصوص من التفضيل كقوله تعالى: ژ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ژ [1] قالوا: إن الخيرية المذكورة في الآية الكريمة لا ترجع إلى الآية ذاتها، وإنما إلى متعلقها وهو المكلف والعامل، فمعنى ژ ڀ ڀ ڀ ژ أي نأت بخير منها لكم لا أنها خير من تلك من جهة كونها أخف عملاً أو أشق وأكثر ثواباً.

وجواب الشيخ على هذا التأويل:

1 – أن تأويل الخيرية بالأخف والأيسر أو بالمشقة مع كثرة الثواب أمر يشترك فيه كل ما أمر الله به ابتداء ونسخاً، فإنه إما أن يكون أيسر من غيره في الدنيا وإما أن يكون أشق فيكون ثوابه أكثر، فإذا كانت هذه الصفة لازمة لجميع الأحكام لم يحسن أن يقال ما ننسخ من حكم نأت بخير منه أو مثله، فإن المنسوخ أيضاً يكون خيراً ومثلاً بهذا الاعتبار، فإنهم إن فسروا الخير بكونه أسهل فقد يكون المنسوخ أسهل فيكون خيراً، وإن فسَّروه بكونه أعظم أجراً لمشقته فقد يكون المنسوخ كذلك، والله قد أخبر أنه لا بد من أن يأتي بخير مما ينسخه أو مثله، فلا يأتي بما هو دونه، وأيضاً فعلى ما قالوه لا يكون شيء خيراً من شيء، بل إن كان خيراً من جهة السهولة فذلك خير من جهة كثرة الأجر[2].

2 – أن تفسير الخيرية بكثرة الأجر والثواب دال على أنه خير وأفضل في نفسه، وما كان خيراً في نفسه فهو خير وأفضل من غيره، إذ يمتنع التفضيل بالثواب والأجر مع التساوي بين المفضل والمفضل عليه، فإن هذا ممتنع عقلاً وشرعاً، فهذا بمنزلة من جعل عملين متساويين وثواب أحدهما أضعاف ثواب الآخر[3].

---

(1) سورة البقرة، الآية: 106.

(2) مجموع الفتاوى (17/ 48).

(3) ينظر: المصدر السابق (17/ 169، 210).

وثمة أجوبة أخرى – على هذا التأويل – نقلها الشيخ عن ابن عقيل وغيره:

1 – أن قولهم: أن الخير يرجع إلى ما يخصنا من سهولة أو ثواب لا يصح؛ لأنه لو أراد ذلك لقال: =لكم+ فلما حذف ذلك دلَّ على ما تقتضيه الأخلاق وهو كون الناسخ خيراً من جهة نفسه وذاته ومن جهة الانتفاع به في العاجل والآجل[1].

2 – أن قصرية =الخيرية+ على ما ينفع المكلف صرف للآية عن ظاهرها بدون صارف، وتحكم لا دليل عليه، فإن الله قال: ژ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ژ، وهذا يقتضي الخيرية المطلقة من كل وجه[2].

ب) الجواب عن تأويلهم ما ورد في النصوص من صيغ التفضيل مثل: =أحسن + و=أعظم+ و=أفضل+ بأنها ليست على ظاهرها، فلا يراد بها حقيقة التفضيل، وإنما المراد والمعنى حسن، وعظيم وفاضل.

قال شيخ الإسلام:

ثم إن هؤلاء تأولوا نصوص الكتاب والسنة بتأويلات باطلة، منهم من قال: المراد بكونه أعظم وأفضل وخيراً كونه عظيماً في نفسه، وامتنع هؤلاء من إجراء التفضيل عليه، وحكي هذا عن الأشعرى والباقلاني وجماعة غيرهما. ومعلوم أن من تدبر ألفاظ الكتاب والسنة تبين له أنها لاتحتمل هذا المعنى، بل هو من نوع القرمطة. فإن الله تعالى يقول: (نزل أحسن الحديث) وقال النب ي ﷺ لأبي: (أتدرى أ ي آية معك في كتاب الله أعظم؟) وقال: (لأعلمنك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها) إلى غير ذلك مما تقدم ذكره [3].

---

(1) ينظر: الواضح في أصول الفقه (4/ 261).

(2) ينظر: الواضح في أصول الفقه (4/ 262)، والعدة لأبي يعلى (3/ 791)، وقواطع الأدلة للسمعاني (3/ 170).

(3) مجموع الفتاوى (168 – 169).

الدراسة:

تأول المانعون من التفاضل ما ورد في النصوص من صيغ التفضيل مثل: =أحسن+ و=أعظم+ و=أفضل+ بأنها ليست على ظاهرها، فلا يراد بها حقيقة التفضيل، وإنما المراد والمعنى حسن، وعظيم وفاضل.

وأجاب الشيخ على هذا التأويل: بأنه من المعلوم أن من تدبر ألفاظ الكتاب والسنة تبيَّن له أنها لا تحتمل هذا المعنى.

وأن هذا صرف لدلالة اللفظ الظاهرة إلى دلالة بعيدة غير ظاهرة بغير صارف، فالقرآن كله عظيم، وفاضل، وحسن، فما الفائدة من تخصيص آية بذلك؟ وما الفائدة من سؤال النبي ﷺ لأبيٍّ على هذا التقدير؟ والسؤال يكون على هذا التأويل يكون: أي آية في القرآن عظيمة؟

ثم لماذا عدل النبي ﷺ عن ما ذكرتموه من التأويل إلى صيغ التفضيل؟

ومن المعلوم أن صيغ التفضيل الواردة في لغة العرب وفي نصوص الكتاب والسنة تدل على اشتراك الفاضل والمفضل عليه في أمر كمال لكن للفاضل قدر زائد من هذا الكمال.

الترجيح:

القول بأن كلام الله بعضه أفضل من بعض هو الذي دلّ عليه الشرع والعقل واتفاق السلف[1]، وهو الذي نصره الشيخ – رحمه الله – وساق الأدلة على إثباته، وفنَّد حج المانعين من التفضيل، وأطال النَّفَس في ذلك، وكشف الشُّبه التي منعت القول بالتفاضل عند المانعين منه، وهو القول الصحيح الذي تطمئن إليه النفس لعدة أسباب:

1 – قوة أدلة المثبتين، ووضوحها وكثرتها، فإن أكثر الأدلة التي ساقها الشيخ – على

(1) ينظر: الإتقان (2/ 199).

القول بالتفضيل – من الكتاب والسنة، بخلاف أدلة القول بمنع التفضيل مع كثرة النصوص الواردة في التفضيل.

2 – أن بعض المانعين من التفاضل، ظنّوا أن القول بالتفضيل يلزم فيه موافقة الجهمية والمعتزلة القائلين بخلق القرآن، وقد بين الشيخ بطلان هذا اللازم وأن القول بالتفاضل لا يلزم منه القول بخلق القرآن.

3 – أن المانعين من التفاضل ظنوا أن القول بالتفاضل يلزم منه نقص المفضول، وقد اتضح من خلال ما سبق أنه وهم وخطأ.

4 – معرفة حقيقة التفاضل ووجهه تنكشف به شبه المانعين، فمعرفة أن للكلام نسبتين: يتفاضل ويتماثل الكلام بهما، هو ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة كما سبق بيانه.

5 – أن القول بعدم التفاضل صرف للنصوص عن دلالتها الظاهرة بغير قرينة صارفة، وهذا هو التأويل الممنوع الذي تطاول به المتكلمون على نصوص الكتاب والسنة.

6 – أن القول بالتفاضل هو منطوق النصوص الصريحة في التفاضل مثل =خير +، =أعظم +، =أحسن + ومعلوم أن من تدبَّر ألفاظ الكتاب والسنة ولغة العرب تبيَّن أنها لا تحتمل إلا هذا المعنى.

***

المبحث الرابع

القراءات

وفيه سبعة مطالب:

- المطلب الأول: المتواتر من القراءات.
- المطلب الثاني: أول من جمع القراءات السبع وسبب جمعه لها.
- المطلب الثالث: تنوع القراءات فيما احتمله خط المصحف وسببه.
- المطلب الرابع: حكم القراءة بالقراءات الشاذة.
- المطلب الخامس: الجمع بين القراءات.
- المطلب السادس: توجيه القراءات.
- المطلب السابع: التكبير في أوائل السور وأواخرها.

تمهيد:

جملة من مسائل هذا المبحث هي في الأصل فتوى أجاب بها الشيخ على سؤال ألقي عليه، وهي ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية التي جمعها الشيخ ابن قاسم رحمه الله تعالى، وهي فتوى مشهورة، ذائعة الصيت.

ومع أن شيخ الإسلام كتبها على ضيق من الوقت والورق، إلا أنها فائقة في بابها، محررة في عرضها، فقد حرر من خلالها شيخ الإسلام جملة من المقدمات الأساسية في علم القراءات.

وهي :

- المتواتر من القراءات.
- أول من جمع القراءات السبع وسبب جمعه لها.
- تنوع القراءات.
- مسألة الأحرف السبعة [1].
- حكم القراءت الشاذه.

وهذه الفتوى تدل على سعة اطلاع شيخ الإسلام، وتبحره في العلوم كلها، فقد كتب هذه الرسالة من إملاء الفؤاد من غير رجوع إلى مصدر أو كتاب، مع أن هذه المسائل شائكة كثيرة المآخذ ، والدلائل، والإيرادات.

والخلوص برأي منتقى محقق عزيز المنال، صعب التأتي، غير أن شيخ ممن حاز قصب السبق في تحرير هذه المسائل، حتى سار على منواله من أتى بعده، كابن

---

(1) سيأتي – إن شاء الله – بحث هذه المسألة في الفصل الثاني.

الجزري ؛ حيث ضمن بعض هذه المسائل كتبه.[1]

والسؤال الذي سئل عنه الشيخ هو: ما يقول سيدي الشيخ - جمع الله له خير الدنيا والآخرة - في قول النبي ﷺ: (أنزل القرآن على سبعة أحرف)؟ ما المراد بهذه السبعة؟ وهل هذه القراءات المنسوبة إلى نافع وعاصم وغيرهما هي الأحرف السبعة؟ أو واحد منها؟

وما السبب الذي أوجب الاختلاف بين القراء فيما احتمله خط المصحف؟

وهل تجوز القراءة برواية الأعمش وابن محيصن وغيرهما من القراءات الشاذة أم لا؟ وإذا جازت القراءة بها فهل تجوز الصلاة بها أم لا؟ أفتونا مأجورين.

فأجاب الشيخ بقوله: الحمد لله رب العالمين، هذه مسألة كبيرة قد تكلم فيها أصناف العلماء من الفقهاء والقراء وأهل الحديث والتفسير والكلام وشرح الغريب وغيرهم حتى صنف فيها التصنيف المفرد، ومن آخر ما أفرد في ذلك ما صنفه الشيخ أبو محمد عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الشافعي المعروف بأبي شامة صاحب شرح الشاطبية[2].

فأما ذكر أقاويل الناس وأدلتهم وتقرير الحق فيها مبسوطاً فيحتاج من ذكر الأحاديث الواردة في ذلك وذكر ألفاظها وسائر الأدلة إلى ما لا يتسع له هذا المكان، ولا يليق بمثل هذا الجواب، ولكن نذكر النكت الجامعة التي تنبه على المقصود بالجواب.

---

(1) ينظر المرشد الوجيز 91، 167-168، وكذلك النشر.

(2) الكتاب الذي أفرد فيه أبو شامة هذه المسألة هو كتاب المرشد الوجيز في علوم تتعلق بالكتاب العزيز وقد طبع الكتاب بعدة تحقيقات.

وأما شرح الشاطبية الذي ذكره شيخ الإسلام فاسمه إبراز المعاني من حرز الأماني، وهو من أحسن شروح الشاطبية.

المطلب الأول: المتواتر من القراءات

المسألة الأولى: المتواتر من القراءات:

قال شيخ الإسلام:

والقرآن الذي بين لوحي المصحف متواتر ؛ فإن هذه المصاحف المكتوبة اتفق عليها الصحابة، ونقلوها قرآنا عن النبي وه ي متواترة من عهد الصحابة ؛ نعلم علمًا ضروريا أنها ما غيرت، والقراءة المعروفة عن السلف الموافقة للمصحف تجوز القراءة بها بلا نزاع بين الأئمة، ولا فرق عند الأئمة بين قراءة أبي جعفر، ويعقوب، وخلف، وبين قراءة حمزة، والكسائي، وأبى عمرو، ونعيم، ولم يقل أحد من سلف الأمة وأئمتها أن القراءة مختصة بالقراء السبعة[1].

الدراسة:

أشار الشيخ إلى أن القراءات المعروفة وهي قراءة العشرة قد نقلت بالتواتر وهذا من المعلوم ضرورة لأمرين:

-أنها قد نقلت بالتواتر من عهد الصحابة إلى ذلك العصر.

-أنها قد وافقت رسم المصحف.

وهذان هما شرطا قبول القراءة.

والثالث هو موافقة العربية، ولعله لم ينص عليه هنا ، وإن كان قد ذكره في موضع آخر [2]؛ لأنه مترتب على الشرطين السابقين، فهو أشبه بال وصف ؛ لأن القراءة إذا تواترت ووافقت المصحف لزم أن تصح عربية، وكانت هي الحج ة، ولا عبرة بمخالفة بعض علماء النحو واللغة[3].

---

(1) مجموع الفتاوى (12/ 569).

(2) انظر (ص) من هذا البحث.

(3) ينظر: المنهاج في الحكم على القراءات (ص 16).

وما ذكره الشيخ من نقل القراءات بالتواتر من عهد الصحابة إلى عصره مشهور مستفيض؛ لأن القرآن قد تلقاه من أهل كل عصر الجم الغفير طبقة بعد طبقة وجيلاً بعد جيل، ومن نظر إلى واقع الأسانيد وإجازات القراء ظهر له هذا الأمر جلياً.

وهذا التواتر الذي ذكره الشيخ يختص بأوجه القراءات بصفة عامة، وليس كل ما كان من قبيل الأداء متواتراً[1].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: التواتر الذي لا ريب فيه، ما تضمنه مصحف عثمان من الحروف، وأما كيفيات الأداء، مثل: تليين الهمزة، ومثل الإمالة والإدغام؛ فهذه مما يسوغ للصحابة أن يقرأوا فيها بلغاتهم، لا يجب أن يكون النبي ﷺ تلفَّظ بهذه الوجوه المتنوعة كلها.

بل القطع بانتفاء هذا أولى من القطع بثبوته، وما كان تلفظه به على وجهين، كلاهما صحيح المعنى، مثل قوله: ژ ک گ گ گ گ ژ[2] و (يعملون) وقوله: ژ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ژ [3] فهذا يكتفى فيه بالنقل الثابت، وإن لم يكن متواتراً، كما يكتفى بمثل ذلك في إثبات الأحكام، والحلال والحرام، وهو أهم من ضبط التاء والياء، فإن الله – سبحانه وتعالى- ليس بغافل عما يعمل المخاطَبُون بالقرآن، ولا عما يعمل غيرهم، وكلا المعربين حق قد دلّ عليه القرآن في مواضع، فلا يضر أن لا يتواتر دلالة هذا اللفظ عليه، بخلاف الحلال والحرام الذي لا يُعلم إلا بالخبز الذي ليس بمتواتر.

---

(1) ينظر: المنهاج في الحكم على القراءات (ص 32).

(2) قرأ ابن كثير: (وما الله بغافل عما يعملون) بالياء وقرأ الباقون بالتاء. ينظر: التيسير في القراءات السبع (1/ 77)، وحجة القراءات (1/ 101)، وإتحاف فضلاء البشر (1/ 195).

(3) قرأ حمزة (إلا أن يخافا) بضم الياء وقرأ الباقون بفتح الياء وكلا القراءتين متواترة. ينظر: التيسير في القراءات السبع (1/ 80)، وحجة القراءات (1/ 135).

والعادة والشرع أوجب أن ينُقْل القرآن نقلاً متواتراً، كما نقلت جُمَلُ الشريعة نقلاً متواتراً[1].

وهذا الذي قرره الشيخ من أنه لا يشترط لجميع أوجه الأداء التواتر، و إنما يكتفى بصحة السند واشتهار القراءة أو الوجه هو الذي عليه المحققون من أئمة القراء والآداء.

قال أبو شامة :

=وقد شاع على ألسنة جماعة من المقرئين المتأخرين وغيرهم من المقلدين أن القراءات السبع متواترة، والقطع بأنها منزلة من عند الله واجب، ونحن بهذا نقول، ولكن فيما اجتمعت على نقله عنهم الطرق، واتفقت عليه الفرق من غير نكير له مع أنه شاع واشتهر واستفاض..+.

إلى أن قال : =فالحاصل أننا لسنا ممن يلتزم التواتر في جميع الألفاظ المختلف فيها بين القراء، بل القراءات كلها منقسمة إلى متواتر وغير متواتر، وذلك بيّن لمن أنصف، وعرف وتصفح القراءات وطرقها+ [2].

وقال الحافظ ابن الجزري: =ونحن ما ندعي التواتر في كل فردٍ مما انفرد به بعض الرواة أو اختص ببعض الطرق، لا يدعي ذلك إلا جاهل لا يعرف ما التواتر؟

وإنما المقروء به عن القراء العشرة على قسمين: متواتر، وصحيح مستفاض متلقى بالقبول، والقطع حاصل بهما+.

---

(1) جامع المسائل (1/ 113).

(2) المرشد الوجيز [ص 176-178].

وقال أيضاً : =فإنه إذا ثبت أن شيئاً من القراءات من قبيل الأداء لم يكن متواتراً عن النبي ﷺ، كتوسيم وقف حمزة وهشام وأنواع تسهيله، فإنه وإن تواتر تخفيف الهمز في الوقف عن النبي ﷺ فلم يتواتر أنه وقف على موضع بخمسين وجهاً ولا بعشرين وجهاً، ولا بنحو ذلك، وإنما صح شيء منها فوجه، والباقي لا شك أنه من قبيل الأداء+[1].

كما قرر الشيخ أنه لا فرق عند الأئمة بين قراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف – وهي القراءات الثلاث المتممة للعشر– وبين القراءات السبع. وأنه يقرأ بها لنقلها بالتواتر وموافقتها للمصحف. وهذا ما عليه أئمة الآداء والإقراء.

فقد بَوَّب الحافظ ابن الجزري في كتابه المنجد باباً بعنوان في =أن العشر لا زالت مشهورة من لدن قرّائها وإلى اليوم، لم ينكرها أحدُ من السلف ولا من الخلف+.

ثم قال: =هذا شيء لا يشك فيه أحدُ من العلماء، وما زال المقرئون أحد رجلين: إما مقرئ بما زاد على السبعة، بل العشرة، وإما مقرئ بالسبعة فقط، غير مُنكِر على من أقرأ بالعشر أو الثلاثة الزائدة عليها+[2].

وتفضيل ما يعزى إلى السبعة على ما عداهم من القراء العشرة في القراءات المتواترة هو من حيث الشهرة فحسب ، أما من حيث التواتر فالقراءات السبع والعشر سواء[3].

المسألة الثانية: ما يقرأ به وما لا يقرأ به

قال شيخ الإسلام:

---

(1) المصدر السابق (ص 196)، وانظر النشر (1/ 58).

(2) منجد المقرئين ومرشد الطالبين (ص 101 وما بعدها).

(3) ينظر: المنهاج في الحكم على القراءات (ص 35).

لم يتنازع علماء الإسلام المتبوعين من السلف والأئمة في أنه لا يتعين أن يقرأ بهذه القراءات المعينة في جميع أمصار المسلمين ؛ بل من ثبت عنده قراءة ا لأعمش [1] شيخ حمزة، أو قراءة يعقوب بن إسحق الحضرمي[2] ونحوهما كما ثبت عنده قراءة حمزة، والكسائي فله أن يقرأ بها بلا نزاع بين العلماء المعتبرين المعدودين من أهل الإجماع والخلاف، بل أكثر العلماء الأئمة الذين أدركوا قراءة حمزة كسفيان بن عيينة وأحمد بن حنبل، و بشر بن الحارث [3]، وغيرهم يختارون قراءة أبى جعفر بن القعقاع، وشيبة بن نصاح[4] المدنيين، وقراءة البصريين كشيوخ يعقوب بن إسحق وغيرهم على قراءة حمزة والكسائي.

---

(1) سليمان بن مهران الأعمش الإمام العلم أبو محمد الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي أصله من أعمال الري، وقرأ القرآن على يحيى بن وثاب، وورد أيضا أنه قرأ على زيد بن وهب، وزر بن حبيش، وعرض القرآن على أبي العالية الرياحي، وأقرأ الناس ونشر العلم دهرا طويلا، قرأ عليه حمزة الزيات، وغيره وروى عنه الحكم بن عتيبة أنظر : ترجمته في معرفة القراء الكبار 1/ 94، ومعرفة الثقات 1/ 423.

(2) يعقوب بن إسحاق الحضرمي قارئ أهل البصرة في عصره ا لإمام أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبدالله بن أبي إسحاق مولى الحضرميين قرأ القرآن على أبي المنذر سلام بن سليم وعلى أبي الأشهب العطاردي ومهدي بن ميمون وشهاب بن شرنفة وسمع من حمزة الزيات وشعبة وبرع في الإقراء قرأ عليه روح بن عبد المؤمن وأبو حاتم السجستاني وأبو عمر الدوري توفي في ذي الحجة سنة خمس ومئتين أنظر ترجمته في معرفة القواء الكبار 1/ 158، والجرح والتعديل 9/ 203.

(3) بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء الإمام العالم المحدث الزاهد الرباني القدوة شيخ الإسلام أبو نصر المروزي ثم البغداي المشهور بالحافي، ارتحل في العلم فأخذ عن مالك وشريك وحماد بن زيد وابن المبارك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وعدة، كان رأساً في الورع والإخلاص مات سنة سبع وعشرين ومئتين ترجمته في السير 10 / 469 والبداية والنهاية 10/ 297.

(4) شيبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب المدني المقريء الإمام مولى أم سلمة رضي الله عنها وأحد شيوخ نافع في القراءة وقاضي المدينة ومقرئها مع أبي جعفر أدرك أم المؤمنين عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما وقرأ القرآن على عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة قرأ عليه نافع وإسماعيل بن جعفر وسليمان بن مسلم بن جماز توفي سنة ثلاثين ومئة ترجمته في التاريخ الكبير 4/ 242 ومعرفة القراء الكبار 1/ 79.

وللعلماء الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف عند العلماء، ولهذا كان أئمة أهل العراق الذين ثبتت عندهم قراءات العشرة أو الأحد عشر، كثبوت هذه السبعة يجمعون ذلك في الكتب ويقرؤونه في الصلاة، وخارج الصلاة، وذلك متفق عليه بين العلماء لم ينكره أحد منهم

وأما الذي ذكره القاضي عياض ومن نقل من كلامه من الإنكار على ابن شنبوذ الذي كان يقرأ بالشواذ في الصلاة في أثناء المائة الرابعة وجرت له قصة مشهورة [1] ؛

---

(1) ابن شنبوذ المقرئ أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ المقرئ البغدادي،كان من مشاهير القراء وأعيانهم، وكان دينا، وفيه سلامة صدر، وفيه حمق، وقيل إنه كان كثير اللحن قليل العلم، وتفرد بقراءات من الشواذ، كان يقرأ بها في المحراب ؛ فأنكرت عليه، وبلغ ذلك الوزير أبا علي محمد بن مقلة الكاتب المشهور وقيل له إنه يغير حروفا من القرآن، ويقرأ بخلاف ما أنزل فاستحضره في أول شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة واعتقله في داره أياما، فلما كان يوم الأحد لسبع خلون من الشهر المذكور استحضر الوزير المذكور القاضي أبا الحسين عمر بن محمد، وأبا بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المقرئ، وجماعة من أهل القرآن، و أحضر ابن شنبوذ المذكور ونوظر بحضرة الوزير، فأغلظ في الخطاب للوزير، والقاضي وأبي بكر بن مجاهد، ونسبهم إلى قلة المعرفة، وعيرهم بأنهم ما سافروا في طلب العلم كما سافر، واستصبى القاضي أبا الحسين المذكور فأمر الوزير أبو علي بضربه ؛ فأقيم وضرب سبع درر فدعا وهو يضرب على الوزير ابن مقلة بأن يقطع الله يده ويشتت شمله فكان الأمر كذلك، ثم أوقفوه على الحروف التي قيل إنه يقرأ بها فأنكر ما كان شنيعا، وقال فيما سواه إنه قرأ به قوم فاستتابوه فتاب، وقال إنه قد رجع عما كان يقرؤه وإنه لا يقرأ إلا بمصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه بالقراءة المتعارفة التي يقرأ بها الناس فكتب عليه الوزير محضرا بما قاله، وأمره أن يكتب خطه في آخره فكتب ما يدل على توبته ونسخة المحضر سئل محمد بن أحمد المعروف بابن شنبوذ عما حكي عنه أنه يقرؤه وهو ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

فإنما كان ذلك في القراءات الشاذة الخارجة عن المصحف كما سنبينه، ولم ينكر أحد من العلماء قراءة العشرة، ولكن من لم يكن عالما بها أو لم تثبت عنده كمن يكون في بلد من بلاد الإسلام بالمغرب، أو غيره ولم يتصل به بعض هذه القراءات فليس له أن يقرأ بما لا يعلمه فإن القراءة كما قال زيد بن ثابت سنة يأخذها الآخر عن الأول[1].

(فاعترف به وعن) وكتب الشهود الحاضرون شهاداتهم في المحضر حسبما سمعوه من لفظه.

وكتب ابن شنبوذ بخطه ما صورته: يقول محمد بن أحمد بن أيوب المعروف بابن شنبوذ ما في هذه الرقعة صحيح وهو قولي واعتقادي وأشهد الله عز وجل وسائر من حضر على نفسي بذلك وكتب بخطه فمتى خالفت ذلك أو بان مني غيره فأمير المؤمنين في حل من دمي وسعة وذلك يوم الأحدلسبع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة في مجلس الوزير أبي علي محمد بن علي بن مقلة أدام الله توفيقه

وكلم أبو أيوب السمسار الوزير أبا علي في أمره وسأله في إطلاقه وعرفه أنه إن صار إلى منزله قتلته العامة وسأله أن ينفذه في الليل سرا إلى المدائن ليقيم بها أياماً ثم يدخل إلى منزله ببغداد مستخفيا ولا يظهر بها أياما فأجابه الوزير إلى ذلك وأنفذه إلى المدائن وتوفي يوم الاثنين لثلاث خلون من صفر سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ببغداد وقيل عنه توفي في محبسه بدار السلطان رحمه الله تعالى انظر وفيات الأعيان 4/ 299 ومعرفة القراء الكبار 1/ 333.

(1) مجموع الفتاوى (13/ 392 – 394).

الدراسة:

أشار الشيخ إلى أن المعوّل عليه فيما يقرأ به من القراءات هو ثبوت القراءة عند من يقرأ به، ولا ريب أن ثبوتها يكون بالتلقي والمشافهة لما نقل متواتراً، وليس المعوّل فيما يقرأ به على ما جاء عن القراء السبعة أو العشرة، بل لا بد من ثبوت هذه القراءة عند من يقرأ بها وليس لأحد أن يقرأ إلا بما ثبت عنده بالمشافهة والتلقي، إذ القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول إلى النبي ﷺ، وهذا يمثل الشرط الأول من شروط قبول القراءة وهو صحة النقل كما قال – رحمه الله – في موضع آخر: =ليس لأحد أن يقرأ بمجرد رأيه بل القراءة سنة متبعة+.

وهذا الشرط هو أهم الشروط، بل هو كما قال ابن الجزري [1]: =هو الأصل الأعظم والركن الأقوم+[2].

والشرطان الآخران وهما موافقة رسم المصحف العثماني وموافقة العربية [3].

كما أشار الشيخ إلى جواز الاختيار [4] بين القراءات وهو قول جمهور العلماء وأكثر اختياراتهم إنما هو في الحرف إذا اجتمع فيه ثلاثة أشياء: قوة وجهه في العربية وموافقته للمصحف واجتماع العامة عليه[5].

***

(1) النشر (1/ 10).

(2) النشر (1/ 54).

(3) سيأتي ذكر الشرطين الآخرين من شروط قبول القراءة في المطلب الرابع من هذا البحث (ص).

(4) الاختيار بين القراءات عرفه ابن الجزري فقال: =هو إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراءة ورواتهم المراد منها أن ذلك القارئ، وذلك الإمام اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به فآثره على غيره، وداوم عليه، ولزمه حتى اشتهر وعرف به+ النشر (1/ 52).

(5) الإبانة عن معاني القراءات (ص 39).

المطلب الثاني
أول من جمع القراءات السبع وسبب جمعه لها

هؤلاء[1] إنما جمع قراءاتهم أبو بكر ابن مجاهد بعد ثلاثمائة سنة من الهجرة، واتبعه الناس على ذلك وقصد أن ينتخب قراءة سبعة من قراء الأمصار، لم يقل هو ولا أحد من الأئمة إنما خرج عن هذه السبعة فهو باطل ولا أن قول النب ي (أنزل القرآن على سبعة أحرف) أريد به قراءة هؤلاء السبعة ولكن هذه السبعة اشتهرت في أمصار لا يعرفون غيرها كأرض المغرب فأولئك لا يقرؤون بغيرها لعدم معرفتهم باشتهار غيرها ؛ فأما من اشتهرت عندهم هذه كما اشتهر غيرها مثل أرض العراق وغيرها فلهم أن يقرأوا بهذا وهذا[2]...

الدراسة:

أشار شيخ الإسلام في مسألة (أول من جمع السبع) إلى عدة قضايا:

الأولى: أن أول من جمع القراءات السبع هو الإمام أبو بكر بن مجاهد، وكان على رأس المائة الثالثة ببغداد، وذكر هذا غير واحد من الأئمة.

قال مكي: =وأول من اقتصر على هؤلاء – أي القراء السبعة – أبو بكر بن مجاهد+[3].

وقال أبو شامة: =وأول من فعل ذلك الإمام أبو بكر بن مجاهد قبيل سنة ثلاث مئة+[4].

وقال ابن الجزري: =وأول من جمع قراءاتهم أبو بكر بن مجاهد في أثناء المئة

---

(1) يعني القراء السبعة.

(2) مجموع الفتاوى (12/ 569).

(3) الإبانة (63).

(4) إبراز المعاني (1/ 98).

الرابعة+[1].

فهذه نصوص عن الأئمة تفيد أن ابن مجاهد هو أول من جمع القراءات السبع.

الثانية: أشار الشيخ إلى السبب والداعي الذي حمل ابن مجاهد على هذا الجمع فقال: =فإنه أحب أن يجمع المشهور من قراءات الحرمين والعراق والشام؛ إذ هي الأمصار التي خرج منها علم النبوة من القرآن وتفسيره....+.

فبين الشيخ أن الباعث الذي دعا ابن مجاهد إلى هذا الجمع هو الرغبة في انتخاب المشهور من القراءات في هذه الأمصار التي حفلت بالعلم وأهله، ولعل الشيخ يقصد بعبارة =المشهور من قراءات الحرمين والعراقيين والشام + ما تواتر وثبت واشتهر من القراءات في هذه الأمصار، فابن مجاهد إنما حمله على هذا الجمع الرغبةُ في حفظ القراءات وضبطها، فقد كثر القراء وتفرَّقوا في الأمصار وانتشروا وكثر الاختلاف، وقل الضبط، فأراد أن يجمع قراءة عدد من القراء قد ضبطت قراءتهم واشتهرت.

وإلى هذا المعنى أشار غير واحد من أئمة القراءة:

قال مكي: =إن الرواة عن الأئمة من القراء كانوا في العصر الثاني والثالث كثيراً في العدد، كثيراً في الاختلاف، فأراد الناس في العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات التي توافق المصحف على ما يسهل حفظه، وتنضبط القراءة به.... +[2].

وقال ابن الجزري: =ثم إن القرَّاء بعد ذلك تفرَّقوا في البلاد، وخلفهم أمم بعد أمم، وكثر بينهم الخلاف، وقل الضبط، واتسع الخرق؛ فقام الأئمة الثقات النقاد و ح رَّروا وضبطوا وجمعوا وألَّفوا على حسب ما وصل إليهم، وصح

(1) النشر (1/ 24).

(2) الإبانة لمكي (63).

لديهم+[1].

الثالثة: أشار الشيخ إلى أن السبب الذي دعا ابن مجاهد إلى الاقتصار على هذا العدد من القراء – فلم يزد ولم ينقص هو الرغبة في موافقة عدد الحروف التي نزل عليها القرآن، ولم يقل ابن مجاهد أن هذه القراءات السبع هي الأحرف السبعة.

وقد ذكروا سبباً آخر في اقتصاره على السبعة هو الرغبة أيضاً في موافقة عدد المصاحف التي كتبها عثمان ووجَّه بها إلى الأمصار؛ فعددها سبعة على الأرجح ، فجعل عدد القراء موافقاً لعدد المصاحف.

قال ابن الجزري: =والذي قاله الأئمة: أن ابن مجاهد لم يجعل القراء الذين في كتابه سبعةً دون أن لا كانوا أكثر أو أقل، إلا لأنَّساً بعدة المصاحف التي وُجِّهت إلى الأمصار زمن عثمان – رضي الله عنه- وتبركاً بقوله ﷺ: =أنزل القرآن على سبعة أحرف+[2].

وقد حظي كتاب السبعة للإمام ابن مجاهد بالقبول والانتشار وتبوأ مكانة علمية رفيعة بين أهل العلم عامة وعند أئمة القراءة خاصة، وما ذاك إلا لإمامة المُصَنِّف وجودة المصنَّف؛ حتى سار على منواله ونسج على طريقه في الاقتصار على السبعة، في التصنيف والتأليف أئمة كبار ما بين ناظم وناثر.

فمن أشهر هذه الكتب التي صُنفت في قراءات الأئمة السبعة.

- كتاب التبصرة لمكي بن أبي طالب القيسي.
- كتاب التيسير لأبي عمر الداني.
- ومنظومة حرز الأماني للشاطبي، وغيرها كثير ما بين مطبوع ومخطوط.

ومع ما لقيه كتاب ابن مجاهد من القبول وذيوع الصيت، إلا أن اقتصاره على

(1) منجد المقرئين (99).

(2) المصدر السابق (217).

السبعة قد قوبل باللوم والنقد من بعض العلماء بسبب ما وقع من الشبهة عند عوام الناس من ظنهم أن القراءات السبع هي الأحرف السبعة الواردة في الحديث؛ فجعلوا هذه القراءات السبع كالفرض المحتوم، وأن ما عداها شاذ غير مقبول ، وإنما راجت هذه الشبهة عند بعض العوام.

قال أبو الفضل عبد الرحمن الرازي[1]: =وهذا مذهب دون الوسط تعلّق به قوم أغبياء القرّاء والعوام، قد قام ذلك في نفوسهم، وأُولِعُوا حتى أنهم قد ينكرون اختيار من تقدمهم في القراءة وحروفه، أو تأخرهم أو قارنهم، ويشذِّذون حروف من عداهم، وإنما أُتوا من حيث سبع القوم في مؤلفات من ذكرتهم من المتأخرين [2] فوافق كونهم سبعة أحرف عدداً، على ما جاء من لفظ الخبر+[3].

فبسبب هذه الشبهة انتقد بعضُ الأئمة ابن مجاهد على اقتصاره على هؤلاء السبعة.

قال أبو العباس المهدوي [4]: =ولقد فعل مسبِّع هؤلاء السبعة ما لم يكن ينبغي أن يفعله، وأشكل على العامة حتى جهلوا ما لم يسعهم جهله.. فأوهم بذلك كل من قل نظره، وضعفت عنايته، أن هذه القراءات السبع هي التي قال فيها النبي

---

(1) هو: عبدالرحمن بن أحمد بن الحسن بن بندار، أبو الفضل العجلي الرازي المقرئ، الإمام العلامة (ت 454)، ينظر: غاية النهاية (1/ 361)، والسير (18/ 135).

(2) يعني ابن مجاهد ومن نحا نحوه في التسبيع.

(3) منجد المقرئين (218).

(4) هو أبو العباس المهدوي أحمد بن عمار المقرئ من أهل المهدية، رحل وأخذ عن أبي الحسن القابسي وقرأ بالروايات عن أبي عبدالله محمد بن سفيان، وكان رأساً في القراءات والعربية، صنف كتباً مفيدة، توفي بعد الثلاثين وأربعمائة.

انظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار (1/ 399)، طبقات المفسرين للسيوطي (1/ 30).

ﷺ: = أنزل القرآن على سبعة أحرف+[1].

وأكد وهمه ما يراه من اجتماع أهل الأمصار عليها و إطراحهم ما س واها، وذلك لعمري موضع إشكال على الجهّال، وليته إذ ذهب إلى الاقتصار على بعض قرّاء الأمصار، واجتهد في الاختيار، جعلهم أقل من سبعة أو أكثر، فكان يزيل بذلك بعض الشبهة الداخلة على الأغمار+[2].

وقال الجعبري[3] في قصيدة =نهج الدماثة+:

وأعضل ذو التسبيع مبهم قصده ف ـــزلّ به الجمُّ الغفير فجه ـلا

وناقضه فيه ولو صح لاقتدى وكم حاذق قال المسبع أخطلا

قال ابن الجزري بعد أن ساق هذين البيتين:

=يعني ابن مجاهد –أيضاً- بكونه لم يعيِّن مقصود ه في جمعه سبعة أئمة، فتوهم الناس أنه جمع الأحرف السبعة التي عناها النبي ﷺ، ولقد صدق الجعبري – رحمه الله- فإن هذه الشبهة قد استحكمت عند كثير من العوام حتى لو سمع أحدهم قراءةً لغير هؤلاء الأئمة السبعة، أو غير ه ايتين الروايتين؛ لسماها شاذة، ولعلها تكون مثلها أو أقوى+[4].

وقد أنصف ابنُ الجزري – رحمه الله- ابن مجاهد مبيناً ما له وما عليه، فقد قال بعد إيراده لكلام الجعبري في شرحه للبيتين السابقين:

---

(1) يعني ابن مجاهد ومن تبعه في الاقتصار على ذكر هؤلاء السبعة كما نص على ذلك ابن الجزري في المنجد، ينظر: منجد المقرئين (214).

(2) السبب الموجب لاختلاف القراءات (33 – 34).

(3) إبراهيم بن عمر بن إبراهيم العلامة الأستاذ أبو محمد الجعبري، قرأ على أبي الحسن الوجوهي وغيره، وقرأ عليه أبو بكر بن الجندي وطائفة، له تصانيف كثيرة من أشهرها شرح الشاطبية المسمى بكنز المعاني (ت 732).

(4) منجد المقرئين (214 – 215).

=والحق أنه لا ينبغي هذا القول، وابن مجاهد اجتهد في جمعه، فذكر ما وصل إليه على قدر روايته؛ فإنه – رحمه الله- لم يكن له رحلة واسعة كغيره ممن كان في عصره غير أنه – رحمه الله- ادعى ما ليس عنده، فأخطأ بسبب ذلك الناس ؛ لأنه قال في ديباجة كتابه =ومخبر عن القراءة التي عليها الناس بالحجاز والعراق والشام+[1] وليس كذلك ، بل ترك كثيراً مما كان عليه الناس بهذه الأمصار في زمانه.اهـ.

وعلى كل فابنُ مجاهد قد اجتهد في انتخاب هذه القراءات التي اشتهرت في عصره، وهذه الشبهة إنما راجت على بعض العوام، وقام أهل العلم بكشفها بإزالة اللبس الحاصل بسبب التسبيع[2].

قال الشيخ رحمه الله: =ولم يقل هو ولا أحد من الأئمة إن ما خرج عن هذه السبعة فه و باطل، ولا أن قول النبي ﷺ: =أنزل القرآن على سبعة أحرف + أريد به قراءة هؤلاء السبعة، ولكن هذه السبعة اشتهرت لا يعرفون غيرها، كأرض المغرب، فأولئك لا يقرؤون بغيرها، لعدم معرفتهم باشتهار ها، فلما من اشتهرت عندهم هذه كما اشتهرت غيرها، مثل العر اق وغيرها فلهم أن يقرأوا بهذا وهذا+[3].

***

(1) ينظر: كتاب السبعة لابن مجاه (ص).

(2) منجد المقرئين (215).

(3) مجموع الفتاوى (12/ 569 – 570).

المطلب الثالث
تنوع القراءات فيما احتمله خط المصحف وسببه

قول السائل ما السبب الذ ي أوجب الاختلاف بين القراء فيما احتمله خط المصحف فهذا مرجعه إلى النقل واللغة العربية ؛ لتسويغ الشارع لهم القراءة بذلك كله ؛ إذ ليس لأحد أن يقرأ قراءة بمجرد رأيه ؛ بل القراءة سنة متبعة، وهم إذا اتفقوا على اتباع القرآن المكتوب في المصحف ا لأمامي، وقد قرأ بعضهم بالياء وبعضهم بالتاء لم يكن واحدٌ منهما خارجاً عن المصحف، وم ن ذلك أنهم يتفقون في بعض المواضع على ياء أو تاء ويتنوعون في بعض كما اتفقوا في قوله تعالى (وما الله بغافل عما تعملون) في موضع وتنوعوا في موضعين وقد بينا أن القراءتين كالآيتين فزيادة القراءات كزيادة الآيات لكن إذا كان الخط واحداً واللفظ محتملاً كان ذلك أخصر في الرسم ، والاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب لا على المصاحف . أما إذا قيل إن ذلك ه ي الأحرف السبعة فظاهر، وكذلك بطريق ا لأولى إذا قيل أن ذلك حرف من الأحرف السبعة؛ فـإنه إذا كان قد سوغ لهم أن يقرؤوه على سبعة أحرف كلها شاف كاف، مع تنوع الأحرف في الرسم؛ فلأن يسوغ ذلك مع اتفاق ذلك في الرسم وتنوعه في اللفظ أولى وأحرى، وهذا من أسباب تركهم المصاحف أول ما كتبت غير مشكولة ولا منقوطة لتكون صورة الرسم محتملة للأمرين كالتاء والياء والفتح والضم وهم يضبطون باللفظ كلا ا لأمرين ويكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوين شبيها بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المنقولين المعقولين المفهومين[1].

(1) مجموع الفتاوى (13/ 339 – 402)

الدراسة[1]:

بين الشيخ – رحمه الله – أن السبب الموجب لتنوع القراءات هو تجويز الشارع لهم القراءة بهذه القراءات، فقد سوَّغ لهم أن يقرؤوه على سبعة أحرف كلها شاف كاف مع تنوّع هذه الأحرف في الرسم والقراءة، فمن باب أولى أن يسوغ لهم القراءة بأوجه متنوعة مع احتمال الرسم لها.

وقد استقر الأمر على رسم مصحف عثمان، وتُرك هذا الرسم من غير شكل ولا نقط، لتكون صورة الرسم محتملة لأوجه القراءة.

كما روعي هذا الاختلاف في القراءة في نُسَخ المصحف التي أرسلت إلى الأمصار حيث إن بينها اختلافاً من حيث الزيادة والنقصان؛ لتشمل وجوه القراءة التي استقر عليها جمع عثمان – رضي الله عنه – وليس هذا من اختلاف التضاد، بل هو من قبيل اختلاف التنوع.

قال أبو عمرو الداني – رحمه الله – : =إن عثمان بن عفان – رضي الله عنه – لما جمع القرآن في المصاحف ونسخها على صورة واحدة، وآثر في رسمها لغة قريش دون غيرها مما لا يصح ولا يثبت، نظراً للأمة واحتياطاً على أهل الملة، وثبت عنده أن هذه الحروف من عند الله – عز وجل – كذلك منزلة، ومن رسول الله ﷺ مسموعة، وعلم أن جمعها في مصحف واحد على تلك الحال غير متمكن إلا بإعادة الكلمة مرتين، وفي رسم ذلك من التخليط والتغيير للمرسوم ما لا خفاء به، ففرَّقها في المصاحف لذلك، فجاءت مثبتة في بعضها ومحذوفة في بعضها لكي تحفظها الأمة

---

(1) قد صنف الإمام أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي كتاباً في هذه المسألة، بين فيه السبب الموجب لاختلاف القراءات وأنواعه ومثل لكل نوع، وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق الدكتور أحمد بن فارس السلوم، وهو في الأصل باب من أبوابه كتابه =الهداية في القراءات السبع + أفردها ناسخها بكتاب مستقل لأهميته، كما أفاده المحقق، وقد طبع أيضاً بتحقيق الدكتور/ حاتم الضامن.

كما نزلت من عند الله عز وجل، وعلى ما سُمعت من رسول الله ﷺ، فهذا سبب اختلاف مرسومها في مصاحف الأمصار+[1].

وقد قرر الشيخ أن المعوّل عليه في تنوع القراءات هو النقل واللغة، وموافقة رسم المصحف، ولو احتمالاً، وهذه هي شروط القراءة المتواترة.

فالأول: هو النقل والرواية، وهو ثبوت القراءة بالنقل الصحيح[2]، إذ القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول، ولا مجال فيها للرأي والابتداع.

ولهذا السبب أرسل الخليفة الراشد عثمان – رضي الله عنه- مع كل مصحف مقرئاً إلى كل مصرٍ من الأمصار التي وجهت إليها المصاحف ليتلقى الناس عنه القراءة، ولتضبط وجوه الاختلاف باللفظ، فالرواية والتلقي قاضية على الرسم لا العكس.

والشرط الثاني: هو موافقة اللغة العربية، وهي أن تكون غير خارجة عن لسان العرب وإن لم تكن الأشهر أو الأفصح عند النحويين.

قال أبو عمر الداني: =وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية، بل الأثبت في الأثر، والأصح في النقل، والرواية إذا ثبتت لم يردها قياس عربية، ولا فشوّ لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها+[3].

الشرط الثالث: موافقة رسم المصحف ولو احتمالاً، وذلك بأن تكون القراءة

---

(1) المقنع في رسم مصاحف الأمصار (ص 118).

(2) ينظر: الإبانة عن معاني القراءات لمكي (ص 239)، وبيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات (ص 49)، ومنجد المقرئين (ص 81).

(3) جامع البيان في القراءات السبع المشهورة للداني (172/ ب) نقلاً عن المنهاج في الحكم على القراءات (ص 34).

موافقة لأحد المصاحف العثمانية المشهورة.

وهذا أمر قد انعقد الإجماع عليه عند سلف الأمة وخلفها، وبه حفظ الله هذه الأمة من الفرقة والاختلاف.

قال مكي بن أبي طالب: =مصحف عثمان الذي أجمع الصحابة فمن بعدهم عليه، واطراح ما سواه مما يخالف خطه... بذلك لموافقة الخط لا يخرج شيء منها عن خط المصاحف التي نسخها عثمان – رضي الله عنه – وبعث بها إلى الأمصار، وجمع المسلمين عليها، ومنع القراءة بما خالف خطها، وساعده على ذلك زهاء اثني عشر ألفاً من الصحابة والتابعين، واتبعه على ذلك جماعة المسلمين بعده، وصارت القراءة عند جميع المسلمين مما يخالفه بدعة وخطأ، وإن صحت ورويت+[1].

وقال ابن الجزري: =وأجمعت الأمة المعصومة من الخطأ على ما تضمنته هذه المصاحف، وترك ما خالفها من زيادة أو نقص أو إبدال كلمة بأخرى مما كان مأذوناً فيه توسعة عليهم، ولم يثبت عندهم ثبوتاً مستفيضاً أنه من القرآن+[2].

وليعلم أنه لا يشترط الموافقة الصريحة للرسم، بل يكفي في ذلك احتمال الرسم لها؛ فموافقة رسم المصاحف تكون صريحة، وتكون احتمالاً.

فالموافقة الصريحة: هي الموافقة المحققة، نحو قراءة ژ ڈ ڈ ژ [3]. بالياء[4]، وبالتاء[5]، وبالنون[6].

فهذه موافقة صريحة لرسم المصحف، لخلو المصاحف العثمانية من النقط

---

(1) الإبانة عن معاني القراءات (ص 34).

(2) النشر (1/ 51).

(3) سورة البقرة: 58.

(4) وهي قراءة نافع وأبي جعفر [إتحاف فضلاء البشر (ص 179)].

(5) وهي قراءة ابن عامر]إتحاف فضلاء البشر (ص 179)].

(6) وهي قراءة الباقين [إتحاف فضلاء البشر (179)].

والشكل، وقد أشار الشيخ إلى الموافقة الصريحة بقوله: =وهم إذا اتفقوا...+.

والموافقة المحتملة: هي الموافقة التقديرية، فإنه قد خولف صريح الرسم في مواضع كثيرة إجماعاً، نحو =الصلوة+ و =الزكوة+ ولذلك أضيف قيده ولو احتمالاً للدلالة على أن الموافقة المشروطة قد تكون صريحة، وقد تكون محتملة، وعبارة شيخ الإسلام تشير إلى هذا المعنى حيث قال =تنوع القراءات فيما احتمله خط المصحف+. وقال ابن الجزري: =ونعني به ما يوافق الرسم ولو تقديراً، إذ موافقة الرسم قد تكون تحقيقاً، وهي الموافقة الصريحة، وقد تكون تقديراً وهي الموافقة احتمالاً+[1].

ومن أمثلة الموافقة المحتملة، قراءة =مالك+ بالألف[2] فهي موافقة للرسم احتمالاً[3].

***

(1) النشر (1/ 11).

(2) وهي قراءة عاصم والكسائي ويعقوب وخلف [إتحاف فضلاء البشري (ص 162)].

(3) ينظر: المرشد الوجيز (ص 133)، النشر (1/ 56).

المطلب الرابع
حكم القراءة بالقراءات الشاذة

القراءة الشاذة الخارجة عن رسم المصحف العثماني مثل قراءة ابن مسعود وأبى الدرداء رضي الله عنهما (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى) [1] كما قد ثبت ذلك في الصحيحين [2]، ومثل قراءة عبدالله (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) وكقراءته (إن كانت إلا زقية واحدة (ونحو ذلك فهذه إذا ثبتت عن بعض الصحابة فهل يجوز أن يقرأ بها في الصلاة على قولين للعلماء هما روايتان مشهورتان عن الإمام أحمد وروايتان عن مالك :

إحداهما (يجوز ذلك لأن الصحابة والتابعين كانوا يقرؤن بهذه الحروف في الصلاة . (والثانية (لا يجوز ذلك وهو قول أكثر العلماء لأن هذه القراءات لم تثبت متواترة عن النبي (وإن ثبتت فإنها منسوخة بالعرضة الآخرة فانه قد ثبت في الصحاح عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم أن جبريل عليه السلام كان يعارض النب ي (بالقرآن في كل عام مرة فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه به مرتين والعرضة الآخرة ه ي قراءة زيد بن ثابت وغيره وه ي التي أمر الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلى بكتابتها في المصاحف وكتبها أبو بكر وعمر في خلافة أبى بكر في صحف أمر زيد بن ثابت بكتابتها ثم أمر عثمان في خلافته بكتابتها في المصاحف و إرسالها إلى الأمصار وجمع الناس عليها باتفاق من الصحابة على وغيره . وهذا النزاع لابد أن يبنى على الأصل الذي سأل عنه السائل وهو أن القراءات السبعة هل ه ي حرف من الحروف السبعة أم لا فالذي عليه جمهور العلماء من السلف والأئمة أنها حرف من

---

(1) ينظر: المحتسب (2/ 206).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمار وحذيفة، 3/ 368، ح/ 3538، ومسلم في صحيحه:باب مايتعلق بالقراءت 1/ 565، ح824.

الحروف السبعة بل يقولون إن مصحف عثمان هو أحد الحروف السبعة وهو متضمن للعرضة الآخرة التي عرضها النبي على جبريل وا لأحاديث والآثار المشهورة المستفيضة تدل على هذا القول وذهب طوائف من الفقهاء والقراء وأهل الكلام إلى أن هذا المصحف مشتمل على الأحرف السبعة وقرر ذلك طوائف من أهل الكلام كالقاضي أبي بكر الباقلاني وغيره بناء على أنه لا يجوز على الأمة أن تهمل نقل شيء من الأحرف السبعة وقد اتفقوا على نقل هذا المصحف ا لإمام العثماني وترك ما سواه حيث أمر عثمان بنقل القرآن من الصحف التي كان أبو بكر وعمر كتبا القرآن فيها ثم أرسل عثمان بمشاورة الصحابة إلى كل مصر من أمصار المسلمين بمصحف وأمر بترك ما سوى ذلك.

قال هؤلاء ولا يجوز أن ينهى عن القراءة ببعض ا لأحرف السبعة ومن نصر قول الأولين يجيب تارة بما ذكر محمد بن جرير وغيره من أن القراءة على ا لأحرف السبعة لم يكن واجبا على الأمة وإنما كان جائزا لهم مرخصا لهم فيه وقد جعل إليهم الاختيار في أي حرف اختاروه كما أن ترتيب السور لم يكن واجبا عليهم منصوصا بل مفوضا إلى اجتهادهم ولهذا كان ترتيب مصحف عبدالله على غير ترتيب مصحف زيد وكذلك مصحف غيره.

وأما ترتيب آيات السور فهو منزل منصوص عليه فلم يكن لهم أن يقدموا آية على آية في الرسم كما قدموا سورة على سورة لأن ترتيب الآيات مأمور به نصاً ، وأما ترتيب السور فمفوض إلى اجتهادهم ، قالوا فكذلك ا لأحرف السبعة فلما ر أى الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف وتتقاتل إذا لم يجتمعوا على حرف واحد اجتمعوا على ذلك اجتماعا سائغا وهم معصومون أن يجتمعوا على ضلالة ولم يكن في ذلك ترك لواجب ولا فعل محظور.

ومن هؤلاء من يقول بان الترخيص في الأحرف السبعة كان في أول الإسلام لما

في المحافظة على حرف واحد من المشقة عليهم أولا فلما تذللت ألسنتهم بالقراءة وكان اتفاقهم على حرف واحد يسيرا عليهم وهو أرفق بهم أجمعوا على الحرف الذ ي كان في العرضة الآخرة ويقولون أنه نسخ ما سوى ذلك.

وهؤلاء يوافق قولهم قول من يقول إن حروف أبي بن كعب وابن مسعود وغيرهما مما يخالف رسم هذا المصحف منسوخة.

وأما من قال عن ابن مسعود أنه كان يجوز القراءة بالمعنى فقد كذب عليه و إنما قال قد نظرت إلى القراء فرأيت قراءتهم متقاربة. وإنما هو كقول أحدكم أقبل وهلم وتعال فاقرؤا كما علمتم أو كما قال ثم من جوز القراءة بما يخرج عن المصحف مما ثبت عن الصحابة قال يجوز ذلك لأنه من الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها ومن لم يجوزه فله ثلاثة مآخذ تارة يقول ليس هو من الحروف السبعة وتارة يقول هو من الحروف المنسوخة وتارة يقول هو مما انعقد إجماع الصحابة على ا لإعراض عنه وتارة يقول لم ينقل إلينا نقلا يثبت بمثله القرآن وهذا هو الفرق بين المتقدمين والمتأخرين. ولهذا كان في المسألة (قول ثالث) وهو اختيار جدي أبى البركات أنه إن قرأ بهذه القراءات في القراءة الواجبة وهى الفاتحة عند القدرة عليها لم تصح صلاته لأنه لم يتيقن أنه أدى الواجب من القراءة لعدم ثبوت القرآن بذلك وان قرأ بها فيما لا يجب لم تبطل صلاته لأنه لم يتيقن أنه أتى فى الصلاة بمبطل لجواز أن يكون ذلك من الحروف السبعة التي أنزل عليها وهذا القول ينبري على (أصل) وهو أن ما لم يثبت كونه من الحروف السبعة فهل يجب القطع بكونه ليس منها فالذ ي عليه جمهور العلماء أنه لا يجب القطع بذلك إذ ليس ذلك مما أوجب علينا أن يكون العلم به في النفي والإثبات قطعياً. وذهب فريق من أهل الكلام إلى وجوب القطع بنفيه حتى قطع بعض هؤلاء كالقاضي أبى بكر بخطأ الشافعي وغيره ممن أثبت البسملة آية من

القرآن في غير سورة النمل لزعمهم أن ما كان من موارد الاجتهاد في القرآن فانه يجب القطع بنفيه والصواب القطع بخطأ هؤلاء وأن البسملة آية من كتاب الله حيث كتبها الصحابة في المصحف إذ لم يكتبوا فيه إلا القرآن وجردوه عما ليس منه كالتخميس والتعشير وأسماء السور ولكن مع ذلك لا يقال ه ي من السورة التي بعدها كما أنها ليست من السورة التي قبلها بل ه ي كما كتبت آية أنزلها الله في أول كل سورة وإن لم تكن من السورة وهذا أعدل الأقوال الثلاثة في هذه المسألة. وسواء قيل بالقطع في النفي أو الإثبات فذلك لا يمنع كونها من موارد الاجتهاد التي لا تكفير ولا تفسيق فيها للنافي ولا للمثبت بل قد يقال ما قاله طائفة من العلماء أن كل واحد من القولين حق وأنها آية من القرآن في بعض القراءات وهى قراءة الذين يفصلون بها بين السورتين وليست آية في بعض القراءات وهى قراءة الذين يصلون ولا يفصلون بها بين السورتين[1].

الدراسة:

- **المسألة الأولى: تعريف القراءة الشاذة:**

الشذوذ في اللغة يطلق ويراد به الانفراد والمفارقة.

قال ابن فارس: =الشين والذال يدل على الانفراد والمفارقة+[2].

يقال: شذَّ شذوذاً: إذا انفرد عن الجمهور، فهو شاذ، وكذلك كل شيء منفرد فهو شاذ[3].

القراءة الشاذة في الاصطلاح:

---

(1) مجموع الفتاوى (3/ 394 – 399)، (12/ 570).

(2) معجم مقاييس اللغة (ص 502).

(3) ينظر: مادة (شذ) في العين (ص 469)، تهذيب اللغة (11/ 271)، لسان العرب (3/ 394).

ذكر الشيخ – رحمه الله – أن القراءة الشاذَّة هي القراءة الخارجة عن رسم المصحف العثماني.

فإطلاق الشذوذ على ما خالف الرسم كان هو الغالب بادئ الأمر.

قال ابن الجزري: =والقسم الثاني من القراءة الصحيحة: ما وافق العربية، وصح سنده، وخالف الرسم، كما ورد في =الصحيح+ من زيادة لا نقص، وإبدال كلمة بأخرى، ونحو ذلك كما جاء عن أبي الدرداء، وعمر، وابن مسعود، وغيرهم. فهذه القراءات تسمى اليوم: شاذة؛ لكونها شذَّت عن رسم المصحف المجمع عليه+[1].

ثم اتسع إطلاق الشذوذ، فصار يطلق على كل قراءة فقدت ركناً، أو أكثر من أركان القراءة المقبولة.

قال أبو شامة: =فليس الأقرب في ضبط هذا الفصل إلا ما ذكرناه مراراً من أن كل قراءة اشتهرت بعد صحة إسنادها وموافقتها خط المصحف، ولم تنكر من جهة العربية، فهي القراءة المعتمد عليها، وما عدا ذلك داخل في حيز الشاذ والضعيف، وبعض ذلك أقوى من بعض+[2].

وقال ابن الجزري: =كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها، ولا يحل إنكارها،... ومتى اختل ركن من هذه الأركان أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت في السبعة أو عمن هو أكبر منهم هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف+[3].

---

(1) منجد المقرئين (ص 82).

(2) المرشد الوجيز (ص 136).

(3) النشر (1/ 53).

وقال في =الطيبة+:

فكل ما وافق وجه نحوِ وكان للرسم احتمالاً يحوي
وصح إسناداً هو القرآن فهذه الثلاثة الأركان
وحيثما يختلُّ ركن أثبت شذوذه لو أنه في السبعة [1]

(1) شرح طيبة النشر (1/ 131).

- **المسألة الثانية: حكم القراءة بالقراءات الشاذة**

ذكر الشيخ أن الأقوال في هذه المسألة ثلاثة:

القول الأول: لا تجوز القراءة بالشواذ في الصلاة وغيرها.

وبه قال بعض الحنفية [1]، وبه قال مالك في أشهر الروايات عنه، وبها أخذ أكثر الصحابة [2]، وهو ظاهر مذهب الشافعية [3]، وبه قال أحمد في رواية، وعليها جمهور أصحابه[4]، وهو قول القراء، وعليه الأكثر كما أشار الشيخ[5].

ونقل ابن عبدالبر الإجماع على ذلك فقال: =وعلماء المسلمين مجمعون على ذلك إلا قوم شذوا لا يعرّج عليهم+[6].

=وصارت القراءة عند جميع العلماء بما يخالفه بدعة وخطأ، وإن صحت ورويت+[7].

قال ابن حجر: =وإذا تقرر أن الشاذ ما وراء العشرة، واتفق أئمة الفقه والأصول وجمهور القرَّاء على ذلك، لم يُلتفت إلى من يخالف ذلك؛ لأن من شذَّ لم يقبل... فمن عاند فقرأ بالشاذ أو أقرَأ به على أنه قرآن عُزِّر التعزير الرادع له ولأمثاله عن التلاعب بكتاب الله تعالى...+ [8].

---

(1) ينظر: فتاوى قاضي خان (1/ 155).

(2) ينظر: التمهيد (4/ 278)، مختصر خليل (ص 40).

(3) ينظر: المجموع (3/ 347).

(4) ينظر: المغني (2/ 166)، الشرح الكبير (3/ 469)، الفروع (1/ 422).

(5) ينظر: جمال القراء (2/ 579)، المرشد الوجيز (ص 139)، البرهان للزركشي (1/ 408).

(6) التمهيد (8/ 293).

(7) الإبانة عن معاني القراءات (ص 34).

(8) كلام ابن حجر هذا ملحق بكتاب منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري، ألحقه محقق الكتاب علي بن محمد العمران بآخر الكتاب، وذكر أنه مخطوط يطبع لأول مرة، انظر (ص 244) من الكتاب.

واستدل أصحاب هذا القول بأدلة قد ذكرها الشيخ في ثنايا كلامه في هذه المسألة:

1 – أن هذه القراءات لم تثبت متواترة عن النبي ﷺ، وإن ثبتت فإنها منسوخة بالعرضة الأخيرة، ولم تنقل إلينا نقلاً يثبت بمثله القرآن.

2 – أنها مما انعقد إجماع الصحابة على الإعراض عنه، وهم معصومون أن يجمعوا على ضلالة، وإجماعهم حجة.

القول الثاني: تجوز قراءة الشواذ في الصلاة وغيرها:

وهي رواية عن الإمام مالك [1]، وقال به أحمد في رواية عنه، وعليه بعض أصحابه[2]، وهو قول لطوائف من أهل الكلام[3].

وقد ذكر الشيخ دليلاً لهم وهو: أن المصحف العثماني مشتمل على الأحرف السبعة، وبناءً عليه فلا يجوز على الأمة أن تُهمل نقل شيء من الأحرف السبعة، ولا يجوز أن يُنهى عن القراءة ببعض الأحرف السبعة.

وقد أجاب المانعون على هذه الدليل بعدة أجوبة:

1 – القراءة على الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة، وإنما كان جائزاً لهم، مرخصاً لهم فيها، ولم تكن الأمة مأمورة بالحفاظ على هذه الرخصة كلها، فكيف يُقال أنه لا يجوز على الأمة أن تُهمل نقل شيء من الأحرف السبعة؟! وهي مخيرة في القراءة بهذه الأحرف، فعلى هذا الإلزام تنقلب الرخصة عنتاً ومشقة على الأمة.

2 – القراءات الشاذة ليست من الأحرف السبعة، وإن كانت منها فهي منسوخة

---

(1) ينظر: التمهيد (8/ 292).

(2) ينظر: المغني (2/ 166)، الشرح الكبير (3/ 469)، الإنصاف (2/ 58).

(3) ينظر: الانتصار ص (1/ 11 – 13).

بالعرضة الأخيرة، أو بإجماع الصحابة على المصحف العثماني والإجماع حجة وأصل من أصول الشرع.

قال مكي بن أبي طالب: =مصحف عثمان الذي أجمع الصحابة فمن بعدهم عليه، واطراح ما سواه مما يخالف خطه+[1].

القول الثالث: إن قرأ بهذه القراءات الشاذة في القراءة الواجبة – وهي الفاتحة لم تصح صلاته؛ لأنه لم يتيقن أنه أدى الواجب من القراءة، لعدم ثبوت القرآن بذلك.

وإن قرأ بها فيما لا يجب لم تبطل صلاته؛ لأنه لم يتيقن أنه أتى في الصلاة بمبطل، لجواز أن يكون ذلك من الحروف السبعة التي أنزل عليها، وهو اختيار جد الشيخ أبي البركات المجد ابن تيمية.

ويُجاب على هذا الاستدلال:

بأن هذا تفريق لا دليل عليه، إذ القاعدة المقررة أنه لا يفرق بين الواجب وغيره إلا بدليل وليس ثمة دليل.

وقد ذكر الشيخ أن هذا القول ينبني على أصل، وهو أنه ما لم يثبت كونه من الأحرف السبعة فهل يجب القطع بكونه ليس منها؟

فالذي عليه جمهور العلماء أنه لا يجب القطع بذلك، إذ ليس ذلك مما أوجب علينا أن يكون العلم به في النفي والإثبات قطعياً.

قال الطبري – رحمه الله –: =كل ما صح عندنا من القراءات أنه علمه رسول الله ﷺ لأمته من الأحرف التي أذن الله له ولهم أن يقرؤوا بها القرآن، فليس لنا أن نخطِّئ من قرأ به إذا كان ذلك موافقاً لخط المصحف، فإن كان مخالفاً لخط

(1) الإبانة عن معاني القراءات (ص 34).

المصحف لم نقرأ به، ووقفنا عنه وعن الكلام فيه+[1].

وقال مكي - بعد أن علل عدم جواز القراءة بالشاذ -: =فلا يقطع على مغيبه وصحته وما لم يقطع على صحته لا تجوز القراءة به ولا يكفَّر من جحده، وبئس ما صنع إذا جحده+[2].

وقال ابن الجزري - بعد نقله لكلام الشيخ المتقدم -: =وهذا الصحيح عندنا+.

فهذه القراءات الشاذة التي لم يثبت كونها من الأحرف السبعة لا تجوز القراءة بها، ولا يقطع بعدم ثبوتها.

والقول الثاني: هو قول فريق من أهل الكلام وهو: أنه يجب القطع بنفي هذه القراءات، فليست من الأحرف السبعة؛ لأن ما كان من موارد الاجتهاد في القرآن فإنه يجب القطع بنفيه، وعليه بنوا أن كل ما اختلف فيه يجب نفيه من المصحف[3].

قال الشيخ معقباً على قول هؤلاء: =والصواب القطع بخطأ هؤلاء+.

وقال في موضع آخر: =فإن أكثر الجهل إنما يقع في النفي الذي هو الجحود والتكذيب، لا في الإثبات؛ لأن إحاطة الإنسان بما يثبته أيسر من إحاطته بما ينفيه+[4].

والذي عليه السلف - رضي الله عنهم - النهي عن القطع بنفي قراءة أنها ليست من المصحف وهو الراجح وهو الذي اختاره الشيخ - رحمه الله -.

---

(1) المصدر السابق (ص 60)، نقله عن كتاب القراءات للطبري.

(2) الإبانة عن معاني القراءات (ص 59).

(3) النشر - العلمية - (ص 15).

(4) اقتضاء الصراط المستقيم (1/ 123 - 125).

الترجيح:

الأقرب – والله أعلم – هو القول الأول القائل بعدم جواز القراءة بالشواذ في الصلاة وغيرها، لما يلي:

-القرآن الكريم قد ثبت بالتواتر، وهذه القراءات الشاذة لم تثبت بالتواتر، والتعبد بالتلاوة إنما يكون بالقرآن فقط.

-أن الصحابة قد انعقد إجماعهم على مصحف عثمان – رضي الله عنه – وترك ما سواه، والشذوذ إنما حصل بعد إجماعهم وحينئذٍ لا يقبل الاحتجاج بقراءة بعض الصحابة – رضي الله عنهم – قبل جمع عثمان بما خالف مصحف عثمان بعد إجماعهم، فما كان قبل ذلك لا تسقط عليه أحكام ما حصل بعده؛ لأن ما قرأ به بعض الصحابة في حقه لا يعتبر شاذّاً لتلقيه إياه عن رسول الله ﷺ، وأما بعد الإجماع على مصحف عثمان وترك ما سواه، فإن ما خالفه يعتبر شاذّاً[1].

* * *

(1) ينظر: القراءات القرآنية لعبدالحليم قابه (ص 210).

المطلب الخامس
التكبيـــــر

وسئل رحمه الله: عن جماعة اجتمعوا فى ختمة وهم يقرؤون لعاصم وأبى عمرو فإذا وصلوا إلى سورة الضحى لم يهللوا ولم يكبروا إلى آخر الختمة ففعلهم ذلك هو الأفضل أم لا وهل الحديث الذ ي ورد في التهليل والتكبير صحيح بالتواتر أم لا؟

فأجاب: الحمد لله نعم إذا قرؤوا بغير حرف ابن كثير كان تركهم لذلك هو الأفضل بل المشروع المسنون فان هؤلاء الأئمة من القراء لم يكونوا يكبرون لا في أوائل السور ولا في أواخرها.

فإن جاز لقائل أن يقول إن ابن كثير نقل التكبير عن رسول الله جاز لغيره أن يقول أن هؤلاء نقلوا تركه عن رسول الله ، إذ من الممتنع أن تكون قراءة الجمهور الت ي نقلها أكثر من قراءة ابن كثير قد أضاعوا فيها ما أمرهم به رسول الله ﷺ فان أهل التواتر لا يجوز عليهم كتمان ما تتوفر الهمم والدواع ي إلى نقله فمن جوز على جماهير القراء أن رسول الله ﷺ أقرأهم بتكبير زائد فعصوا لأمر رسول الله ﷺ وتركوا ما أمرهم به استحق العقوبة البليغة التي تردعه وأمثاله عن مثل ذلك وأبلغ من ذلك البسملة فان من القراء من يفصل بها ومنهم من لا يفصل بها وهى مكتوبة في المصاحف ، ثم الذين يقرؤون بحرف من لا يبسمل لا يبسملون ، ولهذا لا ينكر عليهم ترك البسملة إخوانهم من القراء الذين يبسملون ، فكيف ينكر ترك التكبير على من يقرأ قراءة الجمهور وليس التكبير مكتوبا في المصاحف، وليس هو في القرآن باتفاق المسلمين، ومن ظن أن التكبير من القرآن فانه يستتاب فان تاب و إلا قتل ، بخلاف البسملة فإنها من القرآن حيث كتبت في مذهب الشافعي، وهو مذهب أحمد المنصوص عنه في غير موضع ، وهو مذهب أبي حنيفة عند المحققين من أصحابه

وغيرهم من الأئمة، لكن مذهب أبى حنيفة وأحمد وغيرهما أنها من القرآن حيث كتبت البسملة وليست من السورة، ومذهب مالك ليست من القرآن إلا في سورة النمل وهو قول في مذهب أبي حنيفة وأحمد.

ومع هذا فالنزاع فيها من مسائل الاجتهاد فمن قال ه ي من القرآن حيث كتبت أو قال ليست ه ي من القرآن إلا في سورة النمل كان قوله من الأقوال الت ي ساغ فيها الاجتهاد. وأما التكبير فمن قال أنه من القرآن فانه ضال باتفاق الأئمة والواجب أن يستتاب فان تاب وإلا قتل، فكيف مع هذا ينكر على من تركه ومن جعل تارك التكبير مبتدعاً أو مخالفاً للسنة أو عاصياً ف إنه إلى الكفر أقرب منه إلى الإسلام، والواجب عقوبته بل إن أصر على ذلك بعد وضوح الحجة وجب قتله ولو قدر أن النبي ﷺ أمر بالتكبير لبعض من أقرأه كان غاية ذلك يدل على جوازه أو استحبابه فانه لو كان واجباً لما أهمله جمهور القراء ولم يتفق أئمة المسلمين على عدم وجوبه ولم ينقل أحد من أئمة الدين أن التكبير واجب ، وإنما غاية من يقرأ بحرف ابن كثير أن يقول انه مستحب، وهذا خلاف البسملة فان قراءتها واجبة عند من يجعلها من القرآن ومع هذا فالقراء يسوغون ترك قراءتها لمن لم ير الفصل بها، فكيف لا يسوغ ترك التكبير لمن ليس داخلاً في قراءته . وأما ما يدعيه بعض القراء من التواتر في جزئيات الأمور فليس هذا موضع تفصيله[1].

(1) مجموع الفتاوى (17/ 130).

الدراسة:

تمهيـد:

أفرد القراء للتكبير باباً في مصنفاتهم، ولم يذكره ابن مجاهد في كتابه السبعة.

وجعلوه سنة عند المكيين، وهي قراءة ابن كثير[1]، وفي قول لجميع القراء.

وحديث التكبير أخرجه الحاكم بإسناده عن البزي [2] قال: سمعت عكرمة بن سليمان [3] يقول: قرأت على إسماعيل بن عبدالله بن قسطنطين [4]، فلما بلغت =والضحى+ قال لي: كبِّر عند خاتمة كلِّ سورة حتى تختم، وأخبره عبدالله بن كثير: أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وأخبره ابن عباس أن أبيّ بن كعب أمره بذلك،

---

(1) ينظر: الكشف في القراءات السبع (2/ 391)، التذكرة في القراءات الثمان لابن غلبون (2/ 656)، والتلخيص في القراءات الثمان لأبي معشر الطبري (ص 488)، إبراز المعاني (734 – 742)، النشر (2/ 405 – 440)، فتح الوصيد للسخاوي (4/ 1335 – 1344).

(2) هو أحمد بن محمد بن عبدالله أبوالحسن البزي المكي المقري قارئ مكة، إمام في القراءة، مولى بني مخزوم، توفي سنة 224هـ.

انظر ترجمته في: لسان الميزان (1/ 283 – 284).

(3) عكرمة بن سليمان بن كثير بن عامر، مولى بني شيبة، أبو القاسم المكي المقرئ، روى عن إسماعيل بن عبدالله بن قسطنطين، وقرأ القرآن على شبل بن عباد وإسماعيل القسط، وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم: صدوق وربما يهم.

انظر ترجمته في: الجرح والتعديل (7/ 11)، معرفة القراء الكبار (1/ 146)، الوافي بالوفيات (20/ 40).

(4) إسماعيل بن عبدالله بن قسطنطين أبو إسحاق المخزومي مولاهم المكي المقرئ المعروف بالقسط، قارئ أهل مكة في زمانه، وآخر أصحاب ابن كثير وفاة، روى عن شبل بن عباد المكي وعلي بن زيد بن جدعان، توفي سنة 190هـ وقيل قبلها.

انظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار (1/ 141)، والجرح والتعديل (2/ 180)، تاريخ الإسلام (11/ 40).

وأخبره أبيّ بن كعب أن النبي ﷺ أمره بذلك[1].

وأما سبب التكبير: فقالوا: أن الأصل في ذلك أن النبي انقطع عنه الوحي، فقال المشركون قلى محمداً ربه، فنزلت سورة =والضحى+ فقال النبي ﷺ: =الله أكبر+[2].

قال ابن كثير: =ولم يرد ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف+[3][4].

دراسة رأي شيخ الإسلام:

يتلخص رأي الشيخ – رحمه الله – في مسألة التكبير في هذه النقاط:

1 – أن المشروع المسنون هو ترك التكبير لمن قرأ بغير قراءة ابن كثير؛ لأن أئمة القرَّاء لم يكونوا يكبِّرون لا في أوائل السور ولا في أواخرها. ويفهم من كلامه – رحمه

---

(1) أخرجه البيهقي، الشعب 2/ 370، ح(2078)، وأخرجه الحاكم في المستدرك 2/ 344، ح(5325)، مناقب أبي بن كعب وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: =والبزي تُكلِّم فيه+ التلخيص (3/ 304).

وقد ذكر في السير (12/ 50): وقال =صحح الحاكم حديث التكبير، وهو منكر+.

وقد رواه أبو عمرو الداني من حديث الحسن بن مخلد عن البزي أيضاً، وقال ابن أبي حاتم: قلت لأبي: ابن أبي بزة ضعيف الحديث، قال: نعم، ولست أحدث عنه. لسان الميزان (1/ 284).

وقال ابن حجر: =هذا حديث غريب وهو مما أنكر على البزي+ لسان الميزان (1/ 284).

(2) ينظر: التذكرة لابن غلبون (2/ 656)، النشر (2/ 406).

(3) تفسير القرآن العظيم (طيبة) (8/ 432).

(4) والصحيح في سبب نزول سورة =والضحى+ ما أخرجه البخاري في التفسير (4/ 1892)، ومسلم في الجهاد والسير برقم 1797 عن جندب بن سفيان رضي الله عنه قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً، فأنزل الله – عز وجل: ژ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ژ. وينظر: كلام الحافظ ابن حجر في أسباب نزول السورة، وأن الصحيح منها رواية الصحيح. فتح الباري (8/ 576 – 577).

الله – أن التكبير مختص بقراءة ابن كثير. وهذا هو المشتهر عند أهل الأداء الذين يقرأون بالتكبير، فإنهم إنما يقرأوا بالتكبير لابن كثير من رواية البزي.

قال أبو الحسن بن غلبون: =اعلم أن القرَّاء أجمعوا على ترك التكبير من سورة =الضحى+ إلا البزي وحده+[1].

قال مكي بن أبي طالب: =أجمع القرَّاء على ترك التكبير إلا البزي+[2].

وقال أيضاً: =تفرَّد ابن كثير في رواية البزي عنه خاصة، بالتكبير+[3].

2 – التكبير المأثور عن ابن كثير ليس مسنداً عن النبي ﷺ وإنما نُقل اختياراً عمن هو دون النبي ﷺ ولم يرفعه إلى النبي ﷺ إلا البزي وخالف بذلك سائر من نقله.

وقد نص غير واحد من الأئمة على أن التكبير موقوف على ابن عباس ومجاهد ولم يرفعه إلا البزي.

قال الحافظ أبو العلاء الهمداني [4]: =لم يرفع أحد التكبير إلا البزي فإن الروايات قد تضافرت عنه برفعه إلى النبي ﷺ، ورواه الناس فوقفوه على ابن عباس ومجاهد+[5].

---

(1) التذكرة في القراءات الثمان لابن غلبون (ص 656).

(2) التبصرة في القراءات السبع لمكي (ص 734).

(3) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي (2/ 391).

(4) هو الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد الأستاذ أبو العلاء الهمداني العطار الحافظ المقرئ، شيخ أهل همذان، ولد سنة 488هـ، وارتحل إلى أصبهان، فقرأ بها القراءات على أبي علي الحداد ، وإلى بغداد فقرأ على أبي عبدالله البارع، وله مصنفات في القراءات العشر والوقف والابتداء والتجويد، توفي سنة 569هـ.

انظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار (3/ 542 – 544)، غاية النهاية في طبقات القراء (1/ 204). له كتاب الغاية في القراءات العشر.

(5) إبراز المعاني (735، النشر (العلمية) (2/ 414).

وقال أبو معشر الطبري [1]: =التكبير موقوف على عبدالله بن عباس ومجاهد، ولم يرفعه إلى النبي ﷺ أحد غير ابن أبي بزة+[2].

3 – أشار الشيخ – رحمه الله – إلى تضعيف أهل العلم – بالحديث والرجال من علماء القراءة وعلماء الحديث – لحديث التكبير مرفوعاً [3]. ولم أجد من صحح حديث التكبير مرفوعاً غير الحاكم، وقد تتبعت كتب القراءات فلم أظفر بشيء من هذا، غير أن الحافظ ابن الجزري – رحمه الله – اعتمد – فيما ظهر لي – في تقوية الحديث على رواية الكثير له، فقال: =وقد تكلم بعض أهل الحديث في البزي وأظن ذلك من قبل رفعه له – يعني حديث التكبير – فضعفه أبو حاتم والعقيلي على أنه قد رواه عن البزي جماعة كثيرون، وثقات معتبرون+.

وقال في موضع آخر: =اعلم أن التكبير صحّ عند أهل مكة: قرائهم وعلمائهم وأئمتهم ومن روى عنهم، صحة استفاضة واشتهرت وذاعت حتى بلغت حد التواتر+.

ولعل ابن الجزري يعني بالتواتر والشهرة كثرة الذين رووه عن البزي، وهل هذا كاف في تصحيح حديث التكبير وتقويته؟

4 – قرر الشيخ أن التكبير ليس بواجب ولم ينقل أحد من أئمة الدين وجوبه، وغاية ما يقال فيه أنه مستحب أو جائز لمن قرأ بحرف ابن كثير، ولو كان واجباً لما

---

(1) هو: عبدالكريم بن عبدالصمد بن محمد أبو معشر الطبري المقرئ، روى القراءات عن أبي القاسم الزيدي وأبي عبدالله الكازريني وابن يعيش، ومن مصنفاته: التلخيص وسوق العروس في القراءات، توفي سنة 478هـ.

انظر ترجمته في: لسان الميزان (4/ 94)، طبقات المفسرين للداودي (1/ 135)، العبر في خبر من غبر (3/ 292).

(2) التلخيص في القراءات الثمان (ص 488).

(3) ينظر: كلام العلماء حول حديث التكبير (ص) من هذا المطلب.

أهمله جمهور القرَّاء. وإلى هذا أشار غير واحد.

قال أبو الفتح فارس [1]: =ولا نقول: إن هذا – أي التكبير – سنة، ولا إنه لا بد لمن ختم أن يفعله، فمن فعله فحسن جميل، ومن ترك فلا حرج+[2][3].

❊ ❊ ❊

(1) هو: أبو الفتح فارس بن أحمد الحمصي المقرئ الضرير، أحد أعلام القرآن، أقرأ بمصر عن عبدالباقي بن السقا والسامري وجماعة وصنف المنشأ في القراءات وعاش ثمان وستين سنة.

انظر ترجمته في: العبر في خبر من غبر (3/ 82)، غاية النهاية في طبقات القراء (2/ 5).

(2) فتح الوصيد في شرح القصيد للسخاوي (4/ 1339).

(3) قد صنف الشيخ المقري إبراهيم الأخضر القيم، كتاباً في التكبير سماه =تكبير الختم بين القرَّاء والمحدثين+ خلص إلى أن التكبير لم يثبت وأن الأولى تركه، وقد صنف في الرد عليه الأستاذ أحمد الزعبي الحسني كتاباً سماه =إرشاد البصير إلى سنة التكبير عن البشير النذير ﷺ +، وأحسب أن المسألة لا تزال بحاجة إلى مزيد بحث.

المطلب السادس
توجيه القراءات

قال شيخ الإسلام:

وكذلك قوله تعالى: ﴿ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ ﴾[1] وما رأيتهم تنازعوا في تفسير ﴿ ٻ پ ﴾ ،فإن هذه الآية فيها قراءتان مشهورتان: قراءة الأكثرين: ﴿ ٻ پ ﴾ من أنساه ينسيه، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: [أو ننسأها] بالهمز من نسأه ينسأه. فالأول من النسيان، والثاني من نسأ إذا أخر[2].

قال أهل اللغة: =نَسَأْتُهُ نَسأ: إذا أَخَّرْتُهُ. وكذلك أنسأته، يقال: نسأته البيع وأنسأته+[3].

قال الأصمعي: =أنسأ اللهّ في أجله ونسأ في أجله بمعنى. ومن هذه المادة بيع النسيئة. ومن كلام العرب: من أراد النَّسَاء ولا نَسَاء، فليبكر الغداء، وليخفف الرداء، وليقلل من غشيان النِّساء+[4].

فأما القراءة الأولى فمعناها ظاهر عند أكثر المفسرين، قالوا: المراد به ما أنساه اللهّ من القرآن كما جاءت الآثار بذلك .....[5].

---

(1) سورة البقرة، الآية: 106.

(2) ينظر: السبعة لابن المجاهد (1/ 168)، وحجة القراءات (1/ 109 – 110).

(3) لسان العرب (15/ 324).

(4) لسان العرب (15/ 322).

(5) مجموع الفتاوى 17/ 181 – 199.

الدراسة

علم توجيه القراءات تشد الحاجة إليه في غير ما فن؛ فيحتاجه المفسر، والمقرئ والنحوي، واللغوي .

وشيخ الإسلام وإن كان غير مكثر من ذكر القراءات إلا أن له منهج فريد في توجيهها يبرز في هذه النقاط الآتية:

1 – نسبة القراءة إلى من قرأ بها كما تقدم، وهذا في الغالب.

2 – توجيه القراءة لغة وإعراباً كما تقدم.

3 – توجيه القراءة دلالة ومعنى. فشيخ الإسلام يرى أن القراءتين كالآيتين في توجيه المعنى، فزيادة القراءات كزيادة الآيات [1]. وهي من صيغ الترجيح عنده بين الأقوال في تفسير الآيات[2].

4 – قد يشير الشيخ إلى شذوذ القراءة أحياناً.

---

(1) ينظر: مجموع الفتاوى (13/ 400)، (13/ 391).

(2) ينظر على سبيل المثال: مجموع الفتاوى (16/ 322).

المطلب السابع
جمع القراءات

- **المسألة الأولى: جمع القراءات:**

قال شيخ الإسلام :

جمع حروف القراء كلهم لا على سبيل الدرس والحفظ، لكن على سبيل التلاوة، والتدبر، مع تنوع المعاني، مثل أن يقرأ في الصلاة ﮋ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ (بما كانوا يكذِّبون)[1]. ﮋ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ (بعِّد بين أسفارنا).[2] ﮋ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ (عما يعملون) [3]. ﮋ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ (آصارهم) [1].ﮋ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ (وأرجلِكم

---

(1) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (بما كانوا يكذبون) بتشديد الذال وضم الياء وقرأ عاصم وحمزة والكسائي (يكذبون) خفيفة بفتح الياء وتخفيف الذال السبعة لابن مجاهد 1/ 143 حجة القراءات 1 / 88.

(2) قرأ ابن كثير وأبو عمرو فقالوا ربنا بعد بالتشديد وقرأ الباقون) باعد (بالألف السبعة لابن مجاهد 1/ 529،حجة القراءات 1/ 588.

(3) قرأ ابن كثير كل ما في القرآن من قوله (وما الله بغافل عما تعملون) بالتاء إلا ثلاثة أحرف قوله (وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما يعملون) البقرة 74 بالياء وكذلك (يردون إلى أشد العذاب. وما الله بغفل عما يعملون) البقرة 85 بالياء، وكذلك قوله تعالى (ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون) البقرة 144 بالياء،وقرأ ما كان من قوله (وما ربك بغافل عما يعملون) الأنعام 132، والنمل 93 بالياء، وقرأ نافع حرفين من هذه الثلاثة الأحرف بالياء قوله (إلى أشد العذاب وما الله بغفل عما يعملون) بالياء وقوله ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون (بالياء وسائر القرآن بالتاء وقرأ قوله) وما ربك بغافل عما تعملون (بالتاء حرفان في آخر سورة هود وآخر سورة النمل فإنهما عنده بالتاء وقرأ في سورة الأنعام) وما ربك بغافل عما يعملون (بالياء هذه وحدها وقرأ ابن عامر كل ما جاء في القرآن من قوله) وما الله بغافل عما تعملون (بالتاء وقرأ في سورة الأنعام وآخر سورة هود (وما ربك بغافل عما تعملون) بالتاء وقرأ في آخر سورة النمل (وما ربك بغافل عما تعملون) بالياء، السبعة لابن مجاهد 1/ 166.

)[2]. ژ ھ ھ ے ۓ ژ (حتى يطَّهرن) [3]. ژ ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ژ (إلا أن يُخافا) [4]. ژ ې ې ى ى ژ (أو لمستم) [5]. ومعلوم أن هذا بدعة مكروهة قبيحة.

ومعلوم أن المسلمين متفقون على أنه لا يستحب للقارئ في الصلاة والقارئ عبادة وتدبراً خارج الصلاة أن يجمع بين هذه الحروف، إنما يفعل الجمع بعض القراء بعض الأوقات؛ ليمتحن بحفظه للحروف، وتمييزه للقراءات، وقد تكلم الناس في هذا.

وأما الجمع في كل القراءة المشروعة المأمور بها فغير مشروع باتفاق المسلمين، بل يخير بين تلك الحروف، وإذا قرأ بهذه تارة وبهذه تارة كان حسناً...

وأما جمعها في الصلاة أو في التلاوة فهو بدعة مكروهة، وأما جمعها لأجل الحفظ

---

(1) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائى (إصرهم) بكسر الألف، وقرأ ابن عامر ءاصرهم ممدودة الألف على الجمع السبعة لابن مجاهد 1 / 295.

(2) واختلفوا في نصب اللام وخفضها من قوله (وأرجلكم) 6 فقرأ ابن كثير وحمزة وأبو عمرو (وأرجلكم) خفضا. وقرأ نافع وابن عامر والكسائى (وأرجلكم) نصباً وروى أبو بكر عن عاصم (وأرجلكم) خفضا، وروى حفص عن عاصم (وأرجلكم) نصبا السبعة لابن مجاهد 1 / 243 حجة القراءات 1/ 222.

(3) اختلفوا في تخفيف الطاء وضم الهاء وتشديد الطاء وفتح الهاء من قوله (حتى يطهرن) 222 فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر (يطهرن) خفيفة وقرأ عاصم في رواية أبي بكر والمفضل وحمزة والكسائي (يطهرن) مشددة. وقرأ حفص عن عاصم (يطهرن) خفيفة السبعة لابن مجاهد 1 / 182 والتيسير في القراءات 1 / 80.

(4) اختلفوا في ضم الياء وفتحها من قوله (إلا أن يخافا) 229، قرأ حمزة وحده يخافا بضم الياء وقرأ الباقون (يخافا) بفتح الياء السبعة لابن مجاهد 1 / 182 وحجة القراءات 1 / 135.

(5) اختلفوا في إدخال الألف وإخراجها من قوله (أو لامستم النساء) 43 فقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر أو لمستم بالألف ههنا وفي المائدة 6 مثله وقرأ حمزة والكسائي لمستم بغير ألف وفي المائدة مثله. السبعة لابن مجاهد 1 / 234 حجة القراءات 1/ 204.

والدرس فهو من الاجتهاد الذي فعله طوائف في القراءة[1].

* * *

(1) مجموع الفتاوى (24/ 244، 459، (13/ 404).

تمهيـد: في نشأة جمع القراءات وسببه:

لقد كان القُرَّاء الأوائل في الصدر الأول، ومن بعدهم إذا أراد أحدهم القراءة على شيخه أكثر من رواية قرأ كل رواية في ختمة، ولا يضم إليها غيرها حتى ينتهي من القرآن كله، ثم يشرع في رواية أخرى وهكذا إلى أن يُنهي جميع الروايات التي يريد قراءتها على شيخه بهذه الطريقة، وهذا يُسمى بإفراد القراءة.

ومن هؤلاء: علي بن عبدالغني الفهري القيرواني الحصري [1]، قرأ القراءات السَّبع على شيخه أبي بكر القصري[2] تسعين ختمة، كلما ختم ختمة قرأ غيرها حتى أكمل ذلك في عشر سنين، وقال:

وأذكر أشياخـــي الذين قرأتها
عليهم فأبـــدأ بالإمام أبي بكـــر
قرأت عليه السبع تسعين ختمة
بدأت ابن عشر ثم أكملت في عشر[3]

ثم إنه ظهر في القرن الخامس في عصر أبي عمر الدَّاني، و الأهوازي [4]، وابن

---

(1) هو علي بن عبدالغني أبو الحسن الفهري القيرواني القصري، أستاذ ماهر وأديب حاذق صاحب القصيدة الرائية في قراءة نافع، قرأ على عبدالعزيز بن محمد وعلى أبي علي بن حمدون، توفي بطنجة 468هـ.

انظر ترجمته في: غاية النهاية في طبقات القراء (1/ 550 – 551)، وفيات الأعيان (3/ 331)، العبر في خبر من غبر (3/ 323).

(2) هو: يحيى بن أحمد بن أحمد بن محمد القصري المقرئ، قرأ على أبي الحسن الحمامي القرآن، وسمع من أبي الحسن بن الصلت، وكان حسن الإقراء مجوداً عارفاً، ختم عليه خلق، وكان خيراً ديناً صالحاً ممتعاً بقواه، توفي سنة 490هـ، وله مائة وسنتان.

انظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار (1/ 442)، غاية النهاية (2/ 365).

(3) ينظر: غاية النهاية (1/ 550)، والنشر (2/ 194).

(4) هو الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد بن هرمز، أبو علي الأهوازي، شيخ القراء في عصره، ومحدث كبير وله مصنفات، توفي بدمشق سنة 446هـ.

انظر ترجمته في: غاية النهاية في طبقات القراء (1/ 220 – 221)، معرفة القراء الكبار (1/ 402).

شيطا[1]، والهذلي[2] جمع القراءات المتعددة في ختمة واحدة، واستمر العمل به بعد ذلك.

والسبب الذي من أجله ظهر الجمع بالقراءات في المجلس الواحد وفي الختمة الواحدة، هو ما رآه الأئمة من فتور في هم الطلاب، والمشقة الحاصلة بطول المدة التي يقضيها القارئ في إفراد كل ختمة برواية [3]، فلهذا السبب ابتكر علماء القراءات جمع القراءات وهو أن يجمع القارئ بين روايتين أو قراءتين متواترتين فأكثر لأحد القرَّاء السبعة أو العشرة المشهورين، حسب مذهب معين من مذاهب العلماء في كيفية الجمع، وفي نطاق مرتبة محددة من مراتبه، بتلاوة جزء من آية أو آية فأكثر من القرآن في مجلس واحد وضمن ختمة واحدة[4].

رأي شيخ الإسلام في هذه المسألة:

ليتضح رأي شيخ الإسلام في مسألة جمع القراءات يَحسنُ أن تُجعل مسألة الجمع على حالتين:

الحالة الأولى: جمع القراءات في الصلاة، وعلى سبيل التدبُّر والتلاوة مع تنوّع المعاني:

يرى الشيخ في موضع أن هذه بدعة قبيحة، وفي موضع آخر قال: =الجمع في كل القراءة المشروعة المأمور بها غير مشروع باتفاق المسلمين. فجمع القراءات في

(1) هو عبدالواحد بن الحسين بن أحمد بن عثمان بن شيطا، أبو الفتح البغدادي، أخذ القراءات عرضاً على علي بن يوسف بن العلاف وأبي الحسن بن الحمامي، ومن مؤلفاته: التذكار في القراءات العشر.
انظر ترجمته في: نهاية الغاية (1/ 473)، معرفة القراء الكبار (1/ 415).

(2) هو: يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل، أبو القاسم الهذلي اليشكري القارئ الكبير، وقد تلقى علم القراءات على ثلاثمة وخمسة وستون شيخاً ومن مؤلفاته: الكامل في القراءات.
انظر ترجمته في: غاية النهاية في طبقات القراء (2/ 398)، معرفة القراء الكبار (1/ 429).

(3) ينظر: غيث النفع (ص 9 – 10)، والنشر (2/ 195).

(4) الجمع بالقراءات المتواترة (ص 131).

الصلاة لم يكن عليه عمل المسلمين، ولا حاجة له، ولم يُنقل عن أحد من السلف+.

والناظر في كتب القراءات التي ذكر جمع القراءات فيها وطرقه وأنواعه، لا يجد ذكراً لجمع القراءات في الصلاة، ومعلوم أن جمع القراءات إنما ظهر في القرن الخامس للحاجة إليه، وعرض القراءات على الشيوخ، وجمع القراءات في الصلاة يترتب عليه إشكالات، ولا يخفى أن الصلاة عبادة مبناها على الحظر والتوقيف، فلا يتعبَّد فيها إلا بما ثبت شرعاً+[1].

وأما جمع القراءات على سبيل التلاوة فقد كرهه غير واحد من [2].

الحالة الثانية: جمع القراءات على سبيل التلقِّي والتعليم:

يرى شيخ الإسلام جواز ذلك، وهو رأي جمهور القرَّاء من زمن الإمام الداني إلى زماننا هذا، فقد ذهبوا إلى جوازه، وعدم إنكاره.

قال الإمام القسطلاني – رحمه الله –:

=ظهر جمع القراءات في ختمة واحدة في أثناء المائة الخامسة في عصر الداني وابن شيطا، واستمر إلى هذه الأزمان، واستقرّ عليه العمل عند أهل الإتقان بقصد سرعة الترقي إلا أنه مشروط بإفراد القراءات وإتقان الطرق والروايات+[3].

وقال الحافظ الجزري – رحمه الله –:

=ظهر لي أن الإقراء بالجمع ظهر من حدود الأربعمائة وهلم جرا، وتلقاه الناس بالقبول، وقرأ به العلماء وغيرهم لا نعلم أحداً كرهه...+ [4].

---

(1) جعل العلامة بكر بن عبدالله أبو زيد جمع القراءات في الصلاة من بدع القرَّاء، ينظر: بدع القراء له (ص12).

(2) ينظر: المرشد الوجيز (ص 185)، جمع القراءات المتواترة للعبيدي (ص 190).

(3) لطائف الإشارات (1/ 335).

(4) منجد المقرئين (73)،وقال في النشر (2/ 195) "وكان بعض الأئمة يكره ذلك، من حيث إنه لم تكن

وقد منع طائفة من العلماء الجمع في المحافل العامة وأمام العوام؛ لعدم الحاجة إليه، ولما يحصل من اللَّبْس والإشكال لدى العوام[1].

وللجمع شروط وأنواع ليس هذا محل بسطها[2].

- **المسألة الثانية: تركيب القراءات:**

قال شيخ الإسلام:

يجوز أن يقرأ بعض القرآن بحرف أبي عمرو وبعضه بحرف نافع وسواء كان ذلك في ركعة أو ركعتين وسواء كان خارج الصلاة أو داخلها، والله أعلم[3].

تمهيـــد:

المقصود بتركيب القراءات: هو الانتقال من قراءة إلى أخرى دون إعادة أو تكرار لأوجه الخلاف، فيقرأ آية أو بعضها أو أكثر منها بقراءة، ثم ينتقل إلى قراءة أخرى بما يليها، ويسميه بعضهم =تلفيق القراءات+ أو =خلط القراءات + وهو يختلف عن جمع القراءات الذي فيه الإتيان بأوجه الخلاف في الموضع الواحد بطريقة من طرق الجمع المعروفة، وأما التركيب فليس فيه إعادة ولا تكرار بل فيه انتقال من رواية إلى أخرى دون إعادة لأوجه الخلاف.

عادة السلف عليه، ولكن الذي استقر عليه العمل هو الأخذ به، والتقرير عليه، وتلقيه بالقبول" اهـ.

(1) صنَّف في ذلك أبو بكر بن محمد بن علي بن خلف الحسيني، من قرّاء مصر كتاباً في منع القراءات في المحافل سماه =الآيات البينات في حكم جمع القراءات+ ردّاً على رسالة =لخليل الحنايني + والمسماة =هداية القراء والمقرئين+ والذي أجاز فيها الجمع مطلقاً.

(2) انظر على سبيل المثال: النشر (2/ 201 – 205).

(3) مجموع الفتاوى (22/ 445).

الدراسة:

يرى الشيخ جواز تركيب القراءات في الصلاة وفي غيرها.

وقد اختلف العلماء في حكم تركيب القراءات:

1 – فمنهم من خطَّأ التركيب مطلقاً.

2 – ومنهم من منعه إذا ترتَّب عليه إخلال بالمعنى أو إخلال بقواعد اللغة، وإلا فهو جائز مع الكراهية، أو جائز مع مخالفتة للأوْلَى.

3 – ومنهم من فصَّل في الكراهية، فجعل ذلك بحسب حال القارئ، فإن كان من أهل العلم فيكره ويُعاب، وإن كان من العوام فلا يكره.

وهذا قولان في الجملة:

أما القول الأول: قول من خطَّأ التركيب مطلقاً، وممن ذهب إلى هذا أبو الحسن علي السخاوي حيث يقول: =وخَلْطُ هذه القراءات بعضها ببعض خطأ+[1].

القول الثاني: هو منع خلط القراءات إذا ترتب على الخلط فساد بالمعنى، أو إخلال بقواعد اللغة، وإلا فهو جائز، وأصحاب هذا القول على ثلاثة أنحاء في القول بالجواز:

1 – الجواز مع الكراهية.

2 – الجواز مع أنه خلاف الأوْلَى.

3 – الجواز من غير كراهية.

- فممن ذهب للأوَّل أبو إسحاق الجعبري حيث يقول:

=والتركيب ممتنع في كلمة وفي كلمتين إن تعلَّق أحدهما بالآخر وإلا

---

(1) النشر (1/ 18).

كُره+[1].

- وممن ذهب للثاني الإمام النووي حيث يقول:

=إذا ابتدأ – يعني القارئ – بقراءة أحد القرّاء فينبغي أن لا يزال على القراءة بها مادام الكلام مرتبطاً، فإذا انقضى ارتباطه فله أن يقرأ بقراءة آخر من السبعة، والأولى دوامه على الأولى في هذا المجلس+[2].

- وممن ذهب للثالث أبو شامة حيث ذكر المنع فيما يحيل المعنى، وتجويز ما عدا ذلك فيقول:

=المنع من هذا ظاهر – يعني فيما يحيل المعنى – وأما ما ليس كذلك فلا مَنْع منه، فإن الجميع جائز، والتخير في هذا وأكثر منه كان حاصلاً بما ثبت من إنزال القرآن على سبعة أحرف توسعة على القرَّاء، فلا ينبغي أن يضيّق بالمنع من هذا ولا ضرر فيه+[3].

وقد جمع هذه الاحترازات عند خلط القراءات الحافظ الجزري، وفصَّل في المسألة تفصيلاً محرراً كعادته، فيقول:

=والصواب عندنا في ذلك التفصيل والعدول بالتوسّط إلى سواء السبيل فنقول: إن كانت إحدى القراءتين مترتبة على الأخرى، فالمنع من ذلك منع تحريم كمن يقرأ ژ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ژ [4] بالرفع فيهما أو بالنصب، آخذاً رفع آدم من قراءة غير ابن كثير، ورفع كلمات من قراءة ابن كثير [5]، ونحو: ژ ﯨ ﯩ ﯪ ژ [1] بالتشديد مع

(1) النشر (1/ 18)، وغيث النفع (ص 65).

(2) التبيان في آداب حملة القرآن (ص 124).

(3) التيسير للداني (ص 185).

(4) سورة البقرة، الآية: 37.

(5) قرأها بفتح =آدم+ ورفع =كلمات+، وقرأ الباقون برفع =آدمُ+ ونصب =كلمات+. ينظر: النشر لابن الجزري (2/ 211).

الرفع أو عكس ذلك، ونحو ژ ﮭ ﮮ ژ [2] وشبهه مما يركب بما لا تجيزه العربية ولا يصح في اللغة، وأما ما لم يكن كذلك فإنا نفرق فيه بين مقام الرواية وغيرها.

فإن قرأ بذلك على سبيل الرواية فإنه لا يجوز أيضاً من حيث إنه كذب في الرواية وتخليط على أهل الدراية، وإن لم يكن على سبيل النقل والرواية بل على سبيل القراءة والتلاوة فإنه جائز صحيح مقبول لا منع ولا حظر، وإن كنا نعيبه على أئمة القراءات العارفين باختلاف الروايات من وجه تساوي العلماء بالعوام لا من وجه أن ذلك مكروه أو حرام، إذ كلٌّ من عند الله نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين تخفيفاً على الأمة وتهويناً على أهل هذه الملّة. فلو أوجبنا عليهم قراءة كل رواية على حدة لشقّ عليهم تمييز القراءة الواحدة وانعكس المقصود من التخفيف وعاد الأمر بالسهولة إلى التكليف+[3].

ولا مزيد على كلام الحافظ ابن الجزري، فقد أوفى الكيل ولم يبخس، ونظر في كلام من سبق نظر الناقد البصير المتفحص، فخرج بهذا التفصيل الذي جمع فيه بين الاحتياط والتيسير في أمر تركيب القراءات وخلطها، فأوفى المقام حقه، وأغلق الباب على من أراد طَرْقه.

وليُعلم أن القول بالجواز في خلط القراءات الذي ذهب إليه شيخ الإسلام لا يُفهم منه أن ذلك جائزٌ مطلقاً سواءاً ترتب على ذلك فساد في المعنى أو اللغة أو لم يترتب، بل هذا الأمر معتبرٌ في الجواز وإن لم يصرح به الشيخ، إذ لا يعقل أن يُغفل عن مثل هذا القيد المتعلق بكلام الله – عز وجل – والذي يجب تقديسه وصيانته عن

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 37. قرأ بتخفيف الفاء ورفع =زكرياء + نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر، وقرأها بتشديد الفاء وفتح =زكرياء+ شعبة، وقرأها بتشديد الفاء وحذف همزة =زكريا+ الباقون. ينظر: النشر (2/ 239).

(2) سورة الحديد، الآية: 8. قرأها بالبناء للمجهول ورفع =ميثاقكم+ أبو عمرو، وقرأها بالبناء للمعلوم ونصب =ميثاقكم+ الباقون. ينظر: النشر (2/ 384).

(3) النشر (1/ 19).

كل ما لا يليق به.

الفصل الثاني

الوحي ونزول القرآن عند ابن تيمية

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: أقسام / أنواع التكليم.
- المبحث الثاني: العموم والخصوص بين الوحي والتكليم في كتاب الله.
- المبحث الثالث: نزول القرآن الكريم.
- المبحث: الرابع: المكـــــــي والمدنـــي.

تمهيـد:

إن مما يحسن تقريره في مسائل الوحي؛ ذلك الارتباط الجلي بين الدرس العقدي، والدرس الاصطلاحي؛ فلا يحسن طرح المسائل الاصطلاحية بمعزل عن أثرها وحقيقتها من جهة الاعتقاد، لاسيما وأن ما يقرره أهل الاصطلاح في الغالب مبني على مقدمات عقدية.

فالتداخل بين البحث العقدي، والبحث الاصطلاحي، أمر ظاهر لا يمكن إغفاله أو تجاهله.

وثمة مباحث عدة في علوم القرآن ذات صلة بمسائل الاعتقاد كمسألة تعريف القرآن الكريم، ومسائل الوحي، ونزول القرآن، ومسائل المحكم والمتشابه، وغيرها. لهذا ينبغي التفطن لهذا الارتباط عند النظر في هذه الموضوعات.

إذا تقرر هذا فلا بأس من التوطئة لموضوع الوحي بالإشارة إلى الخلاف والنزاع في هذا الباب، وكذلك ذكر مايعتقده سلف هذه الأمة في كلام الله عز وجل.

فيقال: =لقد كان من أعظم ما حصل فيه الاختلاف والنزاع في الأمة ما أحدثته المبتدعة من الخوض في ذات الله تعالى وأسمائه وصفاته، بل كان هذا أعظم ما وقع من الفتن التي وقعت لهذه الأمة، فحصل إلحاد طوائف في أسماء الله وصفاته، وتكذيب لما جاء به الرسول ﷺ، وورد للمقطوع به من الكتاب والسنة، وحصل بذلك شر عظيم، وفساد كبير+[1].

وكان من أخص تلك القضايا التي طار في الأمة شَرَرُها، وعظم في الناس خطرها، ما أحدثته الفرق الكلامية من بدع التعطيل في صفة كلام الباري جل جلاله وتقدست أسماؤه.

---

(1) من كتاب العقيدة الإسلامية في كلام رب البرية، لعبدالله الجديع (ص 13 – 14).

وعلى رأس هذه الفرق الجهمية وأتباعهم من المعتزلة الذين عطلوا صفة الكلام، فقالوا: كلام الله مخلوق، يخلقه في بعض الأجسام، فمن ذلك الجسم ابتدأ، لا من الله، ولا يقوم عندهم بالله كلام ولا إرادة. وكذلك الأشاعرة القائلين بأن كلام الله معنى واحد قائم بالنفس لايتعدد ولايتجزأ.

والسلف - رحمهم الله - يعتقدون أن لله تعالى صفة الكلام وهي صفة قائمة به غير بائنة عنه، وأنه جل وعلا يتكلم بما شاء ومتى شاء، وأنه يتكلم بصوت وحرف ويسمعه من شاء من خلقه: من ملائكته، ورسله، وسائر عباده، بواسطة إن شاء، أو بغيرها، وكلامه أحسن الكلام ولا يشبه كلام المخلوقين؛ إذ ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، والخالق لا يقاس بالمخلوق، وكلام الله ينقسم ويتبعض ويتجزأ، فالقرآن من كلامه، والتوراة من كلامه، والإنجيل من كلامه، والقرآن غير التوراة، والتوراة غير الإنجيل، والفاتحة بعض القرآن، وآية الكرسي بعض البقرة، وهكذا سائر كلامه.

ويؤمنون بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأنه تكلم به حقيقة، ولا يجوزون إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة عنه، بل إذا قرأه الناس أو كتبه النساخ في المصاحف، أو حفظه الحفاظ في صدروهم: لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام لله تعالى حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مبلغاً ومؤدياً، وهو كلام الله؛ حروفه ومعانيه؛ ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف.

هذا هو مذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم، وهو ما دل عليه آيات كثيرة. منها:

1 – قال تعالى: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿

المبحث الأول
أنواع التكليم

قال شيخ الإسلام:

"التكليم ثلاثة أنواع: الوحي المجرد، والتكليم من وراء حجاب، كما كلم موسى عليه السلام، والتكليم بواسطة إرسال الرسول، كما كلم الرسل بإرسال الملائكة. قال تعالى: ﴿ ئى ئى ئد ى ى ي ي ج ح خ م ى ي ج ح خ م ى ي ج ﴾[1].

النوع الأول: فبين سبحانه أن التكليم تارة يكون وحيا: وهو الإعلام السريع الخفي إما في اليقظة، وإما في المنام؛ فان رؤيا الأنبياء وحى.... والأنبياء معصومون في اليقظة والمنام.

وإذا كان ما يوحيه إلى عباده تارة يكون بوساطة ملك وتارة بغير وساطة فهذا للمؤمنين كلهم مطلقا لا يختص به الأنبياء.

فإن ما يلقيه الله في قلوب المؤمنين من الإلهامات الصادقة العادلة هي من وحي الله، وكذلك ما يريهم إياه في المنام، قال عبادة بن الصامت: رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده في منامه، وقال عمر: اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم ما يقولون، فإنهم يتجلى لهم أمور صادقة، وقد قال تعالى: ﴿ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ﴾[2] ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ﴾[3]. ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ﴾[4].

ورؤيا المؤمنين جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة كما ثبت ذلك عن النبي

---

(1) سورة الشورى، الآية: 51.

(2) سورة المائدة، الآية: 111.

(3) سورة القصص، الآية: 7.

(4) سورة يوسف الآية: 15.

في الصحاح[1]، وقال عبادة بن الصامت ويروى مرفوعاً رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده في المنام[2]، وكذلك في اليقظة؛ فقد ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال: قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي فعمر، وفى رواية في الصحيح (مكلمون)، وقد قال تعالى: ﴿ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ﴾. وقال تعالى: ﴿ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ﴾ بل قد قال تعالى: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ﴾ وقال تعالى: ﴿ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ﴾.

فهذا الوحي يكون لغير الأنبياء، ويكون يقظة ومناما، وقد يكون بصوت هاتف يكون الصوت في نفس الإنسان ليس خارجاً عن نفسه يقظة ومناماً، كما قد يكون النور الذي يراه أيضاً في نفسه فهذه الدرجة من الوحي التي تكون في نفسه من غير أن يسمع صوت ملك، وليس كل من رأى رؤيا كانت وحيًا، فكذلك ليس كل من ألقي في قلبه شيء يكون وحيًا، والإنسان قد تكون نفسه في يقظته أكمل منها في نومه؛ كالمصلي الذي يناجي ربه فإذا جاز أن يوحي إليه في حال النوم؛ فلماذا لا يوحي إليه في حال اليقظة كما أوحى إلى أم موسى، والحواريين، وإلى النحل، لكن ليس لأحد أن يطلق القول على ما يقع في نفسه أنه وحي لا في يقظة ولا في المنام إلا بدليل يدل على ذلك؛ فإن الوسواس غالب على الناس والله أعلم[3].

---

(1) الحديث أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الجامع، باب: ماجاء في الرؤيا عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: (الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة) ص 2/ 134، ح(2009)، وأخرجه البخاري في التعبير، باب: رؤيا الصالحين ح (6582).
وللحديث روايات أخرى كثيرة فيها غير هذا العدد، ففي رواية أخرجها مسلم في صحيحه ح(2263) من حديث أبي هريرة: (... جزء من خمسة وأربعين جزءاً من النبوة) وفي أخرى عند مسلم أيضاً ح (2265) من حديث ابن عمر: (جزء من سبعين جزءاً من النبوة). وانظر في الجمع بين هذه الروايات: التمهيد لابن عبدالبر (1/ 283)، وفتح الباري لابن حجر (12/ 380 – 385).

(2) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (7 / 362) وعزاه للطبراني، وقال: فيه رجل لا أعرفه، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير، 3/ 177، ح (3078)

(3) مجموع الفتاوى (12/ 398 – 400)، (15/ 63)، (17/ 532).

الدراسة:

تمهيد:

عبر الشيخ –رحمه الله– بالتكليم بدلاً عن الوحي، وهذا التعبير راعى فيه الشيخ أمرين:

الأول: لفظ الكلام الوارد في أية الشورى ﴿ ئى ئى ئد ى ى ي ي ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى ﴾[1].

الثاني: أن هذا التقسيم جاء في معرض الرد على نفاة صفة الكلام فناسب أن يعبر بالتكليم؛ فقد بين الشيخ أنواع ومراتب التكليم العام الذي جاء في آية الشورى، وبيانه هذا متضمن إبطال أقوال كثير من المبتدعة اللذين لم يفرقوا بين تكليم الله لموسى وتكليمه لغيره بواسطة الملك، ولا بين الإيحاء المجرد والتكليم الخاص، فوقعوا بسبب ذلك في ضلالات، أوقعتهم في الإلحاد في صفات الله تعالى، وتعطيل صريح النصوص، وإبطال حقائقها.

والتكليم والوحي كما قرر الشيخ يدخل كل منهما في الآخر عند الإطلاق.

فيصح أن يقال أقسام الوحي، وأقسام التكليم، ويعبر بعضهم فيقول صور الوحي، أو أنواع الوحي، ولا مشاحة في الاصطلاح.

وقد ذكر الشيخ للتكليم ثلاثة أنواع، وهي المقسومة في آية الشورى، وتدخل في هذه الأنواع صور الوحي المذكورة في السنة النبوية.

النوع الأول: الوحي المجرد: (الوحي الخاص)

ودليله من آية الشورى قوله تعالى: ﴿ ئى ئى ئد ى ى ي ي ئج ﴾[2].

وهذا غير الوحي العام الذي يشمل جميع أنواع التكليم، وإنما هو نوع منه،

---

(1) سورة الشورى، الآية: 51.

(2) سورة الشورى، الآية: 51.

وقد فسره الشيخ –رحمه الله– بالإعلام السريع الخفي إما في اليقظة أو المنام.

فالوحي لغة يشمل أمرين:

1 -الإعلام في الخفاء، ومنه الوحي الخاص، وهو الوحي المجرد.

2 -كل إعلام وإلقاء إلى الغير،ومنه الكتابة، والرسالة، وهذا الوحي العام، ويدخل فيه جميع أنواع الوحي المذكورة في آية الشورى.

ولهذا القسم عدة أسماء فيسمى بالوحي القلبي [1]، ويسمى الوحي الخفي، ويسمى الإلهام وهو ما يوحي الله إلى النبي من أنبيائه فيثبت الله ما أراد من وحيه في قلب النبي فيتكلم به النبي ﷺ ويكتبه فهو كلام الله ووحيه.

وذكر الشيخ –رحمه الله– أن هذا النوع من الوحي يكون يقظة، ومناماً، ويكون للأنبياء، وغيرهم أيضاً.

ومن صور الوحي المجرد للنبي محمد ﷺ:

الرؤيا الصادقة في المنام: وهي أول ما بدئ به من الوحي ﷺ كما في صحيح البخاري عن عائشة قالت: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح [2].

ورؤيا الأنبياء وحي لأنهم معصومون في اليقظة والمنام.

ومِمَّا يدل على ذلك أيضاً ما أخرجه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رؤيا الأنبياء وحي [3].

---

(1) ينظر: علوم القرآن للدكتور محمود سالم عبيدات.

(2) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب، 1/ 4، 5 ح(3)، وأخرجه مسلم في الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ص88، ح(160).

(3) المعجم الكبير للطبراني 12/ 6 ح (12302) وأخرجه الطبري في تفسيره بلفظ: (كانت رؤيا الأنبياء وحياً) 15/ 554 بتحقيق أحمد شاكر، وذكره ابن كثير عن ابن عباس بلفظ: (رؤيا الأنبياء في المنام وحي) وقال: ليس هو في شيء من الكتب التسعة من هذا الوجه.

وفي صحيح البخاري في كتاب الوضوء، باب: التخفيف في الوضوء عن عبيد بن عمير قال: رؤيا

قال ابن عبدالبر – رحمه الله –: (ولا خلاف بين العلماء أن رؤيا الأنبياء وحي)[1].

وبيَّن الشيخ أن الوحي المجرد يكون أيضاً لغير الأنبياء، وقال في موضع آخر: **(وإذا كان ما يوحيه إلى عباده تارة يكون بوساطة ملك وتارة بغير وساطة فهذا للمؤمنين كلهم مطلقا لا يختص به الأنبياء)** [2].

ويكون هذا الوحي يقظة ومناماً، وقد يكون بصوت هاتف يكون الصوت في نفس الإنسان ليس خارجاً عن نفسه يقظة ومناماً؛ فهو إذاً على صورتين أيضاً لغير الأنبياء:

أ) الصورة الأولى: رؤيا المؤمنين في المنام: واستدل الشيخ بحديث رؤيا المؤمنين جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة)[3] وقال عبادة بن الصامت ويروى مرفوعاً رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده في المنام[4].

ووجه كون الرؤيا الحسنة جزءاً من النبوة يحتمل أموراً:

الأول: أن الرؤيا إن وقعت من نبي فهي جزء من أجزاء النبوة حقيقة، وإن وقعت من غير النبي فهي جزء من أجزاء النبوة على سبيل المجاز.

الثاني: أن الرؤيا تجيء على موافقة النبوة لا أنها جزء باق من النبوة.

الثالث: أنها جزء من عِلْمِ النبوة؛ لأن النبوة وإن انقطعت فعلمها باق[5].

وقد قرر الشيخ أنه ليس كل من رأي رؤيا كانت وحياً وليس كل من ألقي في قلبه

الأنبياء وحي، ثُمَّ قرأ: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ژ ص 52، 53 ح (138).

(1) الاستذكار (27/ 120).

(2) مجموع الفتاوى (17 / 528).

(3) سبق تخريجه.

(4) سبق تخريجه.

(5) ينظر: فتح الباري لابن حجر (12/ 380).

شيء يكون وحياً إلا بدليل يدل على ذلك؛ فإن الوسواس غالب على الناس.

وقال رحمه الله في موضع آخر: (**فالمأمور به إن كان تقوى الله، فهو من إلهام الوحي، وإن كان من الفجور فهو من وسوسة الشيطان.**

فيكون الفرق بين الإلهام المحمود، وبين الوسوسة المذمومة: هو الكتاب والسنة؛ فإن كان مما ألقي في النفس مما دل الكتاب والسنة على أنه تقوى لله فهو من الإلهام المحمود، وإن كان مما دل على أنه فجور فهو من الوسواس المذموم وهذا الفرق مطرد لا ينتقض)[1].

وإن كانت الرؤيا الحسنة الصادقة من الرجل الصالح الصادق جزءاً من النبوة، فلا تعتبر وحياً يترتب عليه ما يترتب على وحي الأنبياء من تشريع الأحكام، والعمل بمقتضاها، وإنما هي بشرى، أو نذارة يستأنس بها.

قال الشاطبي: (الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعاً على حال إلاَّ أن تعرض على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية، فإن سوغتها عمل بمقتضاها وإلاَّ وجب تركها والإعراض عنها، وإنَّما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة، وأمَّا استفادة الأحكام فلا. وأيضاً فإن الرؤيا التي هي جزء من أجزاء النبوة من شرطها أن تكون صالحة من الرجل الصالح، وحصول الشرط مِمَّا يُنظر فيه، فقد تتوفر وقد لا تتوفر)[2].

ب) الصورة الثانية: وحي الله لعباده في اليقظة واستدل الشيخ بحديث (**قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي فعمر** (وفى رواية في الصحيح (**مكلمون**) [3]. فجعل الشيخ التحديث من الوحي المجرد.

---

(1) مجموع الفتاوى (17 / 529).

(2) الاعتصام للشاطبي ص 189.

(3) سبق تخريجه.

ولا ريب أن هذه الصورة من الوحي المجرد ليست في منزلة وحي الله لأنبيائه ولا تقاربها، كما أن رؤيا الأنبياء ليست كرؤيا غيرهم من عباد الله المؤمنين.

وقد جعلها ابن القيم مرتبة رابعة بعد مرتبة الوحي الخاص (المجرد) فقال: المرتبة الرابعة: مرتبة التحديث.

وهذه دون مرتبة الوحي الخاص، وتكون دون مرتبة الصديقين كما كانت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه كما قال النبي ﷺ: **(إنه كان في الأمم قبلكم مُحَدَّثون، فإن يكن في هذه الأمة فعمر بن الخطاب)**[1].

والمحدَّث هو الذي يحدَّث في سره وقلبه بالشيء فيكون كما يحدَّث به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والصِّدِّيق أكمل من المحدَّث؛ لأنه استغنى بكمال صِدِّيقيته[2].

ومن صور وحي الله لغير الأنبياء في اليقظة التي ذكرها الشيخ ما يلي:

_ وحي الله للحواريين: قال تعالى: ژ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ژ.

_ الوحي لأم موسى: قال تعالى: ژ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ژ.

_ الوحي للنحل: قال تعالى: ژ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ولا ريب أن هذه الصور داخلة في مسمى الوحي.

ومن صور هذا الوحي المجرد مما لم يذكره الشيخ وحي الله لملائكته كما في قول الله تعالى: ژ ڈ ژ ژ ژ ڑ ک ک ک ک گ ژ [3].

هذه هي صور الوحي المجرد المتفق عليها، ومن العلماء من أدخل النفث في

---

(1) سبق تخريجه.

(2) مدارج السالكين (1 / 37).

(3) سورة الأنفال، الآية: 12.

الروع في هذا، وجعله مثل الرؤيا في المنام والإلهام، وهذا واضح في كلام ابن كثير – رحمه الله –، ومنهم من جعله في قسم إرسال الرسول؛ لأن الحديث جاء بلفظ: (**إن روح القدس نفث في روعي...**) فالنفث في الروع واقع من روح القدس فيدخل تحت قوله تعالى: ﴿ ج ح خ م ى ي ج ﴾[1].

قال الشيخ مناع القطان: (أمَّا النفث في الروع أي القلب، فقد ذكر في قول الرسول ﷺ: (**إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفسٌ حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب**)[2] والحديث لا يدل على أنه حالة مستقلة، فيحتمل أن يرجع إلى إحدى الحالتين المذكورتين في حديث عائشة، فيأتيه الملك في مثل صلصلة الجرس وينفث في روعه، أو يتمثل له رجلاً وينفث في روعه، ورُبَّما كانت حالة النفث فيما سوى القرآن الكريم)[3].

النوع الثاني من أنواع التكليم: التكليم الخاص:

قال شيخ الإسلام:

"وتارة من وراء حجاب كما كلم موسى عليه السلام ولهذا سمى الله هذا (نداء) و(نجاء) فقال تعالى: ﴿ ٱ ب پ پ پ پ ﴾ **وقال تعالى:** ﴿ پ پ ـ ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ٱ ب پ پ پ پ ﴾. **وهذا التكليم مختص ببعض الرسل كما قال تعالى:** ﴿ ب پ پ پ پ پ پ پ پ ﴾. **وقال تعالى:** ﴿ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ﴾ **وقال بعد ذكر إيحائه إلى الأنبياء:** ﴿ ڃ ڃ چ چ ﴾.

الدراسة:

---

(1) سورة الشورى، الآية: 51.

(2) الحديث أخرجه الشافعي في الرسالة فقرة (306) ص 93 بتحقيق أحمد شاكر، وقد تكلم عليه المحقق ودرس إسناده دراسة مطولة من ص 93 – 103 حيث ذكر رواياته وطرقه ومن خرّجه، وخلاصة بحثه أن الحديث صحيح متصل الإسناد.

(3) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص 40، وينظر: الإتقان للسيوطي (1/ 142).

النوع الثاني: التكليم من وراء حجاب: وهو التكليم الخاص بلا واسطة.

والدليل عليه قوله تعالى: ژ ئج ئم ئى ئي ژ (الشورى: 51).

وهذا تكليم مباشر من الرب تعالى، بكلام يسمعه من شاء من رسله، من وراء حجاب.

وهذه النوع هو أعلى أنواع التكليم وأشرفها وأفضلها، قال تعالى: ژ **پ پ پ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ** ژ[1].

وقد وقع هذا النوع لثلاثة من الأنبياء فيما جاء به السمع، وهم:

1 -آدم عليه السلام:

والدليل عليه قوله تعالى: ژ ىٰ ىٰ ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى ژ[2].

2 -موسى عليه السلام:

والأدلة عليه من الكتاب كثيرة، منها:

قوله تعالى: ژ **ڃ ڃ چ چ** ژ[3] وقوله تعالى: ژ **ے ۓ ۓ ڭ ڭ** ژ[4]. وقوله تعالى: ژ **ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ٺ** ژ[5].

ومن السنة حديث عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن موسى قال يا رب أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة، فأراه الله آدم، فقال: أنت أبونا آدم، فقال له آدم: نعم، قال: أنت الذي نفخ الله فيك من روحه وعلمك الأسماء كلها، وأمر الملائكة فسجدوا لك؟ قال: نعم، قال فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ فقال له آدم: ومن أنت: قال: أنا موسى، قال: أنت نبي**

---

(1) سورة البقرة، الآية: 253.

(2) سورة البقرة، الآية: 37.

(3) سورة النساء، الآية: 164.

(4) سورة الأعراف، الآية: 143.

(5) سورة الأعراف، الآية: 144.

بني إسرائيل الذي كلمك الله من وراء حجاب، لم يجعل بينك وبينه رسولاً من خلقه؟ قال: نعم، قال: أفما وجدت أن ذلك كان في كتاب الله قبل أن أخلق؟ قال: نعم، قال: فيم تلومني؟ في شيء سبق من الله تعالى فيه القضاء قبلي؟) قال رسول الله ﷺ عند ذلك (فحج آدم موسى، فحج آدم موسى)[1].

وقد سمى الله تعالى هذا التكليم نداءً، كما قال: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعمها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشراً، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً، فإن عملها كتبت سيئة واحدة، قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى – صلى الله عليه وسلم– فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف" فقال رسول الله ﷺ: (فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه)[1].

النوع الثالث: التكليم بواسطة الرسول:

قال شيخ الإسلام:

"وقد يكون الصوت الذي يسمعه خارجاً عن نفسه من جهة الحق تعالى على لسان ملك من ملائكته أو غير ملك، وهو القسم الثاني، حيث قال تعالى: ﴿ ثز ثم ثن ثى في قى كا كل كم كى كي لم لى ﴾ فهذا إيحاء الرسول، وهو غير الوحي الأول من الله الذي هو أحد أقسام التكليم العام.

وإيحاء الرسول أيضاً أنواع: ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها (أن الحارث بن هشام سأل النبي كيف يأتيك الوحي؟ قال: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول) قالت: عائشة رضي الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً [2].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب: كيف فرضت الصلاة في الإسراء ح (349) ص 90، 91. وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: الإسراء بالرسول ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات ح(163) ص 91، 92. والسياق لمسلم.

وانظر كتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية للدكتور عبد الله الجديع، فقد استفدت منه كثيراً في هذا المبحث

(2) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب2، 1/ 4، ح(2)، وأخرجه مسلم في الفضائل، باب طيب عرق النبي، ص952، ح(2333).

فأخبر أن نزول الملك عليه تارة يكون في الباطن بصوت مثل صلصلة الجرس، وتارة يكون متمثلاً بصورة رجل يكلمه، كما كان جبريل يأتي في صورة دحية الكلبي، وكما تمثل لمريم بشراً سوياً، وكما جاءت الملائكة لإبراهيم وللوط في صورة الآدميين كما أخبر الله بذلك في غير موضع، وقد سمى الله كلا النوعين؛ إلقاء الملك، وخطابه وحياً؛ لما في ذلك من الخفاء؛ فإنه إذا رآه يحتاج أن يعلم أنه ملك، وإذا جاء في مثل صلصلة الجرس يحتاج إلى فهم ما في الصوت.

وإتيان جبريل إلى النبي ﷺ تارة في صورة أعرابي، وتارة في صورة دحية الكلبي، ومخاطبته وإقراؤه إياه كثيرا أعظم من أن يذكر هنا[1] [2].

الدراسة:

هذا هو القسم الثاني من أقسام التكليم العام، وهو التكليم للنبي بواسطة الملك، وهو أن الرسول الملكي يسمع كلام الله من الله بغير واسطة، فيبلغه إلى الرسول البشري، فهذا تكليم بالواسطة، والرسول البشري يبلغه أمته، وهذا أيضاً تكليم بالواسطة، وكل من كلمه الله بالواسطة فهو سامع لكلامه من الواسطة لا من

---

(1) مجموع الفتاوى (4/ 126، 401).

(2) انظر على سبيل المثال حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في مجيء جبريل - عليه السلام - في صورة رجل حسن المنظر، وسؤاله النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وعن الساعة وأماراتها، وهو حديث مشهور أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان رقم (8).

وفي رواية لحديث عمر السابق عند الإمام أحمد في المسند عن ابن عمر قال: وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي. مسند الإمام أحمد (8/ 132) ح (5857) بتحقيق أحمد شاكر وقال: إسناده صحيح.

ودحية: هو: دحية بن خليفة بن فروة الكلبي، كان من كبار الصحابة، لم يشهد بدراً، وشهدا أُحداً وما بعدها من المشاهد، وبقي إلى خلافة معاوية، قال الذهبي في السير: (ولاريب أن دحية كان أجمل الصحابة الموجودين بالمدينة، وهو معروف، ولذا كان جبريل رُبَّمَا نزل في صورته) السير (2/ 554). وينظر: الاستيعاب لابن عبدالبر (2/ 44، 45).

الله تعالى[1].

وبيَّن الشيخ أنه يكون بصوت يسمعه النبي خارجاً عن نفسه من جهة الحق تعالى على لسان ملك من ملائكته، كما قال تعالى: ﴿ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

وهذه الصورة أشد الصور على النبي ﷺ، وفيها يأتيه جبريل على صورته الملكية ولكنه لا يراه، ويعرف مجيئه بهذا الصوت الذي يشبه صوت الجرس، أو يكون له دوي كدوي النحل كما في بعض الأحاديث.

وقد دلّ على هذه الصورة أحاديث منها:

حديث عائشة الذي سأل الحارث بن هشام فيه النبي ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟ قال: (**أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت ما قال...**) الحديث[1].

وعن عمر بن الخطاب قال: كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي نسمع عند وجهه كدويّ النحل[2]، فمكثنا ساعة، فاستقبل ورفع يديه، فقال: **(اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تُؤثر علينا، و أرضنا وارض عنا، ثُمَّ قال: (أنزل عليّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة)** ثُمَّ قرأ: ﴿ ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿

وشبهه هو ﷺ بصلصلة الجرس بالنسبة إلى مقامه، [1].

وهذه الصورة من صور الوحي هي التي نزل القرآن بها على رسول الله ﷺ.

ولا يعني هذا أن غير القرآن لا ينزل بالصور المذكورة في حديث عائشة، بل هو ينزل بها وبغيرها، قال الحافظ ابن حجر: (والظاهر أن نزول الوحي بهذه الكيفية لايختص بالقرآن كما يدل على ذلك حديث يعلى بن أمية في قصة لابس الجبة المتضمخ بالطيب في الحج، فإن فيه أنه رآه ﷺ حال نزول الوحي عليه وإنه ليغط)[2].

وقد نفى غير واحد أن يكون في القرآن الكريم شيء من غير هذا الطريق (طريق الوحي الجلي)[3] كالوحي عن طريق الإلهام أو المنام، أو التكليم المباشر[4].

يقول الشيخ محمد أبو شهبة[5] – رحمه الله –: (والذي نقطع به – والله أعلم – أن القرآن الكريم كله نزل في الحالة الأولى، وهي الحالة التي يكون فيها جبريل على ملكيته، وتحول النبي ﷺ من البشرية إلى الملائكية [6]، وهذا هو الذي يليق بالقرآن الكريم، ونفى أي احتمال أو تلبيس في تلقيه.

ولم أقف على رواية تفيد نزول شيء من القرآن عن طريق جبريل وهو في

---

(1) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (1/ 27).

(2) من فتح الباري لابن حجر (1/ 28) بتصرف.

(3) أنواع الوحي ترجع إلى نوعين: وحي جليّ ووحي خفي، والوحي الجليّ: هو ما كان بواسطة جبريل، ينزل بالقرآن على النبي ﷺ، ويلقى القرآن في قلبه فيعيه بفؤاده وبصيرته، ويعلم علماً يقينياً أن ما يأتيه هو كلام الله، فإذا سُرّي عنه الوحي أخذ عليه الصلاة والسلام يتلو ما أوحى به إليه من القرآن الكريم.
ينظر: أصول التفسير وقواعده للشيخ خالد العك ص 38.

(4) ينظر: الإتقان (1/ 142، 143).

(5) هو: محمد بن محمد بن أبي شهبة: من علماء الأزهر الأجلاء، ألف كتباً في السيرة وعلوم القرآن وعلوم الحديث، توفي سنة 1403 هـ. ينظر: ذيل الأعلام ص 198، 199.

(6) تحول النبي ﷺ من الحالة البشرية إلى الحالة الملكية لا دليل، ومثل هذا لايقال إلا بدليل.

صورة رجل، وكل ما جاء من ذلك في الأحاديث الصحاح كحديث جبريل المشهور وسؤاله النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وأشراطها، فإنَّما هو في وحي السنة لا في وحي القرآن.

وأيضاً فلو أنزل شيء من القرآن في الحالة الثانية وهي مجيء جبريل في صورة رجل لكان هذا مثاراً للشك والتلبيس على ضعفاء الإيمان، ولكان فيه مستند للمشركين في قولهم: ژ ٻ پ پ ژ[1] [2].

الثاني: أن يكون الملك متمثلاً في صورة رجل يكلمه.

كما كان جبريل يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي أو في صورة الأعرابي فهذه الصورة يأتي فيها جبريل في صورة رجل، يراه الحاضرون ويسمعون قوله ولايعرفون حقيقته، ولكن النبي ﷺ يعلم علم اليقين أنه جبريل، ويعي ما يقول، وهو أهون الصورتين. وأخف من سابقتها، حيث يكون التناسب بين المتكلم والسامع ويأنس رسول النبوة عند سماعه من رسول الوحي، ويطمئن إليه اطمئنان الإنسان لأخيه الإنسان[3]. كما أشار الشيخ إلى بعض صور إتيان جبريل إلى النبي ﷺ في صورة رجل، فتارة في صورة أعرابي، وتارة في صورة دحية الكلبي.

وقد دلّ على هذه الصورة أحاديث كثيرة:

منها حديث عائشة السابق، وفي آخره: **(وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول)**[4].

وحديث عمر بن الخطاب، حيث قال عمر في أول الحديث: بينما نحن جلوس

---

(1) سورة النحل، الآية: 103.

(2) المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبي شهبة ص 60 – 61 باختصار.

(3) ينظر: مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص 39.

(4) سبق تخريجه.

عند النبي ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولايعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه... الحديث وفيه سؤال ذلك السائل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، وسؤاله عن الساعة وأماراتها، وفي آخره: أن النبي ﷺ قال لعمر: (**يا عمر، أتدري من السائل؟**) قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: (**فإنه جبريل آتاكم يعلمكم دينكم**) أخرجه مسلم[1].

وفي رواية للإمام أحمد عن ابن عمر قال: وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي[2].

وفي صحيح البخاري عن أبي عثمان[3] قال: أنبئت أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أم سلمة، فجعل يتحدث، فقال النبي ﷺ لأم سلمة: مَن هذا؟ أو كمال قال، قالت: هذا دحية، فلما قام قالت: والله ما حسبته إلاَّ إياه، حتى سمعت خطبة النبي ﷺ يخبر خبر جبريل، أو كما قال[4].

قال ابن حجر: (**وكان جبريل يأتي النبي ﷺ غالباً على صورته**)[5].

وكما تمثل لمريم بشراً سوياً، وكما جاءت الملائكة لإبراهيم وللوط في صورة الآدميين كما أخبر الله بذلك في غير موضع.

---

(1) سبق تخريجه.

(2) سبق تخريجه.

(3) هو: أبو عثمان النهدي، الإمام الحجة، عبدالرحمن بن مِلّ - وقيل: ابن مَلي - البصري، مخضرم معمر، أدرك الجاهليَّة والإسلام، وغزا في خلافة عمر، روى عن كبار الصحابة وهو أكبر من صغارهم، كان كثير الصلاة والعبادة، يقوم الليل ويصوم النهار، ويصلي حتى يُغشى عليه، مات سنة مائة. ينظر: السير (4/ 175 - 178).

(4) أخرجه البخاري كتاب فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي وأول ما نزل ح (4980) (8/ 619).

(5) فتح الباري (8/ 621).

وبين الشيخ سبب تسمية هذين النوعين؛ إلقاء الملك، وخطابه وحيا؛ لما في ذلك من الخفاء؛ فإنه إذا رآه يحتاج أن يعلم أنه ملك، وإذا جاء في مثل صلصلة الجرس يحتاج إلى فهم ما في الصوت.

ومن الصور الداخلة في إيحاء الرسول أن يأتي جبريل في صورته التي خلقه الله عليها: وهذه الصورة نادرة الوقوع، فقد ورد عن عائشة – رضي الله عنها – أن النبي ﷺ لم يرَ جبريل على هذه الحالة إلاَّ مرتين، مرة في الأرض وهو نازل من غار حراء، ومرة أخرى في السماء عند سدرة المنتهى ليلة المعراج

فقد روى البخاري في كتاب بدء الوحي: قال ابن شهاب: وأخبرني أبو سلمة بن عبدالرحمن[1] أن جابر بن عبدالله الأنصاري قال – وهو يحدث عن فترة الوحي – فقال في حديثه: (**بينا أنا أمشي، إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالسٌ على كرسي بين السماء والأرض، فرُعبت منه، فرجعت فقلت: زملوني، فأنزل الله تعالى:** ﴿ ھ ھ ے ے ۓ ﴾ إلى قوله: ﴿ ۇ ۆ ﴾ **فحمي الوحي وتتابع**)[2][3].

وأمَّا المرة الثانية التي رأى النبي ﷺ فيها جبريل على صورته فكانت في السماء، عند سدرة المنتهى، كما قال تعالى: ﴿ ڑ ک ک ک ک گ گ ﴾[4].

قال البغوي – رحمه الله – في تفسيره: ﴿ ڑ ک ک ک ﴾ يعني: رأى جبريل في صورته التي خلق عليها نازلاً من السماء نزلة أخرى، وذلك أنه رآه في صورته

---

(1) هو: أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف، الحافظ، أحد الأعلام بالمدينة، كان طلاّبة للعلم فقيهاً، مجتهداً كبير القدر، حجة، كثير الحديث، توفي سنة 94 بالمدينة وهو ابن 72 سنة. ينظر: السير (4/ 287 – 292).

(2) سورة المدثر، الآيات: 1 – 5.

(3) سبق تخريجه، وهو عند مسلم أيضاً.

(4) سورة النجم، الآيتان: 13، 14.

مرتين، مرة في الأرض، ومرة في السماء)[1].

وقال شيخ الإسلام - رحمه الله-: **(وقد ثبت في الصحيح أنه رأى جبريل في صورته التي خلق عليها مرتين وأنه رآه وله ستمائة جناح منها جناحان سد بهما ما بين المشرق والمغرب)**[2].

قال ابن القيم – رحمه الله –: (وقد صح عنه ﷺ أن المراد بقوله تعالى: ﴿ ڑ ک ک ک ک گ گ ﴾[3] جبريل عليه الصلاة والسلام، رآه على صورته التي خلق عليها مرتين... في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﴿ ڑ ک ک ک ﴾ قال: رأى جبريل عليه السلام[4].

وفي صحيحه أيضاً عن مسروق[5] قال: كنت متكئاً عند عائشة فقالت: ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلتُ: ما هنّ ؟ قالت: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. قال: وكنت متكئاً فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولاتعجليني؛ ألم يقل الله عزوجل: ﴿ ھ ے ے ۓ ﴾[6] ﴿ ڑ ک ک ک ﴾[7] ؟ فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: **(إنَّما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء سادّاً**

---

(1) تفسير البغوي (7/ 404).

(2) الصفدية (1 / 201).

(3) سورة النجم، الآيتان: 13، 14.

(4) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: معنى قول الله عز وجل: ﴿ ڑ ک ک ک ﴾ وهل رأى النبي ﷺ ربّه ليلة الإسراء ح (175).

(5) هو: مسروق بن الأجدع، أبو عائشة الهمداني، الكوفي، الفقيه، أحد الأعلام، من أصحاب عبدالله بن مسعود، قال ابن المديني: ما أقدم على مسروق أحداً من أصحاب عبدالله، وقد صلى خلف أبي بكر الصديق، توفي سنة 63 – رحمه الله –. ينظر: طبقات علماء الحديث (1/ 102، 103)، سير أعلام النبلاء (4/ 63، 69).

(6) سورة التكوير، الآية: 23.

(7) سورة النجم، الآية: 13.

عظم خلقه ما بين السماء والأرض) فقالت: أولم تسمع أن الله عز وجل يقول: ژ **ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ**[1] أولم تسمع أن الله عز وجل يقول: ژ **ئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح** ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى ژ[2] الحديث[3].

والمقصود أن المخبر عنه بالرؤية في سورة النجم هو جبريل)[4].

* * *

(1) سورة الأنعام، الآية: 103.

(2) سورة الشورى، الآية: 51.

(3) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: معنى قول الله عز وجل: ژ **ڑ ک ک ک** ژ وهل رأى ﷺ ربه ليلة الإسراء رقم (177) ص 97.

(4) كتاب بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية (4/ 282 - 284).

المبحث الثاني
العموم والخصوص بين الوحي والتكليم

قال شيخ الإسلام:

"لفظ التكليم والوحي كل منهما ينقسم إلى عام وخاص، والتكليم العام هو المقسوم في قوله: ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ الآية. والتكليم المطلق هو قسيم الوحي الخاص ليس قسماً منه، وكذلك لفظ الوحي قد يكون عاماً فيدخل فيه التكليم الخاص كما في قوله لموسى: ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ وقد يكون قسيم التكليم الخاص كما في سورة الشورى. وهذا يبطل قول من يقول الكلام معنى واحد قائم بالذات، فإنه حينئذ لا فرق بين التكليم الذي خص به موسى، والوحي العام الذي هو لآحاد العباد، ومثل هذا قوله في الآية الأخرى: ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ فإنه فرق بين الإيحاء وبين التكليم وراء من حجاب وبين إرسال الرسول يوحي بإذنه ما يشاء، فدل على أن التكليم من وراء حجاب كما كلم موسى أمر غير الإيحاء"[1].

الدراسة:

مما تميز به شيخ الإسلام ما فتح الله عليه من سعة المعرفة بمعاني بكلام الله، والاحتجاج به، ومن تأمل كتبه تبين له كثرة احتجاجه بالقر آن بسرد عجيب، وترتيب فريد، وقوة استدلال واستنباط.

وما هذه المسألة إلا أنموذج على ما ذكرت، وهي بمثابة القاعدة المطردة.

فقد قرر شيخ الإسلام رحمه الله أن لفظ (الوحي) ولفظ (التكليم) في مواضع من كتاب الله تعالى بينهما عموم وخصوص، فإذا كان أحدهما عاماً اندرج فيه الآخر، كما اندرج الوحي في التكليم في آية الشورى، واندرج التكليم في الوحي

---

(1) مجموع الفتاوى (1/ 391)، (12/ 117).

العام، حيث قال تعالى: ژ ٱ ب ب ب ب ژ[1].

وهذا التقعيد متضمن إبطال أقوال كثير من المبتدع ة الذين لم يفرقوا بين تكليم الله لموسى، وتكليمه لغيره بواسطة الملك، ولا بين الإيحاء المجرد والتكليم الخاص، فوقعوا بسبب ذلك في ضلالات، أوقعتهم في الإلحاد في صفات الله تعالى، وتعطيل صريح النصوص، وإبطال حقائقها.

التكليم في اللغة: مصدر من الفعل كلَّم يكلم تكليماً وكلاماً.

وهو تعليق الكلام بالمخاطب[2].

والتكليم في القرآن له إطلاقان كما قرر الشيخ:

1 _ التكليم العام: ويدخل فيه جميع أقسام التكليم الثلاثة، وهي الوحي المجرد، والتكليم المباشر من وراء حجاب والتكليم بإرسال الملك.

2 _ التكليم الخاص: وهو التكليم المباشر من وراء حجاب.

الوحي في اللغة: الإشارة، والكتابة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك[3].

وأصل الوحي: الإشارة السريعة[4]، وقال بعضهم: أصله في اللغة إعلامٌ في خفاء[5]؛ ولذا قيل في معناه: الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره، وهذا معنى المصدر، ويُطلق ويراد به الموحَى، أي بمعنى اسم المفعول.

ووحي الله لأنبيائه في القرآن له إطلاقان كما قرر الشيخ:

1 _ الوحي العام: ويدخل فيه جميع أقسام الوحي المذكورة في آية الشورى.

---

(1) سورة طه، الآية: 13.

(2) الفرق (1 / 38).

(3) لسان العرب لابن منظور 15/ 239 – 240، مادة (وحي).

(4) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص 858.

(5) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي (4/ 335).

2 _ الوحي الخاص: وهو الوحي المجرد وهو الإعلام السريع الخفي إما في اليقظة أو المنام.

والوحي بمعناه اللغوي يتناول:

1 - الإلهام الفطري للإنسان: كالوحي إلى أم موسى في قوله تعالى: ﴿ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

اسم المفعول منه، أي الموحى، وهو كلام الله المنزل على النبي ﷺ)[1].

ولعل الأقرب في بيان معنى الوحي في الشرع أن يقال: هو إعلام الله تعالى لمن اصطفاه من عباده بطريق من طرق الوحي.

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (1/ 14 - 15).

المبحث الثالث

نـــــزول القـــــرآن

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: تنزلات القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: نزول القرآن على سبعة أحرف.
- المطلب الثالث: فوائد أسباب النزول.
- المطلب الرابع: تكرار النـــــزول.
- المطلب الخامس: أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم.

تمهيـد :

يعتبر موضوع "نزول القرآن الكريم " من أهم مباحث علوم القرآن، إذ به تعرف كيفية نزول القرآن، وكيف كان يتلقاه جبريل – عليه السلام – من الله عزّ وجل ؟ وكيف تلقاه الرسول ﷺ من جبريل ؟ وبه يرد على ما أثير حول كيفية نزول القرآن من شبه كلامية وبدع جهمية، حيث أدخل فيه القول بخلق القرآن، وأن جبريل نقله من اللوح المحفوظ، وأن الله عزّ وجل لم يتكلم به عند نزوله على الرسول ﷺ، وعليه فإن العلم بنزول القرآن أساس للإيمان بالقرآن، وأنه كلام الله عزّ وجل.

وهو موضوع واسع كثير الفروع متنوع المسائل إذ يشمل:

1 – مسألة تنزلات القرآن الكريم.

2 – ومسألة القول بتكرار بعض السور والآيات.

3 – ومسألة نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف.

كما يعد هذا المبحث كالأصل بالنسبة لبقية علوم القرآن؛ إذ يتوقف كثير منها على العلم بنـزوله، كالعلم بأول ما نزل، وآخر ما نزل، والمكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول وغير ذلك[1].

وقد أفرد هذه المسألة بالتصنيف شيخ الإسلام في رسالته الموسومة بـ "التبيان في نزول القرآن"[2].

قال شيخ الإسلام رحمه الله :

ولفظ (النزول) حيث ذكر في كتاب الله تعالى فإن كثيرًا من الناس فسروا

(1) ينظر: مناهل العرفان (1/ 30)، المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة (ص47).

(2) ضمن مجموع الفتاوى (12/ 246–257)،.

النزول في مواضع من القرآن بغير ما هو معناه المعروف؛ لاشتباه المعنى في تلك المواضع، وصار ذلك حجة لمن فسر نزول القرآن بتفسير أهل البدع.

فمن الجهمية من يقول: أنزل بمعنى خلق، كقوله تعالى: ﴿ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

هو منزل من الله، كما أخبر به، ومن الله بدأ لا من مخلوق، فهو الذي تكلم به لخلقه.

وأما النزول المقيد بالسماء، فقوله: ژ ٱ ب ب ژ[1] . والسماء اسم جنس لكل ما علا، فإذا قيد بشيء معين (تقيد به)، فقوله في غير موضع من السماء مطلق أي في العلو، ثم قد بينه في موضع آخر بقوله: ژ ۈ ۇ ۆ ۆ ۈ ۇ ژ[2]، وقوله: ژ ئج ئح ئم ئى ئي ژ[3] .) أي أنه منزل من السحاب. ومما يشبه نزول القرآن قوله: ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ژ[4] ، فنزول الملائكة هو نزولهم بالوحي من أمره، الذي هو كلامه وكذلك قوله :ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ژ[5] يناسب قوله: ژ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ژ[6].فهذا شبيه بقوله: ژ ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ژ[7].

وأما المطلق، ففي مواضع، منها: ما ذكره من إنزال السكينة بقوله: ژ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ژ[8] . قوله: ژ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ژ[9] إلى غير ذلك.

وجعل بعضهم نزول الحديد بمعنى الخلق لأنه أخرجه من المعادن وعلمهم صنعته، فإن الحديد إنما يخلق في المعادن، والمعادن إنما تكون في الجبال، فالحديد ينزله الله من معادنه التي في الجبال لينتفع به بنو آدم[10].

الدراسة:

(1) سورة المؤمنون، الآية: 18.

(2) سورة الواقعة، الآية: 69.

(3) سورة النور، الآية: 43.

(4) سورة النحل، الآية: 2.

(5) سورة القدر، الآية: 4.

(6) سورة الدخان، الآيتان: 4، 5.

(7) سورة النحل، الآية: 102.

(8) سورة الفتح، الآية: 26.

(9) سورة الفتح، الآية: 4.

(10) مجموع الفتاوى (12/ 246-249، 254).

تمهيـد:

النزول لغة: جاءت مادة "نزل" في اللغة بتصريفات كثيرة: نزل، وأنزل، وتنزل، ونزّل.. وغير ذلك. كما جاءت هذه المادة بكثرة في القرآن الكريم بتصريفاتها المختلفة حيث بلغت أربعة وأربعين تصريفاً في (مكي أول رمضان صفر) آية [1].

والنزول في الأصل: انحطاط من علو إلى سفل. [2] فيقال نزل فلان من الجبل، ونزل عن الدابة، ويطلق على الحلول فيقال: نزل فلان في المدينة أي حل بها، والإنزال: الإحلال، قال تعالى: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ژ [3].

وقرر شيخ الإسلام أن لفظ "النزول" ورد في القرآن الكريم، على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: نزول مقيد بأنه من الله جل وعلا.

النوع الثاني: نزول مقيد بأنه من السماء.

النوع الثالث: نزول مطلق غير مقيد بهذا أو بذاك.

فالنوع الأول وهو المقيد بأنه من عند الله تعالى اختص بالقرآن الكريم فلم يرد إلا معه في آيات كثيرة، كقوله تعالى:

مكي. ژ ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ژ [4].

صفر. ژ چ چ چ چ ڇ ڇ ژ. [5]

ربيع أول. ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ژ [6].

---

(1) انظر معجم ألفاظ القرآن الكريم، وضع مجمع اللغة العربية، مادة نزل (2/ 509). ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية، د. إسماعيل إبراهيم (227).

(2) مفردات الراغب الأصفهاني (744).

(3) سورة المؤمنون، الآية: 29.

(4) سورة النحل، الآية: 102.

(5) في ثلاثة مواضع: سورة الزمر:1، وسورة الجاثية:2، وسورة الأحقاف:2.

(6) سورة غافر، الآيتان: 1، 2.

﴿حٰمٓ﴾. ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ڀ ڀ ژ [1].

﴿حٰمٓ عٓسٓقٓ﴾. ژ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ژ [2].

﴿حٰمٓ﴾. ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ژ. [3]

وهذا التنصيص بأنه من الله جل وعلا وتخصيص القرآن بذلك له دلائله: ففيه بيان أنه منزل من الله لا من مخلوق من مخلوقات الله. كما تقول بذلك بعض الطوائف. وفيه بيان بطلان القول بخلق القرآن. وبطلان القول بأنه فاض على نفس النبي ﷺ من العقل الفعال أو غير ذلك من أقاويل أهل الكلام والفلسفة.

كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية مستدلاً بصريح الآيات السابقة[4].

واختيار مادة النزول وما تصرف منها للكلام عن مصدر القرآن الكريم فيه تشريف وتكريم لهذا الكتاب وبيان علو منزلته كما قال تعالى: **ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ ژ** [5] فالنزول لا يكون إلا من علو.

وأما النوع الثاني، وهو النزول المقيد بأنه من السماء. فيتناول نزول المطر من السحاب، ونزول العذاب، ونزول الملائكة من عند الله. وغير ذلك.

فقد ورد في آيات كثيرة ذكر إنزال الماء من السماء. كقوله تعالى:

﴿مَحَزَّمٌ﴾. ژ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ژ [6].

﴿صَٓ﴾. ژ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ ژ [7].

---

(1) سورة فصلت، الآيتان: 1، 2.

(2) سورة السجدة، الآية: 2.

(3) في موضعين: سورة الواقعة: 80، وسورة الحاقة: 43.

(4) المصدر السابق (12/ 126).

(5) سورة الزخرف، الآيات: 1 – 4.

(6) سورة البقرة، الآية: 22.

(7) سورة البقرة، الآية: 164.

رَبِيعُ الأول. ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ ں ڻ ژ[1].

رَبِيعُ الثاني. ژ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ژ[2].

جُمَادَى الأولى. ژ ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ژ[3] وغيرها كثير.

والمراد بالسماء في هذه الآيات: السحاب أو مطلق العلو حيث فُسِّر في قوله تعالى: ژ ۈ ۇ ۆ ۆ ۅ ۅ ژ[4] فالسماء اسم جنس لكل ما علا وارتفع.

وجاء في إنزال العذاب من السماء قوله تعالى:

مُحَرَّمٌ. ژ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ژ[5].

صَفَرٌ. ژ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ژ[6] والرجز هو العذاب.

وقال تعالى: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ژ[7].

وفسرت "الآية "هنا بما عظم من الأمور القاهرة، أو ما ظهر من الدلائل الواضحة[8].

وقال تعالى في إنزال الملائكة من السماء: ژ ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ژ (الإسراء: 95).

وكذا قوله تعالى: ژ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ژ[9] ففسر الجند هنا

(1) سورة الأنعام، الآية: 99.

(2) سورة الرعد، الآية: 17.

(3) سورة النحل، الآية: 65.

(4) سورة الواقعة، الآية 69.

(5) سورة البقرة، الآية: 95.

(6) سورة العنكبوت، الآية: 34.

(7) سورة الشعراء، الآية: 4.

(8) ينظر: تفسير الماوردي (4/ 165).

(9) سورة يس، الآية: 28.

بالملائكة.[1]

وأما النوع الثالث، وهو الإنزال المطلق فهو عام لا يختص بنوع خاص من الإنزال. من ذلك قوله سبحانه:

مُحَرَّمٌ - ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﴿[2] فقد فسر قوله: ﴿ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﴾ بجعلنا، وأظهرنا وخلقنا.[3]

وأشار شيخ الإسلام أن بعضهم جعل نزول الحديد بمعنى الخلق لأنه أخرجه من المعادن وعلمهم صنعته. فإن الحديد إنما خلق من المعادن -ثم ربط هذا المعنى بأصل الإنزال لغة فقال -: والمعادن إنما تكون في الجبال فالحديد ينزله الله من معادنه التي في الجبال لينتفع به بنو آدم).

﴿ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﴿[4]. ومن النزول المطلق قوله سبحانه: ﴿ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﴾[5].

وقوله: ﴿ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﴿[6].

وغيرها من الآيات، حيث لم يرد فيها تعيين المنزل منه. كما ورد في النوعين قبله، فهو إنزال مطلق يفسر بحسب السياق، أو بما ورد موضحاً له في مواضع أخرى. وقد قرر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أنه ليس في القرآن ولا في السنة لفظ نزول إلا وفيه معنى النزول المعروف وأن هذا هو اللائق بالقرآن الكريم لأنه نزل بلغة العرب[7].

* * *

(1) انظر تفسير الماوردي (5/ 15).

(2) سورة الحديد، الآية: 25.

(3) انظر تفسير الماوردي (5/ 483).

(4) سورة الفتح، الآية: 26.

(5) سورة الفتح، الآية: 24.

(6) سورة التوبة، الآية: 26.

(7) ينظر: الفتاوى (12/ 254)، وانظر (12/ 118).

المطلب الأول
تنزلات القرآن الكريم

قال شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى -:

"فقوله: ﴿ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئې ﴾[1] بيان لنزول جبريل به من الله، فإن روح القدس هنا هو جبريل، بدليل قوله: ﴿ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ ﴾[2] وهو الروح الأمين كما في قوله: ﴿ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ﴾[3]، وفي قوله: (الأمين) دلالة على أنه مؤتمن على ما أرسل به، لا يزيد فيه ولا ينقص منه "[4].. إلى أن قال رحمه الله ".. فعُلم أن القرآن العربي منزل من الله لا من الهواء، ولا من اللوح، ولا من جسم آخر، ولا من جبريل، ولا من محمد، ولا غيرهما.. "

ثم قال:" وهذا لا ينافي ما جاء عن ابن عباس – رضي الله عنهما – وغيره من السلف في تفسير قوله: ﴿ ٱ ٻ ٻ ﴾[5] أنه أنزله إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم أنزله بعد ذلك منجماً مفرقاً بحسب الحوادث.

ولا ينافي أنه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله، كما قال تعالى: ﴿ ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ﴾[7].. ".

إلى أن قال: " فإن كونه مكتوباً في اللوح المحفوظ وفي صحف مطهرة بأيد الملائكة لا ينافي أن يكون جبريل نزل به من الله سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل أو بعد ذلك وإذا كان قد أنزله مكتوباً إلى بيت العزة جملة واحدة في ليلة القدر فقد كتبه

---

(1) سورة النحل، الآية: 102.

(2) سورة البقرة، الآية: 97.

(3) سورة الشعراء، الآية: 192-195.

(4) مجموع الفتاوى (12/ 118).

(5) سورة القدر، الآية: 1.

(6) سورة البروج، الآيتان: 21، 22.

(7) سورة الواقعة، الآيات: 77 - 79.

كله قبل أن ينزله والله تعالى يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف يكون، وهو سبحانه قد قدر مقادير الخلائق، وكتب أعمال العباد قبل أن يعملوها، كما ثبت ذلك في صريح الكتاب والسنة وآثار السلف، ثم إنه يأمر الملائكة بكتابتها بعد أن يعملوها، فيقابل بين الكتابة المتقدمة على الوجود والكتابة المتأخرة عنه، فلا يكون بينهما تفاوت، هكذا قال ابن عباس وغيره من السلف – وهو حق – فإذا كان ما يخلقه بائناً عنه قد كتبه قبل أن يخلقه، فكيف يستبعد أن يكتب كلامه الذي يرسل به ملائكته قبل أن يرسلهم به... "[1].

الدراسة:

بيَّن شيخ الإسلام – رحمه الله تعالى – الكيفية التي نزل بها القرآن الكريم وساق جملة من الآيات: كقوله تعالى: ژ **ئۇ ئۆ ئۆ ئۇ ئۇ ئى** ژ [2] بيان لنزول جبريل به من الله، فإن روح القدس هنا هو جبريل، بدليل قوله : ژ **ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ** ژ [3] وهو الروح الأمين كما في قوله :

ژ **گ گ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ** ژ [4]،كما قرر رحمه الله أن القرآن العربي منزل من الله لا من الهواء، ولا من اللوح، ولا من جسم آخر، ولا من جبريل، ولا من محمد، ولا غيرهما.

ثم أشار الشيخ إلى أن هذا لا ينافي ما جاء عن ابن عباس – رضي الله عنهما – وغيره من السلف في تفسير قوله: ژ **ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ** ژ [5] أنه أنزله إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم أنزله بعد ذلك منجماً مفرقاً بحسب الحوادث.

1- مجموع الفتاوى (12/ 126-127).

(2) سورة النحل، الآية: 102.

(3) سورة البقرة، الآية: 97.

(4) سورة الشعراء، الآية: 192-195.

(5) سورة القدر، الآية: 1.

ولا ينافي أنه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله، كما قال تعالى: ﴿ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

ورجحه ابن عبدالبر [1]، واختاره السخاوي [2]، وقال عنه الزركشي : إنه أشهر وأصح، وإليه ذهب الأكثرون[3]، كما رجحه الحافظ ابن حجر، ونعته بأنه الصحيح المعتمد[4] بل وحكى القرطبي الإجماع على ذلك[5].

وقد استدل أصحاب هذا القول بالكتاب، وبالآثار الواردة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

أما من الكتاب، فقد استدلوا بالآيات التي دل ظاهرها على نزول القرآن جملة، وهي قوله تعالى : ژ ٱ ب ب ب ب ژ [6]، وقوله : ژ پ پ پ پ پ ژ [7]، وقوله : ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ژ [8].

كما استدلوا بالآيات التي دلت على نزول القرآن مفرقاً، وهي قوله تعالى : ژ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ژ [9]، وقوله : ژ ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ی ی ژ [10].

مناقشة الاستدلال بهذه الآيات:

قال المنكرون لنزول القرآن جملة واحدة: إن الآيات الثلاث لم يرد بها نزوله

---

(1) التمهيد لابن عبدالبر (17/ 46).

(2) جمال القراء وكمال الإقراء (1/ 152).

(3) البرهان (1/ 290).

(4) فتح الباري (8/ 619).

(5) تفسير القرطبي (2/ 299)، وحكاية الإجماع فيها نظر؛ لأن من العلماء من خالف في ذلك، وحمل الآيات على ابتداء النزول.

(6) سورة القدر: 1.

(7) سورة الدخان، الآية: 3.

(8) سورة البقرة، الآية: 185.

(9) سورة الإسراء، الآية: 106.

(10) سورة الفرقان، الآية: 32.

جملة واحدة، وإنما المراد بها ابتداء نزول القرآن الكريم على الرسول ﷺ، وأنه ابتدأ نزوله في ليلة القدر من شهر رمضان، وهي الليلة المباركة، وبهذا يكون الجمع بين هذه الآيات، والآيات الدالة على نزوله منجماً ومفرقاً[1].

الجواب عن هذه المناقشة:

يجاب عن هذه المناقشة بأن ما ذكروه من أن هذه الآيات ، إنما يراد بها ابتداء النزول صرفٌ للآيات عن ظاهرها بغير صارف، كما أنه يحتاج إلى تقدير محذوف، فقوله: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

پ پ ڀ ڀ ژ [1]، قال: "نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر، وكان الله عزّ وجل ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضه في أثر بعض، فقالوا: ژ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ژ [2]"[3].

3 ـ ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "فصل القرآن عن الذكر فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا فجعل جبريل عليه السلام ينزل على النبي ﷺ ويرتله ترتيلاً"[4].

4 ـ ما رواه مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سأله عطية ابن الأسود، فقال: إنه وقع في قلبي الشك في قوله تعالى: ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ژ [5]، وقوله: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ژ [6]، وقوله: ژ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ژ [1]، وقد أنزل في شوال، وذي

(1) سورة القدر، الآية: 1.

(2) سورة الفرقان، الآية: 32.

(3) أخرجه النسائي في السنن الكبرى في التفسير باب قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ (6/ 480) ح (11565)، وفي التفسير باب سورة القدر (6/ 519) ح (11689)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 242) ح (2878) وفي (2/ 578) ح (3958) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (4/ 306) ح (8304).

(4) أخرجه النسائي في السنن الكبري في فضائل القرآن باب كم بين نزول أول القرآن وبين آخره (5/ 7) ح (7991)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 242) ح (2881)، وفي (2/ 667) ح (4216) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقال الزركشي في البرهان (1/ 290)، وابن حجر في الفتح (8/ 619): إسناده صحيح، وقال السيوطي في الإتقان (1/ 130): أسانيدها كلها صحيحة، وأخرجه الطبراني في الكبير (12/ 32) ح (21381)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (7/ 157): رواه الطبراني عن شيخه عبدالله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم وهو ضعيف.

(5) سورة البقرة، الآية: 185.

(6) سورة القدر، الآية 1.

القعدة، وذي الحجة، والمحرم، وشهر ربيع الأول، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: " إنه أنزل في رمضان، وفي ليلة القدر، وفي ليلة مباركة؛ جملة واحدة، ثم أنزل بعد ذلك على مواقع النجوم رسلاً[2] في الشهور والأيام "[3].

5 ـ ما رواه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا فكان إذا أراد الله أن يحدث منه شيئاً أحدثه"[4].

6 ـ ما رواه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "أنزل القرآن ليلة القدر في رمضان إلى السماء الدنيا جملة ثم أنزل نجوماً"[5].

قالوا إن هذه الآثار صحيحة وثابتة عن ابن عباس رضي الله عنهما، رواها عنه وقال بها كبار أصحابه كسعيد بن جبير، وعكرمة، وفيها بيان أن للقرآن نزولين، أحدهما: جملة إلى بيت العزة في السماء الدنيا، والآخر منجماً على رسول الله ﷺ في نحو ثلاث وعشرين سنة، وهذه الآثار وإن كانت موقوفة على ابن عباس رضي الله

---

(1) سورة الدخان، الآية: 3.

(2) رسلاً: مفرقاً يتلو بعضه بعضاً على تؤدة ورفق. ينظر: المرشد الوجيز لأبي شامة (ص33).

(3) أخرجه الطبراني في تفسيره (2/ 151)، ولم يسم فيه السائل، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (1/ 369)، وأخرجه الطبراني في الكبير (11/ 391) ح (12095)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (6/ 316): رواه الطبراني وفيه سعد بن طريف وهو متروك.

(4) أخرجه النسائي في السنن الكبرى في فضائل القرآن باب كم بين نزول أول القرآن وبين آخره (5/ 6) ح (7990)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 241) ح (2877) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (1/ 368).

(5) أخرجه الطبراني في الكبير (111/ 312) ح (11839)، وأخرجه في الأوسط (2/ 131) ح (1479)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (7/ 140): رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات، وقال السيوطي في الإتقان (1/ 130): إسناده لا بأس به.

عنهما، إلا أن لها حكم الرفع إلى النبي ﷺ، لأن قول الصحابي فيما لا مجال للرأي فيه إذا لم يكن معروفاً بالأخذ عن الإسرائيليات له حكم الرفع، وبهذا تثبت حجية هذه الآثار[1].

قال الزرقاني: "هذه أحاديث أربعة من جملة أحاديث ذكرت في هذا الباب، وكلها صحيحة كما قال السيوطي، وهي أحاديث موقوفة على ابن عباس غير أن لها حكم المرفوع إلى النبي ﷺ، لما هو مقرر من أن قول الصحابي فيما لا مجال للرأي فيه، ولم يعرف بالأخذ عن الإسرائيليات، حكمه حكم المرفوع، ولا ريب أن نزول القرآن إلى بيت العزة من أنباء الغيب التي لا تعرف إلا من المعصوم، وابن عباس لم يعرف بالأخذ عن الإسرائيليات، فثبت الاحتجاج بها"[2].

مناقشة هذه الآثار:

وقد اعترض المنكرون لنزول القرآن جملة واحدة على هذه الآثار بأكثر من اعتراض:

الاعتراض الأول:

رد هذه الآثار لكونها غير متواترة، وأن هذه المسألة غيبية عقدية، وأنه لا يؤخذ في الغيبيات إلا بالأخبار المتواترة، فصحة الإسناد لا تكفي وحدها لوجوب اعتقاده.

قال شيخ الأزهر محمد عبده: "إن ما جاء من الآثار الدالة على نزوله جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا، مما لا يصح الاعتماد عليه، لعدم تواتر خبره عن النبي ﷺ، وأنه لا يجوز الأخذ بالظن في عقيدة مثل هذه، وإلا كان اتباعاً

(1) ينظر: مناهل العرفان (1/ 33)، المدخل لأبي شهبة (ص 52)، دراسات في علوم القرآن الكريم للرومي(ص197)، المقدمات الأساسية في علوم القرآن للجديع (ص37).

(2) مناهل العرفان (1/ 33).

للظن"[1].

ونحوه قال تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا[2]، وقال الدكتور صبحي الصالح: "ولسنا نميل إلى الرأي القائل: إن للقرآن تنزلات ثلاثة، الأول إلى اللوح المحفوظ، والثاني إلى بيت العزة، والثالث تفريقه منجماً بحسب الحوادث، وإن كانت أسانيد هذا الرأي كلها صحيحة؛ لأن هذه التنزلات المذكورة من عالم الغيب الذي لا يؤخذ فيه إلا بما تواتر يقيناً في الكتاب والسنة، فصحة الأسانيد في هذا القول لا تكفي وحدها لوجوب اعتقاده، فكيف وقد نطق القرآن بخلافه"[3].

الجواب على هذا الاعتراض:

يجاب على هذا الاعتراض بأن ما ذكروه من أن المسائل العقدية لا يقبل فيها إلا ما كان من الأخبار المتواترة أمر لا يُسلَّم، وعدم الاستدلال بأحاديث الآحاد على العقائد غير صحيح؛ لأن العبرة بصحة الحديث، فمتى ما صح الحديث احتج به سواء كان آحاداً أم متواتراً، وسواء كان في الأحكام أم العقائد[4].

الاعتراض الثاني:

وهو كسابقه يرى صحة هذه الآثار، إلا أنه لا يأخذ بها، لكون ابن عباس رضي الله عنهما قد ثبت عنه الأخذ بالإسرائيليات، وبالتالي لا يكون لهذه الآثار حكم الرفع لعدم توفر شرط عدم الأخذ عن الإسرائيليات.

يقول الدكتور إبراهيم خليفة: "أقول أقصى وأعظم ما استمسك به أصحاب هذا القول هو الآثار التي مدار الأمر فيها جميعاً على ابن عباس رضي الله عنهما، وأن حق هذه الآثار أن تعطى حكم المرفوع إلى النبي ﷺ، ونحن لا ننازعهم أولاً في

(1) تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده (ص132).

(2) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (2/ 161).

(3) مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح (ص51).

(4) ينظر: المسودة لآل تيمية (1/ 476)، المدخل لأبي شهبة (ص54)، نزول القرآن الكريم للشايع (ص39).

ثبوت هذه الآثار عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولا ننازعهم ثانياً في توفر أحد الشرطين بالفعل هنا، وهو كون قول الصحابي في أمر ليس للرأي فيه مدخل، فإن تعيين مكان بالذات في السماء، وتسميته ببيت العزة هو حقاً أمر من أمور الغيب التي لا يمكن أن تدرك مثلها بالرأي، ولكنا ننازعهم في توفر ثاني الشرطين اللذين لا بد منهما مجتمعين لإعطاء قول الصحابي حكم المرفوع، وهو كون الصحابي لم يعرف بالأخذ عن الإسرائيليات حتى يكون لقوله صلة مما لدى بني إسرائيل.

ولكنا لا نُسلِّم أن ابن عباس لم يعرف بالأخذ عن الإسرائيليات بالرغم من نهيه الصريح عن الأخذ بها...

فإنه رضي الله عنه وعلى الرغم من نهيه الصريح، فقد ثبت عنه الأخذ عن بني إسرائيل... ".

ثم قال الدكتور – بعد أن ساق أمثلة على أخذ ابن عباس رضي الله عنهما من الإسرائيليات –: "وهي تدل على أخذه بالإسرائيليات كما بيّنا، لذا ترد هذه الرواية – نزول القرآن إلى السماء الدنيا دفعة واحدة – ولا تعطى حكم المرفوع إلى النبي ﷺ؛ لأن من شروطه أن يكون مما لا مجال للرأي فيه وأن يكون الصحابي ممن لا يأخذ بالإسرائيليات فيما له صلة بالرواية فقط، فإن لم يكن للإسرائيليات صلة فتقبل الرواية"[1].

الجواب على هذا الاعتراض:

يجاب على ما ذكره الدكتور بأنه لا يسلم بأن ابن عباس رضي الله عنهما قد عرف بالأخذ من الإسرائيليات، وكيف يكون ﷺ ممن يأخذ من الإسرائيليات ويتوسع فيها، وهو القائل: "يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم

(1) منة المنان في علوم القرآن، د. إبراهيم خليفة (1/ 72) نقلاً عن د. سليمان القرعاوي في مصطلحات علوم القرآن (ص78).

الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله تقرؤونه لم يُشَب [1]؟ وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا ژ ڤ ڤ ڤ ڤ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ژ [2]، أفلا ينهاكم بما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ؟ ولا والله ما رأينا رجلاً منهم قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم"[3].

فهل يقال بعد هذا الأثر الصحيح عنه يقال: إن ابن عباس رضي الله عنهما ممن عُرف بالأخذ من الإسرائيليات، ثم لو سلم جدلاً بأن ابن عباس رضي الله عنهما ممن عُرف بالأخذ من الإسرائيليات، فإن هذا لا يطعن في هذه الآثار؛ إذ ليست من الإسرائيليات في شيء، فإنها تتعلق بالكتاب المنزل على رسول الله ﷺ، وأنه قد نزل ليلة القدر بعد بعثة رسول الله ﷺ، فعن من يأخذ هذا من بني إسرائيل ؟! وأي صلة بين هذه الروايات وبين بني إسرائيل؟!.

الاعتراض الثالث:

هو الطعن في صحة هذه الآثار، بل ويحكم أنها دسيسة اعتزالية للقول بخلق القرآن؛ لأنه يفهم منها أن جبريل – عليه السلام – لم ينزل به من عند الله عزّ وجل، وإنما نزل به من السماء الدنيا على النبي ﷺ.

فقد ضعف هذه الآثار فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين.

– رحمه الله – لكونها تخالف ما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة، من أن الله سبحانه يتكلم بالقرآن حين إنزاله على الرسول ﷺ.

حيث قال: "والأدلة على خلافه أن الله سبحانه يتكلم بالقرآن حين إنزاله على

---

(1) لم يشب: أي يخلط. ينظر: فتح الباري (5/ 345).

(2) سورة البقرة، الآية: 79.

(3) أخرجه البخاري في الشهادات ، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها (ص 213) ح (2685)، وفي الاعتصام ، باب قول النبي ﷺ: "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء " (ص612) ح (7363)، وفي التوحيد، باب قوله الله تعالى: ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ژ (ص628) ح (7522) و(7523).

محمد ﷺ...، فهذا الذي يجعلني أشك في صحة الحديث المروي عن ابن عباس رضي الله عنه وعن أبيه أن القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا في بيت العزة، وهذا يحتاج إلى أحاديث صحيحة لا نشك فيها حتى نضطر إلى تأويل الآيات التي تدل على أن القرآن نزل بعد حدوث الحوادث التي يتكلم الله عنها"[1].

الجواب على هذا الاعتراض:

يجاب عن هذا الاعتراض بأن تضعيف هذه الآثار وإبطالها بناءً على ما فهم من أن هذه الآثار تفضي إلى القول بأن جبريل عليه السلام قد أخذ القرآن من اللوح المحفوظ أو من بيت العزة عند نزوله به على الرسول ﷺ من دون سماع من الله عزّ وجل، وليس في هذه الآثار المفسرة والمفصلة لنزول القرآن جملة ما يدل على هذا، بل هي بمجموعها تدل على خلاف ما فهم.

فقد جاء في بعض الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما ما يدل على أن جبريل – عليه السلام – نزل به من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم إذا أراد الله أن يوحي منه شيئاً أنزله على رسول الله ﷺ بواسطة جبريل.

ومن هذه الروايات:

1 ـ ما رواه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أنزل القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر فكان إذا أراد الله أن يوحي منه شيئاً أوحاه، أو أن يحدث منه شيئاً أحدثه[2].

2 ـ ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ژ ٱ ب ب ﭒ

(1) اللقاء الشهري للشيخ العثيمين (3) (ص31)، وينظر: تفسير القرآن الكريم (سورة البقرة) للعثيمين (2/ 333).

(2) سبق تخريجه.

ﭐ ﭑ [1]، قال: أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا، فكان بمواقع النجوم، وكان الله ينزله على رسوله ﷺ بعضه في إثر بعض، قال تعالى: ﭐ ﭑ [2]"[3].

3 ـ ما رواه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "نزل القرآن في رمضان ليلة القدر فكان في السماء الدنيا، فكان إذا أراد الله أن يحدث شيئاً نزل، فكان بين أوله وآخره عشرين سنة"[4].

وقد قرر شيخ الإسلام وغيره ممن صحح هذه الآثار أنها لا تتعارض مع ما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة، من أن القرآن كلام الله عزّ وجل، وأن جبريل – عليه السلام – سمعه من الله عزّ وجل دون واسطة، ونزل به على النبي ﷺ.

أما ما ذكره فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله رحمة واسعة – من أن هذه الآثار تخالف أن الله عزّ وجل يتكلم بالقرآن حين إنزاله، فيجاب عن هذا بأن وجود القرآن في اللوح المحفوظ لا يلزم منه أن الله عزّ وجل لا يتكلم بالقرآن حين إنزاله؛ كما قرر ذلك شيخ الإسلام كما سبق.

وعليه فكما أن وجود القرآن في اللوح المحفوظ لا يلزم منه أن الله عزّ وجل لا يتكلم بالقرآن حين إنزاله، فكذلك وجوده في بيت العزة لا يلزم منه ذلك.

قال الشيخ عطية محمد سالم في تقرير ذلك: "وعلى هذا يكون القرآن موجوداً في اللوح المحفوظ حينما جرى القلم بما هو كائن وما سيكون، ثم جرى نقله إلى سماء الدنيا جملة في ليلة القدر، ثم نزل منجماً في عشرين سنة، وكلما أراد الله إنزال

(1) سورة القدر، الآية: 1.

(2) سورة الفرقان، الآية: 32.

(3) سبق تخريجه.

(4) سبق تخريجه.

شيء منه تكلم سبحانه بما أراد أن ينزله، فيسمعه جبريل – عليه السلام – من الله تعالى، ولا منافاة بين تلك الحالات الثلاث، والله تعالى أعلم"[1].

وإذا ثبت أن هذه الآثار لا يترتب عليها محذور، ولا تخالف ما تقرر من أن القرآن كلام الله عزّ وجل، وأن جبريل – عليه السلام – سمعه من الله عزّ وجل دون واسطة، ونزل به على النبي ﷺ، فلا وجه لتضعيفها وإبطالها.

القول الثاني:

أن القرآن الكريم أنزل إلى السماء الدنيا في عشرين، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين ليلة قدر، ينزل في كل ليلة قدر منها ما يقدر الله إنزاله في كل السنة، ثم ينزل هذا المقدر لسنة كاملة بعد ذلك منجماً على رسول الله ﷺ في جميع السنة.

وعلى هذا يكون للقرآن الكريم في السنة الواحدة نزولان:

أحدهما: إنزال ما يقدر الله عزّ وجل إنزاله في تلك السنة جملةً في ليلة القدر من تلك السنة.

الثاني: نزول ذلك المقدر لتلك السنة على الرسول ﷺ منجماً.

وقد قال بهذا القول ابن جريج [2]، ومقاتل بن سليمان [3]، والحليمي.

قال ابن جريج: "كان ينزل من القرآن في ليلة القدر كل شيء ينزل من القرآن في تلك السنة، فنزل ذلك من السماء السابعة على جبريل في السماء الدنيا، فلا ينزل جبريل من ذلك على محمد إلا ما أمره به ربه، ومثل ذلك: ژ ٱ ب ب ب ب ٻ ٻ ژ[4]، وژ پ پ

(1) تتمة أضواء البيان للشيخ عطية محمد سالم (9/ 383).

(2) تفسير الطبري (2/ 151)، تفسير السمرقندي (1/ 563).

(3) تفسير مقاتل (1/ 88)، تفسير السمرقندي (1/ 562).

(4) سورة القدر، الآية: 1.

پ پ پ ز [1]»[2].

قال ابن حجر بعد أن عرض هذا القول: "وهذا أورده ابن الأنباري من طريق ضعيفة ومنقطعة أيضاً"[3].

وعليه فإن هذا القول ضعيف، إذ لا دليل يعتمد عليه لهذا القول، ويبدو أنه اجتهاد من أصحاب هذا القول في فهم الآثار الواردة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

القول الثالث:

أن القرآن الكريم نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة إلى الحفظة، فنجمته الحفظة على جبريل عليه السلام في عشرين ليلة، ونجمه جبريل عليه السلام على النبي ﷺ في عشرين سنة.

وعلى هذا القول يكون للقرآن ثلاث تنزلات:

أحدها: نزوله جملة من اللوح المحفوظ إلى الحفظة.

الثاني: نزوله منجماً في عشرين ليلة على جبريل عليه السلام.

الثالث: نزوله منجماً في عشرين سنة على الرسول ﷺ.

وهذا القول حكاه الماوردي عن ابن عباس رضي الله عنهما[4]، وما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما عن طريق كبار تلاميذه كسعيد بن جبير، وعكرمة يبطل هذه الرواية عنه، ولهذا استغرب الحافظ ابن حجر رحمه الله هذا القول في الفتح، حيث قال: "وحكى الماوردي في تفسير ليلة القدر أنه نزل من اللوح المحفوظ جملة

(1) سورة الدخان، الآية: 3.

(2) تفسير الطبري (2/ 151).

(3) فتح الباري (8/ 619).

(4) النكت والعيون (6/ 311).

واحدة، وأن الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة، وأن جبريل نجمه على النبي ﷺ في عشرين سنة، وهذا أيضاً غريب"[1].

واحتد ابن العربي في إنكار هذا القول، فقال: "ومن جهالة المفسرين أنهم قالوا: إن السفرة ألقته إلى جبريل في عشرين ليلة، وألقاه جبريل إلى محمد عليهما السلام في عشرين سنة، وهذا باطل، ليس بين جبريل وبين الله واسطة، ولا بين جبريل ومحمد صلى الله عليهما واسطة"[2].

القول الرابع:

أن للقرآن الكريم نزولاً واحداً، بدأ في ليلة القدر، وهي الليلة المباركة من شهر رمضان، ثم تتابع نزوله بعد ذلك في نحو ثلاث وعشرين سنة.

وقد قال بهذا القول الشعبي [3]، ومحمد بن إسحاق [4]، والنسفي [5]، وأبو سليمان الدمشقي[6]، ومن المتأخرين سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ [7]، ومحمد عبده [8]، ومحمد رشيد رضا [9]، وفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين[10].

وأصحاب هذا القول ينفون نزول القرآن جملة واحدة إلى بيت العزة من

---

(1) فتح الباري (8/ 619).

(2) أحكام القرآن لابن العربي (4/ 427).

(3) تفسير الطبري (12/ 651)، البرهان (1/ 290)، المرشد الوجيز (ص39).

(4) التفسير الكبير للرازي (5/ 73)، زاد المسير (1/ 163).

(5) تفسير النسفي (ص97).

(6) زاد المسير (1/ 163).

(7) الجواب الواضح المستقيم في كيفية إنزال القرآن الكريم (ص2).

(8) تفسير جزء عم (ص122).

(9) تفسير المنار (2/ 161).

(10) تفسير القرآن الكريم (سورة البقرة) للعثيمين (2/ 333).

السماء الدنيا، ويجيبون عن الآيات الثلاث في وصف نزول القرآن بأن المراد بها ابتداء نزول القرآن على الرسول ﷺ، وأنه ابتدأ نزوله في ليلة القدر من شهر رمضان وهي الليلة المباركة.

أخرج ابن جرير بسنده عن الشعبي أنه قال في قوله تعالى: ﴿ ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

والثاني: منجماً على رسول الله ﷺ في نحو ثلاث وعشرين سنة حسب الوقائع والأحداث من بعثته إلى وفاته عليه الصلاة والسلام، وذلك لأمور:

1 ـ بهذا القول يمكن الجمع بين الآيات الثلاث التي دل ظاهرها على إنزاله جملة وبين الآيات التي دلت على نزوله منجماً.

2 ـ الروايات الصحيحة والصريحة الثابتة عن ابن عباس رضي الله عنهما ترجح هذا القول، فهذا الخبر المروي من وجوه متعددة عن ابن عباس تلقاه أكثر العلماء بالقبول، وهو إخبار عن أمر غيبي لا يصار إلى مثله إلا بتوقيف، فله حكم المرفوع، والقول به أولى من القول بمجرد النظر سُلِّم و ليس هذا مجالاً للاجتهاد، ويبعد عن ابن عباس أن يجتهد في أمر غيبي، ولو سلمنا جدلاً بأنه اجتهاد، فهو قول صحابي لم يعرف له مخالف، فيكون حجةً كما تقرر في علم الأصول.

3 ـ انتفاء المحذور العقدي الذي جعل بعض أهل العلم يتوقف في قبول هذه الآثار الواردة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذلك للتصريح في بعض الروايات بسماع جبريل عليه السلام للقرآن من الله عزّ وجل دون واسطة.

المطلب الثاني
نزول القرآن على سبعة أحرف

قال شيخ الإسلام:

=لا نزاع بين المسلمين أن الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها لا تتضمن تناقض المعنى وتضاده، بل قد يكون معناهما متفقاً أو متقارباً، كما قال عبدالله بن مسعود: =إنما هو كقول أحدكم أقبل وهلم وتعال+[1].

وقد يكون معنى أحدهما ليس هو معنى الآخر، لكن كلا المعنيين حق، وهذا اختلاف تنوع وتغاير، لا اختلاف تضاد وتناقض، وهذا كما جاء في الحديث المرفوع

(1) أخرجه الإمام أحمد، من حديث أبي بكرة، ص1487، ح(20788).

عن النبي ﷺ في هذا الحديث، حديث: (أنزل القرآن على سبعة أحرف): (إن قلت غفوراً رحيماً أو قلت عزيزاً حكيماً فالله كذلك، ما لم تختم آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة) [1].

وهذا كما في القراءات المشهورة: ژ ۇ ۆ ۆ ۈ ژ و(إلا أن يُخافا ألا يقيما)[2] ژ ڑ ک ک ک ژ و(لَتزول منه الجبال)[3] وژ ڳ ڳ ڳ ژ و(بل عجبتُ) [4] ونحو ذلك.

ومن القراءات ما يكون المعنى فيها متفقاً من وجه متبايناً من وجه، كقوله: (يَخْدَعُونَ) و ژ ڃ ژ[5] وژ ک ژ و(يُكذِّبون) [6]. و(لمستم) و ژ ۀ ژ[7] وژ ے ۓ ژ و(يطَّهَّرن) [8] ونحو ذلك.

---

(1) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة في تفريع أبواب الوتر، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف 2/ 160 بدون ذكر القصة في أوله، وذكره الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم (1310) 1/ 277، وللحديث طرق وروايات كثيرة أوردها ابن كثير في فضائل القرآن ص 107 – 111.

هكذا حمل شيخ الإسلام هذا الخبر على أنه وارد في ما سبيله الاختلاف فيه أن يكون من اختلاف التنوع. وقد ذهب طائفة من المحققين إلى أن هذه الرواية إنما وردت فيما قرئ على سبيل الخطأ من القارئ، إذ أن ذلك كله كان من أوصاف الباري عز وجل، وهذا القول أولى بالصواب، والعلم عند الله.

(2) من الآية 229 من سورة البقرة، بالضم في يخافا حمزة وجبلة عن المفضل عن عاصم، ومن العشرة أبو جعفر ويعقوب، غاية الاختصار (2/ 429).

(3) من الآية 46 من سورة إبراهيم. بالفتح في أول لتزول والضم في آخره قراءة علي الكسائي، غاية الاختصار (2/ 535).

(4) من الآية 12 من سورة الصافات، وضم التاء قراءة حمزة والكسائي، واختيار خلف، غاية الاختصار (2/ 634).

(5) من الآية 9 من سورة البقرة، يخادعون قراءة ابن كثير وأبو عمرو ونافع، غاية الاختصار (2/ 405).

(6) من الآية 10 من سورة البقرة، وبالتخفيف قرأ أهل الكوفة، والتشديد قراءة من سواهم، غاية الاختصار (2/ 405).

(7) من الآية 43 من سورة النساء والآية 6 من سورة المائدة.

بغير ألف قراءة حمزة والكسائي وخلف والمفضل عن عاصم، غاية الاختصار (2/ 464).

(8) من الآية 222 من سورة البقرة.

وهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلها حق، وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية، يجب الإيمان بها كلها، واتباع ما تضمنته من المعنى علماً وعملاً، لا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى؛ ظناً أن ذلك تعارض، بل كما قال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه -: =من كفر بحرف منه فقد كفر به كله+.

وأما ما اتحد لفظه ومعناه، وإنما يتنوع صفة النطق به كالهمزات، والمدات، والإمالات، ونقل الحركات، والإظهار، والإدغام، والاختلاس، وترقيق اللامات والراءات، أو تغليظها، ونحو ذلك مما تسمي القراء عامته الأصول فهذا أظهر وأبين في أنه ليس به تناقض ولا تضاد مما تنوع فيه اللفظ أو المعنى ؛ إذ إن هذه الصفات المتنوعة في أداء اللفظ لا تخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً، ولا يعد ذلك فيما اختلف لفظه واتحد معناه، أو اختلف معناه من المترادف ونحوه، ولهذا كان دخول هذا في حرف واحد من الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها مما يتنوع فيه اللفظ أو المعنى، وإن وافق رسم المصحف، وهو ما يختلف فيه النقط أو الشكل+[1].

الدراسة:

موضوع نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف من الموضوعات المهمة جدًا؛ لتعلقه الشديد بالقرآن الكريم، وهو ذو ارتباط بعلم نزول القرآن، ويتفرع عنه علم القراءات، وهو من المشكل الذي حارت فيه أقلام العلماء واختلفت فيه أقوالهم، وتشعبت فيها آراؤهم؛ لكثرة ما ورد فيه من أحاديث،؛ لذا اهتم غير واحد من أهل

والتشديد قراءة الكوفيين إلا حفص عن عاصم، والبرجمي عن أبي بكر شعبة، وجبلة عن المفضل كلاهما عن عاصم، غاية الاختصار (2/ 429).

(1) (13/ 391).

العلم بالتصنيف فيه وأكثروا تعديد الأقوال فيه، حتى عدّها السيوطي أربعين قولاً[1]، مع أنها عند التمحيص لاتعدو العشرة، وقد أفرده بعضهم بالتأليف، كالإمام أبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي فجمع أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف، وبين معانيها، ووضح مشكلها، مع ذكره لأقوال العلماء في معنى الأحرف السبعة، متناولاً لها بالشرح والتعليل والترجيح.

وممن أفرده بالتأليف:الإمام ابن الجزري في جزء مفرد تتبع فيه طرق الحديث عن تسعة عشر صحابيًا [2].

وممن صنف في موضوع الأحرف السبعة من المعاصرين:

- الدكتور عبدالعزيز بن عبدالفتاح القارئ واسم كتابه: حديث الأحرف السبعة – دراسة لإسناده ومتنه واختلاف العلماء فيه وصلته بالقراءات القرآنية.
- الدكتور حسن ضياء الدين عتر، واسم كتابه الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها.

معنى سبعة أحرف لغة واصطلاحاً:

سبعة هو العدد المعروف بين الستة والثمانية، تقول: سبع نسوة، وسبعة رجال، وقد تكرر ذكر السبعة والسبع والسبعين والسبعمائة في القرآن، وفي الحديث.

وأمَّا المراد بسبعة في حديث: (**إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه**) [3]. هو العدد المعروف، وهو مابين الستة والثمانية على الصحيح كما دلت على ذلك ظواهر أحاديث الأحرف السبعة.

---

(1) ينظر: الإتقان: (1/ 45).

(2) ينظر: النشر: (1/ 21).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ص453،ح(2419)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب: بيان أن القرآن على سبعة أحرف، ص318، ح(818).

وأمَّا الأحرف لغة: فهي جمع حرف، وهو في الأصل: الطرف والجانب والحدّ، فحرف الشيء طرفه، ومنه حرف الجبل والسيف والسفينة لأطرافها، وحروف الهجاء: أطراف الكلمة، والحروف العوامل في النحو: أطراف الكلمات الرابطة لبعضها ببعض[1].

وأمَّا كلمة حرف في الاصطلاح فلها عدة إطلاقات:

فهي تطلق على حرف الهجاء في اصطلاح الكاتبين والقارئين، وتطلق على الكلمة غير المستقلة بالمعنى التي تربط بين الاسم والفعل أو بين الاسم والاسم في اصطلاح النحويين، مثل على وعن ونحوهما، وتطلق على الوجه من وجوه القراءة في اصطلاح علماء القراءات، تقول: هذا في حرف ابن مسعود أي في قراءة ابن مسعود[2].

والصحيح أن معنى (الحرف) في حديث الأحرف اسبعة هو الوجه من وجوه القراءة. فيكون معنى الأحرف السبعة: الأوجه القرائية [3].

وقد قرر شيخ الإسلام أن الأحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها لا تتضمن تناقض المعنى وتضاده.

ويفهم من كلام شيخ الإسلام أن المراد بالأحرف السبعة عنده: **أوجه من القراءة متغايرة هي التي يرجع إليها اختلاف القراءات** ، ولم يحدد الشيخ عدد هذه الأوجه وإن كان قد أشار إلى أنها ترجع إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ما يكون معناها متفقًا أو متقاربًا.

---

(1) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (5/ 12، 13)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (2/ 42)، ولسان العرب لابن منظور (3/ 127، 128)، وانظر كذلك: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص228، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (1/ 453).

(2) ينظر: تهذيب اللغة ولسان العرب في المواضع السابقة، وينظر: كتاب الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها للدكتور حسن ضياء الدين عتر ص 120.

(3) انظر حديث الأحرف السبعة، للدكتور عبدالعزيز القارئ ص 65 ومابعدها.

ثم مثل الشيخ لهذا النوع من أوجه ا لاختلاف بالاختلاف في القراءات المشهورة (ربنا بَاعَد) و(بَاعِدْ)[1] ، (إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا)[2] و(إلا أن يُخافا ألا يقيما)، (وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولٌ مِنْهُ الْجِبَالُ) و(لَيزول) [3]، و (بَلْ عَجِبْتَ) و (بل عجبتُ)[4] ونحو ذلك.

النوع الثاني:هو ما يكون المعنى فيها متفقًا من وجه متبايناً من وجه، لكن كلا المعنيين حق، وهذا اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض؛ كقول(يخدعون) و(يُخَادِعُونَ)[5] و"يَكْذِبون" و(يكذِّبون)[6] و(لَمَسْتُم) و(لامستم)[7] و(حَتَّىَ يَطْهُرْنَ) و(يطَّهَّرن) [8] ونحو ذلك فهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلها حق، وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها.

النوع الثالث: هو ما اتحد لفظه ومعناه وإنما تتنوع صفة النطق به كالهمزات، والمدات، والإمالات، ونقل الحركات، والإظهار، والإدغام، والاختلاس، وترقيق اللامات والراءات، أو تغليظها ونحو ذلك مما يسمىفي القراءات الأصول فهذا أظهر وأبين في أنه ليس فيه تناقض ولا تضاد مما تنوع فيه اللفظ أو المعنى؛ إذ هذه الصفات المتنوعة في أداء اللفظ لا تخرجه عن أن يكون لفظًا واحدًا، ولا يعد ذلكفيما اختلف لفظه واتحد معناه، أو اختلف معناه من المترادف ونحوه؛ ولهذا كان دخول هذا في حرف واحد من الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها من أولى ما يتنوع فيه اللفظ

(1) سورة سبأ، الآية: 19.
(2) سورة البقرة، الآية: 229.
(3) سورة إبراهيم، الآية: 46.
(4) سورة الصافات، الآية: 12.
(5) سورة البقرة، الآية: 9.
(6) سورة المطففين، الآية: 11.
(7) سورة النساء، الآية: 43، المائدة: 60.
(8) سورة البقرة، الآية: 222.

أو المعنى، وإن وافق رسم المصحف وهو ما يختلف فيه النقط أو الشكل.

وقريب من اختيار الشيخ قولُ ابن قتيبة، وابن الباقلاني، وابن الجزري وهو : أن المراد بالأحرف السبعة الوجوه التي يرجع إليها اختلاف القراءات وهي سبعة أوجه، واختلف القائلون بهذا القول في تعيين هذه الأوجه، وتنوعت آراؤهم في تحديد هذه الأوجه.

حيث قال ابن الجزري: (ولازلت أستشكل هذا الحديث وأفكر فيه وأمعن النظر من نيف وثلاثين سنة، حتى فتح الله عليّ بما يُمكن أن يكون صواباً – إن شاء الله –، وذلك أني تتبعتُ القراءات صحيحها وشاذها وضعيفها ومنكرها، فإذا هو يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف لايخرج عنها، وذلك: إمَّا في الحركات بلا تغيّر في المعنى والصورة، نحو (**البُخْل**) [1] بأربعة و (**يحسب**) [2] بوجهين.

أو بتغيّر في المعنى فقط، نحو: (**فتلقى آدمُ من ربه كلماتٌ**) [3]، (**وادّكر بعد أمة**) [4] وأمَهٍ.

وإمَّا في الحروف بتغير المعنى لا الصورة نحو (**تبلوا**) و (**تتلوا**) [5] و(**نُنَجِّيك ببدنك لتكون لمن خلفك**) و(**ننجيك ببدنك**) [6] أو عكس ذلك نحو (**بصطة**) و(**بسطة**) [7] و(**الصراط**) و(**السراط**) أو بتغيرهما نحو (**أشد منكم، ومنهم**)[1] و(**يأتل**) و(**يتأل**) [1] و(**فامضوا إلى ذكر الله**) و(**فاسعوا**) [2].

---

(1) سورة النساء، الآية: 37.

(2) سورة الهمزة، الآية: 3.

(3) سورة البقرة، الآية: 37.

(4) سورة يوسف، الآية: 45.

(5) سورة يونس، الآية: 30.

(6) سورة يونس، الآية: 92.

(7) سورة الأعراف، الآية: 69.

(1) سورة التوبة، الآية: 69، الزخرف، 43.

وإمَّا في التقديم والتأخير، نحو (**فيُقتلون ويُقَتلون**) [3] و(**جاءت سكرت الحق بالموت**) [4].

أو في الزيادة والنقصان نحو (**وأوصى، ووصى**) [5] و(**الذكر والأنثى**) [6].

فهذه سبعة أوجه لايخرج الاختلاف عنها، وأمَّا نحو اختلاف الإظهار والإدغام، والروم والإشمام، والتفخيم والترقيق، والمد والقصر والإمالة، والفتح، والتحقيق والتسهيل، والإبدال والنقل، مِمَّا يعبّر عنه بالأصول؛ فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ والمعنى؛ لأن هذه الصفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً، ولئن فرض فيكون من الأول)[7].

ولعل ابن الجزري استفاد من شيخ الإسلام في ما ذهب إليه، غير أن ما ذهب إليه ابن الجزري وغيره من تحديد هذه الأوجه بسبعة أنواع قد أُعترض عليه [8].

وهذا القول الذي قرره شيخ الإسلام هو أمثل الأقوال وأقربها إلى الصواب في هذه المسألة.

***

(1) سورة النور، الآية: 22.

(2) سورة الجمعة، الآية: 9.

(3) سورة التوبة، الآية: 111.

(4) سورة ق، الآية: 19.

(5) سورة البقرة، الآية: 132.

(6) سورة الليل، الآية: 3.

(7) النشر في القراءات العشر لابن الجزري (1/ 26، 27).

(8) انظر ذكر هذه الاعتراضات في كتاب الأحرف السبعة للقارئ ص 58 ومابعدها

المطلب الثالث
فوائد أسباب النزول

قال شيخ الإسلام:

ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب؛ ولهذا كان أصح قولي الفقهاء: أنه إذا لم يعرف ما نواه الحالف، رجع إلى سبب يمينه وما هيجها وأثارها[1].

الدراسة:

بين الشيخ أن معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، وإلى هذا المعنى أشار غير واحد.

قال الزركشي: =واستمداد ذلك – أي التفسير - من علم اللغة والنحو + إلى أن قال: =ويحتاج لمعرفة أسباب النزول+.

ونقل عن أبي الفتح القشيري قوله =بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز وهو أمر تحصل للصحابة بقرائن تحف بالقضايا+[2].

وقال الواحدي: =إذ هي- أسباب النزول - أوفى ما يجب الوقوف عليها وأولى ما تصرف العناية إليها لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها+[3].

وقال الشاطبي: =معرفة أسباب التنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن، والدليل على ذلك أمران:

أحدهما: أن علم المعاني والبيان[4] الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن فضلاٌ عن

---

(1) مجموع الفتاوى (13 / 339).

(2) البرهان (1/ 13، 22).

(3) أسباب النزول للواحدي (ص 12).

(4) علم المعاني: هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي الذي يطابق مقتضى الحال بحسب الوضع اللغوي.

معرفة مقاصد كلام العرب ؛ إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال حال الخطاب من جهة نفس الخطاب، أو المخاطِب، أو المخاطَب،أو الجميع ، إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين وبحسب مخاطبين وبحسب غير ذلك كالاستفهام لفظه واحد، ويدخله معان أخر من تقرير، وتوبيخ، وغير ذلك.

وكالأمر يدخله معنى الإباحة، والتهديد، والتعجيز، وأشباهها.

ولا يدل على معناها المراد إلاَّ الأمور الخارجة وعمدتها مقتضيات الأحوال وليس كل كلام ينقل ولا كل قرينة تقترن بنفس الكلام المنقول، إذا فات نقل بعض القرائن الدالة فات فهم الكلام جملة أوفهم شيء منه ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط، فهي من المهمات في فهم الكتاب بلا بد، ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال+ [1].

وقال ابن عاشور: =إن من أسباب النزول ما ليس المفسر بغنى عن علمه ومنها ما يكون وحده تفسيراً، ومنها ما دل المفسر إلى طلب الأدلة التي بها تأويل الآية....

ومنها ما ينبه المفسر إلى إدراك خصوصيات بلاغية تتبع مقتضى المقامات+.

و ذكر أن ما ذكره المفسرون في كتبهم وما نقلوه من أسباب النزول لايخرج عن أحد خمسة أشكال :

الأول: هو المقصود من الآية يتوقف فهم المراد منها على علمه؛ فلابد من

ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب 1/ 23، والإيضاح في علوم البلاغة 1/ 540. و التعريفات 1/ 201.

وعلم البيان: هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه ودلالة اللفظ إما على ما وضع له أو على غيره، وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة وهي دلالة خاصة والمراد بها أن يكون على هيئة مخصوصة من الحسن وذلك أمر وراء النحو والإعراب.

ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة 1/ 201. والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر 1/ 126.

(1). الموافقات 4/ 146.

البحث عنه للمفسر، وهذا منه تفسير مبهمات القرآن مثل قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً؛ لنعذبن أجمعون [1].

فقال ابن عباس: مالكم ولهذه الآية؟ إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم+.

ثم قرأ : ژ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ژ [2] [3].

فهذا السبب بين أن المقصود من الآية غير ما ظهر لمروان[4].

المثال الثاني: روي أن عمر استعمل قدامة بن مظعون [5]على البحرين فقدم الجارود[6] على عمر فقال: =إن قدامة شرب فسكر فقال عمر من يشهد على ما

قريش وفضلائها وقد كان عثمان بن عفان يكرمه ويعظمه وكان كاتب الحكم بين يديه قلت: وقد كانت له زلات أكثرت عليه الذامّ والله اعلم.

ينظر: مآثر الإنافة في معالم الخلافة 1/ 24 لأحمد بن عبد الله القلقشندي، والبداية والنهاية 8/ 257..

(1) يشير إلى قوله تعالى: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ژ (آل عمران، الآية: 188).

(2) سورة آل عمران، الآيتان: 187، 188.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب (لا تحسبن الذين يفرحون) الآية 8/ 233/ ح(4568).

(4) وقد ذكر الزركشي و السيوطي القصة في سياق الاستدلال على فوائد العلم بأسباب النزول وأن منها إزالة الإشكال.

ينظر: البرهان 1/ 27 والإتقان 1/ 88.

(5) هو قدامة بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة القرشي الجمحي يكنى أبا عمرو هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً وسائر المشاهد بعدها واستعمله عمر على البحرين كما في الصلب توفي رضي الله عنه سنة ست وثلاثين وهو ابن ثمان وستين.وانظر _غير مأمور –الطبقات الكبرى لابن سعد (3/ 401) والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر(3/ 1277-1279).

(6) هو صاحب رسول الله بشر بن عمرو بن حنش بن المعلى ولقب الجارود لأنه غزا بكر بن وائل فاستأصلهم وجردهم.

قال الشاعر:

تقول؟ قال الجارود: أبو هريرة يشهد على ما أقول+ وذكر الحديث فقال عمر: يا قدامة إني جالدك قال والله لو شربت كما يقولون ما كان لك أن تجلدني. قال عمر: ولم؟ قال لأن الله يقول: ژ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ژ [1] فقال عمر: إنك أخطأت التأويل يا قدامة إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم الله+[2].

ففي الحديثين بيان أن الغفلة عن أسباب ال تنـ زيل تؤدي إلى الخروج عن المقصود بالآيات.

المثال الثالث: جاء رجل إلى ابن مسعود فقال: تركت في المسجد رجلاً يفسر القرآن برأيه يفسر هذه الآية ژ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ژ [3]، قال يأتي الناس يوم القيامة دخان فيأخذ بأنفاسهم حتى يأخذهم منه كهيئة الزكام.

فقال ابن مسعود: =من علم علماً فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من فقه الرجل أن يقول لما لا علم له به: الله أعلم إنما كان هذا لأن قريشاً استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فأنزل الله: ژ ڳ ڳ ڳ ڱ ژ الآية[4] ...+[1] إلى آخر القصة.

فدسناهم بالخيل من كل جانب كماجرد الجارود بكر بن وائل

وقيل غير ذلك. قدم الجارود على النبي عام العاشر في وفد عبد القيس الأخير ففرح به وأدناه ثم لما ارتد قومه ثبت على الحق وكان الجارود صهر أبي هريرة وكان معه بالبحرين.قتل بأرض فارس سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر رضي الله عن الجميع.

ينظر: طبقات ابن سعد 5/ 7،559/ 86والإصابة لابن حجر1/ 226.

(1) سورة المائدة، الآية: 93.

(2) أخرجه البخاري كتاب المغازي - باب منه 7/ 319 ح (4011).

(3) الدخان، الآية: 10.

(4) الدخان، الآية: 10.

❊ ❊ ❊

(1) أخرجه البخاري، كتاب التفسير باب سورة الروم ، ص931، ح(4774). ومسلم في كتاب الجنة والنار، باب الدخان، 4/ 2155-2157 ح(2798).

المطلب الرابع تكرر النزول

قال شيخ الإسلام:

وسورة ﮋ ﮊ ﮋ ﮌ ﮋ، أكثرهم على أنها مكية. وقد ذكر في أسباب نزولها سؤال المشركين بمكة وسؤال الكفار من أهل الكتاب اليهود بالمدينة، ولا منافاة، فإن اللهّ أنزلها بمكة أولًا، ثم لما سئل نحو ذلك أنزلها مرة أخرى. وهذا مما ذكره طائفة من العلماء وقالوا: إن الآية أو السورة قد تنزل مرتين وأكثر من ذلك.

فما يذكر من أسباب النزول المتعددة قد يكون جميعه حقًا. والمراد بذلك أنه إذا حدث سبب يناسبها، نزل جبريل فقرأها عليه ليعلمه أنها تتضمن جواب ذلك السبب، وإن كان الرسول يحفظها قبل ذلك. والواحد منا قد يسأل عن مسألة فيذكر له الآية أو الحديث، ليبين له دلالة النص على تلك المسألة وهو حافظ لذلك، لكن يتلى عليه ذلك النص ليتبين وجه دلالته على المطلوب[1].

الدراسة:

أشار شيخ الإسلام إلى أنه لامانع من تكرر النزول لحدوث سبب للنزول غير السبب الأول فتنزل السورة أو الآية مرة أخرى تذكيراً وتنبيهاً ؛ فما يذكر من أسباب النزول المتعددة قد يكون جميعه حقًا. والمراد بذلك أنه إذا حدث سبب يناسبها، نزل جبريل فقرأها عليه ليعلمه أنها تتضمن جواب ذلك السبب.

والقول بتكرر نزول بعض آيات القرآن سببه بعض الروايات المتعارضة في الظاهر، حيث ألجأت بعض العلماء إلى القول بهذا لما أشكل عليهم الجمع بين هذه الأسباب أو ترجيح بعضها.

وقد اختلف أهل العلم في هذه المسألة على قولين:

الأول: قول من يرى أن من القرآن ما تكرر نزوله وهو الذي مال الشيخ إليه

---

(1) مجموع الفتاوى 12 / 559.

واختاره ابن الحصار والسخاوي والزركشي والسيوطي.

قال ابن الحصار: =قد يتكرر نزول الآية تذكيراً وموعظة+ [1] اهـ.

وقال السخاوي: =فإن قيل: فما فائدة نزولها مرة ثانية؟ قلت: يجوز أن تكون نزلت أول مرة على حرف واحد، ونزلت في الثانية ببقية وجوهها نحو: ملك، ومالك، والسراط، والصراط ونحو ذلك+[2] اهـ.

وقال الزركشي: =وقد ينزل الشيء مرتين تعظيماً لشأنه، وتذكيراً به عند حدوث سببه خوف نسيانه.

والحكمة في هذا كله: أنه قد يحدث سب من سؤال أو حادثة تقتضي نزول آية وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها، فتؤدى تلك الآية بعينها إلى النبي ﷺ تذكيراً لهم بها، وبأنها تتضمن هذه.

والعالِم قد يحدث له حوادث فيتذكر أحاديث وآيات تتضمن الحكم في تلك الواقعة وإن لم تكن خطرت له تلك الحادثة قبل، مع حفظه لذلك النص+[3]. اهـ.

وقال السيوطي: =تنبيه: قد يجعل من ذلك الأحرف التي تقرأ على وجهين فأكثر، ويدل له ما أخرجه مسلم من حديث أبي: **(إن ربي أرسل إليَّ أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أمتي، فأرسل إليَّ أن أقرأه على حرفين فرددت إليه أن هون على أمتي، فأرسل إليَّ أن اقرأه على سبعة أحرف)** [4]. فهذا الحديث يدل على أن القرآن لم ينزل من أول وهلة بل مرة بعد أخرى+ [5] اهـ.

وحاصل ما استدلوا به:

---

(1) نقل قوله صاحب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (1/ 102).

(2) جمال القراء وكمال الإقراء، لعلي بن محمد السخاوي (1/ 34).

(3) البرهان في علوم القرآن للزركشي (1/ 45 - 56).

(4) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف (1/ 561) ح (820).

(5) الإتقان في علوم القرآن (1/ 102، 103).

1 - أن النزول يتكرر لغرض إنزال بقية الأحرف السبعة التي نزل القرآن عليها.

2 - تذكير المخاطبين وموعظتهم بها.

3 - تعظيم شأن المنزل.

4 - تذكير رسول الله ﷺ بها خوف النسيان.

5 - وجود أمثلة من القرآن تدل على هذا.

القول الثاني: أنه ليس في القرآن شيء تكرر نزوله واستدلوا بما يلي:

1 - أن هذا خلاف الأصل، قال ابن حجر: =والأصل عدم تكرار النزول+[1].

2 - عدم الفائدة في تكرر النزول لأنه تحصيل حاصل[2].

3 - لا يوجد دليل صحيح على وقوع التكرر.

ويجاب على القائلين بتكرر النزول بما يلي:

فقولهم: إن النزول يتكرر لغرض إنزال بقية الأحرف السبعة التي نزل القرآن عليها. فالجواب عنه من وجوه:

أ - أن من لازم القول بهذا ارتباط الأحرف السبعة بأسباب النزول؛ لأن النزول لن يتكرر إلا بوجود أسبابه.

والواقع أن الأحرف السبعة تخالف أسباب النزول في الموضوع والغاية، فالغرض من تكرر النزول على فرض وقوعه معالجة ما يستدعي ذلك من القضايا الخاصة، بينما الغرض من إنزال القرآن على سبعة أحرف التيسير والتسهيل على الأمة عامة في قراءة القرآن وفرق بيِّن بين الأمرين.

ب - أن مقتضى الاستدلال بنزول الأحرف السبعة على تكرر النزول أن يكون لما ذكر من الأمثلة صلة بالأحرف وهذا ما لا يوجد، فليس في الأمثلة التي ذُكر

---

(1) فتح الباري (8/ 367).

(2) الإتقان في علوم القرآن (1/ 103).

فيها تكرر النزول في النزول الأول كانت بحرف كذا، وبالنزول الثاني كانت بحرف كذا، بل غاية الأمر عندكم أنكم لجأتم للقول بتكرر النزول لما اشتبه عليكم المكي بالمدني.

جـ - أن الأحرف السبعة التي نزل القرآن بها لو كان لها صلة بتكرر النزول لكانت الأدلة على تكرر النزول تربو عن المذكور بكثير، وهذا ليس بغريب، إذا علمنا أن الأحرف سبعة وأن عدد سور القرآن يبلغ مائة وأربع عشرة سورة، وأن وجوه التغاير والاختلاف بين القراءات لا يخفى كثرتها.

وأما قولهم: إن في تكرر النزول لبعض الآيات تذكيراً وموعظة بها.

فالجواب أن يقال: إن التذكير والموعظة يحصل بالتفكر والتدبر في آيات الله الشرعية والكونية.

قال الله تعالى: ژ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ژ [1].

وقال تعالى: ژ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ژ [2].

وقال تعالى: ژ ھ ھ ھ ے ۓ ۓ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

يقال، وإن قال بتكرر النزول.

وأما قولهم: إن في تكرر النزول تعظيماً لشأن المنزل.

فالجواب أن يقال: المنزّل لا يفتقر للتكرار حتى يكون عظيماً بل يكفيه تعظيماً وتشريفاً أنه كلام الله - عز وجل - فهذا أعظم شرف للقرآن.

وبهذا يتبين أن التكرر في النزول لا يدل على تعظيم المنزّل، بل التعظيم حاصل بنزوله فقط مرة واحدة. والله أعلم.

وأما قولهم: إن في تكرر النزول تذكيراً لرسول الله ﷺ بها خوف نسيانه.

فالجواب عنه، بأن هذا خلاف ما ثبت من تكلف الله بحفظ النبي ﷺ للقرآن الكريم، كما قال تعالى: ژ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ژ[1].

فقول الزركشي: =قد ينزل الشيء مرتين تعظيماً لشأنه وتذكيراً به عند حدوث سببه خوف نسيانه+ لا يخلو من أمرين:

الأول: إن أراد أن النسيان واقع من الصحابة - رضي الله عنهم - فرسول الله ﷺ بين أظهرهم يذكرهم بكتاب الله، وحينئذ تنتفي الحاجة للتكرار.

الثاني: إن أراد أن النسيان واقع من رسول الله ﷺ فهذا عين الخطأ والخطر، والله المستعان.

أما استدلالهم ببعض الروايات على تكرر النزول لتعارضها في الظاهر فيمكن مناقشتها.

أولاً: الفاتحة فقد ذهب بعض أهل العلم إلى نزولها مرتين ظناً منهم إلى أنها نزلت مرة في مكة، ومرة في المدينة.

وقد استدل على نزولها بمكة بأن الله ذكرها في سورة الحجر بقوله: ژ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ

(1) سورة القيامة، الآيتان: 17، 18.

ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ [1]. ومما يدل على أن المراد بالآية هنا سورة الفاتحة ما روى البخاري عن أبي سعيد بن المعلى قال: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي فقال: **(ألم يقل الله:** ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

خواتيم سورة البقرة مع أنها مدنية.

والراجح - والله أعلم - أنه لا معارضة بين الحديثين، وأن السورة إنما أنزلت في مكة فقط، أما حديث ابن عباس فلا يدل على أنها مدنية، بل غاية الأمر أن الحديث يدل على فضلها ولهذا قال القرطبي: =إن جبريل - عليه السلام - نزل بها في مكة، ونزل هذا الملك بفضلها وثوابها في المدينة، فجبريل هو أمين الوحي وقد قال الله تعالى: ژ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ژ [1]. وهذا يقتضي نزوله بجميع القرآن دون استثناء+[2]. اهـ.

ثانياً: قال الله تعالى: ژ ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ژ.

فقد ذهب بعض أهل العلم إلى نزولها في المدينة لأن السائلين من اليهود.

قال الزركشي: =وكذلك ما ورد في ژ ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ژ أنها جواب للمشركين في مكة، وأنها جواب لهل الكتاب بالمدينة+ [3]. اهـ.

والراجح - والله أعلم - أن سورة الصمد لم تنزل إلا مرة واحدة في مكة، هذا على افتراض أن الحديث في سؤال المشركين لرسول الله ﷺ عن نسب ربه يصح الاحتجاج به وإلا فالحديث مرسل ضعيف لأن مداره على أبي جعفر الرازي وهو صدوق سيئ الحفظ، وروايته عن الربيع خصوصاً فيها اضطراب كثير.

فإذا كان هذا شأن النزول في مكة مع أنه قول جمهور العلماء [4]، فكيف إذن شأن النزول في المدينة مع أن المرويات فيه ضعيفة جداً بسبب الشذوذ والانقطاع، وغير ذلك.

---

(1) سورة الشعراء، الآية: 193).

(2) الجامع لأحكام القرآن (1/ 116).

(3) البرهان في علوم القرآن (1/ 55).

(4) نزول القرآن الكريم للأستاذ الدكتور محمد بن عبدالرحمن الشايع (111).

وبناءً على ما تقدم هل يصح القول بتكرر النزول مع عدم الدليل الصحيح على ذلك؟

والجواب: لا، فليس للقائلين بتكرر النزول مثال احد صحيح يسلم عند البحث والمناظرة، مع أن الأمثلة هي أقوى ما يُحتج به لقولهم. والله أعلم.

وأما القائلون بعدم تكرر النزول فاحتجوا بما يلي:

أ - أن تكرر النزول خلاف الأصل. قال ابن حجر: =والأصل عدم تكرر النزول+. وهذا حق أن الأصل عدمه، ومن خالف الأصل طولب بالدليل.

ب - عدم الفائدة في تكرر النزول لأنه تحصيل حاصل، وهذا صحيح فلم أجد فيما ذكروا فائدة من تكرر النزول، بل هو تحصيل أمر حاصل موجود.

جـ - لا يوجد دليل صحيح على التكرر. وهذا حق بعدما تبين من دراسة بعض الأمثلة التي قيل بتكرر نزولها، وإذا انتفى دليل القول انتفى القول ضرورة.

وبما تقدم يتبين أنه ليس لتكرر نزول بعض السور والآيات وجود أصلاً في كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ[1].

وقد ذكر ابن القيم معنىً خاصاً لقولهم: نزلت مرتين وهو التذكير بالآية إما من النبي ﷺ وإما من جبريل فأطلق على ذلك النزول.

ولهذا لما ذكر قول بعض العلماء في نزول قوله تعالى: ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ژ [2] وأنها نزلت في بني سلمة لما أرادوا النُّقلة إلى قرب المسجد قال: (وفي هذا القول نظر، فإن سورة يس مكية، وقصة بني سلمة بالمدينة إلا أن يُقال هذه الآية وحدها مدنية، وأحسن من هذا أن تكون ذُكرت عند هذه القصة ودلت عليها، وذُكروا بها

(1) للاستزادة يراجع كتاب نزول القرآن الكريم للدكتور محمد الشايع، وكتاب المحرر في أسباب النزول للدكتور/ خالد المزيني.

(2) سورة يس، الآية: 12.

عندها، إما من النبي ﷺ، وإما من جبريل، فأطلق على ذلك النزول ولعل هذا مراد من قال في نظائر ذلك: نزلت مرتين) [1]. اهـ.

❊ ❊ ❊

(1) ينظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (74).

المطلب الخامس
أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم
وفيه: مسألتان

المسألة الأولى: أول ما نزل:

قال شيخ الإسلام:

إن أول ما أنزل من القرآن: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ[1] ، عند جماهير العلماء. وقد قيل: ﭽ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ[2] ، روى ذلك عن جابر. والأول أصح. فإن ما في حديث عائشة الذي في الصحيحين يبين أن أول ما نزل: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ نزلت عليه وهو في غار حراء، وأن (المدثر) نزلت بعد. وهذا هو الذي ينبغي. فإن قوله: (اقْرَأْ) أمر بالقراءة، لا بتبليغ الرسالة، وبذلك صار نبيًا. وقوله: ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﯓ[3] ، أمر بالإنذار، وبذلك صار رسولًا منذرًا. ففي الصحيحين من حديث الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم. فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حُبِّبَ إليه الخلاء، فكان يأتي غار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك. ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء. فجاءه الملك فقال: (اقرأ) قال: (ما أنا بقارئ) قال: (فأخذني فغطني حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ) فقلت: (ما أنا بقارئ) (فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ). فقلت: (ما أنا بقارئ) (فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلني فقال: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ

---

(1) سورة العلق، الآية: 1.

(2) سورة المدثر، الآية: 1.

(3) سورة المدثر، الآية: 2.

ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

ذلك كان بعد أن عاين الملك الذي جاءه بحراء - أولاً - فكان قد رأى الملك مرتين. وهذا يفسر حديث جابر الذي روي من طريق آخر كما أخرجاه من حديث يحيى بن أبي كثير، قال:سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن.قال: ﴿ ﮪ ﮫ ﴾ . قلت:يقولون: ﴿ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﴾[1] . فقال أبو سلمة:سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ما قلت،فقال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قال: (جاورت بحراء، فلما قضيت جوار ي هبطت فنوديت، فنظرت عن يميني فلم أر شيئًا، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئًا،ونظرت أمامي فلم أر شيئًا، ونظرت خلفي فلم أر شيئًا. فرفعت رأسي فرأيت شيئًا. فأتيت خديجة فقلت: دثروني وصبوا عليّ ماءً باردًا، فدثروني وصبوا علي ماءً باردًا). قال: (فنزلت: ﴿ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﴾[2] . فهذا الحديث يوافق المتقدم، وإن (المدثر) نزلت بعد أن هبط من الجبل وهو يمشي، وبعد أن ناداه الملك ـ حينئذ. وقد بين في الرواية الأخرى أن هذا الملك هو الذي جاءه بحراء، وقد بينت عائشة أن (اقْرَأْ) نزلت حينئذ في غار حراء. لكن كأنه لم يكن علم أن (اقَرأ) نزلت ـ حينئذ، بل علم أنه رأى الملك قبل ذلك، وقد يراه ولا يسمع منه. لكن في حديث عائشة زيادة علم، وهو أمره بقراءة (اقْرَأْ). وفي حديث الزهري أنه سمى هذا (فَتْرَة الوحي)، وكذلك في حديث عائشة (فَتْرَة الوحي). فقد يكون الزهري روى حديث جابر بالمعنى، وسمى ما بين الرؤيتين (فترة الوحي) كما بينته عائشة، وإلا فإن كان جابر سماه (فترة الوحي) فكيف يقول: إن الوحي لم يكن نزل؟ بكل حال، فالزهري عنده حديث عروة، عن عائشة، وحديث أبي سلمة، عن جابر وهو أوسع علمًا وأحفظ من يحيى بن أبي كثير لو اختلفا. لكن يحيى ذكر أنه سأل أبا سلمة عن الأولى، فأخبر جابر

(1) سورة العلق، الآية: 1 .

(2) أخرجه البخاري، كتاب:التفسير، باب: تفسير سورة المدثر،ح(4638).4/ 187

بعلمه، ولم يكن علم ما نزل قبل ذلك، وعائشة أثبتت وبينت. والآيات - آيات (اقرأ) و(المدثر) - تبين ذلك، والحديثان متصادقان مع القرآن ومع دلالة العقل على أن هذا الترتيب هو المناسب.

الدراسة:

قرر شيخ الإسلام أن أول ما أنزل من القرآن: ﴿ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

ژ[1][2] . فهذه الراوية تدل على أن (المدثر) نزلت بعد أن هبط من الجبل وهو يمشي، وبعد أن ناداه الملك ـ حينئذ. وقد بين في الرواية الأخرى –رواية الزهري – أن هذا الملك هو الذي جاءه بحراء، وقد بينت عائشة أن (اقْرَأْ) نزلت حينئذ في غار حراء. لكن كأنه لم يكن علم أن (اقْرأ) نزلت ـ حينئذ، بل علم أنه رأى الملك قبل ذلك، وقد يراه ولا يسمع منه. لكن في حديث عائشة زيادة علم، وهو أمره بقراءة (اقْرَأْ).

وفي حديث الزهري أنه سمى هذا (فَتْرَة الوحي)، وكذلك في حديث عائشة (فَتْرَة الوحي). فقد يكون الزهري روى حديث جابر بالمعنى، وسم ى ما بين الرؤيتين (فترة الوحي) كما بينته عائشة، وإلا فإن كان جابر سماه (فترة الوحي) فكيف يقول: إن الوحي لم يكن نزل؟وقرر الشيخ أن الزهري عنده حديث عروة، عن عائشة، وحديث أبي سلمة، عن جابر وهو أوسع علمًا وأحفظ من يحيى بن أبي كثير لو اختلفا. لكن يحيى ذكر أنه سأل أبا سلمة عن الأولى، فأخبر جابر بعلمه، ولم يكن علم ما نزل قبل ذلك، وعائشة أثبتت وبينت.

والآيات ـ آيات (اقرأ) و(المدثر) ـ تبين ذلك، والحديثان متصادقان مع القرآن ومع دلالة العقل على أن هذا الترتيب هو المناسب. وما ذهب إليه الشيخ هو الذي عليه الجمهور من الصحابة ومن بعدهم؛ : كأم المؤمنين عائشة– رضي الله عنها – وابن عباس– رضي الله عنهما – ومجاهد، والزهري [3]، والسمرقنديأ والسمعاني، وابن العربي، وابن الجوزي، وصححه القرطبيأ ونسبه لمعظم المفسرين، وقال به ابن كثير، والزركشي، والشوكاني[1].

---

(1) سورة المدثر، الآيات: 1 – 3.

(2) أخرجه البخاري، كتاب:التفسير، باب: تفسير سورة المدثر، 4/ 187، ح(4638).

(3) ينظر:جامع البيان للطبري:30/ 252أ الدر المنثور للسيوطي:8/ 560–561.

(1) ينظر: جامع البيان للطبري: 30/ 252، تفسير السمرقندي:3/ 458أ تفسير السمعاني:6/ 87، أحكام القرآن لابن العربي: 4/ 417، زاد المسير لابن الجوزي: 1/ 9،5/ 175، الجامع لأحكام القرآن

قال النووي: الصواب أن أول ما نزل اقرأ، وأن أول ما نزل بعد فترة الوحي يا أيها المدثر [1].

و قال ابن حجر: =ويحتمل أن تكون الأولية في نزول يا أيها المدثر بقيد السبب أي هي أول ما نزل من القرآن بسبب متقدم وهو ما وقع من التدثر الناشئ عن الرعب، وأما اقرأ فنزلت ابتداء بغير سبب متقدم+[2].

و القول بأن سورة الفاتحة هي أول ما نزل قول شاذ قال النووي: إن بطلان هذا القول أظهر من أن يذكر[3].

المسالة الثانية: آخر ما نزل:

قال شيخ الإسلام :

وآخر ما نزل عليه أو من آخر ما نزل عليه قوله تعالى: ﴿ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ ﴾ [4] .

بل أنزل سبحانه وتعالى في آخر الأمر لما غزا النبي صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك وهي آخر غزواته: ﴿ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ﴾ [5] وهي آخر ما نزل من القرآن.

فهذا الذي أخره اللّه مثل آية الربا فإنها من أواخر ما نزل من القرآن، وقد روي أنها آخر ما نزل.

والبقرة وإن كانت مدنية بالاتفاق وقد قيل إنها أول ما نزل بالمدينة فلا ريب أن

للقرطبي:20/ 117، البرهان للزركشي: 1/ 193، فتح القدير للشوكاني:1/ 73، 5/ 467.

(1) شرح صحيح مسلم للنووي:2/ 208.

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري:8/ 678.

(3) ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي:2/ 208.

(4) سورة النصر، الآيات: 1 – 3.

(5) سورة التوبة، الآيتان: 117، 118.

هذا في بعض ما نزل وإلا فتحريم الربا إنما نزل متأخراً. وقوله: ﴿ ئۈ ئېئىئا ى ى ﴾ مِنْ آخِرِ مَا نَزَلَ[1].

الدراسة:

أشار الشيخ فيما تقدم من النقل عنه إلى جملة من الأقوال في آخر ما نزل من القرآن، وهي كالتالي:

1 – أن آخر ما نزل عليه أو من آخر ما نزل عليه قوله تعالى: ﴿ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄ ڄ ڦ ڦ ڤ ڤ ﴾.

2 – أن قوله تعالى: ﴿ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ﴾ هي آخر ما نزل من القرآن.

3 – أن آية الربا من أواخر ما نزل من القرآن.

4 – قَوْلُهُ: ﴿ ئۈ ئېئىئا ى ى ﴾ مِنْ آخِرِ مَا نَزَلَ.

وقد تعددت أقوال أهل العلم في آخر ما نزل من القرآن الكريم، وهي في مجملها لا تستند إلى خبر مرفوع للنبي ﷺ، وإنما إلى ما روي عن بعض الصحابة من خلال مشاهدتهم للوحي.[2] ومن هذه الأقوال :

القول الأول: أن آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﴾ الآية[3].

واستدلوا بما رواه البخاري في صحيحه عند تفسير سورة البقرة عن ابن عباس – رضي الله عنهما –.[1]

---

(1) مجموع الفتاوى (10/ 311)، (11/ 254)، (17/ 190).

(2) ينظر: مباحث في علوم القرآن (ص 70).

(3) سورة البقرة، الآية: 278.

(1) صحيح البخاري كتاب التفسير، باب ﴿ ئۈ ئېئىئا ى ى ﴾، (ح:4270) بنحوه.

القول الثاني: أن آخر ما نزل قوله تعالى: ژ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ژ [1]. وهو مروي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – وسعيد بن جبير [2].

القول الثالث: أنها آية الدين، وهي قوله تعالى: ژ ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ژ [3].

وهو قول سعيد بن المسيب وابن شهاب.[4]

قال السيوطي: =ولا منافاة عندي بين هذه الروايات ؛ لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف ؛ ولأنها في قصة واحدة، فأخبر كل عن بعض ما نزل بأنه آخر ما نزل، وذلك صحيح+[5].

القول الرابع: أنها قوله تعالى: ژ ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ژ [6][7].

ولما ورد عن أم سلمة – رضي الله عنها – قالت: آخر آية نزلت هذه الآية ژ ﭐ ﭑ ﭒ ژ إلى آخرها.[8]

ولعل المراد أنها آخر ما نزل بالنسبة إلى ما ذكر فيه النساء.[9]

القول الخامس: أنها آية الكلالة، وهي قوله تعالى: ژ ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ژ [1] [2].

---

(1) سورة البقرة، الآية: 281.

(2) تفسير ابن أبي حاتم (2/ 554، رقم الأثر: 2944.)

(3) سورة البقرة، الآية: 282.

(4) فضائل القرآن (369)، وابن شهاب هو محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب الزهري، أبو بكر الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه، توفي(سنة 125هـ). ينظر: تهذيب الكمال (6 / 507)، التقريب(ص 896)..

(5) الإتقان (1/ 58).

(6) سورة آل عمران، الآية: 195.

(7) ينظر: فتح القدير (1/ 668).

(8) ذكر هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور (4/ 187)، وعزاه لابن مردويه.

(9) ينظر: مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص 70).

(1) سورة النساء، الآية: 176.

(2) ينظر: فتح القدير (1/ 857).

وهذا كما جاء في حديث البراء بن عازب[1] رضي الله عنه في الصحيح أنها آخر آية نزلت.[2] قال السيوطي: = أي في شأن الفرائض+[3].

القول السادس: أن آخر ما نزل سورة المائدة والفتح[4].

وذلك لما ورد عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما – قال: =آخر سورة نزلت سورة المائدة+. وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنها سورة الفتح[5].

وأجيب بأن ذلك بحسب ما علمه الصحابي أو يقال: إنها آخر ما نزل في الحلال والحرام[6].

القول السابع: أنها قوله تعالى: ژ ھ ھ ے ے ۓ ژ[7] إلى آخر السورة.[8]

لما ورد عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: آخر آية أنزلت على النبي ﷺ، وفي لفظ: آخر ما أنزل من القرآن: ژ ھ ھ ے ے ۓ ژ إلى آخر الآية.

و هذا الأثر فيه مقال[1].

---

(1) البراء بن عازب هو ابن الحارث بن عدي الأنصاري الخزرجي، أبو عمارة، صحابي بن صحابي، نزل الكوفة توفي (سنة 72هـ). ينظر: الاستيعاب (1/ 155)، السير (3/ 194).

(2) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ ژ ص875، ح(4605).

(3) الإتقان (1/ 58).

(4) ينظر: فتح القدير (2/ 5).

(5) أخرج ذلك الترمذي في سننه كتاب التفسير، باب ومن سورة المائدة، (ح: 3063)، والحاكم في المستدرك بنحوه (2/ 340)، والبيهقي في سننه (7/ 172). وهو ضعيف الإسناد.(ضعيف سنن الترمذي للألباني (ص 373).

(6) ينظر: الإتقان (1/ 59).

(7) سورة التوبة، الآية: 128.

(8) ينظر: فتح القدير (2/ 792).

(1) رواه عبدالله بن الإمام أحمد في زوائد المسند (5/ 117)، والطبري في تفسيره (7/ 78)، والطبراني في المعجم الكبير(1/ 199) رقم الخبر (533) والحاكم في المستدرك (2/ 368)، والواحدي في أسباب النزول (ص 16). قال الهيثمي: رواه عبدالله بن أحمد والطبراني، وفيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ثقة سيء الحفظ، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد (7/ 36).

القول الثامن: أنها قوله تعالى: ژ تي ثج ثم ثى ثي ژ[1][2].

لما ورد عن معاوية بن أبي سفيان أنه تلا هذه الآية: ژ تي ثج ثم ثى ثي ژ وقال: إنها آخر آية نزلت من القرآن.[3]

وأجاب ابن كثير عن هذا =بأنه أثر مشكل، فإن هذه الآية هي آخر سورة الكهف، والكهف كلها مكية، ولعل معاوية أراد أن ينزل بعدها ما ينسخها ولا يغير حكمها، بل هي مثبتة محكمة فاشتبه ذلك على بعض الرواة فروى بالمعنى على ما فهمه+.[4]

ولعل كثرة الاختلاف في الآخرية عائد إلى أن كلاً يذكر آخرية بالنسبة لموضوع معين، أما الراجح بالنسبة للآخرية المطلقة فهو قوله تعالى: ژ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ژ[5].

لما ورد من آثار عن الصحابة والتابعين، ولكثرة من قال به من المفسرين.

وأيضاً لأنه قد وردت رواية تحدد وقت نزولها – وإن كان بين هذه الروايات اختلاف – مما يشعر أن لذلك أصلاً، ثم هي كالخاتمة ففيها تذكير باليوم الآخر والجزاء والحساب[6]، والله تعالى أعلم.

***

(1) سورة الكهف، الآية: 110.

(2) ينظر: فتح القدير (3/ 440).

(3) تفسير ابن جرير (15/ 441-442).

(4) – تفسير ابن كثير (3/ 208).

(5) سورة البقرة، الآية: 281.

(6) – ينظر: مناهل العرفان (1/ 100).

المبحث الرابع

المكـــي والمدنـــي

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: ما يميز به القرآن المكي.
- المطلب الثاني: ما يميز به القرآن المدني

المبحث الرابع:

المطلب الأول: ما يميز به القرآن المكي [1]

قال شيخ الإسلام:

ومثل أصول الشرائع كما ذكر في سورة (الأنعام) و(الأعراف) و(سبحان) وغيرهن من السور المكية: من أمره بعبادته وحده لا شريك له، وأمره ببر الوالدين

---

(1) للعلماء اصطلاحات عدة في حد المكي والمدني في القرآن: أحدها: أن المكي ما نزل بمكة والمدني ما نزل بالمدينة. والثاني: أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ماوقع خطاباً لأهل المدينة، ثم إنهم قد جعلوا لذلك صيغاً عُلم بالاستقراء اختصاصها بمكة أو المدينة؛ كقولهم: إن ياأيها الناس تختص بأهل مكة، ويا أيها الذين آمنوا تختص بأهل المدينة لفشو الإسلام فيها، وغير ذلك. والثالث: أن المكي مانزل قبل الهجرة، والمدني مانزل بعدها،وإن كان بمكة، و هو الأرجح كما قال ابن حجر.

و هو أمثلها. الذي اختاره كثير من أهل العلم. ولا يخلو التعريف الأول والثاني من مأخذ.

فمن المآخذ على الأول: أنه غير ضابط ولا حاصر لأنه لا يشمل ما نزل بغير مكة والمدينة وضواحيها ولا ريب أن عدم الضبط في التقسيم يترك واسطة لا تدخل فيما يذكر من الأقسام وذلك عيب يخل بالمقصود الأول من التقسيم وهو الضبط والحصر.

ومن المآخذ على الثاني أمران:

أحدهما: ما ورد على سابقه من أنه غير ضابط ولا حاصر فإن في القرآن ما نزل غير مصدر بأحدهما نحو قوله سبحانه في فاتحة سورة الأحزاب ﴿ ﴾ [الأحزاب : 1]. ونحو قوله سبحانه في فاتحة سورة المنافقون: ﴿ ﴾ [المنافقون: 1]. **ثانيهما**: أن هذا التقسيم غير مطرد في جميع موارد الصيغتين المذكورتين بل إن هناك آيات مدنية صدرت بصيغة يأيها الناس وهناك آيات مكية صدرت بصيغة يأيها الذين آمنوا.

مثال الأولى: سورة النساء فإنها مدنية وأولها ﴿ ﴾ [النساء:1]، وكذلك سورة البقرة مدنية وفيها ﴿ ﴾ [البقرة: 21].

ومثال الثانية: سورة الحج فإنها مكية مع أن في أواخرها ﴿ ﴾ [الحج:77].

أما إن أريد أن الغالب كذلك فصحيح.

قال الزرقاني: = أقول ولكن صحة الكلام في ذاته لا تسوغ صحة التقسيم فإن من شأن التقسيم السليم أن يكون ضابطا حاصرا وأن يكون مطردا وقيد الغالبية المراد لا يحقق الضبط والحصر وإن حقق الاطراد فيبقى التقسيم معيباً+.

ينظر: البرهان (1/ 187-192). والإتقان (1/ 15، 16). و فتح الباري (9/ 41). والعجاب في بيان الأسباب (1/ 243) وروح المعاني (8/ 18)، مناهل العرفان (1/ 135).

وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والعدل في المقال، وتوفية الميزان والمكيال، وإعطاء السائل والمحروم، وتحريم قتل النفس بغير الحق، وتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وتحريم الإثم والبغي بغير الحق، وتحريم الكلام في الدين بغير علم، مع ما يدخل في التوحيد من إخلاص الدين لله، والتوكل على الله والرجاء لرحمة الله، والخوف من الله، والصبر لحكم الله والقيام لأمر الله، وأن يكون الله ورسوله أحب إلى العبد من أهله وماله والناس أجمعين. إلى غير ذلك من أصول الإيمان التي أنزل الله ذكرها في مواضع من القرآن، كالسور المكية وبعض المدنية[1].

وقال – رحمه الله -:

وقد ذكر في هذه السورة (سورة حم غافر) من حال مخالفي الرسل من الملوك والعلماء مثل مقول الفلاسفة وعلمائهم ومجادلتهم واستكبارهم ما فيه عبرة، مثل قوله: ﴿ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ﴾[2]، ومثل قوله: ﴿ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﷺ ﷺ ﷺ

وقال رحمه الله:

المحرمات قسمان: أحدهما:ما يقطع بأن الشرع لم يبح منه شيئاً لا لضرورة ولا لغير ضرورة؛ كالشرك، والفواحش، والقول على اللهّ بغير علم، والظلم المحض، وهى الأربعة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الكلية التي يشترك فيها الأنبياء يذكرها اللهّ في السور المكية ـ مثل الأنعام والأعراف وذوات (الر) و (طسم) و (حم) ـ وأكثر المفصل، ونحو ذلك.[1]

الدراسة:

ذكر شيخ الإسلام جملة من المميزات و الخصائص الأسلوبية للسور المكية ومن أبرز هذه الخصائص:

1 – الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده، وإثبات الرسالة، وإثبات البعث والجزاء، ومجادلة المشركين بالبراهين العقلية، والآيات الكونية.

2 – ذكر أصول والأخلاق والفضائل التي يقوم عليها كيان المجتمع، ك بر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والعدل في المقال، وتوفية الميزان والمكيال، وإعطاء السائل والمحروم،..... مع ما يدخل في التوحيد من إخلاص الدين لله، والتوكل على الله والرجاء لرحمة الله، والخوف من الله، والصبر لحكم الله والقيام لأمر الله، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

3 – ذكر المحرمات المطلقة التي لاتباح حتى للضرورة. ك تحريم قتل النفس بغير الحق، وتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وتحريم الإثم والبغي بغير الحق، وتحريم الكلام في الدين بغير علم

ولذلك فإن السور المكية تضمنت الأصول التي اتفقت عليها رسل الله، إذ كان الخطاب فيها يتضمن الدعوة لمن لا يقر بأصل الرسالة،

ولهذا كان الخطاب في السور المكية: ژ ڳ ڳ ژ لعموم الدعوة إلى الأصول؛ إذ لا يدعي إلى الفرع من لا يقر بالأصل، فلابد لكل نبي من الأصول الثلاثة: الإيمان

---

(1) ينظر: مجموع الفتاوى (12 / 475 – 476)، (15 / 160 – 161)، (16/ 169)، (17/ 126)، والجواب الصحيح (2 / 147، 150)، (5 / 341،118)، (6/ 518)، ودرء تعارض العقل والنقل (7 / 57).

باللهّ، واليوم الآخر، والعمل الصالح. والأصول الكلية التي يشترك فيها الأنبياء يذكرها اللهّ في السور المكية – مثل الأنعام والأعراف وذوات (الر) و(طسم) و (حم) – وأكثر المفصل، ونحو ذلك.

4 – ذكر قصص الأنبياء مع أقوامهم، وذكر أخبار الأمم السابقة، وإهلاك الله لأهل الكفر، وذكر أحوال أهل الإيمان ونصره لهم.

قال الشاطبي: =وغالب المكي أنه مقرر لثلاث معان، أصلها معنى واحد وهو الدعاء إلى عبادة الله تعالى:

أحدها: تقرير الوحدانية لله الواحد الحق، غير أنه يأتي على وجوه ؛كنفي الشريك بإطلاق،أو نفيه بقيد ما ادعاه الكفار في وقائع مختلفة،من كونه مقرباً إلى الله زلفى، أو كونه ولداً أو غير ذلك من أنواع الدعاوى الفاسدة.

والثاني: تقرير النبوة للنبي محمد،وأنه رسول الله إليهم جميعاً، صادق فيما جاء به من عند الله ؛ إلا أنه وارد على وجوه أيضاً؛ كإثبات كونه رسولاً حقاً ، ونفي ما ادعوه عليه من أنه كاذب، أو ساحر، أو مجنون، أو يعلِّمه بشر، أو ما أشبه ذلك من كفرهم وعنادهم.

والثالث: إثبات أمر البعث والدار الآخرة وأنه حق لا ريب فيه بالأدلة الواضحة، والرد على من أنكر ذلك بكل وجه يمكن الكافر إنكاره به ؛ فرد بكل وجه يلزم الحجة، ويبكت الخصم، ويوضح الأمر.

فهذه المعاني الثلاثة هي التي اشتمل عليها المنزل من القرآن بمكة في عامة الأمر، وما ظهر ببادئ الرأي خروجه عنها؛ فراجع إليه في محصول الأمر، ويتبع ذلك الترغيب والترهيب، والأمثال والقصص، وذكر الجنة والنار، ووصف يوم القيامة، وأشباه ذلك [1].

(1). الموافقات للشاطبي (4/ 269، 270).

المطلب الثاني
ما يميز به القرآن المدني

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

فما أنزله الله في السور المدنية من شرائع دينه، وما سنه الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته، وهذه الشرائع التي هدى الله بها هذا النبي وأمته مثل: الوجهة، والمنسك، والمنهاج، وذلك مثل الصلوات الخمس في أوقاتها بهذا العدد، وهذه القراءة، والركوع، والسجود، واستقبال الكعبة. ومثل فرائض الزكاة ونصبها التي فرضها في أموال المسلمين: من الماشية والحبوب، والثمار، والتجارة، والذهب، والفضة، ومن جعلت له، حيث يقول : ﴿ ٹ ٹ ٹ

الكافرين، وبضع عشرة آية في صفة المنافقين. وأما حين كان بمكة وكان المؤمنون مستضعفين، فلم يكن أحد يحتاج إلى النفاق، بل كان من المؤمنين من يكتم إيمانه من كثير من الناس. ومنهم من يتكلم بالكفر مكرهًا مع طمأنينة قلبه بالإيمان. وهذا مؤمن باطنًا وظاهرًا. فإنه وإن أظهر الكفر لبعض الناس لما أكره عليه، أو كتم عنه إيمانه، فهو يتكلم بالإيمان في خلوته ومع من يأمنه، ويعمل بما يمكنه، وما عجز عنه فقد سقط عنه. ولهذا قال العلماء - منهم أحمد بن حنبل -:لم يكن يمكنهم نفاق،إنما كان النفاق بالمدينة. ولكن كان بمكة من في قلبه مرض، كما قال في السورة المكية: ﮋ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ [1] [2].

وقال رحمه الله:

والمدنيات تتضمن خطاب من آمن بجنس الرسل من أهل الكتاب من المؤمنين بالشرائع التي بعث بها خاتم الرسل.

وفي عامة السور المدنية، مثل البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، وغير ذلك من السور المدنية، من دعوة أهل الكتاب، وخطابهم[3].

وقال رحمه الله:

وعظم أمر الجهاد، في عامة السور المدنية، وذم التاركين له، ووصفهم بالنفاق ومرض القلوب، فقال تعالى: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮋ [4][5].

الدراسة:

ذكر شيخ الإسلام جملة من المميزات و الخصائص الأسلوبية للسور المدنية،

---

(1) سورة المدثر، الآية: 31.

(2) مجموع الفتاوى (16/ 500 - 504).

(3) مجموع الفتاوى (17/ 126).

(4) سورة التوبة، الآية: 24.

(5) مجموع الفتاوى (28/ 350).

ومن أبرز هذه الخصائص:

1- ذكر التشريع وتفاصيل العبادات والمعاملات والحدود مثل: الوجهة، والمنسك، والمنهاج، وذلك مثل الصلوات الخمس في أوقاتها بهذا العدد ومثل فرائض الزكاة ونصبها التي فرضها في أموال المسلمين: من الماشية والحبوب، والثمار، والتجارة، والذهب، والفضة، ومن جعلت له، حيث يقول: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ

قال الشاطبي: =ثم لما خرج رسول الله إلى المدينة،واتسعت خِطة الإسلام ؛ كملت هنالك الأصول الكلية على تدريج.

كإصلاح ذات البين، والوفاء بالعقود، وتحريم المسكرات، وتحديد الحدود التي تحفظ الأمور الضرورية، وما يكملها، ويحسنها، ورفع الحرج بالتخفيفات، والرخص، وما أشبه ذلك، وإنما ذلك كله تكميل للأصول الكلية.

فالنسخ إنما وقع معظمه بالمدينة ؛ لما اقتضته الحكمة الإلهية في تمهيد الأحكام+[1].

* * *

(1) الموافقات (5 / 234).

الفصل الثالث

جمع القرآن وترتيبه ورسمه وترجمته عند ابن تيمية

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: جمع القرآن.
- المبحث الثاني: ترتيب سور القرآن الكريم وآياته.
- المبحث الثالث: رسم المصحف و كتابته.
- المبحث الرابع: ترجمة القرآن الكريم.

المبحث الأول

جمع القرآن الكريم

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: جمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.
- المطلب الثاني: جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما.

المطلب الأول
جمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

قال شيخ الإسلام:

وقد ثبت في الصحيح أنه جمع القرآن كله على عهد النبي ﷺ جماعة من الصحابة، كالأربعة الذين من الأنصار، وكعبد اللهّ بن عمرو[1].

الدراسة:

تمهيد:

معنى الجمع في اللغة: الجَمْع: مصدر الفعل =جَمَع+، يقال: جمع الشيء يجمعه جمعاً.

قال الجوهري: (أجمعتُ الشيءَ: جعلته جميعاً، والمجموع: الذي جُمِعَ من ههنا وههنا وإن لم يجعل كالشيء الواحد) [2]

وقال الفيروز أبادي: (الجمع: تأليف المُتَفَرِّق) [3].

ويلحظ في هذه المعاني أن كلمة = جَمَع + تدل على الجمع والاجتماع والتأليف، وضم المتفرق فجمع الشيء استقصاؤه والإحاطة به. وهذا متحقق في جمع القرآن

معنى جمع القرآن في الاصطلاح: جمع القرآن الكريم يطلق في علوم القرآن على معنيين:

أحدهما: جمعه بمعنى حفظه في الصدور عن ظهر قلب، ويدل له قوله تعالى: ژ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ژ[4] أي: جمعه في صدرك، وإثبات قراءته في لسانك [5] ومنه ما جاء

---

(1) مجموع الفتاوى (13 / 401).

(2) الصحاح للجوهري (3/ 1199) مادة (جمع).

(3) ترتيب القاموس المحيط (1/ 528) مادة (جمع).

(4) سورة القيامة، الآية: 17.

(5) انظر الكشاف (6/ 269).

عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنه – أنه قال: =جمعتُ القرآن فقرأته كلَّه في ليلة، فقال رسول الله ﷺ: (**إني أخشى أن يطول عليك الزمان، وأن تملَّ، فاقرأه في شهر**)، فقلت: دعني أستمتع من قوتي وشبابي قال: فاقرأه في عشرة، قلت: دعني أستمتع من قوتي وشبابي، قال: فاقرأه في سبع، قلت: دعني أستمتع من قوتي وشبابي فأبى.[1]. فمعنى قوله: جمعت القرآن أي: حفظته عن ظهر قلب.

ومنه قولهم: = جُمَّاع القرآن+ أي: حفاظه.

الثاني: جمعه بمعنى كتابته، ويدل له ما ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري في قصة جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – ومما ورد فيه:

قول عمر بن الخطاب لأبي بكر – رضي الله عنهما: (وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن).

وقول أبي بكر الصديق لزيد بن ثابت – رضي الله عنهما -: (فتتبع القرآن فاجمعه) أي: اكتبه كله.

وقول زيد بن ثابت – رضي الله عنه -: (فتتبعت القرآن أجمعه من العسف واللخاف وصدور الرجال) [2].

وأشار شيخ الإسلام إلى أنه قد جمع القرآن كله على عهد النبي ﷺ جماعة من الصحابة، كالأربعة الذين من الأنصار، وكعبد اللهّ بن عمرو ، وقد جمع القرآن غير هؤلاء عدد من الصحابة غير قليل واشتهروا بحفظه و إقرائه.

قال السيوطي: (المشتهرون بإقراء القرآن من الصحابة سبعة: عثمان وعليٌّ وأبيٌّ وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري كذا ذكرهم

---

(1) أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب إقامة الصلاة، باب في كم يستحب يختم القرآن ، ص149، ح(1346).

(2) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ص992، ح(4986).

الذهبي في طبقات القراء)[1].

وقال ابن حجر: (وقد ذكر أبو عبيد القرَّاء من أصحاب النبي ﷺ فعد من المهاجرين الخلفاء الأربعة وطلحة وسعداً وابن مسعود وحذيفة وسالماً وأبا هريرة وعبد الله بن السائب والعبادلة، ومن النساء عائشة وحفصة وأم سلمة ... وعد ابن أبي داود في كتاب الشريعة من المهاجرين أيضاً تميم بن أوس الداري وعقبة بن عامر، ومن الأنصار عبادة بن الصامت ومعاذ الذي يكنى أبا حليمة ومجمع بن حارثة وفضالة بن عبيد ومسلمة بن مخلد... وعد بعض المتأخرين من القراء عمرو ابن العاص وسعد بن عبادة وأم ورقة)[2].

وقد كان للصحابة عناية بحفظ القرآن الكريم وتلقيه عن النبي ﷺ؛ كما دلت على ذلك الأحاديث الكثيرة وأخبارهم الشهيرة ومنها:

أخرج البخاري رحمه الله بسنده عن مسروق: ذكر عبدُ الله بن عمرو عبدَ الله بن مسعود فقال: لا أزال أحبه،سمعت النبي ﷺ يقول: (**خذوا القرآن من أربعة من عبدالله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبيٍّ بن كعب**)[3].

وأخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: =والله لقد أَخذتُ من في رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بضعاً وسبعين سورة+[4].

---

(1) الإتقان في علوم القرآن (1/ 204).

(2) انظر فتح الباري (8/ 669).

(3) المرجع السابق حديث رقم 4999.

(4)أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ. ص994، ح(5000)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود، ص998، ح(2462).

وأخرج عنه أنه قال: =كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأُنْزِلتْ عليه والمرسلات، وإنا لنتلقَّاها من فِيْه+[1].

وأخرج الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: =كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا القرآن، فإذا مَرّ بسجود القرآن سجد وسجدنا معه+[2].

وأخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: =كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنا التشهد كما يُعَلِّمنا السورة من القرآن + وفي رواية ابن رُمْح =كما يُعَلِّمنا القرآن+[3].

وأخرج البخاري عن جابر بن عبد الله قال: =كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنا الاستخارة في الأمور كما يُعَلِّمُنا السورة من القرآن+[4].

وأخرج الطبري عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: =حدثنا الذين كانوا يقرئوننا: أنهم يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلّموا عشر آيات لم يُخلِّفوها حتى يعلموا بما فيها من العمل، فتعلّمنا القرآن والعمل جميعاً+[5].

وكان الصحابة رضوان الله عليهم إذا عجز أحدهم عن تفريغ وقت لتحصيل القرآن الكريم مباشرة من فم رسول الله ﷺ أناب عنه من يحصل عنه.

أخرج البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كنت أنا وجارٌ لي من الأنصار في بني أمية بن زيد – وهي من عوالي المدينة – وكنا نتناوبُ النزولَ على

---

(1)أخرجه البخاري في كتاب التفسير تفسير سورة والمرسلات، ص974، ح(4930)، ومسلم في كتاب السلام، باب قتل الحيات وغيرها، ص919، ح(2234).

(2)أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عمر، ص462، ح(6461).

(3)أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة. صحيح مسلم (1/ 302، 302، 303) رقم (60).

(4)أخرجه البخاري في كتاب التهجد بالليل، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، ص229؛ ح(1162).

(5)أخرجه الطبري في تفسيره (1/ 36)، والإمام أحمد بنحوه في المسند (5/ 410).

رسول الله ﷺ ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلتُ جئتهُ بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعلَ مثل ذلك[1].

وكان من نتيجة ذلك أن كثر الحفاظ في عهد النبي ﷺ، وكانوا يعرضون على النبي ﷺ القرآن ويقرؤونه عليه، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: **(اقرأ عليّ)**، قلتُ: أقرأ عليك وعليك أنزل؟، قال: **(فإني أحب أن اسمعه من غيري)**، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت ژ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ گ ژ [2] قال: **(أمسك)**، فإذا عيناه تذرفان+[3] وكان مسجده ﷺ عامراً بتلاوة القرآن يضج بأصوات الحفاظ فأمرهم رسول الله عليه وسلم أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا.

وأظهر دليل على كثرة الحفاظ في زمن الرسول ﷺ أنه قتل منهم في بئر معونة[4] المعروفة بـ = سرية القراء+ سبعون رجلاً، كما قتل منهم يوم اليمامة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه سبعون قارئاً.

---

(1)أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب التناوب في العلم، ص43، ح(89).

(2) سورة النساء، الآية: 41.

(3)أخرجه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة النساء باب (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا)، ص870، ح(4582).

(4)بئر معونة: موضع في بلاد هذيل بين مكة وعسفان، وتعرف هذه الموقعة بـ (سرية القراء) وكانت بين رِعْل وذكوان، ووقعت بعد أحد مباشرة أي في حدود سنة 4هـ. ينظر خبرها في صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير، باب العون بالمدد (4/ 35).

المطلب الثاني
جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما

وفيه مسألتان:

- الأولى: العرضة الأخيرة:

قال شيخ الإسلام:

فإنه قد ثبت في الصحاح عن عائشة وابن عباس [1] رضي اللهّ عنهم أن جبريل عليه السلام كان يعارض النبي ﷺ بالقرآن في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه به مرتين. والعرضة الآخرة هي قراءة زيد بن ثابت وغيره، وهي التي أمر الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بكتابتها في المصاحف، وكتبها أبو بكر وعمر في خلافة أبي بكر في صحف، أمر زيد بن ثابت بكتابتها، ثم أمر عثمان في خلافته بكتابتها في المصاحف وإرسالها إلى الأمصار، وجمع الناس عليها باتفاق من الصحابة علي وغيره..... [2].

الدراسة:

- **المسألة الأولى: العرضة الأخيرة**

أشار شيخ الإسلام إلى أن النبي ﷺ كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام، ليؤكد حفظه، وليعلم ما طرأ عليه نسخ منه، وليعلم ما يؤمر به من القراءة على الأحرف السبعة، وليتعلم منه معانيه.

فكان جبريل ينزل على النبي ﷺ في شهر القرآن من كل سنة فيدارسه فيما نزل عليه حتى وقت المدارسة، يقرأ على النبي ﷺ، ويقرأ عليه النبي ﷺ:

فعن ابن عباس قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَجْودَ الناس، وكان

---

(1) سيأتي ذكر لهذه الأحاديث قريباً في الدراسة

(2) مجموع الفتاوى (13 / 395).

أَجودُ مَا يكونُ فِي رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل لية من رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسولُ الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة[1].

وعن أبي هريرة قال: كان يعرضُ على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام مرة فعرض عليه مرتين في العام الذي قُبض فيه[2].

وعن عائشة في حديث وفاة النبي ﷺ أن فاطمة قالت: إنه أسرَّ إليَّ فقال: إن جبريل - عليه السلام - كان يعارضني بالقرآن في كل عامٍ مرةً، وإنه عارضني به العام مرتين، ولا أراه إلا قد حضر أجلي [3].

فلفظ المدارسة يحتمل أن كلاً منهما كان يعرض على الآخر، وفي رواية: يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن، وفي اللفظ الآخر: يَعرض على النبي ﷺ القرآن. أي: جبريل عليه السلام. فهاتان الروايتان صريحتان في أن كلاً منهما كان يعرض على الآخر[4].

فكانت هذه العرضة الأخيرة بِمنْزلة الْمراجعة النهائية للكتاب الحكيم، عرض فيها القرآن الكريم مرتين، فأُثبِت فيه جميع الأوجه الثابتة غير المنسوخة، وترك ما نُسِخ منه، فما ثبت في هذه العرضة هو القرآن المحكم المعجز الْمُتَعَبَّد بتلاوته إلى يوم القيامة، وما لم يثبت فإما أن يكون قرآنًا منسوخًا، وإما أنه ليس بقرآن، وكلاهما ليس

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي 1/ 40 ح (6)، ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل بَاب كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ 15/ 68 ح(2308).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ 8/ 659 ح (4998).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام 6/ 728 ح (3624)، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة بَاب فَضَائِلِ فَاطِمَةَ بِنْتِ النَّبِيِّ عَلَيْهِمَا الصَّلاة وَالسَّلام 16/ 5-7 ح (2450).

(4) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري (8/ 659-661) ح:4997، و 4998.

له حكم القرآن من التعبد والإعجاز.

وبين الشيخ أن العرضة الآخرة هي قراءة زيد بن ثابت وغيره.

وكان تعويل الصحابة رضي الله عنهم في قراءة القرآن، ثم في جمعه بعد زمن النبي ﷺ على تلك العرضة الأخيرة؛ لأن ما لم يثبت فيها من أوجه القراءة فقد نسخ، وما ثبت فيها فهو القرآن المُتَعَبَّد بتلاوته إلى يوم القيامة.

ولا شك أن النبي ﷺ كان يخبر أصحابه بِما يطرأ على آيات الكتاب من النسخ، وبِما يُحتاج إلى معرفته من معاني الكتاب التي تعلمها من جبريل عليه السلام.

وقد ورد من الروايات ما يدل على أن من الصحابة رضي الله عنهم من حضر تلك العرضة كزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود وغيرهم رضي الله عنهم.

قال أبو عبد الرحمن السلمي[1]: قرأ زيد بن ثابتً على رَسُول الله صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفَّاه الله فيه مرتين، وإنَّما سمِّيَت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت؛ لأنه كتبها لرَسُول الله ﷺ، وقرأها عليه وشهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس بِها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولاه عثمان كتابة المصاحف[2]

وعن أبي ظبيان عن ابن عباس قال: أيُّ القراءتين تعدون أول؟ قالوا: قراءة عبدالله. قال: لا بل هي الآخرة، كان يعرض القرآن على رسول الله ﷺ في كل عام مرة فلما كان العام الذي قبض فيه عرض عليه مرتين، فشهده عبدالله فعلم ما نسخ منه وما بدِّل[3].

---

(1) هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي، تابعي جليلٌ، ولد في حياة النَّبِيّ ﷺ، وقرأ القرآن على عثمان وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت، وهو مقرئ الكوفة، ظل يقرئ الناس بمسجدها الأعظم أربعين سنة. معرفة القراء الكبار (1/ 52-53)، وشذرات الذهب (1/ 92).

(2) شرح السنة للإمام البغوي (4/ 525-526)، وانظر البرهان في علوم القرآن (1/ 237).

(3) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عباس، (1/ 598) ح 3412، والنسائي في السنن الكبرى كتاب فضائل القرآن (3/ 7)، وكتاب المناقب (4/ 36).

وعن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يعرض القرآن على جبريل في كل سنة مرة، فلما كانت السنة التي قُبض فيها عرضه عليه مرتين، فكانت قراءة عبدالله آخر القراءة[1].

وعن عبيدة السلماني[2] أنه قال: القراءة التي عُرِضَت على رسول الله ﷺ في العام الذي قبض فيه - هذه القراءة التي يقرأها الناس.[3] يعني بذلك قراءة زيد بن ثابت رضي الله عنه.

وعن سَمُرة رضي الله عنه قال: عُرض القرآنُ على رَسُول الله ﷺ عرضات، فيقولون: إن قراءتنا هذه العرضة الأخيرة[4].

وبين شيخ الإسلام أن العرضة الأخيرة للقرآن الكريم هي المرجع والأساس لقراءة أصحاب النبي ﷺ، ولَمَّا أرادوا جمع القرآن الكريم كانت هي أيضًا أساس هذا الجمع، فقد اتفقوا على كتابة ما تحققوا أنه قرآن مستقرٌّ في العرضة الأخيرة، وتركوا ما سوى ذلك[5].

وقد مرَّ قريباً بعض الآثار التي تدل على أن القراءة التي يقرؤها الناس -وهي القراءة التي جمع عليها القرآن- هي ما عرض في العرضة الأخيرة، وفي هذا دلالة

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عباس(1/ 535) ح 2992.

(2) عبيدة السلماني الفقيه المُرادي الكوفي، أحد الأعلام، أسلم عام الفتح، ولا صحبة له، وأخذ عن علي وابن مسعود، وكان يقرئ الناس، ويفتيهم. توفي سنة 72 على الصحيح. سير أعلام النبلاء (4/ 40)، وشذرات الذهب (1/ 78).

(3) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (7/ 155-156).

(4) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي. مستدرك الحاكم (2/ 230)، ورواه البزار في مسنده، قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد (7/ 154).

(5) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (1/ 142).

على أثر هذه العرضة الأخيرة في جمع القرآن[1].

قال أبو عبد الرحمن السلمي: كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة، كانوا يقرؤون القراءة العامة، وهي القراءة التي قرأها رسول الله ﷺ على جبريل مرتين في العام الذي قبض فيه[2].

وقال أيضًا: قرأ زيد بن ثابتٍ على رَسُول الله صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفَّاه الله فيه مرتين، وإنَّما سُمِّيَت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابتٍ؛ لأنه كتبها لِرَسُول الله ﷺ، وقرأها عليه وشهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس بِها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولاه عثمان كتبة المصاحف[3].

وعن محمد بن سيرين عن كَثِير بن أفلَحَ قال: لَمَّا أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار، فيهم أُبَيٌّ بن كعبٍ وزيد بن ثابت، قال: فبعثوا إلى الرَّبعَةِ التي في بيت عُمَرَ، فجِيء بِها، قال: وكان عثمانُ يتعاهدهم، فكانوا إذا تدارؤوا في شيء أَخَّروه، قال محمد: فقلت لكَثِيرٍ -وكان فيهم فيمن يكتب: هل تدرون لم كانوا يُؤَخِّرونه؟ قال: لا، قال محمد: فظننت أنَّهم إنَّما كانوا يُؤَخِّرونه لينظروا أحدثهم عهدًا بالعرضة الآخرة، فيكتبونَها على قوله[4].

وهكذا فقد كانت هذه العرضة عمدة هذه الأمة في معرفة القرآن، إذ إنَّها قد جمعت ما ثبتت تلاوته من الكتاب الحكيم، وأخرجت ما ثبت نسخه.

---

(1) ينظر: الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها (ص270-271).

(2) شرح السنة للإمام البغوي (4/ 525)، وانظر البرهان في علوم القرآن (1/ 237).

(3) شرح السنة للإمام البغوي (4/ 525-526)، وانظر البرهان في علوم القرآن (1/ 237).

(4) أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف، باب جمع عثمان رحمة الله عليه المصاحف (ص 33).

• **المسألة الثانية: علاقة جمع عثمان – رضي الله عنه – بالأحرف السبعة.**

قال شيخ الإسلام :

القراءات السبعة هل هي حرف من الحروف السبعة أم لا؟ فالذي عليه جمهور العلماء من السلف والأئمة أنها حرف من الحروف السبعة، بل يقولون: إن مصحف عثمان هو أحد الحروف السبعة، وهو متضمن للعرضة الآخرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل، والأحاديث والآثار المشهورة المستفيضة تدل على هذا القول.

وذهب طوائف من الفقهاء والقراء وأهل الكلام إلى أن هذا المصحف مشتمل على الأحرف السبعة، وقرر ذلك طوائف من أهل الكلام، كالقاضي أبي بكر الباقلاني وغيره؛ بناء على أنه لا يجوز على الأمة أن تهمل نقل شيء من الأحرف السبعة، وقد اتفقوا على نقل هذا المصحف الإمام العثماني وترك ما سواه، حيث أمر عثمان بنقل القرآن من الصحف التي كان أبو بكر وعمر كتبا القرآن فيها، ثم أرسل عثمان بمشاورة الصحابة إلى كل مصر من أمصار المسلمين بمصحف وأمر بترك ما سوى ذلك [1].

ذكر الشيخ الخلاف في كون مصحف عثمان رضي الله عنه مشتملاً على الأحرف السبعة أم لا؟

وحاصل الخلاف في هذه المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: ذهب البعض إلى أنها لاتشتمل إلا على حرف قريش واستدلوا على ذلك بقول عثمان رضي الله عنه للقرشيين الثلاثة: (إذا اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم) [2].

---

(1) مجموع الفتاوى (13 / 395 -396).

(2) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن (6 / 99)، ح4064.

وممن ذهب لهذا القول ابن جرير الطبري، والطحاوي وغيرهما... ينظر: منجد المقرئين: 55.

واحتجوا: بأن الأحرف السبعة نزلت في صدر الإسلام للتيسير على الأمة ورفع الحرج والمشقة عنها في أمر القراءة، ولما ذللت الألسنة ومرنت على لغة قريش أمرت جميع القبائل بالقراءة بلغة قريش، كما أن القراءة باللغات الكثيرة كانت مثار نزاع وخلاف بين المسلمين، لذلك اقتصر عثمان رضي الله عنه على لغة واحدة، وهي لغة قريش، أما القراءات الموجودة اليوم – على كثرتها وتعددها – فهي كلها تمثل حرفاً واحداً فقط.

القول الثاني: ذهب طوائف من الفقهاء والقراء والمتكلمين إلى أنها كانت مشتملة على جميع الأحرف السبعة.

واحتجوا: بأنه لا يجوز للأمة إهمال شيء من الأحرف لكونها منزلة قرآناً، وبأن المصاحف العثمانية نقلت من الصحف التي جمعها أبو بكر وعمر، وكانت مشتملة على الأحرف السبعة، أما عثمان ﷺ فأراد استنقاذ القرآن من فشو اللحن فيه، فجمعهم على القراءات الثابتة عن الرسول ﷺ وأمرهم بترك ما سواها[1].

القول الثالث: ذهب الجمهور إلى أن المصاحف العثمانية في مجموعها تشتمل على ما ثبت في العرضة الأخيرة من الأحرف السبعة، فليس كل مصحف بمفرده يشتمل على جميع الأحرف السبعة، بل الثابت منها منتشر في المصاحف العثمانية كلها[2].

واحتجوا: بأن المصاحف العثمانية تم نسخها من الصحف الصديقية، وقد أجمع الصحابة على ما فيها من الأحرف السبعة.

وبأنه لم يرد خبر صحيح ولا ضعيف عن عثمان بأنه أمر بإلغاء بقية الأحرف.

وبأن الخلافات الموجودة في المصاحف العثمانية دليل قاطع على وجود

---

(1) ينظر: النشر: 1/ 31-32، الإتقان: (1/ 157).

(2) النشر: (1/ 31).

الأحرف السبعة فيها، فلو كانت المصاحف مكتوبة بلغة واحدة وبحرف واحد فقط لما كان فيها وجود هذا الخلاف.

وبأن وجود كثير من الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية على غير لغة قريش دليل على أن المصاحف لم يقتصر في كتابتها على لغة قريش فقط.

قال ابن الجزري: وهذا القول هو الذي يظهر صوابه، لأن الأحاديث الصحيحة والآثار المشهورة المستفيضة تدل عليه وتشهد له [1]. وعبارة شيخ الإسلام تدل على أنه يختار هذا القول حيث قال: = والأحاديث والآثار المشهورة المستفيضة تدل على هذا القول+.

وهو القول الراجح في هذه المسألة والذي يؤيده النظر الصحيح في واقع وأحداث الجمع العثماني، مع تضافر الآثار الدالة على كيفية وطريقة الجمع والتي لم يذكر فيها أن عثمان قد اقتصر على حرف واحد من الأحرف السبعة.

والقولان الآخران لا يسعفهما النظر الصحيح في واقع وأحداث الجمع العثماني كما أنها تفتقر إلى الدليل الصحيح الصريح.

***

(1) المرجع السابق، وراجع لمزيد من التفصيل: مناهل العرفان (1/ 169).

المبحث الثاني
ترتيب سور القرآن الكريم وآياته

قال الشيخ رحمه الله:

ترتيب السور لم يكن واجبًا عليهم منصوصًا بل مفوضًا إلى اجتهادهم؛ ولهذا كان ترتيب مصحف عبد اللهّ على غير ترتيب مصحف زيد وكذلك مصحف غيره.

وأما ترتيب آيات السور فهو منزل منصوص عليه، فلم يكن لهم أن يقدموا آية على آية في الرسم، كما قدموا سورة على سورة؛ لأن ترتيب الآيات مأمور به نصًا، وأما ترتيب السور فمفوض إلى اجتهادهم[1].

الدراسة :

- **المسألة الأولى: ترتيب سور القرآن الكريم**

بيَّن شيخ الإسلام أن ترتيب السور لم يكن توقيفياً منصوصًا؛ بل كان مفوضًا إلى اجتهاد الصحابة، واستند إلى الاختلاف الموجود بين مصاحف الصحابة؛ فقد كان ترتيب مصحف عبد اللهّ على غير ترتيب مصحف زيد.

وهذا هو القول الأول في هذه المسألة.

وهو مذهب الجمهور: ومِمَّن ذهب هذا المْذهب الإمام مالكٌ، والقاضي أبو بكر الباقلاني فيما استقر عليه رأيه من قوليه[2].

قال الزركشي: قال أبو الحسين أحمد بن فارسٍ في كتاب المسائل الخمس: جمع القرآن على ضربين: أحدهما: تأليف السور، كتقديم السبع الطُّوال، وتعقيبها بالمْئين،

---

(1) (13/ 396).

(2) نكت الانتصار لنقل القرآن ص 82، والبرهان (1/ 257)، وفتح الباري (8/ 655).

فهذا الضرب هو الذي تولاه الصحابة رضي الله عنهم[1].

وقد استدلوا على ما ذهبوا إليه بأدلة، منها:

أولاً: أنه لو كان ترتيب السور بتوقيف من النبي ﷺ لظهر وفشا ونقل مثله، وفي العلم بعدم ذلك النقل دليلٌ على أنه لم يكن منه ﷺ توقيف فيه[2].

ثانيًا: أن مصاحف الصحابة رضي الله عنه كانت مختلفة في ترتيب السور قبل جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه، ولو كان الترتيب توقيفيًّا منقولاً عن النبي ﷺ ما ساغ لهم أن يهملوه ويتجاوزوه[3]، وقد ذكر هذا الدليل الشيخ فيما تقدم.

فمن الاختلاف الموجود في مصاحف الصحابة؛ أن مصحف أُبَيِّ بن كعب قدمت فيه النساء على آل عمران، ثم تلت آل عمران سورة الأنعام، ثم الأعراف ثم المائدة، ومصحف ابن مسعود كان مبدوءا بالبقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، ثم الأعراف، ثم الأنعام ... إلى آخره ما فيهما من خلاف مصاحفنا اليوم، وروي أن مصحف علي كان مرتبًا على النزول، فأوله سورة العلق، ثم المدثر، ثم ق، ثم المزمل ثم تبت، ثم التكوير، وهكذا إلى آخر المكي والمدني[4].

ثالثًا: حديث ابن عباس قال: قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى سورة الأنفال وهي من المثاني، وإلى سورة براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فوضعتموها في السبع الطوال، فما حملكم على ذلك؟ قال: كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه من السور ذوات

---

(1) البرهان في علوم القرآن - الزركشي (1/ 258-259).

(2) نكت الانتصار لنقل القرآن (ص 82).

(3) مناهل العرفان (1/ 353).

(4) الإتقان في علوم القرآن (1/ 181-183)، والبرهان في علوم القرآن (1/ 259)، ونكت الانتصار لنقل القرآن ص 81، ومناهل العرفان (1/ 353).

العدد، فكان إذا أنزل عليه الشيء دعا بعض من يكتب له فيقول: ضعوا هذه في السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا، وإذا أنزلت عليه الآيات قال: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وإذا أنزلت عليه الآية قال: ضعوا هذه الآية في السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا، وكانت سورة الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت سورة براءة من أواخر ما أنزل من القرآن، قال: فكانت قصتها شبيهاً بقصتها، فظننا أنها منها، وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتها في السبع الطوال[1].

فقول عثمان رضي الله عنه: =فظننا أنها منها، وقبض رسول الله ﷺ ولم يُبين لنا أنها منها + صريحٌ في عدم التوقيف[2].

فهذا الحديث يدل عندهم على أن ترتيب السور لم يكن بتوقيف من النبي ﷺ، بل كان باجتهاد من الصحابة رضي الله عنهم.

رابعًا: عن يوسف بن ماهك قال: إني عند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، إذ جاءها عراقي فقال: أي الكفن خيرٌ؟ قالت: ويحك وما يضرك؟! قال: يا أم المؤمنين أريني مصحفك. قالت: لِمَ؟ قال: لعلي أؤلف أؤلِّف القرآن عليه، فإنه يقرأ غير مؤلَّفٍ. قالت: وما يضرك أيَّه قرأت قبل؟.... قال: فأخرجتْ له المصحف فأملت عليه آي السور[3].

---

(1) أخرجه أحمد في المسند ، مسند العشرة المبشرين بالجنة (1/ 92) ح 401، (1/ 111) ح 501، وأبو داود في كتاب الصلاة باب من جهر بها (1/ 208-209)ح 786، والترمذي في كتاب تفسير القرآن باب سورة التوبة (5/ 272) ح 3086، وقال: حديث حسن.

(2) نكت الانتصار لنقل القرآن (ص 82).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن باب تأليف القرآن (8/ 654) ح 4993.

ووجه الدلالة فيه أن السائل كان يسأل عن ترتيب السور، بدليل قول عائشة له: وَمَا يَضُرُّكَ أَيَّهُ قَرَأْتَ قَبْلُ؟ لأن السلف متفقون على المنع من قراءة القرآن منكوسًا، بأن يقرأ من آخر السورة إلى أولِها، ولو كان السائل يسأل عن ترتيب الآي لأنكرت عليه عائشة قراءة القرآن غير مؤلف[1].

ففي هذه الأحاديث، وغيرها حجة لِمن قال إن ترتيب السور كان اجتهاديًّا، وليس بتوقيف من النبي ﷺ.

القول الثاني: أن هذا الترتيب توقيف من النبي ﷺ، وبه قالت طائفة من أهل العلم.

قال أبو جعفر النحاس: المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله ﷺ، وروي ذلك عن علي بن أبي طالبٍ[2].

وقال الكِرْماني[3]: ترتيب السور هكذا هو عند الله تعالى في اللوح المحفوظ.[4]

وقال أبو بكر بن الأنباري[5]: أنزل القرآن كله إلى سماء الدنيا، ثم فرِّق في بضعٍ وعشرين، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جوابًا لمستخبر، ويقف جبريلُ النبيَّ ﷺعلى موضع السورة والآية، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف، كله

---

(1) انظر فتح الباري (8/ 655).

(2) البرهان (1/ 258).

(3) هو تاج القراء، برهان الدين أبو القاسم محمود بن حمزة الكرماني، عالم بالقراءات، كان عجبًا في دقة الفهم وحسن الاستنباط، توفي في حدود سنة 505هـ. الأعلام للزركلي (7/ 168).

(4) البرهان في توجيه متشابه القرآن ص 16، والبرهان في علوم القرآن (1/ 259).

(5) هو الإمام الحافظ اللغوي ذو الفنون، محمد بن القاسم بن بشار المقرئ النحوي، ولد سنة 272هـ، ألف الدواوين الكبار في علوم القرآن والغريب والمشكل، والوقف والابتداء، وكان من أعلم الناس بنحو الكوفيين وأكثرهم حفظًا للغة. توفي سنة 328هـ. سير أعلام النبلاء (15/ 274)، وشذرات الذهب (2/ 310).

عن النبي ﷺ، فمن قَدَّم سورة أو أَخَّرَها، فقد أفسد نظم الآيات[1].

واستدلوا على ذلك بأن الصحابة أجمعوا على المصحف الذي كتب في عهد عثمان، ولم يُخالف منهم أحد، وإجماعهم لا يتم إلا إذا كان الترتيب الذي أجمعوا عليه عن توقيف؛ لأنه لو كان عن اجتهاد لتمسك أصحاب المصاحف المخالفة بِمخالفتهم، ولكنهم عدلوا عن مصاحفهم وأحرقوها، ورجعوا إلى مصحف عثمان وترتيبه جميعًا.[2]

واستدلوا بأحاديث، منها: عن ابن مسعود أنه كان يقول في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: إنهن من العتاق الأول، وهنَّ من تلادي[3].

فذكرها نسقًا كما استقر ترتيبها.

وعن واثلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال: **(أُعْطِيتُ مكانَ التَّوْراة السبعَ الطِّوالَ، وأُعْطِيتُ مكان الزبور المِئِينَ، وأُعْطِيتُ مكان الإنجيل المثانيَ، وفُضِّلْت بالمفصَّلِ)**[4].

قال أبو جعفر بن النحاس: وهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي ﷺ، وأنه مؤلف من ذلك الوقت[5].

وقال مالك: إنَّما أُلِّف القرآن على ما كانوا يسمعون من قراءة رَسُول الله ﷺ..[1]

---

(1) البرهان (1/ 260).

(2) مناهل العرفان (1/ 354).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن باب تأليف القرآن (8/ 654) ح 4994.

(4) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده كتاب باب (1/ 136)، والبيهقي في دلائل النبوة (5/ 475)، وحسنه السيوطي: فيض القدير شرح الجامع الصغير (1/ 565).

(5) البرهان (1/ 258).

(1) أخرجه أبو عمرو الداني في كتاب المقنع في معرفة رسم مصاحف الأمصار (ص 18).

قال ابن حجر:[1] ومِمَّا يدل على أن ترتيب المصحف كان توقيفيًّا:

عَن أوس الثقفي[2] قال: كنت في الوفد الذين أتوا النبي صلى الله عليه وسلم أسلموا من ثقيف... الحديث، وفيه: قلنا ما أمكثك عنا يا رسول الله؟ قال: طرأ عليَّ حزب من القرآن فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه. قال: فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ حين أصبحنا، قال: قلنا: كيف تحزِّبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة سورة وثلاث عشرة سورة وحزب المفصَّل من قافْ حتى يختم[3].

قال ابن حجر: فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن كان في عهد النبي ﷺ[4].

قال السيوطي: ومِمَّا يدل على أنه توقيفي كون الحواميم رتبت ولاءً، وكذا الطواسين، ولم ترتب المسبحات ولاءً، بل فصل بين سورها، وفصل بين (طسم) الشعراء و(طسم) القصص بـ (طس) مع أنها أقصر منهما، ولو كان الترتيب اجتهاديًّا لذكرت المسبحات ولاءً، وأُخِّرت (طس) عن القصص[5].

القول الثالث: أن ترتيب كثير من السور كان بتوقيف من النبي ﷺ وعلم ذلك في حياته، والبعض الآخر كان باجتهاد من الصحابة رضي الله عنهم.

واستدلوا على ذلك بورود أحاديث تفيد ترتيب بعض السور، كالأدلة التي

---

(1) فتح الباري (8/ 658).

(2) هو أوس بن أبي أوس الصحابي، وفد على النَّبِيّ ﷺ مع وفد الطائف، وروى حديث تحزيب القرآن. أسد الغابة (1/ 167).

(3) أخرجه أبو داود في سننه كتاب شهر رمضان، باب في كم يقرأ القرآن؟ (2/ 55-56) ح 1393، وابن ماجه في سننه كتاب إقامة الصلاة باب في كم يستحب يختم القرآن (1/ 427) ح 1345.

(4) فتح الباري (8/ 658).

(5) الإتقان (1/ 179).

احتج بِها من قال بالقول الثاني، وكذلك ورود آثار تصرّحُ باجتهاد الصحابة في ترتيب بعض السور كحديث ابن عباس عن عثمان رضي الله عنه السابق.

غير أن أصحاب هذا القول لم يتفقوا على ماكان ترتيبه توقيفياً من السور وما جاء ترتيبها عن اجتهاد:

فقال القاضي أبو محمد بن عطية: إن كثيرًا من السور قد علم ترتيبها في حياة النبي ﷺ كالسبع الطوال، والحواميم، والمفصل.

وقال أبو جعفر بن الزبير: الآثار تشهد بأكثر مِمَّا نصَّ عليه ابن عطية، ويبقى منها قليلٌ يُمكن أن يجري فيها الخلاف، واحتج بأحاديث منها حديث عبد الله بن مسعود، وحديث عبد الله بن عباس السابقة في أدلة القول الأول[1].

قال السيوطي: والذي ينشرح له الصدر ما ذهب إليه البيهقي، وهو أن جميع السور ترتيبها توقيفي، إلا براءة والأنفال، ولا ينبغي أن يستدل بقراءته ﷺ سورًا ولاءً على أن ترتيبها كذلك، وحينئذ لا يَرِدُ حديث قراءته النساء قبل آل عمران؛ لأن ترتيب السور في القراءة ليس بواجبٍ، ولعله فعل ذلك لبيان الجواز[2].

الترجيح:

هوَّن الزركشي من أمر هذا الخلاف، فقال: والخلاف يرجع إلى اللفظ؛ لأن القائل بأن الترتيب كان عن اجتهاد منهم يقول: إنه ﷺ رمز إليهم بذلك، لعلمهم بأسباب نزوله، ومواقع كلماته؛ ولِهذا قال الإمام مالك: إنَّما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي ﷺ، مع قوله بأن ترتيب السور اجتهاد منهم، فآل الخلاف إلى أنه: هل ذلك بتوقيف قولي، أم بِمجرد استناد فعلي، وبحيث بقي لَهم فيه مجال

---

(1) البرهان في علوم القرآن (1/ 257-258)، والإتقان في علوم القرآن (1/ 177)، ومناهل العرفان (1/ 356-358).

(2) الإتقان (1/ 179)، وانظر دلائل النبوة للبيهقي (7/ 152).

للنظر[1].

قال السيوطي: وسبقه إلى ذلك أبو جعفر بن الزبير[2].

والذي يظهر بعد التأمل فيما سبق من أقوال وأدلة أن هذه المسألة لها حالتان:

الأولى: ما كان قبل الجمعين – جمع أبي بكر وجمع عثمان – رضي الله عنهما – وخاصةً الجمع الأخير؛ فالذي يظهر أن ترتيب السور قد دخله شيء من الاجتهاد غير أنه قليل.

الثانية: الواقع الذي آل إليه حال المصحف بعد جمع عثمان – رضي الله عنه – وهو أن ترتيب السور في المصحف العثماني حصل باتفاق من الصحابة، وأصبح مجمعاً عليه منهم، وإجماعهم حجة لاتجوز مخالفته، وحينئذ يقال بأن ترتيب المصحف توقيفياً لا يجوز تغييره؛ ولذا لَمَّا علم من كان عنده مصحف من الصحابة ترتيبه مغاير لما استقر عليه أمر ترتيب المصحف بعد جمع عثمان – رضي الله عنه – تركوا ترتيب مصاحفهم.

وليعلم أن الاختلاف الحاصل في مصاحفهم مرجعه إلى أن هذه المصاحف كانت مصاحف شخصية فردية، ولم يكونوا يكتبونَها للناس، فالواحد منهم لا يُثبت في مصحفه إلا ما وصل إليه مجهوده، وقد يفوته ما لم يفت الجماعة من تحقيق أدق وعلم أوسع[3].

وبعد فمن نظر بهذا التصور، هان عليه الأمر واتضحت له حقيقة الخلاف المذكور في هذه المسألة. والله أعلم.

وأما ما استدل به من قال بأن ترتيب السور كان اجتهادياً، وهما حديثان

---

(1) البرهان في علوم القرآن (1/ 257).

(2) الإتقان في علوم القرآن (1/ 177).

(3) مناهل العرفان (1/ 360).

الأول: حديث ابن عباس عن عثمان[1]، فهو ضعيف؛ فإن مدار الحديث على يزيد الفارسي[2].

قال الشيخ أحمد شاكر: وفي إسناده نظر كثير، بل هو عندي ضعيف جدًّا، بل هو حديث لا أصل له[3].

وقال: فهذا يزيد الفارسي الذي انفرد برواية هذا الحديث، يكاد يكون مجهولاً، حتى شُبِّه على مثل ابن مهدي وأحمد والبخاري أن يكون هو ابن هرمز أو غيره ... فلا يقبل منه مثل هذا الحديث ينفرد به، وفيه تشكيك في معرفة سور القرآن الثابتة بالتواتر القطعي... وفيه تشكيك في إثبات البسملة في أوائل السور، كأن عثمان كان يثبتها برأيه وينفيها برأيه، وحاشاه من ذلك.

ثم قال: فلا علينا إذا قلنا إنه حديث لا أصل له ... فلا عبرة في هذا الموضع بتحسين الترمذي، ولا بتصحيح الحاكم، ولا بموافقة الذهبي، وإنَّما العبرة للحجة والدليل[1].

---

(1) وقد سبق قريبًا، وفيه قوله: قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى سورة الأنفال وهي من المثاني، وإلى سورة براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فوضعتموها في السبع الطوال.

(2) أخرجه أحمد في المسند، (1/ 92)ح 401، (1/ 111) ح 501، وأبو داود في كتاب الصلاة باب من جهر بِها (1/ 208-209)ح 786، والترمذي في كتاب تفسير القرآن باب سورة التوبة (5/ 272) ح 3086، وفي رواياتهم يزيد الفارسي. قال الترمذي: يزيد الرقاشي هو يزيد بن أبان الرقاشي، وهو من التابعين ولم يدرك ابن عباس. جامع الترمذي (5/ 272). وورد في رواية البيهقي من طريق هوذة بن خليفة عن عوف بن أبي جميلة عن يزيد الرقاشي. دلائل النبوة (7/ 152)، وأخرجه الحاكم من طريق هوذة بن خليفة أيضًا،ومن طريق روح بن عبادة، عن عوف عن يزيد الفارسي، وزعم أنه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي! المستدرك على الصحيحين (1/ 221)، و(1/ 330).

(3) مسند الإمام أحمد بتحقيق الشيخ أحمد شاكر (1/ 399).

(1) المصدر السابق.

الثاني: حديث يوسف بن ماهك عن عَائِشَةَ -رَضِي الله عَنْهَا- فيَرد عليه بأن هذا العراقي لَمَّا سأل عن ترتيب السور، كان مِمَّن يأخذ بقراءة ابن مسعود، وكان ابن مسعود لما حضر مصحف عثمان إلى الكوفة، لم يوافق أول الأمر على الرجوع عن قراءته. ثم رجع إلى ما أجمع عليه الصحابة.

- **المسألة الثانية:ترتيب آيات السور:**

بين شيخ الإسلام أن ترتيب آيات السور توقيفي قد نص عليه النبي ﷺ، فلم يكن لهم أن يقدموا آية على آية في الرسم؛ لأن ترتيب الآيات مأمور به نصًا.

وقد انعقد الإجماع على أن ترتيب الآيات في السورة كان بتوقيف من النبي ﷺ عن الله تعالى، وأنه لا مَجال للرأي والاجتهاد فيه، ولم يُعْلَم في ذلك مُخالفٌ[1].

قال السيوطي: الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي، لا شبهة في ذلك، أما الإجماع، فنقله غير واحد، منهم الزركشي في البرهان، وأبو جعفر ابن الزبير [2] في مناسباته، وعبارته: ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره، من غير خلاف في هذا بين المسلمين. اهـ.[3]

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: ترتيب الآيات أمر واجبٌ، وحكم لازمٌ، فقد كان جبريل يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا[4].

---

(1) مناهل العرفان (1/ 346).

(2) هو الإمام الحافظ العلامة، شيخ القراء والمحدثين بالأندلس: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، ولد سنة 627هـ، أفاد الناس في القراءات وعللها ومعرفة طرقها، وأحكم العربية، أخذ عنه الإمام أبو حيان النحوي، توفي سنة 708هـ. تذكرة الحفاظ (4/ 1484).

(3) الإتقان في علوم القرآن (1/ 172)، وانظر البرهان في علوم القرآن (1/ 258).

(4) البرهان في علوم القرآن (1/ 256)، وانظر نكت الانتصار لنقل القرآن ص 83.

المبحث الثالث

رسم المصحف و كتابته

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: حكم التزام الرسم العثماني في كتابة المصحف الشريف.
- المطلب الثاني: نقط المصحف وشكله.
- المطلب الثالث: كتابة تجزئة المصحف وأسماء السور في المصحف وحكمها.

المطلب الأول
حكم التزام الرسم العثماني في كتابة المصحف الشريف.

سُئِلَ رَحِمَهُ اللهُ عن الإمام مالك أنه قال: من كتب مصحفًا على غير رسم المصحف العثماني فقد أثم، أو قال: كفر. فهل هذا صحيح؟ وأكثر المصاحف اليوم على غير المصحف العثماني، فهل يحل لأحد كتابته على غير المصحف العثماني بشرط ألا يبدل لفظًا، ولا يغير معنى، أم لا؟ فأجاب: أما هذا النقل عن مالك في تكفير من فعل ذلك فهو كذب على مالك، سواء أريد به رسم الخط أو رسم اللفظ [1]؛ فإن مالكًا كان يقول عن أهل الشورى: إن لكل منهم مصحفًا يخالف رسم مصحف عثمان، وهم أجل من أن يقال فيهم مثل هذا الكلام، وهم علي بن أبي طالب، والزبير، وطلحة، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف مع عثمان.

وأيضًا، فلو قرأ رجل بحرف من حروفهم التي تخرج عن مصحف عثمان[2] ففيه روايتان عن مالك وأحمد، وأكثر العلماء يحتجون بما ثبت من ذلك عنهم، فكيف يكفر فاعل ذلك؟! وأما اتباع رسم الخط بحيث يكتبه بالكوفي فلا يجب عند أحد من المسلمين، وكذلك اتباعه فيما كتبه بالواو والألف هو حسن لفظ رسم خط الصحابة[3]

وأما تكفير من كتب ألفاظ المصحف بالخط الذي اعتاده فلا أعلم أحدًا قال بتكفير من فعل ذلك، لكن متابعة خطهم أحسن، هكذا نقل عن مالك وغيره، والله

---

(1) لعل المقصودربسم الخط هو نوع الخط كالخط الكوفي، والمقصود برسم اللفظ هو الرسم العثماني. والله أعلم.

(2) وهي القراءات الشاذة انظر ص... من هذا البحث

(3) في العبارة غموض أوسقط فقد تكون: هو حسن؛ لأنه لفظ رسم خط الصحابة، أو هو حسن؛ لأنه رسم خط الصحابة.

أعلم [1].

الدراسة:

تمهيد:

تعريف الرسم العثماني: الرسم في اللغة: الأثر، قال ابن منظور «الرَّسْمُ: الأثر، وقيل: بقيّة الأثر، وقيل: هو ما ليس له شخص من الآثار، وقيل: هو ما لصق بالأرض منها»[2]. ورسم الدار: ما كان من آثارها لاصقاً بالأرض، ورسم له كذا فارتسمه أي امتثله، ورسم على كذا وكذا أي كتب[3]، فيطلق وضع الألفاظ برموز مكتوبة في اللغة على عدة دلالات ومعان منها: الكتاب، والهجاء، والخط، والرسم، والإملاء. وقد اشتهر استخدام الرسم على خط المصحف الذي كتب به في عهد النبي ﷺ، واستقر على صورة نهائية في عهد عثمان رضي الله عنه، ولعل ذلك لما في كلمة الرسم من تتبع الأثر.

الرسم القرآني في الاصطلاح : قد عَرَّف غير واحد الرسم العثماني في الاصطلاح: حيث عرَّفه الجَعْبَري بأنه مخالفة الرسم القياسي ببدل أو زيادة أو حذف أو فصل أو وصل للدلالة على ذات الحرف أو أصله أو فرعه أو رفع لبس ونحوه[4].

وقريب منه ماذكره ابن الجَزَري حيث قال: هو ما خالف الرسم القياسي بزيادة أو حذف أو بدل أو وصل أو فصل[1].

---

(1) مجموع الفتاوى (13 / 420 -421).

(2) لسان العرب (5/ 215).

(3) مختار الصحاح 1/ 102، ولسان العرب 12/ 242، مادة (رسم).

(4) جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد (1/ 121)، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر (ص15).

(1) النشر في القراءات العشر (2/ 95).

وسمي بالرسم العثماني نسبة إلى الخليفة عثمان رضي الله عنه الذي أمر بجمعه ورسمه على الهيئة التي هو عليها في المصاحف.

فالرسم العثماني هو الرسم المخصوص الذي كتبت به حروف القرآن وكلماته أثناء كتابة القرآن الكريم بين يدي النبي ﷺ، ومن خلال الجمع الذي تم له في عهد أبي بكر رضي الله عنه في صحائف، والنسخ الذي تمَّ في عهد عثمان رضي الله عنه في المصاحف[1].

حكم التزام الرسم العثماني في كتابة المصحف الشريف:

يرى شيخ الإسلام أن التزام الرسم العثماني في كتابة المصحف حسن وليس بواجب ويفهم من هذا أن شيخ الإسلام يرى جواز كتابة المصحف بغير الرسم العثماني.

وممن ذهب إلى هذا القول ابن خلدون في مقدمته، والقاضي أبوبكر الباقلاني حيث يقول في كتابه الانتصار «... وليس في نص الكتاب ولا في مضمونه ولحنه أن رسم القرآن وخطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص وحد محدود، ولا يجوز تجاوزه إلى غيره، ولا في نص السنة أيضاً ما يوجب ذلك ويدل عليه، ولا هو مما أجمعت عليه الأمة، ولا دلت عليه المقاييس الشرعية، بل السنة قد دلت على جواز كتبه بأي رسم سهل وسنح للكاتب...» [2].

واختار هذا الرأي بعض الباحثين المعاصرين، واستدلوا بأدلة منها:

1- ليس في الكتاب ولا في السنة ولا في إجماع الأمة ما يوجب التزام الرسم

---

(1) انظر مزايا الرسم العثماني وفوائده للدكتور / طه عابدين طه - وهو بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات القر آنية العدد الثاني - السنة الأولى، وهي من إصدارات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

(2) الانتصار للقرآن (1/ 375-376).

العثماني، ويدل على حرمة مخالفته[1].

2- إن هذه الخطوط والرسوم ليست إلا علامات وإشارات تدل على هيئة الكلمة، فكل رسم يدل على الكلمة، ويفيد رسم قراءتها، فهو رسم صحيح، وكاتبه مصيب.

3- إن كتابة المصحف على الرسم العثماني قد توقع الناس في لَبْسٍ، وحيرة، ومشقة، وحرج، ولا تمكنهم من القراءة الصحيحة، وكتابة القرآن بالرسم الإملائي الحديث فيه تيسير على الناس، ورفع للحرج والمشقة.

مناقشة هذا الرأي:

1- الإجماع منعقد على هذا الرسم في عهد الصحابة، والتابعين وأتباعهم، ثم انعقد إجماع الأمة على ضرورة التزامه، والإجماع حجة وأصل معتبر، والخروج على ذلك خروج على إجماعهم.

2- القول إن هذه الخطوط والرسوم ليست إلا علامات وإشارات تدل على هيئة الكلمة، فكل رسم يدل على الكلمة، ويفيد رسم قراءتها، فهو رسم صحيح، وكاتبه مصيب. لا يُسلَّم به؛ لأمور:

أ) إن بعض الكلمات تحتمل أكثر من معنى إذا كتبت بالرسم العثماني وهذه ميزة الرسم العثماني لا توجد في غيره، وهي تحتمل برسمها القراءات الواردة أكثر مما لو رسمت بالرسم الإملائي[2].

فكتابة ﭐلۡحَمۡدُ[3] بألف بعد الميم اتباعاً للرسم الإملائي يسقط القراءة بحذف الألف وهي متواترة، كما أنه لو كتبت ﭐلۡحَمۡدُ و ﭐلۡحَمۡدُ

(1) ينظر: مناهل العرفان 1/ 338 – 339.

(2) انظر رسم المصحف ونقطه (ص 494).

(3) سورة الفاتحة، الآية: 4.

و ژ ﭽ ژ وغيرها في مواضعها المفتوحة بالهاء لتغير حكم الوقف عليها[1].

ب) إذا سُلّم لأصحاب هذا القول بتساوي الرسوم: فلِمَ يُترك هذا الرسم العثماني الذي أجمعت عليه الأمة إلى غيره مما ابتكره الناس، مما هو عرضة للخطأ والتبديل؟.

جـ) لو كتب القرآن بأي صورة ـ مع احتمال التغيير بمرور الزمن ـ لما احتاج الناس إلى تلقي القرآن من أفواه الرجال، ولكثرت أخطاؤهم، وفشا تحريفهم دون من يحميهم من ذلك، ما داموا لا يحتاجون لموقف يرشدهم إلى كيفيات التلاوة.

3- لو أبيح كتابته بالاصطلاح الإملائي لكل عصر لأدى هذا إلى تغيير خط المصحف من عصر لآخر، وحصل الاضطراب والاختلاف وحصل بذلك مشقة وعنت.

وما يدعيه من جوز الكتابة بغير الرسم العثماني من المشقة والحرج - في قراءة القرآن بالرسم العثماني - يجاب بأن هذه المشقة حاصلة كذلك في الرسم الإملائي، والذي يعتاد القراءة في المصحف يألف هذه الفوارق بكل سهولة ويسر، وهي من المسائل التي تعتاد بالمران عليها، وتتحول في فترة قصيرة إلى سهولة ويسر تام.

4- هذا الرأي يفتح باباً لمريدي الكيد لرسم المصحف بتغييره، ولمريدي الكسب من طبع المصحف بغير الرسم العثماني[2].

القول الثاني: أن التزام الرسم العثماني واجب، وتحرم مخالفته، وهو مذهب جمهور العلماء من السلف والخلف، بل حكى بعضهم الإجماع على ذلك:

وأبرز ما استدل به أصحاب هذا القول: إجماع الصحابة على عمل عثمان في

---

(1) انظر «التوجيه السديد في رسم القرآن المجيد وضبط بلاغته». د. أحمد شرشال، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة. ع47 (1421هـ)، (ص 44).

(2) انظر رسم المصحف ونقطه (ص 394).

كتابة المصحف بهذا الرسم، وإجماع التابعين من بعدهم وتابعيهم، فلم يخالف أحد من التابعين وتابعيهم هذا الإجماع، بل بقي الرسم العثماني متبعاً في كتابة المصاحف، وكذا إجماع العلماء بعدهم في كل عصر على الرسم،حتى عصرنا هذا، ولا يضير هذه الإجماعات من يخالف.

وأقوال العلماء في وجوب اتباع رسم المصحف العثماني كثيرة، منها:

ما رواه أبو عمرو الداني في المقنع، والسخاوي بإسناده قال: «قال أشهب: سُئل مالك أرأيت من استكتب مصحفاً اليوم أترى أن يُكتب على ما أحدث الناس من الهجاء اليوم؟ فقال: لا أرى ذلك، ولكن يُكتب على الكتبة الأولى كَتْـبَة الوحي»[1].

قال السخاوي: «والذي ذهب إليه مالك هو الحق، إذ فيه بقاء الحالة الأولى إلى أن تعلمها الطبقة الأخرى، ولا شك أن هذا هو الأحرى بعد الأخرى؛ إذ في خلاف ذلك تجهيل الناس بأولية الطبقة» [2].

وقال أبو عمرو الداني: «ولا مخالف له في ذلك من علمـاء الأمـة وبالله التوفيق» [3].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو، أو ألف، أو ياء، أو غير ذلك» [4].

وجاء في كتاب «المحيط البرهاني» في فقه الحنفية ما نصه: «إنَّه ينبغي ألا يكتب

(1) ينظر: البرهان (1/ 459)، والإتقان (4/ 1154).

(2) ينظر: مناهل العرفان (1 / 372).

(3) المقنع (ص28).

(4) البرهان (1 / 460).

المصحف بغير الرسم العثماني »[1].

وقال الإمام البيهقي في شعب الإيمان: «مَنْ كتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على حروف الهجاء التي كتبوا بها تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيها، ولا يغيّر مما كتبوا شيئاً؛ فإنهم كانوا أكثر علماً، وأصدق قلباً ولساناً، وأعظم أمانة منا؛ فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم»[2]، وعن أبي عبيد القاسم بن سلام أنَّه قال: «واتباع حروف المصاحف عندنا كالسنن القائمة التي لا يجوز لأحد أن يتعدّاها»[3]، أي إنَّ كتابة حروف القرآن في المصحف مثل تلاوته والنطق بها في وجوب اتباعها؛ كما نقلت إلينا عن رسول الله ﷺ، وعدم مخالفتها، وصحَّ عن زيد بن ثابت رضي الله عنه وعن غيره أنَّه قال: «إن القراءة سنة»، وقال البيهقي معلقاً على ذلك: «أراد أنَّ اتباع من قبلنا في الحروف سنة متبعة، لا يجوز مخالفة المصحف الذي هو إمام، ولا مخالفة القراءات التي هي مشهورة» وقال الخرَّاز في عمدة البيان:

فواجبٌ على ذوي الأذهـانِ أن يتّبعوا المرسومَ في القـرآنِ [4]

وقال في مورد الظمآن:

فينبغي لأجـلِ ذا أن نَقْتَـفِ مرسومَ ما أَصَّلَهُ في المصحفِ [5]

قال أبو محمد الصُّنْهاجي «معنى قوله (فينبغي): يجب؛ لأن اتباع السلف الصالح، والاقتداء بهم، واقتفاء آثارهم واجب»[1].

---

(1) ينظر: المقنع لأبي عمرو الداني (ص28)، والبرهان (1/ 379)، ومناهل العرفان للزرقاني(1/ 380).

(2) البرهان (1/ 460)، والإتقان (4/ 1154).

(3) البرهان (1/ 461)، وفنون الأفنان في عيون علوم القرآن لابن الجوزي (ص81).

(4) انظر دليل الحيران (ص 19).

(5) انظر التبيان في شرح مورد الظمآن (ص 88).

(1) المرجع السابق.

وقال ابن الحاج [1] في المدخل: «ويتعين عليه ـ أي ناسخ المصحف ـ أن يترك ما أحدثه بعض الناس في هذا الزمان وهو أن ينسخ الختمة على غير مرسوم المصحف الذي اجتمعت عليه الأمة على ما وجد به بخط عثمان بن عفان.. ولا يجوز غير ذلك»[2].

وأقوال العلماء في وجوب التزام الرسم العثماني، ومنع مخالفته كثيرة، وما ذُكر على سبيل المثال لا الحصر.

وقد أوصى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر بأن يعتمد المسلمون على الرسم العثماني للمصحف الشريف؛ حفظاً له من التحريف[3].

وأصدرت هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية القرار رقم (71) بتاريخ 21/ 10/ 1399هـ، وجاء فيه: «يرى مجلس هيئة كبار العلماء أن يبقى رسم المصحف على ما كان بالرسم العثماني، ولا ينبغي تغييره ليوافق قواعد الإملاء الحديثة؛ محافظة على كتاب الله من التحريف، واتباعاً لما كان عليه الصحابة وأئمة السلف ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ».

وفيه: «فالمحافظة على كتابة المصحف بهذا الرسم هو المتعين، اقتداءً بعثمان وعلي وسائر الصحابة وعملاً بإجماعهم»[4].

وجاء في القرار الثاني الصادر عن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته السابعة المنعقدة عام 1404هـ تأييد ما جاء في قرار مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية بالإجماع على عدم جواز تغيير رسم المصحف العثماني

---

(1) محمد بن محمد بن محمد ابن الحاج العبدري، أبو عبد الله، من فقهاء المالكية، من مؤلفاته: «مدخل الشرع الشريف»، و«شموس الأنوار وكنوز الأسرار»، توفي سنة 737هـ. انظر الدرر الكامنة (4/ 355)، وشجرة النور (ص 218).

(2) انظر المدخل (4/ 86).

(3) انظر مجمع البحوث الإسلامية تاريخه وتطوره 1403هـ/ 1983 (ص 425-426).

(4) مجلة البحوث الإسلامية. الرياض. ع 33 (1412هـ)، (ص 327).

ووجوب بقاء رسم المصحف على ما هو عليه؛ لنفس الأسباب[1].

وأيدت ذلك دار الإفتاء بمصر [2]، ومجلس الإقراء بدمشق [3]، والهيئة العامة للفتوى بالكويت[4]، وغيرهم.

فصار القول بوجوب التزام الرسم العثماني هو ما عليه الفتوى في الوقت الحاضر ـ والله أعلم ـ.

القول الثالث: وهو قول مَنْ يرون كتابة المصاحف بالرسم الإملائي للعامة وللتعليم، مع الإبقاء على الرسم العثماني، أثراً من آثار الصحابة رضي الله عنهم في بعض المصاحف تكون للعلماء والخاصة من أبناء الأمة [5].

ويجاب عن هذا القول بما أجيب به أصحاب القول الأول، ويجاب أيضاً بما يأتي:

1- أن هذا التفريق لا يستند إلى دليل.

2- لو عمل به فإنه لا يمكن ضمان تطبيقه تطبيقاً سليماً [6].

القول الرابع: تجب كتابة المصحف بالرسم الإملائي، وتحرم كتابته بالرسم العثماني؛ حتى لا يقع الجهال في تغيير القرآن، وقد قصدوا تسهيل تعلم القرآن الكريم على الطلاب والدارسين؛ حتى لا يشعروا باختلاف رسمه عن الرسم الإملائي الذي اعتادوا عليه.

وينسب هذا الرأي لـلعز بن عبد السلام [1]، وهو اختيار الزركشي [2].

---

(1) انظر مجلة المجمع الفقهي الإسلامي. ع4 (1410هـ)، (ص 486).

(2) انظر تحريم كتابة القرآن بحروف غير عربية: لصالح العود (ص 64).

(3) المرجع السابق (ص 70).

(4) المرجع السابق (ص 76).

(5) ينظر: الجمع الصوتي (ص 373)، ومناهل العرفان (1/ 378).

(6) انظر رسم المصحف ونقطه (ص 393).

فقد نقل الزركشي عن العز بن عبد السلام في كتابه «البرهان» قوله: «ولا يجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الأولى باصطلاح الأئمة؛لئلا يقع في تغيير الجهَّال»، وتحفَّظ الزركشي على قول العز هذا بقوله: «ولكنه لا ينبغي إجراء هذا على إطلاقه لئلا يؤدِّي الى دروس العلم، وشيء أحكمته القدماء لا يترك مراعاة لجهل الجاهلين، ولن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة»، وقال معقباً كذلك على ما قاله الإمامان مالك وأحمد – رحمهما الله – في عدم جواز كتابته بخلاف الرسم العثماني: «قلت: وكان هذا في الصدر الأول، والعلم حيّ غض، وأما الآن قد يخشى الإلباس» [3].

ويجاب عن هذا القول بما يلي:

1- هل مراعاة حال الجهال يؤدي إلى القول بأنَّه: «لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الأولى باصطلاح الأئمة» أو بأن يقال مثلاً: «تجوز كتابة المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء مراعاة لحال الجهال؟».

2 – أن نسبة هذا القول إلى العز بن عبد السلام فيها نظر ويحتاج إلى إثبات.

فقد قال الدكتور أيمن رشدي سويد: «وقد بحثت عن فتوى العزِّ هذه فلم

---

(1) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين، الملقب بسلطان العلماء، فقيه شافعي، برع في الفقه والأصول، والتفسير، والحديث، والعربية، وصنَّف المصنَّفات المفيدة، منها: «التفسير الكبير» و«قواعد الأحكام» في الفقه، توفي سنة 660هـ. انظر طبقات الشافعية: لابن قاضي شهبة (2/ 109).

(2) وقد مال إلى هذا الرأي: ا.د.محمد أبو شهبة في المدخل ص 322، والزرقاني في مناهل العرفان 1/302، و أحمد مصطفى المراغي في تفسيره 1/ 19، ود.صبحي الصالح في كتابه مباحث في علوم القرآن ص280، ود.عبد الفتاح شلبي في كتابه رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم دوافعها ودفعها ص134، ود.محمد لطفي الصباغ في كتابه لمحات في علوم القرآن ص135).

(3) البرهان (1 / 460).

أجدها، وبحث عنها قبلي الدكتور غانم قدوري الحمد فلم يجدها، قال في كتابه رسم المصحف: «وقد حاولت العثور على رأي ابن عبد السلام هذا في أحد كتبه الثلاثة المطبوعة: «الفوائد»، و«الإشارة»، و«قواعد الأحكام» فلم أوفق»[1].

3- قد ذكر الدكتور أيمن رأياً وجيهاً، إذ قال: «وما أكاد أجزم به أن هذه الفتوى قد صُحِّفت عن قصد أو عن غير قصد على العز بن عبد السلام، وأن كلمة «الآن» تحريف لكلمة «إلا» أقحمت عليها نون، فقلبت معناها رأساً على عقب، ولو أعدنا نص الفتوى على هذا التقرير لصارت: «لا تجوز كتابة المصحف إلا على الرسوم الأولى باصطلاح الأئمة؛ لئلا يوقع في تغيير من الجهال».

فإذا ما تأمل متأمل هذا الكلام وجد موافقاً لإجماع الأمة على وجوب اتباع رسم المصحف، وحينئذ تصير عبارة: «لئلا يوقع في تغيير من الجهال» ذات معنى من حيث إن فتح هذا الباب في كتابة المصحف على الإملاء الحديث لا يقف عند حدٍّ[2]...»

الترجيح:

القول الراجح - والله أعلم - من هذه الأقوال هو القول الثاني؛ الذي يقول بوجوب التزام الرسم العثماني، وحرمة مخالفته، ويستدل على رجحانه بما يلي:

1- قوة ما نقل من إجماع عن الصحابة والتابعين وتابعيهم.

2- أنَّه هو الرسم الذي توارثته الأمة منذ العهد الأول، ولم يعترض عليه أحد منهم بزيادة حرف أو نقصانه، مع أنهم كانوا أعلم وأهدى سبيلاً؛ بل نصَّ عدد منهم على وجوب التزامه، وحرمة مخالفته، وقد نظم هذا الإمام الخراز بقوله [1]:

---

(1) ينظر: رسم المصحف ونقطه (ص: و، ز).

(2) ينظر: رسم المصحف ونقطه (ص: و، ز).

(1) لطائف البيان في رسم القرآن شرح مورد الظمآن، للشيخ أحمد محمد أبو زيتحار القسم الأول (6، 7).

وبعده جَرَّده الإمام	في مصحف ليقتدي الأنام
ولا يكون بعده اضطراب	وكان فيما قد رأى صواب
فقصة اختلافهم شهيرة	كقصة اليمامة العسيرة
فينبغي لأجل ذا أن نقتفي	مرسوم ما أصَّله في المصحف
ونقتدي بفِعْله وما رأى	في جعله لمن يخط ملجأ

3- إنَّ الحفاظ عليه فيه ضمان قوي لصيانة القرآن الكريم من التحريف والتبديل في حروفه، ولو أبيح كتابته بالاصطلاح الإملائي لكل عصر لأدى هذا إلى تغيير خط المصحف من عصر لآخر، مما يجعل المصحف عرضة للتغيير،فيمس ذلك قداسته، وتعتاد النفوس على تغيره، وتخمد الغيرة في الحفاظ على نصه، بل الحفاظ على رسمه فيه تميز واضح لكلام الله عز وجل في لفظه وخطه، ولله الحمد والمنَّة.

4- إن لرسم المصحف الإمام فوائد وحكماً ومزايا لا تتحقق فيما سواه، وعلى رأس ذلك اشتماله على أوجه القراءات الصحيحة، كما فيه المحافظة على سنة التلقي مما يضمن سلامة النطق، ومعرفة أحكام التلاوة.

5- إن الذين دعوا إلى كتابة المصاحف بالرسم الإملائي ليسوا من القرَّاء، ولا من العلماء المختصين بعلم الرسم؛ وإنما عمادهم في ذلك على الرأي المجرد، في حين أن الذين دعوا إلى إبقاء الرسم العثماني وتمسكوا به هم علماء السلف جميعهم، والخير في اتباع طريق السلف الصالح رضوان الله عليهم.

أما الاحتجاج بأن الرسم العثماني يوقع الناس في مشقة وحرج ولا يمكنهم من القراءة الصحيحة فهذا غير مسلَّم به وذلك لما يأتي:

أ- الاختلاف بين الرسم العثماني والإملائي ليس إلا في كلمات معدودة، جمعها العلماء في قواعد معروفة، يسهل على المتعلم معرفتها في فترة وجيزة.

ب- أنَّ الأصل في تعلم القرآن التلقي؛ إذ به أحكام لا تعرف إلا عن هذا الطريق، ومن سلك طريق التلقي لا يشكل عليه معرفة القراءة الصحيحة؛ وإنما الإشكال لمن لا يلتزم الطريق الصحيح.

ج- الذي يعتاد القراءة في المصحف يألف هذه الفوارق بكل سهولة ويسر، وهي من المسائل التي تعتاد بالمران عليها، وتتحول في فترة قصيرة إلى سهولة ويسر تام؛ وبخاصة أن العلماء وضعوا لهذه الفوارق إشارات في المصاحف الحديثة تيسر هذا الجانب [1]، وقد أجمع أهل الأداء وأئمة القراء على لزوم تعلم مرسوم المصاحف، فيما تدعو إليه الحاجة[2]؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فلا حجة لمن يقول: إن العامة لا تعرف مرسوم المصاحف وإن قرؤوا به دخل عليهم الخلل؛ ولذا يجب تركه.

كما أن القول الثالث الذي يريد أن يجعل مصحفاً للعامة، ومصحفاً للخاصة، لا يخفى بطلانه؛ لأنه يؤدِّي إلى خلل عظيم، وقد تعلَّمه الأوائل على أميتهم، فكيف يقال هذا اليومَ مع سعة العلوم وانتشارها، وتوسع طرق التعليم، وتنوع وسائله؟ فالمصحف المرتل خير معين لكل من يريد أن يتعلم القراءة الصحيحة للقرآن الكريم.

كما ينبغي لنا ألاَّ ننسى أن في المحافظة على هذا الرسم وحدة للأمة، واجتماعها في كتابة كتاب ربها دون اختلاف بين مكان أو زمان، ولا فرق بين ماض وحاضر، وهذا من أقوى أسباب الحفظ لكتاب الله عز وجل.[1].

---

(1) ينظر: دراسات في علوم القرآن، للرومي، (ص351).

(2) ينظر: رشف اللمى على كشف العمى في رسم القرآن وضبطه (ص1).

(1) ينظر: مزايا الرسم العثماني وفوائده للدكتور / طه عابدين طه ص 38، وقد ذكر في هذ ا البحث جملة من مزايا وفوائد الرسم العثماني فلتراجع.

❊ ❊ ❊

المطلب الثاني
نقط المصحف وشكله

قال شيخ الإسلام - رحمه الله -:

والحروف المكتوبة قد تنازع الناس في شكلها ونقطها؛ فإن الصحابة لما كتبوا المصاحف كتبوها غير مشكولة ولا منقوطة؛ لأنهم إنما كانوا يعتمدون في القرآن على حفظه في صدورهم لا على المصاحف، وهو منقول بالتواتر محفوظ في الصدور، ولو عدمت المصاحف لم يكن للمسلمين بها حاجة؛ فإن المسلمين ليسوا كأهل الكتاب الذين يعتمدون على الكتب التي تقبل التغير، والله أنزل القرآن على محمد فتلقاه تلقيًا وحفظه في قلبه، لم ينزله مكتوبا كالتوراة.....؛ فلهذا لم تكن الصحابة ينقطون المصاحف ويشكلونها، وأيضا كانوا عربًا لا يلحنون؛ فلم يحتاجوا إلى تقييدها بالنقط، وكان في اللفظ الواحد قراءتان يقرأ بالياء والتاء مثل: يعملون وتعملون. فلم يقيدوه بأحدهما ليمنعوه من الأخرى.

ثم إنه في زمن التابعين لما حدث اللحن صار بعض التابعين يشكل المصاحف وينقطها، وكانوا يعملون ذلك بالحمرة، ويعملون الفتح بنقطة حمراء فوق الحرف، والكسرة بنقطة حمراء تحته، والضمة بنقطة حمراء أمامه، ثم مدوا النقطة وصاروا يعملون الشدة بقولك: [شد]، ويعملون المدة بقولك:[مد]، وجعلوا علامة الهمزة تشبه العين؛ لأن الهمزة أخت العين، ثم خففوا ذلك حتى صارت علامة الشدة مثل رأس السين، وعلامة المدة مختصرة كما يختصر أهل الديوان ألفاظ العدد وغير ذلك، وكما يختصر المحدثون [أخبرنا وحدثنا]، فيكتبون أول اللفظ وآخره على شكل [أنا] وعلى شكل [ثنا].

وتنازع العلماء، هل يكره تشكيل المصاحف وتنقيطها؟ على قولين معروفين، وهما روايتان عن الإمام أحمد، لكن لا نزاع بينهم أن المصحف إذا شكل ونقط وجب احترام الشكل والنقط، كما يجب احترام الحرف، ولا تنازع بينهم أن مداد النقطة والشكل مخلوق، كما أن مداد الحرف مخلوق، ولا نزاع بينهم أن الشكل يدل على

الإعراب، والنقط يدل على الحروف....

فهذه المسائل إذا تصورها الناس على وجهها تصورًا تامًا ظهر لهم الصواب، وقَلَّت الأهواء والعصبيات، وعرفوا موارد النزاع، فمن تبين له الحق في شيء من ذلك اتبعه، ومن خفي عليه توقف حتى يبينه الله له.

وقال رحمه الله:

وإذا كتب المسلمون مصحفًا، فإن أحبوا ألا ينقطوه ولا يشكلوه جاز ذلك، كما كان الصحابة يكتبون المصاحف من غير تنقيط ولا تشكيل؛ لأن القوم كانوا عربًا لا يلحنون. وهكذا هي المصاحف التي بعث بها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار في زمن التابعين.

ثم فشا اللحن فنقطت المصاحف وشكلت بالنقط الحمر، ثم شكلت بمثل خط الحروف، فتنازع العلماء في كراهة ذلك. وفيه خلاف عن الإمام أحمد رحمه اللهّ- وغيره من العلماء، قيل : يكره ذلك لأنه بدعة. وقيل : لا يكره للحاجة إليه. وقيل: يكره النقط دون الشكل لبيان الإعراب. والصحيح أنه لا بأس به[1].

الدراسة :

بين الشيخ أن الصحابة لما كتبوا المصاحف كتبوها غير مشكولة ولا منقوطة؛ لأنهم إنما كانوا يعتمدون في القرآن على حفظه في صدورهم لا على المصاحف؛ فلهذا لم تكن الصحابة ينقطون المصاحف ويشكلونها، وأيضا كانوا عربًا لا يلحنون؛ فلم يحتاجوا إلى تقييدها بالنقط، وكان في اللفظ الواحد قراءتان يقرأ بالياء والتاء مثل: يعملون وتعملون. فلم يقيدوه بأحدهما ليمنعوه من الأخرى.

ثم بين الشيخ أنه في زمن التابعين لما حدث اللحن صار بعض التابعين يشكل المصاحف وينقطها،

---

(1) مجموع الفتاوى (3 / 402).

ثم ذكر الشيخ أمثلة على هذا النقط والشكل فكانوا يعملون ذلك بالحمرة، ويعملون الفتح بنقطة حمراء فوق الحرف، والكسرة بنقطة حمراء تحته، والضمة بنقطة حمراء أمامه، وأغلب الروايات على أن أول من وضع هذا الشكل هو أبو الأسود الدؤلي، بطلب زياد بن أبيه – عامل معاوية – فوضع نقطاً، حمراء، فوق الحروف، وتحتها، وعلى يمينها، وهو مايعرف بالنقط المدور. ثم مدوا النقطة وصاروا يعملون الشدة بقولك: [شد]، ويعملون المدة بقولك:[مد]، وجعلوا علامة الهمزة تشبه العين؛ لأن الهمزة أخت العين،- وهو ما يعرف بنقط الإعجام من وضع نصر بن عاصم، مستعيناً بأستاذه يحيى بن يعمر – أي وضعاه معاً- بطلب الحجاج، عامل عبدالملك بن مروان [1].

ثم خففوا ذلك حتى صارت علامة الشدة مثل رأس السين، وعلامة المدة مختصرة كما يختصر أهل الديوان ألفاظ العدد وغير ذلك، وهو ما أشار إليه الشيخ بقوله: ثم شكلت بمثل خط الحروف وهذا وضعه الخليل بن أحمد، بعد انقراض دولة الأمويين[2]. وهذا الشكل مأخوذ من صور الحروف، فالضمة واو صغيرة الصورة في أعلى الحرف؛ لئلا تلتبس بالواو المكتوبة، والكسرة ياء تحت الحرف، والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف، وصار يسمى (نقط الإعجام)، أو (الشكل)[3].

ثم أشار الشيخ إلى الاختلاف في حكم نقط المصاحف وشكلها، ولاريب أن هذا الخلاف كان إبَّان ظهور النقط فقد كره غير واحد من السلف تشكيلها وتنقيطها وعلتهم في ذلك الاقتداء بالنبي ﷺ وأصحابه، في تجريدهم له من النقط، بل نهيهم عنه، وأيضاً مخافة أن يتسبب النقط في زيادة بعض الحروف، أو ينقص

(1) انظر رسم المصحف ونقطه (301).

(2) المصدر السابق.

(3) ينظر: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، للدكتور غانم قدوري الحمد (ص: 489).

منها[1]، ومنهم: ابن مسعود، والنخعي، وابن سيرين[2].

وقد رخص في نَقْط المصاحف، وشكلها بالإعراب، جماعة منهم ربيعة بن عبدالرحمن، وابن وهب، وصرح الشافعي: بأنه يندب نقط المصحف وشكله، حيث إن احتجاج المانعين بتجريد الصحابة له من ذلك - قد كان - حين ابتدأ الجمع، حتى لا يدخل بين دفتي المصحف، ما ليس من القرآن[3]، وقد أمن ذلك اليوم، فلا يمنع من ذلك، لكونه محدثاً، فإنه من المحدثات الحقة التي لا تمنع[4]، وقال النووي يستحب نقط المصحف وشكله، فإنه صيانة له من اللحن فيه[5]. وقد اختار شيخ الإسلام جواز النقط كما تقدم.

والكراهية للنقط والشكل قد تلاشت مع مرور الزمن، فمال الناس وانصرفوا جميعاً في العصور المتأخرة إلى طريقة الشكل المأخوذ من صور الحروف، الذي وضعه الخليل [6].وأصبحت المصاحف تنقط حتى يومنا هذا.

وقرر الشيخ أن المصحف إذا شكل ونقط وجب احترام الشكل والنقط، كما يجب احترام الحرف، لأن الشكل يدل على الإعراب، والنقط يدل على الحروف.

ولفت الشيخ إلى نكتة لطيفة في أن مثل هذه المسألة إذا تصورها الناس على وجهها تصورًا تامًا ظهر لهم الصواب، وقَلَّت الأهواء والعصبيات، وعرفوا موارد النزاع، فمن تبين له الحق في شيء من ذلك اتبعه، ومن خفي عليه توقف حتى يبيِّنه الله له.

---

(1) المحكم في رسم المصاحف (ص 11).

(2) الإتقان (4/ 160).

(3) عنوان البيان (ص 79).

(4) مناهل العرفان (1/ 402).

(5) التبيان للنووي (ص 98).

(6) مقدمة كتاب المحكم (ص 34)، الإتقان (4/ 162).

المطلب الثالث
كتابة تجزئة المصحف وأسماء السور في المصحف وحكمها.

وما كتبه الذين نسخوه من بعد وفاة الرسول ومقدار عمره ونحو ذلك، ليس هو مما أنزله اللهّ على الرسول، ولا مما أمر به ولا أخبر به، وقد يقع مثل هذا في الكتب المصنفة،يصنف الشخص كتابًا، فيذكر ناسخه في آخره عمر المصنف ونسبه وسنه، ونحو ذلك مما ليس هو من كلام المصنف. لهذا أمر الصحابة والعلماء بتجريد القرآن، وألا يكتب في المصحف غير القرآن، فلا يكتب أسماء السور ولا التخميس والتعشير، ولا آمين ولا غير ذلك، والمصاحف القديمة كتبها أهل العلم على هذه الصفة، وفي المصاحف من قد كتب ناسخها أسماء السور، والتخميس، والتعشير، والوقف، والابتداء، وكتب في آخر المصحف تصديقه، ودعا، وكتب اسمه، ونحو ذلك، وليس هذا من القرآن [1].

الدراسة :

أشار الشيخ إلى أمر الصحابة والعلماء بتجريد القرآن، وألا يكتب في المصحف غير القرآن، فلا يكتب أسماء السور ولا التخميس والتعشير، ولا آمين ولا غير ذلك، وأشار الشيخ إلى أن المصاحف القديمة التي كتبها أهل العلم على هذه الصفة، ولعله عنى المصاحف التي نسخت من المصحف الإمام أو أحد نسخه؛ فإنها كانت مجردة من هذه الزيادات وغيرها؛ إذ لم تظهر هذه الزيادات إلا في عصر التابعين وكذا أشار إلى المصاحف التي كتب ناسخها أسماء السور، والتخميس، والتعشير، والوقف، والابتداء، وكتب في آخر المصحف تصديقه، ودعا، وكتب اسمه، ونحو ذلك، وليس هذا كله من القرآن الكريم.

---

(1) مجموع الفتاوى (13 / 105).

إن النظر إلى الزيادات التي زيدت في المصحف بعد الصحابة تنقسم إلى أقسام:

الأول: الخط المحيط برسم الألفاظ القرآنية.

الثاني: النقط والشكل وعلامات الوقوف والسكتات، وعلامات انتهاء الآية ورقم الآية، وغيرها من علامات الضبط، وهذه مع النص القرآني.

الثالث : ما كان خارج الخط المرسوم على ألفاظ القرآن، وهذا ما يسمى (حاشية المصحف) أو (هامش المصحف).

وإذا نظرت إلى مصاحف المسلمين، وسيرتها عبر تاريخ المصحف، فإنك ستجد الزيادات على أقسام:

1 – قسم ثبت النهي عنه، وإن وُجد في بعض المصاحف المتأخرة، مثل إدخال التفسير أو القراءات أو الترجمة وسط سطور المصحف.

2 – وقسم وقع الخلاف فيه أول ظهوره، ثم استقر العمل به؛ كالنقط والشكل وعدد الآي، وغيرها مما تراه في المصاحف اليوم.

3 – وقسم لا زال قابلاً للأخذ والرد، وهو الزيادات التي تكون في الحاشية، ويمكن تقسيم ما يقع في هذه الحواشي إلى أقسام أيضاً:

الأول: ما اتفقت عليه المصاحف اليوم؛ كوضع اسم السورة ورقم الجزء ورقم الصفحة وعلامة الجزء وعلامة الربع وغيرها.

الثاني : ما يوجد في بعض المصاحف دون غيرها، وسيأتي التنبيه على ما لاحظته لجنة مصحف المدينة النبوية على المصحف المصري، وما قامت به من تصرف في هذه المسألة.

ويبقى أن يقوم المرء بوضع حاشية تختص به على المصحف، وذلك ما يمنع منه بعض العلماء ويجيزه آخرون، ولعل القول بالجواز مع وضع الضوابط أقرب إلى الصواب من المنع مطلقاً؛ كمن وضع غريب القرآن أو التفسير، أو القراءات، أو

غيرها مما هو موجود في بعض المصاحف اليوم، وهو متداول بين الناس بلا نكير.

ويمكن استنباط ضوابط لذلك من خلال النظر في كلام العلماء:

1 - أن يكون الكلام المُدخل في الحاشية (أو الهامش)، وليس بين سطور النص كما هو الحال في بعض المصاحف التي طُبِعت في باكستان فجعلت تحت كل سطر من المصحف ترجمته بلغة الأوردو.

2 - أن يكون له علاقة مباشرة بالنص القرآني؛ كبيان القراءات، والغريب والتفسير، وترجمة المعاني، والتجويد.

3 - أن يكون المذكور في الحاشية مما صحَّ، أما إذا كان غير صحيح فلا يجوز إدخاله، كالوقف المنسوب لجبريل عليه السلام، أو الوقف المنسوب للنبي ﷺ، وهما موجودان على حاشية المصاحف الباكستانية كمصحف (تاج كمبني).

وإن مما يخفف وقوع ذلك أن المسلمين يعلمون أن ما بين الإطار المزخرف هو القرآن، وما كان خارجاً منه فإنه ليس منه، وإن كان يُخشى عليهم أن يظنوا أن هذا من عمل النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم، وذلك ما يحسن بالعلماء أن يدرّسوه لهم ويعلموهم إياه بدل أن يقوموا بتجريد بعض دون بعض، فيمكن أن يُحتجَّ فيما أبقي بما تُرِك، ويُعتلَّ لذلك بمثل العلة التي أُبقي فيما ما أُبقي[1].

***

(1) استفدت في هذه المسألة من كتاب المحرر في علوم القرآن، للدكتور مساعد الطيار (ص 246 - 249).

المبحث الرابع

ترجمة القرآن الكريم

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : أنواع الترجمة
- المطلب الثاني: ترجمة القرآن الكريم لغير العربية.

المطلب الأول
أنواع الترجمة

قال شيخ الإسلام - رحمه الله -:

والترجمة والتفسير ثلاث طبقات:

أحدهما: ترجمة مجرد اللفظ، مثل نقل اللفظ بلفظ مرادف، ففي هذه الترجمة تريد أن تعرف أن الذي يعني بهذا اللفظ عند هؤلاء هو بعينه الذي يعنى باللفظ عند هؤلاء، فهذا علم نافع؛ إذ كثير من الناس يقيد المعنى باللفظ، فلا يجرده عن اللفظين جميعًا.

والثاني: ترجمة المعنى وبيانه، بأن يصور المعنى للمخاطب، فتصوير المعنى له وتفهيمه إياه قدر زائد على ترجمة اللفظ، كما يشرح للعربي كتابًا عربيًا قد سمع ألفاظه العربية، لكنه لم يتصور معانيه ولا فهمها، وتصوير المعنى يكون بذكر عينه أو نظيره؛ إذ هو تركيب صفات من مفردات يفهمها المخاطب يكون ذلك المركب صور ذلك المعنى، إما تحديدًا وإما تقريبًا.

الدرجة الثالثة: بيان صحة ذلك وتحقيقه، بذكر الدليل والقياس الذي يحقق ذلك المعنى، إما بدليل مجرد وإما بدليل يبين علة وجوده.

وهنا قد يحتاج إلى ضرب أمثلة ومقاييس تفيده التصديق بذلك المعنى، كما يحتاج في [الدرجة الثانية] إلى أمثلة تصور له ذلك المعنى. وقد يكون نفس تصوره مفيدًا للعلم بصدقه، وإذا كفى تصور معناه في التصديق به لم يحتج إلى قياس، ومثل، ودليل آخر.

فإذا عرف القرآن هذه المعرفة، فالكلام الذي يوافقه أو يخالفه من كلام أهل الكتاب والصابئين والمشركين لابد فيه من الترجمة اللفظ والمعنى أيضًا، وحينئذ فالقرآن فيه تفصيل كل شيء كما قال تعالى: ﴿ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﴾[1]، وقال: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﴾[2][3].

الدراسة:

---

(1) سورة يوسف، الآية: 111.

(2) سورة النحل، الآية: 89.

(3) مجموع الفتاوى (4/ 115 – 116).

تمهيد:

معنى الترجمة في اللغة والاصطلاح:

الترجمة في اللغة:

كلمة الترجمة في اللغة ذات مدلول واسع ؛ فهي تطلق في اللغة على عدة معان، ومن هذه المعاني:

1 – فهي بمعنى التبيين والتوضيح، ومن هنا سُمي ابن عباس – رضي الله عنهما – (ترجمان القرآن)، قال عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – =نعم ترجمان القرآن ابن عباس+[1]. وذلك لبراعته وقدرته على فهم الكتاب الحكيم، وإدراك ما فيه من حقائق ومعان وأسرار، قال الزمخشري: =كل ما ترجم عن حال شيء فهو تفسِرته+[2]، وفي المعجم الوسيط: =ترجم الكلام: بيّنه ووضحه+[3]. وهذا المعنى هو الطبقة الثانية من طبقات الترجمة التي ذكرها شيخ الإسلام

2 – وتأتي بمعنى تبليغ الكلام لمن لم يبلغه أو خفي عليه، قال أبو عمرو بن الصلاح – مبيناً قول أبي حمزة –: =كنت أترجم بين يدي ابن عباس وبين الناس –: أنه كان يُبلّغ كلام ابن عباس إلى من خفي عليه من الناس، إما لزحام منع من سماعه فأسمعهم، وإما لاختصار منع من فهمهم فأفهمهم+.

وأيد ذلك النووي بقوله: =والظاهر أن معناه أنه يفهمهم عنه ويفهمه عنهم+[4]، ويدل على هذا المعنى قول الشاعر:

إن الثمانيـــن وبُلِّغتهـــا قد أحوجت سمعي إلى ترجمان [5]

---

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد (2/ 366)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (1/ 4).

(2) أساس البلاغة (2/ 20)، مادة =فسر+.

(3) المعجم الوسيط (ص 83).

(4) صحيح مسلم بشرح النووي (1/ 186).

(5) البيت من قصيدة لعوف بن محلّم الخزاعي ذكرها أبو علي القالي في الأمالي (1/ 50).

3- وتأتي بمعنى تفسير الكلام بلغة غير لغته، قال الجوهري: =ويقال: قد ترجم كلامه، إذا فسره بلسان آخر+[1]، وفي لسان العرب:=الترجمان: هو المفسر، وقد ترجمه وترجم عنه [2]، وفي القاموس: =الترجمان:... المفسر للسان، وقد ترجمه، وعنه+[3].

4 - وتأتي بمعنى نقل الكلام من لغة إلى أخرى، قال ابن الأثير: =الترجمان - بالضم والفتح - هو الذي يترجم الكلام، أي: ينقله من لغة إلى أخرى، والجمع التراجم، والتاء والنون زائدتان+[4]. وقال السمين الحلبي: =الترجمان: تفعلان؛ لأنه يرمي بكلام من يترجم عنه إلى غيره+[5]. وقال ابن حجر: =الترجمان: المعبر عن لغة بلغة+[6]. وفي المعجم الوسيط: =ترجم كلام غيره وعنه: نقله من لغة إلى أخرى+[7].

والذي يجمع بين هذه المعاني الأربعة : هو البيان

الترجمة في الاصطلاح:

=التعبير عن معنى كلام في لغة بكلام آخر من لغة أخرى مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده+.

وذكر هذا التعريف الزرقاني ثم ذكر محترزاته قائلاً:

=فكلمة (التعبير) جنس، وما بعده من القيود فصل.

وقولنا: (عن معنى كلام) يخرج به التعبير عن المعنى القائم بالنفس حين

---

(1) الصحاح، مادة =ترجم+ (5/ 1928).

(2) لسان العرب، مادة =رجم+ (12/ 229).

(3) ترتيب القاموس المحيط، مادة =ترجم+ (1/ 364).

(4) النهاية في غريب الحديث والأثر (1/ 186).

(5) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، مادة =رجم+ (ص 198).

(6) فتح الباري (1/ 31).

(7) المعجم الوسيط (ص 83).

يخرج في صورة اللفظ أول مرة.

وقولنا: (بكلام آخر) يخرج به التعبير عن المعنى بالكلام الأول نفسه، ولو تكرر ألف مرة.

وقولنا: (من لغة أخرى) يخرج به التفسير بلغة الأصل، ويخرج به أيضاً التعبير بمرادف مكان مرادفه، أو بكلام بدل آخر مساو له، على وجه لا تفسير فيه، واللغة واحدة في الجميع.

قولنا: (مع الوفاء بجميع معاني الأصل ومقاصده) يخرج به تفسير الكلام بلغة غير لغته؛ فإن التفسير لا يشترط فيه الوفاء بكل معاني الأصل المفسَّر ومقاصده، بل يكفي فيه البيان ولو من وجه+[1].

وقد ذكر الشيخ للترجمة ثلاثة معان :

1 -ترجمة مجرد اللفظ، مثل نقل اللفظ بلفظ مرادف، ففي هذه الترجمة تريد أن تعرف أن الذي يعرى بهذا اللفظ عند هؤلاء هو بعينه الذي يعنى باللفظ عند هؤلاء، وكلام الشيخ يحتمل معنين من معاني الترجمة :

الأول : نقل اللفظ بلفظ مرادف في اللغة نفسها.

الثاني :نقل اللفظ من لغة إلى أخرى.

2 -ترجمة المعنى وبيانه، بأن يصور المعنى للمخاطب، فتصوير المعنى له وتفهيمه إياه قدر زائد على ترجمة اللفظ. ومن هذا النوع علم التفسير.

3 -بيان صحة ذلك وتحقيقه، بذكر الدليل والقياس الذي يحقق ذلك المعنى.

وهذه المعاني التي ذكرها الشيخ داخلة في المعنى اللغوي للترجمة.

---

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن (2/ 111).

المطلب الثاني
ترجمة القرآن الكريم بغير اللغة العربية
وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى : حكم ترجمة القرآن الكريم.

قال شيخ الإسلام:

ونحن منعنا من ترجمة القرآن؛ لأن لفظه مقصود[1].

الدراسة

يرى شيخ الإسلام أن ترجمة القرآن ترجمة حرفية أو لفظية إلى لغة أخرى غير جائز وعلل ذلك بأن لفظ القرآن مقصود، ومنع ترجمة القرآن ترجمة حرفية يكاد محل إجماع عند علماء المسلمين، ولاعبرة بالمخالف ؛ وذلك لما يأتي :

1 – أن ترجمة نظم القرآن بلغة أخرى تحاكيه حذواً بحذو، بحيث تحل مفردات الترجمة محل مفرداته، وأسلوبها محل أسلوبه، حتى تتحمل الترجمة ما يحمله نظم الأصل من المعاني المقيدة بطرقها البلاغية وأحكامها الشرعية، غير ممكن بالنسبة لكتاب الله العزيز؛ إذ من المعلوم أن القرآن الكريم في أعلى درجات العربية فصاحة وبلاغة، وله من خواص التركيب، وأسرار الأساليب، ولطائف المعاني، وسائر آيات إعجازه، ما لا يستقل بأدائه لسان، وهذه لا يمكن نقلها إلى اللغات الأخرى اتفاقاً.

فمثلاً: لو أراد إنسان أن يترجم قوله تعالى: ﴿ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ﴾[2]. ترجمة حرفية لأتى بكلام يدل على النهي عن ربط اليد في العنق، وعن مدها غاية المد، ومثل هذا التعبير في اللغة المترجم إليها لا يؤدي المعنى الذي قصده القرآن من أن المراد النهي عن التبذير والتقتير مصورين بصورة شنيعة ينفر

---

(1) مجموع الفتاوى (22/ 475).

(2) سورة الإسراء، الآية: 29.

منها الإنسان[1].

وأيضاً قوله تعالى: ژ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ژ [2].

وقوله تعالى: ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ژ [3]. فلو ترجمنا ترجمة حرفية لفسد المعنى تماماً، ولأصبح ضرباً من الهذيان بالكلام.

2- أن القرآن الكريم كلام الله تعالى المنزل على رسوله ﷺ، المعجز بألفاظه ومعانيه، المتعبد بتلاوته، ولا يقول أحد من الناس: إن الكلمة من القرآن إذا ترجمت يقال فيها: إنها كلام الله، فإن الله لم يتكلم إلا بما نتلوه بالعربية، ولن يتأتى الإعجاز بالترجمة؛ لأن الإعجاز خاص بما أنزل باللغة العربية، والذي يتعبّد بتلاوته هو ذلك القرآن العربي المبين بألفاظه وحروفه وترتيب كلماته[4].

3- لا بد أن يكون في اللغة المترجم إليها مفردات مساوية لمفردات القرآن الكريم، ووجود ضمائر وروابط فيها مساوية لضمائر وروابط القرآن الكريم، حتى يمكن أن يحل كل مفرد من الترجمة محل نظيره من الأصل[5].

يقول ابن قتيبة :

=وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها: طرق القول ومآخذه، ففيها: الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ

(1) ينظر: التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي (1/ 26، 27).

(2) سورة البقرة، الآية: 187.

(3) سورة القلم، الآية: 9.

(4) ينظر: مباحث في علوم القرآن للقطان (ص 325).

(5) ينظر: مناهل العرفان (1/ 113، 144، 146).

الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص+. ثم قال: =وبكل هذه المذاهب نزل القرآن، ولذلك لا يقدر أحد من الترجمات - أي المترجمين - على أن ينقله إلى شيء من الألسنة، كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية، وتُرجمت التوراة والزبور، وسائر كتب الله تعالى بالعربية، لأن العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب.

ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى: ﴿ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

لهم كان الإنذار بالمفسر دون التفسير+[1].

وقد علق الشيخ محمد رشيد رضا على ما ذكره ابن قدامة عن أبي حنيفة قائلاً: =نقل الحنفية عن أبي حنيفة أنه رجع عن هذا القول، ولم يعمل به أحد من مقلديه ولا من غيرهم، فاستمر الإجماع العملي على قراءة جميع المسلمين القرآن في الصلاة وغيرها بالعربية كأذكارها وسائر الأذكار والأدعية المأثورة على كثرة الأعاجم، حتى قام بعض المرتدين من أعاجم هذا العصر يدعون إلى ترجمة القرآن وغيره من الأذكار والتعبد بالترجمة، وإنما مرادهم التوسل بذلك إلى تسهيل الردة على قومهم، ونبذ القرآن المنزل من عند الله وراء ظهورهم، وهو إنما نزل باللسان العربي كما هو مصرح به في الآيات المتعددة. وإنما كان تبليغه والدعوة إلى الإسلام به والإنذار به كما أنزله الله تعالى. لم يترجمه النبي ﷺ ولا أذن بترجمته، ولم يفعل ذلك الصحابة ولا خلفاء المسلمين وملوكهم، ولو كتب النبي ﷺ كتبه إلى قيصر وكسرى والمقوقس بلغاتهم لصح التعليل الذي علل به ذلك القول الشاذ الذي قيل: إن أبا حنيفة قاله وعلَّل به، وأصرح ما يراه من الآيات قوله تعالى: ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ژ [2].

وقد بين الإمام الشافعي في رسالته الشهيرة في الأصول: أن الله تعالى فرض على جميع الأمم تعلم اللسان العربي بالتبع لمخاطبتهم بالقرآن والتعبد به، ولم ينكر ذلك عليه أحد من علماء الإسلام؛ لأنه أمرٌ مجمع عليه وإن أهمله الأعاجم بعد ضعف الدين والعلم+[3].

المسألة الثانية: مشروعية ترجمة معاني القرآن.

قال شيخ الإسلام:

---

(1) المغني لابن قدامة (1/ 486).

(2) سورة الشعراء، الآيات: 193 – 195.

(3) حاشية المغني (1/ 486).

ومعلوم أن الأمة مأمورة بتبليغ القرآن ؛ لفظه ومعناه، كما أمر بذلك الرسول، ولا يكون تبليغ رسالة الله إلا كذلك، وأن تبليغه إلى العَجَم قد يحتاج إلى ترجمة لهم، فيترجم لهم بحسب الإمكان، والترجمة قد تحتاج إلى ضرب أمثال لتصوير المعاني، فيكون ذلك من تمام الترجمة.

وإذا كان من المعلوم أن أكثر المسلمين، بل أكثر المنتسبين منهم إلى العلم، لا يقومون بترجمة القرآن وتفسيره وبيانه، فلأن يعجز غيرهم عن ترجمة ما عنده وبيانه أولى بذلك؛ لأن عقل المسلمين أكمل، وكتابهم أقوم قيلا، وأحسن حديثًا، ولغتهم أوسع....[1].

وقال رحمه الله :

وقوله تعالى ژ ٻ ٻ ٻ ٻ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ[2]. قد علم أن المراد أن يسمعه سمعاً يتمكن منه من فهم معناه، إذ المقصود لا يقوم بمجرد سمع لفظ لا يتمكن معه من فهم المعنى، فلو كان غير عربي لوجب أن يترجم له ما تقوم به عليه الحجة، ولو كان عربياً – وفي القرآن ألفاظ غريبة ليست من لغته – وجب أن يبين له معناها، ولو سمع اللفظ كما يسمعه كثير من الناس ولم يفقه المعنى وطلب منا أن نفسره له ونبين معناه فعلينا ذلك، وإن سألنا عن سؤال يقدح في القرآن أجبناه عنه +[3].

وقال رحمه الله :

إن الله تعالى إذا أوجب على العباد شيئاً واحتاج أداء الواجب إلى تعلم شيء من العلم كان تعلمه واجباً، فإذا كان معرفة العبد لما أمره الله به تتوقف على أن يعرف

---

(1) مجموع الفتاوى (4 / 117).

(2) سورة التوبة الآية: 6.

(3) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية (1 / 221-222). وانظر مجموع الفتاوى (3 / 304).

معنى كلام تكلم به بغير لغته وهو قادر على تعلم معنى تلك الألفاظ التي ليست بلغته أو على معرفة ترجمتها بلغته وجب عليه تعلم ذلك [1].

وقال رحمه الله:

والقرآن يجوز ترجمة معانيه لمن لا يعرف العربية باتفاق العلماء[2].

الدراسة :

حكى شيخ الإسلام الاتفاق على جواز ترجمة معاني القرآن ؛ بل قرر مشروعية ترجمة معاني القرآن لأن الأمة مأمورة بتبليغ القرآن ؛ لفظه ومعناه، كما أمر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يكون تبليغ رسالة الله إلا كذلك، وأن تبليغ إلى العَجَم قد يحتاج إلى ترجمة معانيه لهم، بل أوجب شيخ الإسلام على الأمة ترجمة ماتقوم به الحجة على غير العربي.

وأوجب الشيخ على من تتوقف معرفته لما أوجب الله عليه على معرفة ترجمة معاني القرآن أن يتعلم هذه الترجمة التي هي بلغته ؛ لأن ذلك من قبيل مالايتم الواجب إلا به، ومالايتم الواجب إلا به فهو واجب.

ولايخفى على أحد أن دعوة نبينا محمد ﷺ عامة، للعرب والعجم، وهذا يقتضي أن يبين القرآن الذي أنزله الله تعالى على رسوله إلى أمم الأرض كلها، فحق لكل أحد من الناس أن يسمع كلام الله تعالى وأن يبين له معناه، فتبيين القرآن وتقريبه إلى الناس يقتضي إزالة كل ما يحول دون فهمه، وهذا أصل عظيم في الإسلام وقاعدة من قواعد الشرع.

وقال الشاطبي في الموافقات: =فأما على الوجه الأول - يعني التي يشترك فيها جميع الألسنة - فهو ممكن، ومن جهته صح تفسير القرآن وبيان معناه للعامة،

---

(1) المرجع السابق (1/ 213).

(2) الجواب الصحيح (2/ 55).

ومن ليس له فهم يقوى على تحصيل معانيه، وكان جائزاً باتفاق أهل الإسلام فصار هذا الاتفاق حجة في صحة الترجمة على المعنى الأصلي+[1].

وقال ابن حجر:=فمن دخل الإسلام أو أراد الدخول فيه فقرئ عليه القرآن فلم يفهمه، فلا بأس أن يعرب له، لتعريف أحكامه، أو لتقوم عليه الحجة فيدخل+فيه[2].

وفي مطالب أولي النهى: =ويحسن ترجمة القرآن لحاجة تفهيمه بها، وتكون تلك الترجمة عبارة عن معنى القرآن وتفسيراً له بتلك اللغة لا قرآناً ولا معجزاً+[3].

(1) الموافقات (2/ 52).

(2) فتح الباري (13/ 431).

(3) مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (1/ 433).

المسألة الثالثة : حقيقة الترجمة:

قال شيخ الإسلام :

والقرآن: اسم لهما جميعاً - أي اللفظ والمعنى -، ولهذا إذا فسره المفسر، وترجمه المترجم لم يقل لتفسيره وترجمته: إنه قرآن، بل اتفق المسلمون على جواز مس المحدث لكتب التفسير، واتفقوا على أنه لا تجوز الصلاة بتفسيره، وكذلك ترجمته بغير العربية عند عامة أهل العلم [1].

الدراسة :

قرر شيخ الإسلام أن ترجمة معاني القرآن لاتسمى قر آناً ؛ لأن القرآن هو كلام الله باللفظ والمعنى، ونزل بلسان عربي مبين.

ولا بد من اجتماع اللفظ والمعنى حتى تتحقق له القرآنية، فإذا كان المعنى وحده من عند الله - عز وجل - فإنه لا يسمى قرآناً كالأحاديث القدسية والأحاديث النبوية فمعناهما من عند الله، وألفاظهما من كلام الرسول ﷺ، وكذلك ترجمة معانيه.

قال البزدوي: =أما الكتاب: فالقرآن المنزل على رسول الله المكتوب في المصاحف، المنقول عن النبي ﷺ نقلاً متواتراً بلا شبهة، وهو النظم والمعنى جميعاً في قول عامة العلماء+[2].

وقال الزيلعي: =والصحيح أن القرآن هو النظم والمعنى جميعاً عنده - أي عند أبي حنيفة -؛ لأنه معجزة النبي ﷺ، والإعجاز وقع بهما جميعاً+[3].

ومن المعلوم أن جبريل - عليه السلام - بلغ نبينا محمداً ﷺ باللفظ الذي تلقاه عن الله - عز وجل - ولم يُبَحْ له إيحاؤه بالمعنى، وعلى هذا فإن المعنى المقروء

---

(1) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (6/ 542).

(2) كشف الأسرار (1/ 21، 24).

(3) تبيين الحقائق بشرح كنز الدقائق (1/ 111).

بغير العربية لا يسمى قرآناً، وما يبين للناس - وإن كان بألفاظ عربية مرادفة لألفاظ القرآن - لا يسمى قرآناً مهما كان مطابقاً للقرآن في دلالته؛ لأن الألفاظ المستعملة في التفسير ألفاظ بشرية، والقرآن كما قلنا كلام الله تعالى بلفظه ومعناه[1].

وهو أيضاً أنزل على قلب سيدنا محمد ﷺ بلسان عربي مبين، قال تعالى:

ژ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ژ [2].

وقال: ژ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ژ [3].

وقال: ژ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ژ [4].

وقال: ژ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ژ [5].

ومن لوازم عربيته أن ما كان بغير العربية لا يكون قرآناً.

***

(1) ينظر: تيسير التحرير (3/ 4)، وفيض الرحمن في الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن (ص 35).

(2) سورة الشعراء، الآيات: 193 - 195.

(3) سورة يوسف، الآية: 2.

(4) سورة الزمر، الآية: 28.

(5) سورة فصلت، الآية: 3.

الفصل الرابع

النسخ عند ابن تيمية

وفيه خمسة مباحث:

- المبحث الأول: النسخ في اصطلاح المتقدمين.
- المبحث الثاني: الحكمة من النسخ.
- المبحث الثالث: طرق القول بالنسخ.
- المبحث الرابع: ما لا يدخل في النسخ.
- المبحث الخامس: أقسام النسخ.

المبحث الأول
النسخ في اصطلاح المتقدمين

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

=وفصل الخطاب أن لفظ النسخ مجمل فالسلف كانوا يستعملونه فيما يظن دلالة الآية عليه من عموم أو إطلاق أو غير ذلك كما قال من قال إن قوله تعالى: ژ ٹ ٹ ٹ ڤ ژ[1]، ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ژ[2] نسخ بقوله: ژ ۀ ہ ہ ہ ھ ژ[3] وليس بين الآيتين تناقض لكن قد يفهم بعض الناس من قوله حق تقاته وحق جهاده الأمر بما لا يستطيعه العبد فينسخ ما فهمه هذا، كما ينسخ الله ما يلقى الشيطان ويحكم الله آياته وإن لم يكن نسخ ذلك نسخ ما أنزله، بل نسخ ما ألقاه الشيطان إما من الأنفس أو من الأسماع أو من اللسان، وكذلك ينسخ الله ما يقع في النفوس من فهم معنى وإن كانت الآية لم تدل عليه لكنه محتمل، وهذه الآية من هذا الباب، فإن قوله: ژ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄ ژ[4] الآية إنما تدل على أن الله يحاسب بما في النفوس لا على أنه يعاقب على كل ما في النفوس، وقوله: (لمن يشاء) يقتضي أن الأمر إليه في المغفرة والعذاب لا إلى غيره، ولا يقتضي أنه يغفر ويعذب بلا حكمة ولا عدل كما قد يظنه من يظنه+[5].

ويقول أيضاً: **=والمنسوخ يدخل فيه في اصطلاح السلف العام كل ظاهر ترك ظاهره لمعارض راجح كتخصيص العام وتقييد المطلق...+** [6].

---

(1) الآية 102 من سورة آل عمران.

(2) الآية 78 من سورة الحج.

(3) الآية 16 من سورة التغابن.

(4) الآية 284 من سورة البقرة.

(5) مجموع الفتاوى (14/ 101).

(6) مجموع الفتاوى (13/ 272).

ويقول أيضاً =**وأما تسمية المتأخرين تخصيصاً وتقييداً ونحو ذلك مما فيه صرف الظواهر فهو داخل في مسمى النسخ عند المتقدمين، وعلى هذا الاصطلاح فيدخل النسخ في الإخبار كما يدخل في الأوامر، وإنما النسخ الخاص الذي هو رفع الحكم فلا بد في الخبر عن أمر مستقر+**[1].

الدراسة:

تمهيد:

النسخ في اللغة له معنيان:

أحدهما: الرفع والإزالة، يقال: نسخت الشمسُ الظلَّ إذا رفعته وأزالته ونسخت الريحُ الأثر كذاك.

والثاني: النقل نحو: نسخت الكتاب إذا نقلته، وهو نوعان:

أحدهما: النقل مع عدم الأصل، ومنه تناسخ الورثة وهو: أن يموت ورثة بعد ورثة، وأصل الإرث قائم لم يقسم.

الثاني: النقل مع بقاء الأول كنسخ الكتاب، ومنه قوله تعالى: ژ **ئا ئا ئە ئە ئو ئو** ژ[2] أي: نكتب[3].

قال ابن فارس: =النون والسين والخاء أصل واحد إلا أنه مختلف في قياسه قال قوم: قياسه رفع شيء وإثبات غيره مكانه، وقال آخرون: قياسه تحويل شيء إلى شيء آخر، قالوا: النسخ نسخ الكتاب ونسخ أمر كان يعمل به من قبل ثم نسخ بحادث غيره كالآية ينزل فيها أمر ثم تنسخ بآية أخرى، وكل شيء خلف شيئاً فقد

---

(1) الاستقامة (1/ 23).

(2) من الآية رقم 29 من سورة الجاثية.

(3) ينظر: أساس البلاغة (ص 630)، مختار الصحاح (ص 565)، المصباح المنير (ص 493)، القاموس المحيط (ص 261) (نسخ).

استنسخه+[1].

أما النسخ في الاصطلاح فله معنيان:

أحدهما: اصطلاح السلف: قرر شيخ الإسلام ابن تيمية أن السلف كانوا يطلقون النسخ على كل رفع لدلالة الآية عليه من عموم أو إطلاق، فيدخل في مسماه عندهم تخصيص العام وتقييد المطلق

ومعنى هذا أن السلف كانوا يطلقونه على تخصيص العام وتقييد المطلق وتفصيل المجمل وإيضاح المبهم، كما أنهم يطلقونه على النسخ بمعناه الاصطلاحي المتأخر عند الأصوليين.

وسبب إطلاقهم النسخ عليها :

أنها تشترك في أن جزءاً من تلك النصوص لم يكن معمولاً به؛ فأشبهت النسخ من جهة كون الحكم فيه غير معمول به.

وقد أشار ابن القيم إلى هذا المعنى بقوله: =ومراد عامة السلف بالناسخ والمنسوخ رفع الحكم بجملته تارة وهو اصطلاح المتأخرين ورفع دلالة العام والمطلق والظاهر وغيرها تارة إما بتخصيص أو تقييد أو حمل مطلق على مقيد وتفسيره وتبيينه حتى إنهم يسمون الاستثناء والشرط والصفة نسخاً لتضمن ذلك رفع دلالة الظاهر وبيان المراد، فالنسخ عندهم وفي لسانهم هو بيان المراد بغير ذلك اللفظ بل بأمر خارج عنه، ومن تأمل كلامهم رأى من ذلك فيه ما لا يحصى وزال عنه به إشكالات أوجبها حمل كلامهم على الاصطلاح الحادث المتأخر+[2].

ويقول الشاطبي في هذا المعنى: =وذلك أن الذي يظهر من كلام المتقدمين أن النسخ عندهم في الإطلاق أعم منه في كلام الأصوليين فقد يطلقون على تقييد

---

(1) مقاييس اللغة (5/ 324).

(2) إعلام الموقعين (1/ 35).

المطلق نسخاً، وعلى تخصيص العموم بدليل متصل أو منفصل نسخاً، وعلى بيان المبهم والمجمل نسخاً كما يطلقون على رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر نسخاً؛ لأن جميع ذلك مشترك في معنى واحد، وهو أن النسخ في الاصطلاح المتأخر اقتضى أن الأمر المتقدم غير مراد في التكليف وإنما المراد ما جيء به آخراً، فالأول غير معمول به، والثاني هو المعمول به، وهذا المعنى جارٍ في تقييد المطلق، فإن المطلق متروك الظاهر مع مقيده فلا إعمال له في إطلاقه بل المعمل هو المقيد فكأن المطلق لم يفد مع مقيده شيئاً، فصار مثل الناسخ والمنسوخ وكذلك العام مع الخاص إذ كان ظاهر العام يقتضي شمول الحكم لجميع ما يتناوله اللفظ، فلما جاء الخاص أخرج حكم ظاهر العام عن الاعتبار فأشبه الناسخ المنسوخ إلا أن اللفظ العام لم يهمل مدلوله جملة، وإنما أهمل منه ما دل عليه الخاص وبقي السائر على الحكم الأول والمبين مع المبهم كالمقيد مع المطلق، فلما كان كذلك استسهل لفظ النسخ في جملة هذه المعاني لرجوعها إلى شيء واحد+[1].

وقال السخاوي = فإن قولنا: نسخٌ وتخصيصٌ واستثناءٌ؛ اصطلاحٌ وقع بعد ابن عباس، وكان ابن عباس يسمي ذلك نسخاً+ [2].

وقال: =وإنما وقع الغلط للمتأخرين من قبل عدم المعرفة بمراد المتقدمين، فإنهم كانوا يطلقون على الأحوال المتنقلة النسخ، والمتأخرون يريدون بالنسخ نزول النص ثانياً رافعاً لحكم النص الأول+ [3].

وقال الزركشي: = وما فيه من ناسخ ومنسوخ فمعلوم وهو قليل... وأما غير ذلك فمن تحقق علماً بالنسخ عَلِم أن غالب ذلك من المنسأ، ومنه ما يرجع لبيان

(1) الموافقات في أصول الشريعة (3/ 108).

(2) جمال القراء (1/ 247).

(3) المصدر السابق (1/ 394).

الحكم المجمل... وكل ما في القرآن مما يدعى نسخه بالسنة عند من يراه فهو بيان لحكم القرآن... وأما بالقرآن ـ على ما ظنه كثير من المفسرين ـ فليس بنسخ، وإنما هو نسأ وتأخير، أو مجمل أُخِّر بيانه لوقت الحاجة، أو خطاب قد حال بينه وبين أوله خطاب غيره، أو مخصوص من عموم، أو حكم عام لخاص، أو لمداخلة معنى في معنى، وأنواع الخطاب كثيرة فظنوا ذلك نسخاً وليس به+ [1].

وقال ابن عقيلة المكي عن التخصيص والبيان: = أقول: تسمية هذا النوع نسخاً تجوزاً، إذ النسخ رفع الحكم الأول، وهذا تخصيص وبيان في آيات الاستثناء المذكورة، وإنما سمي نسخاً: لكونه رفعاً لعموم الحكم، وإلا فليس هو من النسخ الحقيقي. وكل ما هو من هذا النوع فليس من قبيل الناسخ والمنسوخ. وسيأتيك في السور التالية، وقد سماه كثير من العلماء ناسخاً ومنسوخاً، فذكرناه لتتميم الفائدة+[2].

ويمكن التمثيل لإطلاق السلف النسخَ على هذه الأنواع بما يلي :

أولاً: إطلاقهم النسخ على تخصيص العام:

مثاله: ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ژ **ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئې** ژ[3] ثم نَسَخَ واستثنى من ذلك: ژ **ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ** ژ [4].

قال ابن الجوزي (ت: 597 هـ): =وهذا تخصيص لا نسخ+[5].

---

(1) البرهان (1/ 35).

(2) الزيادة والأحسان (2/ 298).

(3) سورة النور، الآية: 27.

(4) رواه البخاري في الأدب المفرد رقم (1056) وابن الجوزي في نواسخ القرآن واللفظ له .وينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس: (199).

(5) المصفى بأكف أهل الرسوخ (45).

ثانياً: إطلاقهم النسخ على تقييد المطلق:

مثاله: ما روي عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

رسولَ الله، كُلِّفْنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها. قال رسول الله ﷺ: (**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم :سمعنا وعصينا، بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**). قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم ذلَّتْ بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها: ژ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ژ [1] فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل الله عز وجل: ژ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الحكم، أو هو رفع له[1].

والذين يرون أنه رفع عرفوه بأنه: =رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر+[2]. وقولنا: =رفع الحكم+ جنس و=الشرعي+ فصل أخرج رفع المباح بحكم البراءة الأصلية، فإن رفعه بدليل متأخر عنه لا يسمى نسخاً، وخرج بقولنا: =بدليل شرعي + النوم والغفلة والجنون والموت؛ لأن سقوط العبادة للعجز لا يسمى نسخاً، وخرج بقولنا: =متأخر+ الشرط والغاية والاستثناء نحو: صل كل الزوال إلى آخر الشهر، فإن هذا ليس برفع، وإنما هو بيان؛ لأن الحكم لم يثبت بأول الكلام، فكان بياناً لاتصاله[3].

---

(1) أكثر الأصوليين على أن النسخ رفع، ومعناه أنه لولا طرو النسخ لبقي الحكم إلا أنه زال لطرو النسخ، وذهب الأستاذ أبو إسحاق وإمام الحرمين وكثير من الفقهاء إلى أنه بيان ومعناه: أن الخطاب الأول انتهى بذاته في ذلك الوقت ثم حصل بعده حكم، والدليل الذي يرد مبيناً للحكم الجديد يعرف بأنه بيان، وقد جمع السرخسي بين القولين حيث جعل النسخ بياناً في حق الله تعالى ورفعاً في حق المكلفين، والخلاف في المسألة قيل: إنه مبني على مسألة خلاف بقاء الأعراض، فمن قال بأن العرض يقبل البقاء والدوام قال المنسوخ باق، ومن قال إن العرض لا يبقى زمانين قال الحكم ينتهي بذاته كما ينتهي العرض، وأنكر القرافي هذا البناء؛ لأن حكم الله خطابه القديم فيستحيل كونه عرضاً ولا مشاركاً للعرض في معنى وجودي لأنه سبحانه ليس كمثله شيء في ذاته وصفاته، ودوام حكمه بدوام تعلقه وانقطاعه بانقطاعه. ينظر: أصول السرخسي (2/ 54)، تشنيف المسامع (2/ 858 - 859)، سلاسل الذهب (ص 292)، فواتح الرحموت (2/ 53)..

(2) تحفة المسؤول (3/ 367)، أما من رأى أنه بيان فقد عرفه بأنه: =بيان انتهاء مدة الحكم الذي في التوهم والتقدير بقاؤه+.

ومعنى هذا التعريف أن النسخ بيان لانقضاء زمن الحكم الأول؛ لأن الخطاب الأول يدل على أن الحكم مؤبد، والناسخ دل على انتهاء زمنه، فيكون النسخ على هذا القول يرجع إلى التخصيص في الأزمان.

ينظر: المعتمد (1/ 367)، بذل النظر (ص 310)، مذكرة الشنقيطي (ص 80)

(3) ينظر: المستصفى (ص 86 - 87)، تحفة المسؤول (3/ 367 - 373)، تشنيف المسامع (2/ 859 - 860)، الغيث الهامع (2/ 433)، فواتح الرحموت (2/ 53)، مذكرة الشنقيطي (ص 79).

وعرفه السيوطي بأنه: =الإزالة للحكم حتى لا يجوز امتثاله +[1]. وهو قريب من التعريف السابق؛ لأن الحكم الذي أزيل أي نسخ لم يعد مطلوباً فعله بعد رفعه وإزالته فيكون فعله غير جائز.

(1) ينظر: الإتقان (2/ 41).

المبحث الثاني
الحكمة من النسخ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

**= ... قالوا لا ينسخ ما حرمه ولا ينهى عما أمر به فقال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

به بعد أن لم يكن إنما كانت حكمته لما أمر به، وكذلك ما نسخ زالت حكمته وصارت في بدله كالقبلة... + [1].

الدراسة:

بين شيخ الإسلام ابن تيمية من خلال ما تقدم أن النسخ لا بد أن يكون لحكمة، وأن ما نسخ زالت حكمته وصارت في بدله بحيث أصبح هو الأصلح والأنفع، وفي ذلك بيان أن النسخ فيه مراعاة لمصالح الناس وتشريع لما هو أنفع لهم في دينهم ودنياهم.

وقد بين العلماء جملة من حكم النسخ على وجه التفصيل ومن هذه الحكم ما يأتي:

1 – اختبار المكلفين بقيامهم بوظيفة الشكر إذا كان النسخ إلى أخف ووظيفة الصبر إذا كان النسخ إلى أثقل[2].

2 – مراعاة مصالح العباد وتشريع ما هو أنفع لهم في دينهم ودنياهم؛ لأن تحقيق مصالح الناس هو المقصود الأصلي من تشريع الأحكام، والمصالح تختلف باختلاف الأحوال والأزمان فإذا شرع حكم لتحقيق مصلحة ثم زالت تلك المصلحة كان المناسب لذلك أن ينتهي الحكم الذي شرع من أجلها[3].

3 – اختبار المكلفين باستعدادهم لقبول التحول من حكم إلى حكم آخر ورضاهم بذلك[4].

4 – التدرج في التشريع لحداثة الناس بالجاهلية لما في ذلك من تأليف قلوبهم

---

(1) مجموع الفتاوى (14/ 144).

(2) ينظر: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن (ص 678).

(3) ينظر: أصول الفقه الإسلامي لزكي الدين شعبان (ص 321)، جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن (ص 678).

(4) ينظر: الواضح في أصول الفقه (1/ 244 – 245)، جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن (ص 678).

على الإسلام وتهيئتهم لما أريدوا له من نصر دين الله، فأخذوا بالأخف فالأثقل تحقيقاً لهذه الغاية، وذلك مثل التدرج في الصلاة فإنها شرعت أولاً ركعتين ثم نسخ ذلك بفرض الصلاة بركعاتها المعلومة[1].

❊ ❊ ❊

(1) ينظر: أصول الفقه لزكي الدين شعبان (ص 321 – 322)، المقدمات الأساسية في علوم القرآن (ص227).

المبحث الثالث
طريق القول بالنسخ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

=قال ابن عقيل: قال حنبلي: والنسخ لا يحصل تاريخه بالدليل العقلي ولا مجال للعقل في علم التقديم والتأخير، ولا يحصل إلا من طريق الخبر+[1].

وقال أيضاً: **=وذكر الباجي في هذه المسألة – يعني إذا قال الصحابي هذه الآية منسوخة – ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لا يقبل بحال حتى يبين الناسخ ليعلم أنه ناسخ؛ لأن هذا كفتياه، وهو قول ابن الباقلاني**[2]**، و السمعاني**[3][4]**، واختاره الباجي**[5][6]**، والثاني: أنه إن ذكر الناسخ لم يقع به نسخ وإن لم يذكره وقع، والثالث: يقع به النسخ بكل حال+**[7].

وقال أيضاً: **=قال القاضي: فأما خبر الواحد إذا أخبر به صحابي وزعم أنه**

---

(1) المسودة (ص 230).

(2) ينظر: التلخيص (2/ 533)، إحكام الفصول (ص 427).

(3) هو: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبدالجبار بن أحمد بن محمد السمعاني التميمي، كان حنفياً ثم تحول إلى مذهب الشافعي، توفي سنة 489هـ بمرو.

من مؤلفاته: قواطع الأدلة في أصول الفقه، الانتصار لأصحاب الحديث، الاصطلاح.

انظر ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى (4/ 21)، البداية والنهاية (16/ 159)، شذرات الذهب (5/ 394).

(4) ينظر: قواطع الأدلة (3/ 132).

(5) والباجي هو: سليمان بن خلف بن سعد الأندلسي المالكي، ولد سنة 403هـ، وكان أحد الحفاظ المكثرين في الفقه والحديث، ومن مؤلفاته: المنتقى في شرح الموطأ، وإحكام الفصول، توفي سنة 474هـ، انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (1/ 384)، البداية والنهاية (16/ 79)، الديباج (ص 197)، شذرات الذهب (5/ 315).

(6) ينظر: إحكام الفصول للباجي (ص 427).

(7) المسودة (ص 230 – 331).

منسوخ فإنه على قول من يجوز للراوي نقل معنى الأخبار يجب أن يثبت به النسخ؛ لأن ظاهر كلامه أنه معنى كلام رسول الله ﷺ في النسخ؛ لامتناع أن يحمل قوله على غير حقيقته، وأما على قول من يعتبر اللفظ فلا ينسخ به؛ لجواز أن يكون ما سمعه ظن أنه ناسخ ولو أظهره لم يكن ناسخاً عندنا+[1].

الدراسة:

قررالشيخ أن الطريق إلى معرفة النسخ إنما تكون بالخبر ولا يمكن معرفة ذلك بالعقل، لأنه لو كان للعقل طريق إلى معرفة النسخ بدون النقل؛ لكان له طريق إلى معرفة ثبوت الأحكام بدون النقل، وليس كذلك[2].

وقد ذكر العلماء جملة من الطرق التي يعرف بها النسخ، ومن هذه الطرق ما يأتي:

الأولى: أن يكون في اللفظ ما يدل على النسخ.

ويمثل لهذا من القرآن بقوله تعالى: ﴿ ڳ ڳ ں ں ﴾[3]. – على القول بنسخها – فإنه نُسخ عنهم أن يصابر كل واحد عشرة إلى أن يصابر الواحد منهم اثنين فقط.

وكقوله تعالى: ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ﴾[4]. فإن هذا اللفظ يقتضي نسخ النهي عن الوطء في ليل رمضان.

وأيضاً قوله تعالى: ﴿ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ﴾[5]، فإنه يفيد نسخ الصدقة عند المناجاة.

---

(1) المسودة (ص 231).

(2) ينظر: شرح مختصر الروضة (2/ 340).

(3) الآية 66 من سورة الأنفال.

(4) الآية 187 من سورة البقرة.

(5) الآية 13 من سورة المجادلة.

أما من السنة فيمثل له بقوله ﷺ: **(كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث، فأمسكوا ما بدا لكم، ونهيتكم عن النبيذ إلا في سقاء، فاشربوا في الأسقية كلها، ولا تشربوا مسكراً)** [1].

وبقوله ﷺ: **(كنت رخصت لكم في جلود الميتة، فلا تنتفعوا من الميتة بجلد ولا عصب)** [2].

الطريق الثانية: أن يذكر الراوي تاريخ سماعه.

كأن يقول: =سمعت عام الفتح كذا +، و=سمعت في حجة الوداع كذا + أي شيئاً يناقضه، فيعرف الناسخ بتأخره، فما في حجة الوداع يكون ناسخاً لما في عام الفتح لتأخره عنه إذا لم يمكن الجمع بينهما[3].

ويندرج تحت هذه الطريق: معرفة تاريخ الخبر أو القصة حتى لو لم يصرح به الراوي، كحديث أنس بن مالك رضي الله عنه: =أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سقط عن فرسه، فجحشت [4] ساقه أو كتفه، فأتاه أصحابه يعودونه، فصلى بهم جالساً وهم قيام، فلما سلَّم قال: **(إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبر فكبروا،**

---

(1) أخرجه مسلم في الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه في زيارة قبر أمه ح (2260) (ص 831).

(2) أخرجه الطبراني في الأسوط ح (104) (1/ 39)، من حديث عبدالله ب نعكيم قال: =كنت مع رسول الله ﷺ ونحن في أرض جهينة قال: كنت رخصت لكم في جلود الميتة فلا تنتفعوا من الميتة بجلد ولا عصب+، وقال الطبراني: =لم يروه عن أبي سعيد البصري إلا يحيى بن أيوب تفرد به فضالة بن المفضل عن أبيه +، وقد ضعفه ابن عبدالهادي في التنقيح (1/ 64)، والزيلعي في نصب الراية (1/ 121)، لأن في سنده فضالة بن المفضل - وقد تفرد به - قال أبو حاتم عنه: =لم يكن بأهل أن نكتب عنه العلم+. الجرح والتعديل (7/ 79).

(3) ينظر: قواطع الأدلة (1/ 439)، الإحكام للآمدي (3/ 197)، شرح مختصر الروضة (2/ 343)، مذكرة الشنقيطي (ص 163).

(4) جُحشت ساقه: أي خُدِش جلدها، النهاية لابن الأثير (1/ 241).

وإذا ركع فاركعوا، وإذا سجد فاسجدوا، وإن صلى قائماً فصلوا قياماً) +[1]. فإنه منسوخ بصلاته ﷺ بالناس في مرضه الذي مات فيه، حيث صلى قاعداً، وأبو بكر رضي الله عنه يأتم به قائماً، والناس يأتمون بأبي بكر قياماً[2].

الطريق الثالثة: أن تجمع الأمة على أن هذا الحكم منسوخ وأن ناسخه متأخر.

ويمثل لهذا: بنسخ رمضان لصيام يوم عاشوراء [3]، وبنسخ الزكاة لسائر الحقوق المالية[4].

والمراد بهذا: أن الإجماع مبين للمتأخر، وأنه ناسخ، لا أن الإجماع هو الناسخ، إذ الإجماع لا يُنْسخ ولا يُنْسخ به[5].

الطريق الرابعة: أن ينقل الراوي الناسخ والمنسوخ.

ويُمثل له: بحديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، قال: =رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أوطاس في المتعة ثلاثاً، ثم نهى عنها+[6].

وكحديث علي رضي الله عنه، قال: =كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(1) أخرجه البخاري في الصلاة، باب الصلاة في السطوح والمنبر والخشب ح (378)، (ص 33)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في الصلاة، باب ائتمام المأموم بالإمام ح (921)، (ص 743).

(2) أخرجه البخاري في الأذان، باب إنما جعل الإمام ليؤتم به ح (687)، (ص 55)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما من يصلي بالناس ح (936)، (ص 744).

(3) ينظر: قواطع الأدلة (1/ 438، إرشاد الفحول (2/ 834)، نزهة الخاطر العاطر (1/ 195).

(4) ينظر: قواطع الأدلة (1/ 438)، شرح الكوكب المنير (3/ 563)، مذكرة الشنقيطي (ص 164).

(5) ينظر: العدة (3/ 83)، شرح الكوكب المنير (3/ 564).

(6) أخرجه مسلم في النكاح، باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ ثم أبيح ثم نسخ واستقر تحريمه إلى يوم القيامة ح (3418) (ص 911) من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: =رخص رسول الله ﷺ عام أوطاس في المتعة ثلاثاً، ثم نهى عنها+.

أمرنا بالقيام في الجنازة، ثم جلس بعد ذلك وأمرنا بالجلوس+[1].

وحديث عائشة رضي الله عنها، قالت: =كان فيما أنزل في القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات+[2].

الطريق الخامسة: أن يكون راوي أحد الخبرين أسلم في آخر حياة النبي ﷺ، والآخر لم يصحب النبي ﷺ إلا في أول الإسلام.

وهذا - أيضاً - لا يقبل؛ لأنه قد يكون عن اجتهاد منه [3]. وقد نقل ابن تيمية في هذه المسألة ثلاثة أقوال وصدرها بالقول بعدم القبول[4].

ويمثلون لهذا: بحديث طلق بن علي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ سئل عن الوضوء من مس الذكر، فقال: **(هل هو إلا بضعة منك)** [5]، فإنه نُسخ بحديث أبي

---

(1) أخرجه الإمام أحمد، مسند علي بن أبي طالب، ص 75، ح(622)، وفي تحقيق المسند (2/ 57): =حديث صحيح، وهذا إسناد حسن +، وأصله في مسلم في الجنائز، باب نسخ القيام للجنازة ح (2227)، (ص 829)، ولفظه: =رأينا رسول الله ﷺ قام فقمنا، وقعد فقعدنا+.

(2) سبق تخريجه (ص).

(3) ينظر: اللمع (ص 62)، قواطع الأدلة (1/ 439)، المستصفى (ص 103)، المحصول للرازي (3/ 566)، الإحكام للآمدي (3/ 197)، شرح الكوكب المنير (3/ 567).

(4) المسودة (ص 230 - 331).

(5) أخرجه أبو داود في الطهارة، باب الرخصة في الوضوء من مس الذكر ح (182)، (ص 1235)، والترمذي في الطهارة، باب ما جاء في ترك الوضوء من مس الذكر ح (85)، (ص 1640) وقال: =هو أحسن شيء روي في هذا الباب+، والنسائي في الطهارة، باب ترك الوضوء من مس الذكر ح (165)، (ص 2097)، والإمام أحمد، حديث طلق بن عدي، ص 1139، ح(16395)، وابن حبان في صحيحه ح (1119)، (3/ 402)، وقد ضعفه جمع من العلماء كالشافعي والبيهقي والدارقطني وأبو زرعة وابن الجوزي وابن عبدالهادي، سنن الدارقطني (1/ 149)، سنن البيهقي الكبرى (1/ 135)، العلل المتناهية (1/ 362)، تنقيح التحقيق (1/ 157)، التلخيص الحبير (1/ 189)، فيما صححه ابن حبان والطبراني وابن المديني والطحاوي، شرح معاني الآثار (1/ 76)، التلخيص الحبير (1/ 189)، كما صححه الألباني، صحيح الترمذي (1/ 26)، رقم (74)، صحيح أبي داود (1/ 37)، رقم (167).

هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(من أفضى بيده إلى ذكره ليس دونه ستر فقد وجب عليه الوضوء)** [1]، قال ابن حبان: =خبر طلق بن علي الذي ذكرناه خبر منسوخ؛ لأن طلق بن علي كان قدومه على النبي ﷺ أول سنة من سني الهجرة، حيث كان المسلمون يبنون مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة، وقد روى أبو هريرة إيجاب الوضوء من مس الذكر - على حسب ما ذكرناه قبل - وأبو هريرة أسلم سنة سبع من الهجرة، فدل ذلك على أن خبر أبي هريرة كان بعد خبر طلق بن علي بسبع سنين+[2].

هذه هي الطرق المعتبرة عند جمهور العلماء، وهناك طرق مختلف فيها منها قول الراوي: =هذه الآية منسوخة +، أو =هذا الخبر منسوخ + من غير أن يبين الناسخ للآية أو الخبر.

***

(1) أخرجه الإمام أحمد، مسند أبي هريرة، ص 596، ح(8386)، وفي تحقيق المسند (14/ 130): =حديث حسن، وهذا إسناد ضعيف، يحيى بن يزيد بن عبدالملك النوفلي وأبوه ضعيفان، وهما متابعان+، والطحاوي في شرح معاني الآثار (1/ 74)، والبيهقي في الكبرى، باب ترك الوضوء من مس الفرج بظهر الكف ح (630)، (1/ 133)، وقد نقل الحافظ في التلخيص (1/ 190) عن ابن عبدالبر والحاكم تصحيحه، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (3/ 237): =إسناده جيد+.

(2) صحيح ابن حبان (3/ 404)، وذهب بعض أهل العلم لعدم النسخ، وهذا هو الصحيح، وذلك لإمكان الجمع بينهما، والنسخ لا يصار إليه إلا مع وجود التعارض التام، والجمع بينهما أن يحمل حديث أبي هريرة وما شابهه على ما إذا كان لشهوة، وحديث طلق على ما إذا كان لغير شهوة، ويدل على هذا الحمل قوله ﷺ: =إنما هو بضعة منك + لأنه إذا مُسَّ بدون شهوة كان أشبه بمس سائر أعضاء الجسم. الشرح الممتع لفضيلة شيخنا محمد بن صالح العثيمين رحمه الله (1/ 232).

المبحث الرابع
ما لا يدخل في النسخ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

=وقال الإمام أبو عبدالله الحارث بن إسماعيل بن أسد المحاسبي [1] في كتابه المسمى =فهم القرآن+ قال في كلامه على الناسخ والمنسوخ: وأن النسخ لا يجوز في الأخبار قال: لا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله وصفاته ولا أسماءه يجوز أن ينسخ منها شيء إلى أن قال: وكذلك لا يجوز إذا أخبر أن صفاته حسنة عليا أن يخبر بذلك أنها دنية سفلى فيصف نفسه بأنه جاهل ببعض الغيب بعد أن أخبر أنه عال+ [2].

ويقول أيضاً: **وأما تسمية المتأخرين تخصيصاً وتقييداً ونحو ذلك مما فيه صرف الظواهر فهو داخل في مسمى النسخ عند المتقدمين، وعلى هذا الاصطلاح فيدخل النسخ في الأخبار كما يدخل في الأوامر، وإنما النسخ الخاص الذي هو رفع الحكم، فلا بد في الخبر عن أمر مستقر+ [3].**

الدراسة:

بين الشيخ أن الأخبار المتعلقة بصفات الله تعالى لا يجوز نسخها [4]، كما بين أن النسخ يدخل في الأخبار في اصطلاح المتقدمين ولا يدخل في اصطلاح المتأخرين إلا إذا كان الخبر عن أمر مستقر [1].

---

(1) هو: أبو عبدالله الحارث بن إسماعيل بن أسد المحاسبي الصوفي الشافعي، كان معروفاً بالزهد والورع وإماماً في الفقه والتصوف والحديث والكلام، وله مصنفات في التصوف والأحوال، وهو شيخ الجنيد، وسمي المحاسبي لكثرة محاسبته نفسه، توفي سنة 243هـ.

انظر ترجمته في: العبر (1/ 383)، الوافي بالوفيات (4/ 73)، طبقات الشافعية لابن شهبة (1/ 1).

(2) مجموع الفتاوى (5/ 65).

(3) الاستقامة (1/ 23).

(4) مجموع الفتاوى (5/ 65).

(1) الاستقامة (1/ 23).

وتفصيل الكلام في هذه المسألة أن مدلول الخبر إن كان مما لا يمكن تغيره بأن لا يقع إلا على وجه واحد كصفات الله، وخبر ما كان من الأنبياء والأمم، وما يكون من الساعة وآياتها كخروج الدجال فلا يجوز نسخه بالاتفاق؛ لأنه يفضي إلى الكذب وإن كان مما يصح تغيره بأن يقع على أوجه المخبر عنه ماضياً كان أو مستقبلاً، وعداً أو وعيداً أو خبراً عن حكم شرعي[1]،

وقد اختلف العلماء في دخول النسخ فيه على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن النسخ لا يدخل الخبر، وإلى هذا ذهب جماعة ونسبه بعضهم لأكثر المتقدمين[2].

وقد استدلوا بأن نسخه يوهم الكذب إذ المتبادر منه إلى الفهم ليس إلا استيعاب المدة المخبر بها وإيهام الكذب قبيح[3].

ونوقش: بأن هذا الاستدلال باطل؛ لأن استلزامه للكذب إنما هو في بعض الصور لا في كلها[4].

القول الثاني: أن النسخ يدخل الخبر في هذه الحالات وإلى هذا ذهب الجمهور[5].

وقد استدلوا على الجواز بأن الخبر إن كان عن أمر ماض كقوله: عمر نوحاً ألف سنة جاز أن يبين من بعده أنه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وإن كان مستقبلاً وكان وعداً أو وعيداً كقوله: لأعذبن الزاني أبداً، فيجوز أن يبين من بعد أنه أراد ألف سنة وإن كان خبراً عن حكم الفعل في المستقبل كان الخبر كالأمر في تناوله

---

(1) ينظر: العدة (3/ 825 – 826)، إرشاد الفحول (2/ 88 – 89).

(2) ينظر: المسودة (ص 196)، إرشاد الفحول (2/ 89).

(3) ينظر: الإبهاج (2/).

(4) ينظر: إرشاد الفحول (2/ 89).

(5) ينظر: العدة (3/ 825)، المسودة (ص 196)، إرشاد الفحول (2/ 88).

الأوقات المستقبلة فصح إطلاق الكل مع إرادة البعض لما تناوله بموضوعه[1].

القول الثالث: لا يجوز ذلك في خبر الله وخبر رسوله، فأما ما أمرنا بالإخبار به فيجوز نسخه بالنهي عن الإخبار به وبه قال الباقلاني[2].

وإلى هذا الخلاف أشار شيخ الإسلام في المسودة بقوله: =لا يدخل النسخ الخبر في قول أكثر الفقهاء والأصوليين وقال قوم يجوز ذلك، وقال الباقلاني: لا يجوز ذلك في خبر الله وخبر رسوله، فأما ما أمرنا بالإخبار به فيجوز نسخه بالنهي عن الإخبار به، قال ابن عقيل: هذا إنما يعطي إجازة النسخ في الحكم وهو الأمر والنهي+[3].

قال الصنعاني: =وتفصيل البحث أن الخبر إما أن يكون مما يتغير مدلوله كالإخبار بإيمان زيد وكفره أو مما لا يتغير نحو العالم حادث والباري موجود، والنار محرقة، فالنسخ هنا يكون بأمرين: الأول: أن يأمر الشارع بالإخبار بحدوث العالم أو بإيمان زيد، ثم ينهى عن الإخبار بذلك فهو جائز بلا خلاف، وهل يجوز النسخ إلى الإخبار بنقيض ما ذكر؟ منعه من قال بالتحسين والتقبيح لأنه أمر بالكذب وجوزه نفاتهما والتحقيق أنه لا يقع النسخ في الخبر إلا بتأويله بالإنشاء وحينئذ فلا خلاف[4].

الترجيح:

الذي يترجح – والله أعلم – أن النسخ لا يقع في الأخبار إلا إذا كانت بمعنى الإنشاء؛ لأنه يؤدي إلى دخول الكذب في أخبار الله تعالى ورسوله ﷺ وذلك يجوز.

---

(1) ينظر: إرشاد الفحول (2/ 88).

(2) ينظر: المسودة (ص 196).

(3) المسودة (ص 196).

(4) ينظر: إجابة السائل (1/ 370).

المبحث الخامس
أقسام النسخ

أولاً: النسخ باعتبار دليله:

قال شيخ الإسلام - رحمه الله -:

=إن الصحابة والتابعين الذين أُخذ عنهم علم الناسخ والمنسوخ إنما يذكرون نسخ القرآن بقرآن لا يذكرون نسخه بلا قرآن، بل بسنة، وهذه كتب الناسخ والمنسوخ المأخوذة عنهم إنما تتضمن هذا، وكذلك قول علي – رضي الله عنه – للقاصِّ: هل تعرف الناسخ من المنسوخ في القرآن؟ فلو كان ناسخ القرآن غير القرآن لوجب أن يذكر ذلك أيضاً، وأيضاً الذين جوزوا نسخ القرآن بلا قرآن من أهل الكلام والرأي إنما عمدتهم أنه ليس في العقل ما يحيل ذلك، وعدم المانع الذي يعلم بالعقل لا يقتضي الجواز الشرعي، فإن الشرع قد يعلم بخبره ما لا علم للعقل به، وقد يعلم من حكمة الشارع التي علمت بالشرع ما لا يعلم بمجرد العقل؛ ولهذا كان الذين جوزوا ذلك عقلاً مختلفين في وقوعه شرعاً، وإذا كان كذلك فهذا الخبر الذي في الآية دليل على امتناعها شرعاً، وأيضاً فإن الناسخ مهيمن على المنسوخ قاض عليه مقدم عليه، فينبغي أن يكون مثله أو خيراً منه، كما أخبر بذلك القرآن؛ ولهذا لما كان القرآن مهيمناً على ما بين يديه من الكتاب بتصديق ما فيه من حق وإقرار ما أقره ونسخ ما نسخه كان أفضل منه، فلو كانت السنة ناسخة للكتاب لزم أن تكون مثله أو أفضل منه، وأيضاً فلا يعرف في شيء من آيات القرآن أنه نسخه إلا قرآن، والوصية للوالدين والأقربين منسوخة بآية المواريث كما اتفق على ذلك السلف، قال تعالى: ژ ڭ ۇ ۇۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح طم ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم مج مح مخ مم نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لا لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ ني نى يح يخ يم يه ئم ئه بم به تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ ني نى يح يخ يم يه ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ

**ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

ويمثل لهذا القسم: بنسخ قوله تعالى: ژ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ژ [1]. بقوله تعالى: ژ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ژ [2].

الثاني: نسخ القرآن بالسنة المتواترة ، وقد اختلف العلماء في جوازه على قولين:

القول الأول: لا يجوز نسخ القرآن بالسنة المتواترة.

وهذا الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية واستدل له [3]، وبه قال الشافعي[4] والإمام أحمد في الرواية المشهورة عنه [5]، وأكثر أهل الظاهر [6]، واختاره ابن الجوزي[7].

وقد استدل أصحاب هذا القول بأدلة، منها:

أولاً: قوله تعالى: ژ ٻ ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ژ [8].

وكان استدلالهم بهذه الآية على عدم جواز نسخ القرآن بالسنة المتواترة من وجهين:

أحدهما: أن قوله تعالى: ژ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ژ يفيد أن الناسخ لا بد أن يكون خيراً من المنسوخ، والسنة لا تساوي القرآن ولا تكون خيراً منه[9].

---

(1) سورة المجادلة، الآية: 12.

(2) سورة المجادلة، الآية: 13.

(3) مجموع الفتاوى (19/ 202).

(4) الرسالة (ص 106).

(5) العدة (3/ 788)، التمهيد (2/ 369).

(6) الإحكام للآمدي (1/ 165)، شرح الكوكب المنير (3/ 562).

(7) نواسخ القرآن (ص 119).

(8) سورة البقرة، الآية: 106.

(9) ينظر: مجموع الفتاوى (18/ 197). الإيضاح لمكي (ص 69)، نواسخ القرآن (ص 119)، المعتمد (1/ 396)، التبصرة (ص 265)، قواطع الأدلة (1/ 452).

وأجيب عن هذا الاستدلال بأنه: ليس المراد الإتيان بنفس آية أخرى خير منها، بل المراد نأتي بحكم خير من حكمها أو في مثل حكمها في الخفة والثقل والأجر والثواب ونحو ذلك[1].

الوجه الثاني: أن قوله تعالى ﴿ ﭙ ﭚ ﭛ ﴾ يفيد أن الآتي هو الله سبحانه، والسنة لم يأت بها الله، وإنما أتى بها رسول الله ﷺ[2].

وأجيب عن هذا الاستدلال: بأن السنة وحي من الله تعالى، وما الرسول ﷺ إلا مبلغ ومعبر عنها، فالآتي بها على الحقيقة هو الله وحده[3].

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ﴾[4].

قال الشافعي: =فيه بيان ما وَصَفْتُ من أنه لا ينسخ كتاب الله إلا بكتابه، كما كان المبتدئ لفرضه فهو المزيل المثبت لما شاء منه جل ثناؤه، ولا يكون ذلك لأحد من خلقه+[5].

ونوقش: بأن الاستدلال صحيح لو كانت السنة من تلقاء نفس النبي ﷺ، ولكن الحق هو أن السنة ليست من تلقاء نفسه، وإنما هي وحي من الله تعالى، كما قال جل وعلا: ﴿ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﴾[6]. وإذا كان الأمر كذلك،

---

(1) ينظر: الفصول في الأصول (2/ 347)، أصول السرخسي (2/ 75)، المستصفى (ص 101)، المحصول للرازي (3/ 526)، الإحكام للآمدي (3/ 171)، الإبهاج (2/ 250)، شرح مختصر الروضة (2/ 322)، مذكرة الشنقيطي (ص 151).

(2) ينظر: المعتمد (1/ 396)، العدة (3/ 790)، التبصرة (ص 265)، قواطع الأدلة (1/ 452)، الإحكام للآمدي (3/ 169).

(3) ينظر: المحصول للرازي (3/ 528)، الإبهاج (2/ 250)، مناهل العرفان (2/ 172).

(4) سورة يونس، الآية: 15.

(5) الرسالة (ص 107).

(6) سورة النجم، الآيتان: 3 – 4.

فإنها دليل على جواز نسخ القرآن بالسنة لا عدمه[1].

قال ابن حزم مناقشاً استدلالهم: =وهذا لا حجة لهم فيه، لأننا لم نقل: إن رسول الله ﷺ بدَّله من تلقاء نفسه، وقائل هذا الأمر كافر، وإنما نقول: إنه عليه السلام بدله بوحي من عند الله تعالى، كما قال – آمراً له – أن يقول: ژ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ژ [2]، فصح بهذا نصاً جواز نسخ الوحي بالوحي، والسنة وحي، فجائز نسخ القرآن بالسنة، والسنة بالقرآن+[3].

ثالثاً: قوله تعالى: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ [4]، قالوا فالسنة تبين القرآن، ولا يكون المبيِّن للشيء ناسخاً له[5].

وأجيب عن هذا الاستدلال: بأن الآية لا تدل على انحصار وظيفة السنة في البيان، لأنها خالية من جميع طرق الحصر، وكل ما تدل عليه أن السنة مبينة للقرآن، وذلك لا ينفي أن تكون ناسخة له[6].

كما أجاب ابن حزم عن هذا الاستدلال؛ فقال: =هذا خطأ من وجهين:

أحدهما: ما قد بينا في أول الكلام في النسخ، من أن النسخ نوع من أنواع البيان، لأنها بيان ارتفاع الأمر المنسوخ، وبيان إثبات الأمر الناسخ، والثاني: أن قولهم: إن المبين لا يكون ناسخاً دعوى لا دليل عليها، وكل دعوى تعرت من برهان فهي فاسدة ساقطة+[7].

---

(1) ينظر: الفصول في الأصول للجصاص (2/ 352)، أصول السرخسي (2/ 72)، المستصفى (ص100)، مناهل العرفان (2/ 172).

(2) سورة يونس، الآية: 15.

(3) الإحكام (4/ 505).

(4) سورة النحل، الآية: 44.

(5) ينظر: المعتمد (1/ 394)، الإيضاح لمكي (ص 69).

(6) ينظر: الإحكام للآمدي (3/ 170)، الإبهاج (2/ 250)، مناهل العرفان (2/ 170).

(7) الإحكام (4/ 507).

القول الثاني: يجوز نسخ القرآن بالسنة المتواترة.

وبه قال أبو حنيفة [1]، والإمام مالك [2]، ورواية عن الإمام أحمد [3]، واختاره الجويني[4]، والغزالي [5]، وأبو الخطاب [6]، والشنقيطي [7]، وفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين[8]، وهو قول الجمهور[9].

وقد استدل أصحاب هذا القول بأدلة؛ منها:

أولاً: أن الكتاب والسنة كلاهما وحي من الله تعالى، فالناسخ والمنسوخ من عند الله والله هو الناسخ حقيقة، وحينئذ فلا يوجد مانع عقلي أو شرعي من جوازه[10].

ثانياً: استدلوا على الجواز بوقائع نُسخ فيها القرآن بالسنة المتواترة، منها:

---

(1) الفصول في الأصول (2/ 343)، أصول السرخسي (2/ 67)، ناسخ القرآن العزيز ومنوسخه لابن البارزي (ص 20).

(2) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (2/ 1195)، نواسخ القرآن (ص 119)، المسودة (1/ 414).

(3) نواسخ القرآن (ص 119)، شرح الكوكب المنير (3/ 563).

(4) البرهان في أصول الفقه (2/ 851).

(5) المستصفى (ص 99).

(6) التمهيد (2/ 369).

(7) مذكرة الشنقيطي (ص 150).

(8) شرح العقيدة الواسطية (2/ 6)، شرح مقدمة التفسير (ص 129).

(9) ينظر: المعتمد (1/ 393)، التبصرة (ص 265)، قواطع الأدلة (1/ 452)، المحصول (3/ 519)، مختصر ابن الحاجب (2/ 1997)، شرح مختصر الروضة (2/ 320)، جمع الجوامع (ص 58)، شرح الكوكب المنير (3/ 563)، إرشاد الفحول (2/ 811)، مناهل العرفان (2/ 170).

(10) ينظر: الفصول في الأصول (2/ 344)، الإيضاح لمكي (ص 68)، الإحكام لابن حزم (4/ 505)، أصول السرخسي (2/ 72)، إرشاد الفحول (2/ 813)، مناهل العرفان (2/ 170).

أ – قوله تعالى: ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ژ [1]، نُسخ بقوله ﷺ: **(لا وصية لوارث)** [2].

وقد ناقش شيخ الإسلام ابن تيمية الاستدلال بهذه الواقعة، وبين أن الناسخ لهذه الآية هو آيات المواريث، وليس هذا الحديث[3].

وقد أجيب عن هذا الاعتراض: بأن آيات المواريث لا تنفي صحة الوصية للوالدين مع ما فرضت لهما من الميراث، وشرط صحة النسخ التقابل بين الناسخ والمنسوخ، وهو موجود في هذا الحديث[4].

ب – قوله تعالى: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ژ [5]، نُسخ بقوله ﷺ: **(خذوا عني خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم)** [6].

وقد اعتُرض على هذه الواقعة من وجهين:

أحدهما: أن الله سبحانه وتعالى أمر به إلى غاية يجعل لهن سبيلاً، فبين النبي ﷺ أن الله جعل لهن السبيل، وليس ذلك بنسخ[7].

الوجه الثاني: أن جلد الزاني ثابت بنص القرآن، وكذلك الرجم قد أنزل فيه قرآن يتلى، ثم نسخ لفظه وبقي حكمه، وهو قوله: =والشيخ والشيخة إذا زنيا

---

(1) سورة البقرة، الآية: 180.

(2) سبق تخريجه (ص 422).

(3) ينظر: مجموع الفتاوى (17/ 198).

(4) ينظر: الفصول في الأصول (2/ 359)، أصول السرخسي (2/ 69)، الإحكام لابن حزم (4/ 511)، الإحكام للآمدي (3/ 166)، إرشاد الفحول (2/ 811)، المقدمات الأساسية (ص 252).

(5) سورة النساء، الآية: 15.

(6) سبق تخريجه (ص).

(7) ينظر: الروضة (1/ 325)، أصول السرخسي (2/ 71)، شرح مختصر الروضة (2/ 324).

فارجموهما البتة + وقد ثبت الرجم بالسنة المتواترة، وبهذا يحصل الجواب عما يدعى من نسخ قوله: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ژ فإن ذلك إن قُدِّر أنه منسوخ، فقد نسخه قرآن جاء بعده، ثم نسخ لفظه وبقي حكمه منقولاً متواتراً، وليس هذا محل نزاع[1].

الترجيح:

الذي يترجح – والله أعلم – هو قول الجمهور في جواز نسخ القرآن بالسنة المتواترة، وذلك لقوة ما استدلوا به، ولضعف ما استدل به المخالفون.

الثالث: نسخ القرآن بأخبار الآحاد: وقد اختلف العلماء في جوازه على ثلاثة أقوال:

القول الأول: لا يجوز نسخ القرآن بالسنة الآحادية.

القول الثاني: يجوز نسخ القرآن بالسنة الآحادية في زمن النبي ﷺ، ولا يجوز بعده. وبه قال السرخسي[2]، والباجي[3]، والغزالي[4].

القول الثالث: يجوز نسخ القرآن بالسنة الآحادية مطلقاً.

وإلى هذا القول ذهب ابن حزم [5]، وبه قال الطوفي [6]، وابن السبكي [7]، وفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين[8].

الترجيح:

---

(1) ينظر: التبصرة (ص 271)، أصول السرخسي (2/ 71)، الإحكام للآمدي (3/ 166)، مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (20/ 398).

(2) أصول السرخسي (2/ 77).

(3) إحكام الفصول في أحكام الأصول (ص 426).

(4) المستصفى (ص 101).

(5) الإحكام (4/ 505).

(6) شرح مختصر الروضة (2/ 325).

(7) جمع الجوامع (ص 58).

(8) الأصول (ص 55)، شرح العقيدة الواسطية (2/ 6)، شرح نظم الورقات (ص 145).

الذي يترجح – والله أعلم – هو القول الثالث، وهو جواز نسخ القرآن بالسنة الآحادية مطلقاً، وذلك لقوة ما استدلوا به، ولعدم وجود المانع الشرعي أو العقلي من جوازه.

الرابع: نسخ القرآن والسنة بالإجماع:

قال شيخ الإسلام - رحمه الله -:

= ... وقد نقل عن طائفة كعيسى بن أبان وغيره من أهل الكلام والرأي من المعتزلة وأصحاب أبي حنيفة ومالك أن الإجماع ينسخ به نصوص الكتاب والسنة، وكنا نتأول كلام هؤلاء على أن مرادهم أن الإجماع يدل على نص ناسخ، فوجدنا من ذكر عنهم أنهم يجعلون الإجماع نفسه ناسخاً، فإن كانوا أرادوا ذلك، فهذا قول يُجوِّز تبديل المسلمين دينهم بعد نبيهم، كما تقول النصارى من أن المسيح سوغ لعلمائهم أن يحرموا ما رأوا تحريمه مصلحة ويحلوا ما رأوا تحليله مصلحة، وليس هذا دين المسلمين ولا كان الصحابة يسوغون ذلك لأنفسهم ومن اعتقد في الصحابة أنهم كانوا يستحلون ذلك فإنه يستتاب كما يستتاب أمثاله[1].

الدراسة:

بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن الإجماع لا ينسخ القرآن والسنة، وإن وجد ما يقتضي ذلك فإن الناسخ حينئذ إنما هو مستند الإجماع وليس الإجماع نفسه، وهذا هو قول جمهور العلماء، بل ذكر ابن عقيل أنه لم يعلم خلافاً في ذلك [2]، وما نقل عن عيسى بن أبان وغيره لا يلتفت إليه؛ لأن الإجماع لا يكون إلا بعد وفاته ﷺ والنسخ لا يكون إلا بعد موته ﷺ[1].

---

(1) مجموع الفتاوى (33/ 94).

(2) ينظر: الواضح (4/ 317)، التمهيد لأبي الخطاب (2/ 388)، المسودة (ص 224)، إرشاد الفحول (2/ 107).

(1) ينظر: إرشاد الفحول (2/ 106 – 107).

ثانياً: النسخ باعتبار بدله:

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

=فأخبر تعالى أن ما ينسخه أو ينسيه فإنه يأتي بخير منه أو مثله، بين ذلك فضله ورحمته لعبده المؤمنين فإنه قال قبل ذلك: ژ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ئج ژ[1]. فنهاهم عن التشبه بأهل الكتاب في سوء أدبهم على الرسول وعلى ما جاء به وأخبر أنهم لحسدهم ما يودون أن الله ينزل عليه شيئاً من الكتاب والحكمة ثم أخبر بنعمته على المؤمنين فإنه قد كان بعض القرآن ينسخ وبعضه ينسى كما جاءت الآثار بذلك، وما أنساه سبحانه هو مما نسخ حكمه وتلاوته، بخلاف المنسوخ الذي يتلى، وقد نسخ ما نسخ من حكمه أو نسخ تلاوته، ولم ينس، وفي النسخ والإنساء نقص ما أنزله على عباده فبين سبحانه أنه لا نقص في ذلك بل كل ما نسخ أو ينسى فإن الله يأتي بخير منه أو مثله، فلا يزال المؤمنون في نعمة من الله لا تنقص بل تزيد، فإنه إذا أتى بخير منها زادت النعمة، وإن أتى بمثلها كانت النعمة باقية+[2].

الدراسة:

بين الشيخ أن نسخ حكم الخطاب لا بد أن يكون إلى بدل وقد اختلف العلماء في جواز النسخ إلى غير بدل على قولين:

القول الأول: أن النسخ لا يكون إلا إلى بدل، وهواختيار شيخ الإسلام وإلى هذا ذهب جماعة من الأصوليين[1]،وابن القيم[2] واختاره الشنقيطي[3].

---

(1) سورة البقرة، الآيتان: 104، 105.

(2) مجموع الفتاوى (17/ 184).

(1) ينظر: المسودة (ص 198).

(2) ينظر: الجواب الكافي (ص 227).

(3) ينظر: مذكرة أصول الفقه (ص 93).

واحتج أصحاب هذا القول بقوله تعالى: ژ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ژ [1] حيث ربط سبحانه بين نسخها وبين الإتيان بخير منها أو مثلها بأداة الشرط ربط الجزاء بشرطه، وهذا الربط صحيح لا يمكن تخلفه بحال، فمن ادعى انفكاكه وأنه يمكن النسخ بدون الإتيان بخير أو مثل فقد ناقض القرآن مناقضة صريحة لا خفاء فيها[2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: **=فبين سبحانه أنه لا نقص في ذلك بل كل ما نسخ أو ينسى فإن الله يأتي بخير منه أو مثله فلا يزال المؤمنون في نعمة من الله لا تنقص بل تزيد فإنه إذا أتى بخير منها زادت النعمة، وإن أتى بمثلها كانت النعمة باقية+**[3].

القول الثاني: أن النسخ يجوز إلى غير بدل، وإلى هذا ذهب جمهور الأصوليين[4].

واستدلوا على ذلك بأن نسخ وجوب تقديم الصدقة بين يدي المناجاة ونسخ النهي عن ادخار لحوم الأضاحي كلاهما نسخ إلى غير بدل وفي ذلك دليل على جواز النسخ لا إلى بدل[5].

ونوقش: بأن النهي عن إدخال لحوم الأضاحي نسخ إلى بدل خير منه وهو التخيير في الادخار والإنفاق، وتقديم الصدقة عند المناجاة نسخ ببدل خير منه وهو

---

(1) سورة البقرة، الآية: 101).

(2) ينظر: مذكرة الشنقيطي (ص 94).

(3) مجموع الفتاوى (17/ 184).

(4) ينظر: العدة (3/ 783)، الإحكام للآمدي (3/ 135)، روضة الناظر (1/ 215)، شرح الكوكب المنير (3/ 545)، مذكرة الشنقيطي (ص 94).

(5) ينظر: العدة (3/ 783 – 784)، مذكرة الشنقيطي (ص 94).

التخيير بين الصدقة تطوعاً وبين الإمساك عن ذلك[1].

الترجيح:

الذي يترجح هو القول بأن النسخ لا بد فيه من البدل، لكن البدل قد يكون حكماً شرعياً كاستقبال القبلة، وقد يكون رجوعاً إلى الحكم السابق وفي هذا عمل بالآية مع ملاحظة الأحكام التي نسخت وبقيت على حكم البراءة الأصلية[2].

يقول ابن القيم رحمه الله: =فإن الرب تعالى ما أمر بشيء ثم أبطله رأساً بل لا بد أن يبقي بعضه أو بدله كما أبقى شريعة الفداء وكما أبقى استحباب الصدقة بين يدي المناجاة، وكما أبقى الخمس الصلوات بعد رفع الخمسين وأبقى ثوابها+[3].

ثالثاً: النسخ باعتبار البقاء وعدمه:

قال شيخ الإسلام

=... ثم منهم من جعل ما ننسخ من آية هو ما ترك تلاوته ورسمه ونسخ حكمه وما أنسى هو ما رفع فلا يتلى، ومنهم من أدخل في الأول ما نسخت تلاوته وإن كان محفوظاً، فالأول قول مجاهد وأصحاب عبدالله بن مسعود، وروى الناس بالأسانيد الثابتة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ما ننسخ من آية قال: نثبت خطها ونبدل حكمها، قال وهو قول عبدالله بن مسعود أو ننسها أي: نمحوها، فإن ما نسي لم يترك+[4].

الدراسة:

بين شيخ الإسلام في هذه المسألة أن من أنواع النسخ ما يبقى خطه ورسمه أي: تلاوته ويرفع حكمه وما تنسخ تلاوته ويبقى حكمه وقد قسم العلماء النسخ باعتبار بقاء الحكم وعدمه إلى ثلاثة أقسام:

---

(1) ينظر: مذكرة الشنقيطي (ص 94).

(2) معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة (ص 257 - 258).

(3) الجواب الكافي (ص 227).

(4) مجموع الفتاوى (17/ 184).

القسم الأول: نسخ الحكم دون التلاوة.

وهذا أغلب النسخ في القرآن، وهو القسم الذي ألفت فيه كتب الناسخ والمنسوخ ولا خلاف بين المحققين في وقوعه [1]؛ بل ونقل ابن عبدالبر الإجماع على ذلك فقال: =وقد أجمعوا أن من القرآن ما نسخ حكمه وثبت خطه +[2]، كما يعد هذا القسم ألصق أنواع النسخ بالنسخ الاصطلاحي عند الأصوليين الذي هو رفع الحكم الشرعي؛ بخلاف منسوخ التلاوة فهو ألصق بالمعنى اللغوي للنسخ وهو مجرد الرفع.

وقد مثل لهذا القسم بنسخ حكم قوله تعالى: ﴿ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﴾ [3]، إذ يقتضي حكم هذه الآية التخيير بين الصوم والإفطار مع الطعام، وقد نُسخ هذا بإيجاب الصوم في قوله تعالى: ﴿ ﮋ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﴾ [4].

أخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قرأ: =فدية طعام مساكين+، وقال: =هي منسوخة+[5].

وقد حكي عن قوم إنكار هذا القسم، لأن التلاوة دليل الحكم، فكيف يرفع

---

(1) ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (1/ 428)، الفصول في الأصول (2/ 251)، الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص 15)، العدة (3/ 780)، الناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص 9)، المستصفى (ص 99)، الواضح في أصول الفقه (1/ 254)، المحصول لابن العربي (ص 146)، نواسخ القرآن (ص 149)، المسودة (1/ 408)، البرهان للزركشي (2/ 45)، شرح الكوكب المنير (3/ 553)، الإتقان (2/ 706)، إرشاد الفحول (1/ 804)، مناهل العرفان (2/ 154)، إتقان البرهان (2/ 39)، النسخ في القرآن الكريم (1/ 279)، مباحث في علوم القرآن (ص 245).

(2) التمهيد (9/ 77).

(3) سورة البقرة، الآية: 184.

(4) سورة البقرة، الآية: 185.

(5) أخرجه البخاري في التفسير (سورة البقرة)، باب (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) ح (4506)، (ص370).

المدلول مع بقاء دليله[1]؟!

وقد نوقش: بعدم التسليم بكون اللفظ دليلاً على الحكم بعد نسخ الحكم؛ بل هو إنما يكون دليلاً عليه عند انفكاكه عما يرفع حكمه، فإذا جاء الخطاب الناسخ لحكمه زالت دلالته على الحكم بالكلية[2].

القسم الثاني: نسخ التلاوة دون الحكم.

وقد مثّل لهذا القسم بنسخ آية الرجم، فقد جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: =إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول الله ﷺ، ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة، أو كان الحَبَل، أو الاعتراف+[3].

وقد وقع خلاف بين المثبتين للنسخ في جواز نسخ التلاوة دون الحكم على قولين:

القول الأول: جواز نسخ التلاوة دون الحكم ووقوعه.

وهو قول ابن عبدالبر [4]، وابن العربي [1]، وابن الجوزي [2]، والزركشي [3]،

---

(1) عزاه الآمدي في الإحكام (3/ 154)، وابن الحاجب في مختصره (1/ 194) لطائفة شاذة من المعتزلة.

(2) الروضة (1/ 296)، وينظر: شرح مختصر الروضة (2/ 275).

(3) أخرجه البخاري في الحدود، باب رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت ح (6830)، (ص 569) مطولاً، ومسلم في الحدود، باب رجم الثيب في الزنا ح (4418)، (ص 977).

(4) التمهيد (9/ 77).

(1) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم (2/ 5).

(2) نواسخ القرآن (ص 140).

(3) البرهان (2/ 41).

والسيوطي[1].

وقد استدلوا على ذلك بآية الرجم - كما جاء في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه -[2] وبالخمس رضعات المحرمات - كما ثبت في حديث عائشة رضي الله عنها - [3] فإن حكم الرجم، وحم الخمس رضعات المحرمات باقٍ، مع عدم وجود هاتين الآيتين فيما يتلى من القرآن الكريم.

وأما من جهة العقل؛ فقالوا: إن ما يتعلق بالنصوص القرآنية من التعبد بلفظها وجواز الصلاة بها، وحرمتها على الجنب في قراءتها ومسها، شبيه كل الشبه بما يتعلق بها من دلالتها على الوجوب والحرمة ونحوهما، في أن كلاً من هذه المذكورات حكم شرعي يتعلق بالنص الكريم، وإذا كان الأمر كذلك فيجوز نسخ التلاوة فقط، وهو نسخ التعبد بلفظه والصلاة به وكتبه في المصحف، مع بقاء حكم آخر لم ينسخ، وهو ما دل عليه اللفظ من الوجوب أو الحرمة ونحوهما[4].

القول الثاني: عدم وقوع نسخ التلاوة مع بقاء الحكم.

وإلى هذا ذهب ابن ظفر الصقلي [5]، كما أنكر وقوع هذا القسم وشكك فيه د.مصطفى زيد؛ حين قال: =ولا بد من وقفة هنا، عند نوع ثالث للنسخ ذكره الأصوليون، واعتمدوا فيه على آثار لا تنهض دليلاً له، مع أن الآيتين اللتين تتحدثان عن النسخ في القرآن الكريم لا تسمحان بوجوده إلا على تكلف، ومع أنه يخالف المعقول والمنطق، ومع أن مدلول النسخ وشروطه لا تتوافر فيه، وهذا النوع

---

(1) الإتقان (2/ 717).

(2) سبق تخريجه (ص).

(3) سبق تخريجه (ص).

(4) ينظر: الروضة (1/ 294)، العدة (3/ 782)، المستصفى (ص 99)، الإحكام للآمدي (3/ 154)، شرح مختصر الروضة (2/ 274)، شرح الكوكب المنير (3/ 558)، إرشاد الفحول (2/ 808)، مناهل العرفان (2/ 155).

(5) نقله عنه الزركشي في البرهان (2/ 43).

هو منسوخ التلاوة باقي الحكم، كما يعبر عنه الأصوليون...+ [1].

وقد احتج من أنكر هذا القسم بأدلة:

أحدها: أن الأخبار المثبتة له أخبار آحاد، ولا يجوز القطع على إنزال القرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجة فيها[2].

ونوقش: بأن هناك فرقاً بين ثبت نزول القرآن وثبوت النسخ، فثبوت القرآن يشترط فيه التواتر، أما ثبوت النسخ فيكفي فيه الدليل الظني بخبر الواحد، ولا يشترط فيه التواتر[3].

الثاني: أن اللفظ إنما نزل ليتلى ويثاب عليه فكيف يرفع[4]؟

ونوقش: بأنه لا مانع من أن يكون أصل المقصود من المنسوخ تلاوةً لا حكماً إنما هو الحكم دون التلاوة، لكنه أنزل على رسول الله ﷺ بلفظ معين ليثبت به الحكم وليستقر، والحال أنه هو المقصود، فلا مانع من نسخ اللفظ لأن المقصود هو مجرد الحكم[5].

الثالث: قالوا: إن جاز نسخ التلاوة فلينسخ الحكم معها، لأن الحكم تبع للتلاوة، فكيف يبقى الفرع مع نسخ الأصل[1]؟

وقد نوقش: بأن =التلاوة حكم، وانعقاد الصلاة بها حكم آخر، ودلالتها

---

(1) النسخ في القرآن الكريم (1/ 283)، فقرات (388 – 392)، وقد نقل د. عبدالله الشنقيطي في الآيات المنسوخة (ص 74) كلام د. مصطفى كاملاً، وفنّد قوله فقرة فقرة برد موسع، فلينظر.

(2) انظر البرهان (2/ 43).

(3) وينظر: مباحث في علوم القرآن (ص 246)، الآيات المنسوخة (ص 79)، المقدمات الأساسية للجديع (ص 276).

(4) ينظر: الروضة (1/ 294).

(5) الروضة (1/ 296)، وينظر: المستصفى (ص 99)، شرح مختصر الروضة (2/ 274).

(1) ينظر: المحصول لابن العربي (ص 146).

على ما دلت عليه حكم آخر، فلا يلزم من نسخ التعبد بها وعدم الصلاة بها نسخ حكمها الذي دلت عليه، فكم من دليل لا يتلى ولا تنعقد به صلاة، والآية المنسوخة تلاوتها مع بقاء حكمها دليل لنزولها وورودها، لا لكونها متلوة في القرآن، والنسخ لا يرفع ورودها ونزولها، ولا يجعلها كأنها غير واردة، بل يلحقها بالوارد الذي لا يتلى+[1].

الترجيح:

القول الراجح – والله أعلم – هو جواز نسخ التلاوة دون الحكم وصحة وقوعه، وذلك لتظاهر الأدلة الصحيحة على ذلك، وسلامتها من المناقشة، ولضعف ما استدل به المنكرون لهذا القسم.

القسم الثالث: نسخ الحكم والتلاوة معاً.

وقد حكى الزرقاني اتفاق أهل العلم على هذا القسم، فقال:

=أما نسخ الحكم والتلاوة جميعاً، فقد أجمع عليه القائلون بالنسخ من المسلمين+[2].

ويُمثل لهذا القسم بما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت:

=كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس

---

(1) مذكرة الشنقيطي (ص 130)، وينظر: المستصفى (ص 99).

(2) مناهل العرفان (2/ 154)، وانظر – في اعتبار هذا القسم –: الفصول في الأصول للجصاص (2/ 251)، الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة (ص 15)، الناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص 9)، العدة (3/ 782)، المستصفى (ص 99)، الواضح في أصول الفقه (1/ 245)، نواسخ القرآن (ص 19)، الإحكام للآمدي (3/ 154)، ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه لابن البارزي (ص 19)، شرح الكوكب المنير (3/ 554)، الإتقان (2/ 705)، إرشاد الفحول (1/ 804)، مناهل العرفان (2/ 154)، النسخ في القرآن الكريم (1/ 279)، الأصول للعثيمين (ص 54)، الآيات المنسوخة د.الشنقيطي (ص 72).

معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وهي فيما يقرأ من القرآن+[1].

وحكاية الاتفاق على هذا القسم محل نظر، فقد نقل الزركشي عن القاضي أبي بكر الباقلاني أن قوماً أنكروا هذا القسم، بحجة أن الأخبار فيه أخبار آحاد، ولا يجوز القطع على إنزال القرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجة فيها[2].

وأجيب: بأن هناك فرقاً بين ثبوت نزول القرآن وثبوت النسخ، فثبوت القرآن يشترط فيه التواتر، أما ثبوت النسخ فيكفي فيه الدليل الظني بخبر الواحد ولا يشترط فيه التواتر[3].

* * *

(1) أخرجه مسلم في الرضاع، باب التحريم بخمس رضعات ح (3597)، (ص 923).

(2) البرهان (2/ 47).

(3) ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان (ص 245).

الفصل الخامس

المحكم والمتشابه والتأويل

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: المحكم والمتشابه.
- المبحث الثاني: التأويل.

المبحث الأول

المحكم والمتشابه

وفيه تمهيد وأربعة مطالب:

- المطلب الأول: الإحكام والتشابه بالاعتبار العام والاعتبار الخاص.
- المطلب الثاني: أنواع الإحكام (المحكم) باعتبار ما يقابله.
- المطلب الثالث:الخلاف في المراد بالمحكم والمتشابه.
- المطلب الرابع: تحقيق الكلام في كون آيات الأسماء والصفات من المحكم.

التمهيد:

أهمية موضوع المحكم والمتشابه.

إن موضوع المحكم والمتشابه يعتبر من الموضوعات الهامة في علوم القرآن، ومن الموضوعات الشائكة التي أثارت جدلاً كبيراً بين أصحاب المذاهب والفرق، حيث تمسك كل فريق بجملة من الآيات التي توافق ما ذهب إليه وأصبغ عليها صفة الإحكام، ورد مدلول الآيات التي تخالف ما يعتقده بحجة أنها من المتشابه، وحصل بسببه من الاضطراب والاختلاف في أسماء الله وصفاته ماعظم وطم؛ حيث دلف أهل الزيغ والضلال من خلال المحكم والمتشابه إلى تعطيل وتأويل أسماء الله وصفاته بحجة أنها من المتشابه، ومن ثمّ كان من الأهمية بمكان تحرير القول في هذا الباب، لا سيما وقد ارتبط بهذه المسألة العقدية الكبيرة.

وكان لشيخ الإسلام – رحمه الله – قصب السبق في تحرير مسائل هذا الباب، وذلك بكشف الغموض والالتباس الذي حصل فيه، وحل ما عسر وأشكل فهمه، وتوضيح ما خفي معناه، كل ذلك كان بنفس طويل، يعز بين أهل العلم، بله العلماء أحد أن يجاريه أو يقاربه.

وكان من دُررِ منهجه في تحرير هذا الباب ما يأتي:

– استشهاده العجيب بآيات كتاب الله العزيز؛ سرداً للآيات في الموضوع الواحد مع حسن استدلال؛ كأن كتاب الله قد فتح بين عينيه عند كل مسأله، مع ما هو فيه من الصوارف والمحن، وكثرة المخالفين له في عصره، صاحب ذلك كله اطلاع واسع على كلام السلف في التفسير، ومعرفة المقبول من المردود عند التعارض، وكذا كلام المفسرين متقدمهم ومتأخرهم.

– خبرته الواسعة بأقوال المخالفين؛ على شتى أصنافهم، وتنوع نحلهم، وتخصصاتهم، وعلومهم، فكان خبيراً بمواطن الزلل والخطل في أقوال المعطلة،

والمؤولة، ففنَّد حججهم أيَّما تفنيد، وكشف زيغهم، وكسر شوكتهم حتى لم يترك لهم شاردة ولا واردة إلا أتى عليها.

فسبحان من وهبه هذا كله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وتطرق شيخ الإسلام لموضوع المحكم والمتشابه في أكثر مصنفاته [1]؛ وذلك لعظم البليَّة به في عصره، من تطاول المتكلمين على نصوص الكتاب والسنة بالتعطيل، والتأويل الباطل، وجعلها من المتشابه الذي لا يعرف معناه، ولايفهم مقصوده، فعطلوا صفات الله وأولوها بعقولهم القاصرة، وصرفوا ألفاظها الظاهرة عن مدلولاتها الصحيحة البيَّنة إلى معان فاسدة تمجها الفِطَر السليمة، والعقول الرشيدة. تعالى الله عمَّا يقول الظالمون علواً كبيراً.

وليعلم أن هذا الموضوع كان من أصعب الموضوعات في هذه الرسالة؛ لتشعب مسائلة وتداخلها غاية التداخل، ولطول كلام الشيخ فيه وتداخله، وتكراره، وتعدد مظانه، مما أعوزني إلى اختصار كلامه بما يتلاءم مع منهج الرسالة، مع المحافظة على عبارة الشيخ [2] وكذلك كثرة النقول والأقوال والأثار التي ذكرها شيخ الإسلام، كل هذا جعل الأمر في غاية الصعوبة، والتعقيد، والله المستعان.

---

(1) كمجموع الفتاوى في تفسير سورة الإخلاص في المجلد السابع عشر، وهو أوفى المواضع وأوسعها وقد جعلته الأصل، وفي تفسير الآية السابعة من سورة آل عمران في المجلد، ورسالة التدمرية في المجلد الثالث، ورسالة الإكليل في المتشابه والتأويل، ورسالة الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، كلاهما في المجلد الثالث عشر، وبيان تلبيس الجهمية الذي طبع مؤخرا، وكان اطلاعي على الرسائل العلمية التي قامت على تحقيقه.

(2) وكانت طبيعة الاختصار حذف استطرادات الشيخ التي يفهم مقصده دونها.

معنى المحكم والمتشابه لغة:

تعريف المحكم في اللغة:

المحكم مأخوذ من حَكَمَ الذي أصله المنع.

قال ابن فارس: =الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع، وأول ذلك الحُكْم، وهو المنع من الظلم، وسميت حَكَمة الدابة لأنها تمنعها، يقال: حكمت الدابة وأحكمتها، ويقال: حكمت السفيه وأحكمته، إذا أخذت على يديه+[1].

ومنه قول جرير:

أبني حنيفة أحكموا سفاهكم إني أخاف عليكم أن أغضبا [2]

ومنه =الحكمة+ وهي إصابة الحق بالعلم والعقل، سميت بذلك لأنها تمنع صاحبها من الجهل[3].

والإحكام يأتي – أيضاً – بمعنى الإتقان، يقال: أحكمه: أي أتقنه فاستحكم[4].

ومنه قوله تعالى: ﴿ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ﴾ [5]، بمعنى أتقنت وحفظت عن الغلط والخطأ والتناقض[6].

وهذا الإطلاق قريب من الأصل الذي هو المنع، لأن من أتقن الشيء فقد منعه من الفساد.

قال شيخ الإسلام:

---

(1) معجم مقاييس اللغة، مادة (حكم) (ص258).

(2) البيت في ديوان جرير (ص43).

(3) المفردات للراغب الأصفهاني (ص134).

(4) القاموس المحيط، مادة (حكم) (ص1415).

(5) سورة هود، الآية: 1.

(6) ينظر: تفسير القرطبي (4/ 10)، لسان العرب مادة (حكم) (12/ 141).

=فإن الإحكام هو الفصل والتمييز والفرق والتحديد الذي به يتحقق الشيء ويحصل إتقانه; ولهذا دخل فيه معنى المنع كما دخل في الحد، فالمنع جزء معناه لا جميع معناه+ [1].

قال الزرقاني: =فاللغويون يستعملون مادة الإحكام (بكسر الهمز) في معان متعددة، لكنها مع تعددها ترجع إلى شيء واحد، هو المنع+[2].

تعريف المتشابه لغة:

أصل المتشابه: من الشِّبْه والشَّبَه، وهو أن يشبه أحد الأمرين الآخر، وقد يؤدي ذلك في الغالب إلى الالتباس.

قال ابن قتيبة: =وأصل التشابه: أن يشبه اللفظُ اللفظَ في الظاهر، والمعنيان مختلفان، قال الله عزّ وجل في وصف ثمر الجنة: ﴿ **وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا** ﴾ [3]، أي متفق المناظر، مختلف الطعوم، وقال: ﴿ **تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾ [4]، أي يشبه بعضها بعضاً في الكفر والقسوة.

ومنه يقال: اشتبه عليّ الأمر، إذا أشبه غيره فلم تكد تفرق بينهما، وشبَّهت عليَّ: إذا لَبَّست الحق بالباطل، ثم يقال لكل ما غمض ودق =متشابه+، وإن لم تقع الحيرة من جهة الشبه بغيره+[5].

وقال ابن فارس: =الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً، يقال شِبْه، وشَبَه، وشبيه.. والمشبَّهات من الأمور المشكلات،

---

1 مجموع الفتاوى 13 / 274

(2) مناهل العرفان (2/ 194).

(3) سورة البقرة، الآية: 25.

(4) سورة البقرة، الآية: 118.

(5) تأويل مشكل القرآن (ص68).

واشتبه الأمران إذا أشكلا+[1].

وجاء في القاموس: =تشابها واشتبها: أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا، وأمور مُشْتبهة، ومُشَبَّهة: مشكلة، والشبهة: الالتباس والمثل، وشُبِّه عليه الأمر تشبيهاً: لُبِّس عليه+[2].

ومن خلال هذه النقول عن أهل اللغة يتبين أن معنى =التشابه + يرجع إلى معنيين:

أحدهما: التماثل والتساوي.

الثاني: الالتباس والإشكال.

ولا شك أن بين هذين المعنيين ارتباطاً وثيقاً، بل يمكن إرجاعهما إلى الأصل الأول وهو التماثل، وذلك لأنه حين تتماثل الأشياء، وتضعف الفروق المميزة بينها، وتتلاشى أو تكاد، يلتبس حينئذ بعضها ببعض ويختلط، ويحصل الإشكال[3].

***

(1) معجم مقاييس اللغة (ص526) مادة (شبه).

(2) القاموس المحيط (ص1610) مادة (شبه).

(3) ينظر: معرفة تأويل المتشابه، د. عبدالله أبو السعود بدر (ص10).

المطلب الأول
الإحكام والتشابه بالاعتبار العام والاعتبار الخاص

وقال رحمه الله:

=وكما وصف الله سبحانه وتعالى القرآن كله بالإحكام، فقد وصفه كله بأنه متشابه، فقال عزّ وجل: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ﴾ [1]، ومعنى كونه متشابهاً: أي يشبه بعضه بعضاً في الإحكام والإتقان فلا يستطيع أحد المفاضلة والتمييز بين آية وأخرى للتماثل في البلاغة والهداية.

فالتشابه هنا هو تماثل الكلام وتناسبه، بحيث يصدِّق بعضه بعضاً، فإذا أمر بأمر لم يأمر بنقيضه في موضع آخر، بل يأمر به، أو بنظيره، أو بملزوماته، وإذا نهى عن شيء لم يأمر به في موضع آخر، بل ينهى عنه أو عن نظيره، أو عن لوازمه، إذا لم يكن هناك نسخ،... وهذا التشابه يكون في المعاني وإن اختلفت الألفاظ، فإذا كانت المعاني يوافق بعضها بعضاً، ويعضد بعضها بعضاً، ويناسب بعضها بعضاً، ويشهد بعضها لبعضٍ، ويقتضي بعضها بعضاً، كان الكلام متشابهاً، بخلاف الكلام المتناقض الذي يضاد بعضه بعضاً.

وهذا التشابه العام لا ينافي الإحكام العام، بل هو مصدق له، فإن الكلام المحكم المتقن يصدق بعضه بعضاً، لا يناقض بعضه بعضاً+ [2].

الدراسة:

قرر شيخ الإسلام أنه قد جاء في القرآن الكريم ما يدل على أنه كله محكم، نحو قوله تعالى:﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ [3]، وجاء فيه ما يدل على أنه كله متشابه، قال

---

(1) سورة الزمر، الآية: 23.

(2) مجموع الفتاوى (3/ 59).

(3) سورة هود، الآية: 1.

تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا ﴾ [1]، وجاء فيه ما يدل على أن بعضه محكم وبعضه متشابه، قال تعالى﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾ [2]، ولا تعارض بين هذه الإطلاقات الثلاث، إذ ينقسم الإحكام والتشابه قسمين: عام وخاص، وبمعرفتهما يزول الإشكال[3]

فقد وصف الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم كله بأنه محكم، ومعنى كونه محكماً: =أي في اطراده في البلاغة، وانتظامه في سلك الفصاحة، واستواء أجزاء كلماته في أداء المعنى من غير حشو يستغنى عنه، أو نقصان يخل به، واختصار القول الطويل الدال على المعنى الكثير+[4].

ووصفه بأنه كله متشابه؛ فالتشابه هنا هو تماثل الكلام وتناسبه، بحيث يصدِّق بعضه بعضاً، فإذا أمر بأمر لم يأمر بنقيضه في موضع آخر، بل يأمر به، أو بنظيره، أو بملزوماته، وإذا نهى عن شيء لم يأمر به في موضع آخر، بل ينهى عنه أو عن نظيره، أو عن لوازمه، إذا لم يكن هناك نسخ..... وهذا التشابه يكون في المعاني وإن اختلفت الألفاظ.

---

(1) سورة الزمر، الآية: 23.

(2) سورة آل عمران، الآية: 7.

(3) ينظر: التفسير الكبير للرازي (17/ 142)، فتح الباري (8/ 59).

(4) قانون التأويل لابن العربي (ص664)، وينظر: الموافقات للشاطبي (3/ 57).

المطلب الثاني
أنواع الإحكام (المحكم) باعتبار ما يقابله

قال شيخ الإسلام:

فهذه ثلاث معان تقابل المحكم، ينبغي التفطن لها.....

وجماع ذلك أن =الإحكام + تارة يكون في التنزيل ، فيكون في مقابلته ما يلقيه الشيطان، فالمحكم المنزل من عند الله، أحكمه الله أي فصله من الاشتباه بغيره ، وفصل منه ما ليس منه ; فإن الإحكام هو الفصل ، والتمييز ، والفرق ، والتحديد الذي به يتحقق الشيء ويحصل إتقانه ; ولهذا دخل فيه معنى المنع، كما دخل في الحد فالمنع جزء معناه لا جميع معناه. وتارة يكون =الإحكام+ في إبقاء التنزيل عند من قابله بالنسخ الذي هو رفع ما شرع وهو اصطلاحي أو يقال - وهو أشبه بقول السلف - كانوا يسمون كل رفع نسخا سواء كان رفع حكم أو رفع دلالة ظاهرة. وإلقاء الشيطان في أمنيته قد يكون في نفس لفظ المبلغ وقد يكون في سمع المبلغ وقد يكون في فهمه كما قال: ﮋ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ﮊ الآية. ومعلوم أن من سمع النص الذي قد رفع حكمه أو دلالة له فإنه يلقي الشيطان في تلك التلاوة اتباع ذلك المنسوخ فيحكم الله آياته بالناسخ الذي به يحصل رفع الحكم وبيان المراد. وعلى هذا التقدير فيصح أن يقال: المتشابه المنسوخ بهذا الاعتبار والله أعلم. وتارة يكون =الإحكام+ في التأويل والمعنى وهو تمييز الحقيقة المقصودة من غيرها حتى لا تشتبه بغيرها. وفي مقابلة المحكمات الآيات المتشابهات التي تشبه هذا وتشبه هذا فتكون محتملة للمعنيين[1].....

---

(1) مجموع الفتاوى (13 / 274 - 275).

الدراسة:

قرر شيخ الإسلام أن للمتشابه ثلاث معان باعتبار ما يقابله من المحكم:

1- المتشابه ما يلقيه الشيطان، والمحكم ما نسخ به اللهّ ما ألقاه الشيطان؛ ولهذا قال طائفة من المفسرين المتقدمين: إن [المحكم] هو الناسخ، و[المتشابه] المنسوخ [1]. أرادوا واللهّ أعلم قوله: ژ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ژ[2]، والنسخ هنا رفع ما ألقاه الشيطان لا رفع ما شرعه اللهّ.

2 – المتشابه المنسوخ وهو مارفع حكمه شرعاً، أو مارفعت دلالته، والمنسوخ يدخل فيه في اصطلاح السلف العام كل ظاهر ترك ظاهره لمعارض راجح، كتخصيص العام وتقييد المطلق؛ فإن هذا متشابه؛ لأنه يحتمل معنيين، ويدخل فيه المجمل فإنه متشابه، وإحكامه رفع ما يتوهم فيه من المعنى الذي ليس بمراد، وكذلك ما رفع حكمه، وعلى هذا إذا عرف ناسخ عرف المحكم. يقال: المحكم والمنسوخ، كما يقال: المحكم والمتشابه.

3 - وتارة يكون =الإحكام+ في التأويل، والمعنى، وهو تمييز الحقيقة المقصودة من غيرها حتى لا تشتبه بغيرها، وفي مقابلة المحكمات الآيات المتشابهات التي تشبه هذا وتشبه هذا، فتكون محتملة للمعنيين. ويطلق شيخ الإسلام على المتشابه هنا: المتشابه الإضافي أوالنسبي، وهو ماخفي، ولم يتضح عند البعض دون غيرهم، ويكون المحكم هنا الواضح البين.

وهذه المعاني الثلاثة للمحكم والمتشابه هي من جملة أقوال العلماء التي قيلت في معنى المحكم والمتشابه.

---

(1) وهو مروي عن ابن عباس وغيره، و أخرجه الطبري في تفسيره (3 / 172) عن العوفي عن بن عباس.

(2) سورة الحج، الآية: 52.

***

المطلب الثالث
الخلاف في المراد بالمحكم والمتشابه

قال شيخ الإسلام:

وقد نقل القاضي أبو يعلى عن الإمام أحمد أنه قال: المحكم: ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان، والمتشابه: ما احتاج إلى بيان . وكذلك قال الإمام أحمد في رواية[1].

وعن الشافعي قال: =المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهًا واحدًا، والمتشابه ما احتمل من التأويل وجوهًا+[2]. وكذلك قال الإمام أحمد. وكذلك قال ابن الأنباري: =المحكم: ما لم يحتمل من التأويل إلا وجها واحدا، والمتشابه: الذي تعتوره[3] التأويلات+[4]، فيقال حينئذ: فجميع الأمة سلفها وخلفها يتكلمون في معاني القرآن التي تحتمل التأويلات .

وهؤلاء الذين ينصرون أن الراسخين في العلم لا يعلمون معنى المتشابه هم من أكثر الناس كلاما فيه.....

وأيضًا، فما ذكره السلف والخلف في المتشابه يدل على أنه كله يعرف معناه. فمن قال: إن المتشابه هو المنسوخ، فمعنى المنسوخ معروف، وهذا القول مأثور عن ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدي وغيرهم[5].

وابن مسعود، وابن عباس، وقتادة، هم الذين نقل عنهم أن الراسخين في

---

(1) ينظر: مسائل الإمام أحمد رواية إسحاق بن إبراهيم بن هانئ (1/ 166).

(2) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (2/ 381) عن الشافعي مع اختلاف يسير في لفظه، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (1/ 351) عن الشافعي بنحوه.

(3) أصل الاعتوار التداول، والمقصود: أن التشابه له أكثر من تأويل.

ينظر: الصحاح مادة (عور) (2/ 762).

(4) ينظر: زاد المسير (1/ 351).

(5) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (1/ 351) عن هؤلاء كلهم.

العلم لا يعلمون تأويله، معلوم قطعا باتفاق المسلمين أن الراسخين يعلمون معنى المنسوخ، وأنه منسوخ، فكان هذا النقل عنهم يناقض ذلك النقل، ويدل على أنه كذب إن كان هذا صدقاً، وإلا تعارض النقلان عنهم. والمنقول عنهم أن الراسخين يعلمون معنى المتشابه .

والقول الثاني: مأثور عن جابر بن عبد الله أنه قال: =المحكم: ما علم العلماء تأويله، والمتشابه: ما لم يكن للعلماء إلى معرفته سبيل كقيام الساعة +[1]. ومعلوم أن وقت قيام الساعة مما اتفق المسلمون على أنه لا يعلمه إلا الله. فإذا أريد بلفظ التأويل هذا كان المراد به لا يعلم وقت تأويله إلا الله، وهذا حق، ولا يدل ذلك على أنه لا يعرف معنى الخطاب بذلك، وكذلك إن أريد بالتأويل حقائق ما يوجد، وقيل: لا يعلم كيفية ذلك إلا الله، فهذا قد قدمناه، وذكر أنه على قول هؤلاء من وقف عند قوله: ژ ڭ ڭ ۇ ۇ ژ[2] هو الذي يجب أن يراد بالتأويل. وأما أن يراد بالتأويل التفسير، ومعرفة المعنى ويوقف على قوله ژ ۇ ۇ ژ فهذا خطأ قطعا مخالف للكتاب والسنة، وإجماع المسلمين .

ومن قال ذلك من المتأخرين، فإنه متناقض.....

والقول الثالث: أن المتشابه: الحروف المقطعة[3] في أوائل السور. يروى هذا

---

(1) أخرجه الطبري في تفسيره (3/ 174 -175) وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (1/ 350، 351) عن جابر بلفظه، عن جابر بنحوه، وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (4 - 10) عن جابر بمعناه.

(2) سورة آل عمران، الآية: 7.

(3) القول بأن الحروف المقطعة من المتشابه أجاب عنه شيخ الإسلام - رحمه الله - في نقض التأسيس تحقيق د/ راشد الطيار، (2/ 586-590) بعدة أجوبة:

أحدها: أن هذه ليست كلاماً منظوماً، فلا يدخل في مسمى الآيات، وعامة الناس: أهل مكة والمدينة والبصرة لا يعدون ذلك آية، ولكن الكوفيين يعدونها آية، وبكل حال فهي أسماء حروف ينطق بها غير معربة مثل ما ينطق بألف، باء، تاء.

عن ابن عباس[1]. وعلى هذا القول فالحروف المقطعة ليست كلاما تاما من الجمل الإسمية والفعلية، وإنما هي أسماء موقوفة.....ثم يقال: هذه الحروف قد تكلم في معناها أكثر الناس، فإن كان معناها معروفا فقد عرف معنى المتشابه، وإن لم يكن معروفًا وهي المتشابه، كان ما سواها معلوم المعنى، وهذا المطلوب .

وأيضًا، فإن الله تعالى قال: ژ ڳ ڳ ں ڻ ڻ ڻ ڻ ژ [2]، وهذه الحروف ليست آيات عند جمهور العلماء، وإنما يعدها آيات الكوفيون.

وسبب نزول هذه الآية الصحيح، يدل على أن غيرها أيضًا متشابه، ولكن هذا القول يوافق ما نقل عن اليهود من طلب علم المدد من حروف الهجاء.

والرابع: أن المتشابه ما اشتبهت معانيه، قال مجاهد[3]: وهذا يوافق قول أكثر العلماء، وكلهم يتكلم في تفسير هذا المتشابه، ويبين معناه .

والخامس: أن المتشابه ما تكررت ألفاظه، قاله عبد الرحمن بن زيدأبنلم[1].

الثاني: أن السلف قد تكلموا في معانيها، وكلامهم في ذلك كثير مشهور. وقد ذكر شيخ الإسلام – رحمه الله – بعض أقوالهم.

الثالث: أن يقال نحن نسلم أن كثيراً من الناس وأكثرهم لا يعرفون معنى كثير من القرآن، فإذا قيل: إن أكثر الناس لا يعرفون معنى حروف الهجاء التي في أوائل السور فهذا صحيح لا نزاع فيه، وإن قيل إن أحداً من الناس لا يعرف ذلك وأن الرسول نفسه لم يكن يعرف ذلك فمن أين لهم هذا، فهذا النفي لا بد له من دليل. وقد طبع (نقض التأسيس) مؤخراً مجمعُ الملك فهد للمصحف الشريف، ولم يتسن لي الحصول عليه؛ لنفاده، والإحالة هنا على إحدى الرسائل العلمية التي حققت الكتاب من خلالها.

(1) ذكره البغوي في معالم التنزيل (بهامش تفسير الخازن) (1/ 320) عن ابن عباس، قال: =المتشابه حروف التهجي في أوائل السور+، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (1/ 351) عن ابن عباس قال: =المتشابه الحروف المقطعة كقوله (الم) ونحو ذلك+.

(2) سورة آل عمران، الآية: 7.

(3) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (1/ 351) عن مجاهد بلفظه.

(1) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (1/ 351) عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم بلفظه.

قال[1]: المحكم: ما ذكر الله تعالى في كتابه من قصص الأنبياء ففصله وبينه، والمتشابه: هو ما اختلفت ألفاظه في قصصهم عند التكرير كما قال في موضع من قصة نوح:

ژ ﭽ ﭾ ژ[2] .

وقال في موضع آخر: ژ ﯿ ﰀ ژ[3] .

وقال: في عصا موسى: ژ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ژ[4] .

وفي موضع آخر: ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ژ[5] .

وصاحب هذا لقول جعل المتشابه اختلاف اللفظ مع اتفاق المعنى، كما يشتبه على حافظ القرآن هذا اللفظ بذك اللفظ، وقد صنف بعضهم في هذا المتشابه؛ لأن القصة الواحدة يتشابه معناها في الموضعين، فاشتبه على القارئ أحد اللفظين بالآخر، وهذا التشابه لا ينفي معرفة المعاني بلا ريب، ولا يقال في مثل هذا: إن الراسخين يختصون بعلم تأويله، فهذا القول إن كان صحيحًا كان حجة لنا وإن كان ضعيفًا لم يضرنا.

والسادس: أنه ما احتاج إلى بيان كما نقل عن أحمد.

والسابع: أنه ما احتمل وجوها، كما نقل عن الشافعي، وأحمد. وقد روي عن

---

(1) صاحب هذا القول هو ابن زيد، وقد أخرج قوله الطبري في جامع البيان (3/ 174)، وابن عطية في المحرر الوجيز (3/ 19).

(2) سورة هود، الآية: 40.

(3) سورة المؤمنون، الآية: 27.

(4) سورة طه، الآية: 20.

(5) سورة الشعراء، الآية: 32.

أبي الدرداء [1] رضي اللهّ عنه أنه قال: =إنك لا تفقه كل الفقه حتى ترى القرآن وجوها+[2].

وقد صنف الناس كتب الوجوه والنظائر، فالنظائر: اللفظ الذي اتفق معناه في الموضعين وأكثر. والوجوه: الذي اختلف معناه، كما يقال: الأسماء المتواطئة [3] والمشتركة[4]، وإن كان بينهما فرق، ولبسطه موضع آخر.....

وقد تكلم المسلمون سلفهم وخلفهم في معاني الوجوه، وفيما يحتاج إلى بيان وما يحتمل وجوهًا، فعلم يقينًا أن المسلمين متفقون على أن جميع القرآن مما يمكن للعلماء معرفة معانيه وعلم أن من قال: إن من القرآن ما لا يفهم أحد معناه، ولا يعرف معناه إلا اللهّ، فإنه مخالف لإجماع الأمة مع مخالفته للكتاب والسنة [5].

والثامن: أن المتشابه هو القصص والأمثال وهذا أيضًا يعرف معناه.

والتاسع: أنه ما يؤمن به ولا يعمل به، وهذا أيضًا مما يعرف معناه.

---

(1) هو: عويمر بن عامر ويقال: عويمر بن قيس، وقيل: عويمر بن ثعلبة بن عامر، أبو الدرداء الأنصاري الخزرجي، من أفاضل الصحابة وفقهائهم وحكمائهم، تأخر إسلامه فلم يشهد بدراً، وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ، توفي في خلافة عثمان رضي الله عنهما سنة (32هـ).

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (7/ 391 – 393)، أسد الغابة (4/ 159 – 160)، (5/ 185 – 186)، الإصابة (3/ 45 – 46).

(2) أخرجه أحمد في الزهد (ص 134) عن أبي الدرداء بلفظه، وأخرجه عبدالرزاق في مصنفه كتاب الجامع – باب العلم – رقم الأثر (20473)، (11/ 255) عن أبي الدرداء ولفظه: =لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة+.

(3) الأسماء المتواطئة: هي التي تدل على أعيان متعددة بمعنى واحد مشترك بينها، كدلالة اسم الإنسان على زيد وعمرو، ودلالة اسم الحيوان على الإنسان والفرس والطير. معيار العلم للغزالي (ص 54).

(4) الأسماء المشتركة: هي اللفظ الواحد الذي يطلق على موجودات مختلفة بالحد والحقيقة إطلاقاً متساوياً، كالعين تطلق على العين الباصرة، وينبوع الماء، وقرص الشمس. معيار العلم (ص 53).

(5) وسيأتي الحديث عن الوجوه والنظائر في الفصل السادس.

والعاشر: قول بعض المتأخرين: إن المتشابه آيات الصفات، وأحاديث الصفات،[1] وهذا أيضًا مما يعلم معناه، فإن أكثر آيات الصفات اتفق المسلمون على أنه يعرف معناها. والبعض الذي تنازع الناس في معناه إنما ذم السلف منه تأويلات الجهمية، ونفوا علم الناس بكيفيته، كقول مالك: =الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة+.

وكذلك قال سائر أئمة السنة. وحينئذ ففرق بين المعنى المعلوم، وبين الكيف المجهول، فإن سُمى الكيف تأويلاً ساغ أن يقال: هذا التأويل لا يعلمه إلا اللهّ، كما قدمناه أولاً.

وأما إذا جعل معرفة المعنى وتفسيره تأويلًا كما يجعل معرفة سائر آيات القرآن تأويلا، وقيل: إن النبي ﷺ وجبريل والصحابة والتابعين ما كانوا يعرفون معنى قوله: ﮋ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ﮊ[2].

ولا يعرفون معنى قوله: ﮋ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ﮊ [3].

ولا معنى قوله: ﮋ ﮦ ﮧ ﮨ ﮊ[4].

بل هذا عندهم بمنزلة الكلام العجمي، الذي لا يفهمه العربي، وكذلك إذا قيل: كان عندهم قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ [5].

وقوله: ﮋ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ﮊ [1].

---

(1) وسيأتي الرد على هذا القول في المطلب الرابع من هذا البحث

(2) سورة طه، الآية: 5.

(3) سورة ص، الآية: 75.

(4) سورة الفتح، الآية: 6.

(5) سورة الزمر، الآية: 67.

(1) سورة الأنعام، الآية: 103.

وقوله: ژ ئم ئى ئي بج ژ[1].

قوله: ژ تم تى تي ثج ثم ژ [2].

وقوله: ژ ٻ ٻ ٻ ٻ ڀ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ژ[3]. إلى أمثال هذه الآيات.

فمن قال عن جبريل ومحمد صلوات اللهّ وسلامه عليهما وعن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين والجماعة: إنهم كانوا لا يعرفون شيئًا من معاني هذه الآيات، بل استأثر اللهّ بعلم معناها، كما استأثر بعلم وقت الساعة، وإنما كانوا يقرؤون ألفاظًا لا يفهمون لها معنى، كما يقرأ الإنسان كلامًا لا يفهم منه شيئًا، فقد كذب على القوم، والنقول المتواترة عنهم تدل على نقيض هذا، وأنهم كانوا يفهمون هذا كله يفهمون غيره من القرآن، وإن كان كنه الرب عز وجل لا يحيط به العباد، ولا يحصون ثناءً عليه، فذاك لا يمنع أن يعلموا من أسمائه وصفاته ما علمهم سبحانه وتعالى كما أنهم إذا علموا أنه بكل شيء عليم، وأنه على كل شيء قدير، لم يعرفوا كيفية علمه وقدرته، وإذا عرفوا أنه حق موجود لم يلزم أن يعرفوا كيفية ذاته.....

الدراسة:

ذكر شيخ الإسلام عشرة أقوال من أقوال العلماء في المراد بالمحكم والمتشابه، والناظر في هذه الأقوال يظهر له جلياً تقاربها، وتداخل بعضها في بعض، ويمكن إرجاع إلى قولين رئيسين:

أحدهما: أن المحكم ما استقل بنفسه وظهر معناه، ولم يحتج إلى بيان، والمتشابه ما احتاج إلى بيان.

الثاني: أن المحكم ما علم معناه، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه.

قال الحافظ ابن حجر: =المحكم من القرآن ما وضح معناه، والمتشابه

---

(1) سورة النساء، الآية: 134.

(2) سورة المائدة، الآية: 119.

(3) سورة محمد، الآية: 28.

نقيضه، وقيل: المحكم ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه، كقيام الساعة، وخروج الدجال، والحروف المقطعة في أوائل السور.

وقيل في تفسير المحكم والمتشابه أقوال أخرى غير هذه نحو العشرة ليس هذا موضع بسطها، وما ذكرته أشهرها وأقربها إلى الصواب+[1].

وإليك تفصيل هذين القولين:

القول الأول: أن المحكم ما علم معناه، والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه دون خلقه.

وقد قال بهذا القول جابر بن عبدالله بن رئاب رضي الله عنه[2]، وهو مقتضى كلام الشعبي [3]، وسفيان الثوري [4]، وهو الذي اختاره ابن جرير الطبري [5]، وقال به أبو منصور البغدادي [6]، وابن السمعاني [7]، وقال القرطبي هو أحسن ما قيل في المتشابه+[8].

قال ابن جرير: =وقال آخرون: بل المحكم من آي القرآن ما عرف العلماء تأويله، وفهموا معناه وتفسيره، والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه دون خلقه، وذلك نحو الخبر عن وقت مخرج عيسى بن مريم، ووقت

---

(1) فتح الباري (8/ 58).

(2) تفسير الطبري (5/ 199).

(3) تفسير القرطبي (4/ 13).

(4) المصدر السابق (4/ 13).

(5) تفسير الطبري (5/ 199).

(6) فتح الباري (8/ 58).

(7) قواطع الأدلة (1/ 265).

(8) تفسير القرطبي (4/ 14).

طلوع الشمس من مغربها، وقيام الساعة، وفناء الدنيا، وما أشبه ذلك، فإن ذلك لا يعلمه أحد،... وهذا القول الذي ذكرناه أشبه بتأويل الآية+[1].

القول الثاني: أن المحكم ما استقل بنفسه وظهر معناه، ولم يحتج إلى بيان، والمتشابه ما احتاج إلى بيان، ويدخل في هذا القول بأن المحكم ما لم يحتمل من التأويل غير وجه واحد، والمتشابه ما احتمل من التأويل أوجهاً، كما يدخل فيه من عرّف المحكم بأنه ما كانت دلالته راجحة، والمتشابه ما كانت دلالته غير راجحة. وقال بهذا القول محمد بن جعفر بن الزبير [2]، ومجاهد [3]، والشافعي [4]، وظاهر كلام الإمام أحمد [5]، وإليه ذهب النحاس [6]، وابن قتيبة [7]، وابن الأنباري [8]، ومكي بن أبي طالب [9]، وابن عطية [10]، وابن كثير [11]، وغيرهم.

قال ابن كثير: =يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه، وحكم

---

(1) تفسير الطبري (5/ 199).

(2) تفسير الطبري (5/ 197).

(3) قواطع الأدلة (1/ 265).

(4) زاد المسير (1/ 286).

(5) العدة للقاضي أبي يعلى (2/ 685).

(6) إعراب القرآن (1/ 13).

(7) تأويل مشكل القرآن (ص66).

(8) زاد المسير (1/ 286).

(9) معاني المحكم والمتشابه، فرحات (ص64).

(10) المحرر الوجيز (1/ 401).

(11) تفسير ابن كثير (1/ 326).

محكمه على متشابهه فقد اهتدى، ومن عكس انعكس+[1].

وقد قال الشاطبي: =التشابه قد علم أنه واقع في الشرعيات، لكن النظر في مقدار الواقع منه: هل هو قليل أم كثير؟، والثابت من ذلك القلة لا الكثرة، لأمور:

أحدها: النص الصريح، وذلك في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [2]، فقوله في المحكمات: ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يدل أنها المعظم والجمهور، وأم الشيء معظمه وعامته، فإذا كان كذلك فقوله تعالى: ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ إنما يراد بها القليل.

الثاني: أن المتشابه لو كان كثيراً لكان الالتباس والإشكال كثيراً، وعند ذلك لا يطلق على القرآن أنه بيان وهدى، فدل على أنه ليس بكثير، ولولا أن الدليل أثبت أن فيه متشابهاً لم يصح القول به، ولكن ما جاء فيه من ذلك لم يتعلق بالمكلفين حكم من جهته زائد على الإيمان به، وإقراره كما جاء، وهذا واضح.

الثالث: الاستقراء، فإن المجتهد إذا نظر في أدلة الشريعة جرت له على قانون النظر واتسقت أحكامها، وانتظمت أطرافها على وجه واحد، كما قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [3]، وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [4] +[5].

وقال أيضاً: =والثاني: وهو الإضافي ليس بداخل في صريح الآية، وإن كان في المعنى داخلاً فيه؛ لأنه لم يصر متشابهاً من حيث وضع في الشريعة، من جهة أنه قد

---

(1) تفسير ابن كثير (1/ 326).

(2) سورة آل عمران، الآية: 7.

(3) سورة هود، الآية: 1.

(4) سورة لقمان، الآية: 2.

(5) الموافقات (3/ 56-57) باختصار.

حصل بيانه في نفس الأمر، ولكن الناظر قصر في الاجتهاد، أو زاغ عن طريق البيان اتباعاً للهوى، فلا يصح أن ينسب الاشتباه إلى الأدلة، وإنما ينسب إلى الناظرين التقصير أو الجهل بمواقع الأدلة+[1].

الجمع بين القولين:

جمع شيخ الإسلام بين القولين، وذلك بحملهما على قراءتي الوصل والوقف، فهما قراءتان متواترتان؛ فالقراءتان كالآيتين، والتعدد في القراءات القرآنية يقوم مقام التعدد في الآيات، كما جاءت الأدلة والأقوال التي تدل على دلالة القراءتين، ولذلك لا يجوز ترجيح إحدى القراءتين على الأخرى، لأن مثل هذا قدح في التواتر، ولا تعارض أو تضاد بين القراءات القرآنية، وإنما هي من باب التنوع[2].

ويظهر هذا الجمع من كلام شيخ الإسلام حيث يقول:

=في الآية قراءتان: قراءة من يقف على قوله: ﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، وقراءة من يقف عند قوله: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾ وكلتا القراءتين حق، ويراد بالأولى المتشابه في نفسه الذي استأثر الله بعلم تأويله، ويراد بالثانية المتشابه الإضافي الذي يعرف الراسخون تفسيره، وهو تأويله+[3].

إذا تقرر هذا فقد قرر شيخ الإسلام أن المتشابه نوعان:

أحدهما: المتشابه الحقيقي: وهو ما لا يعلمه أحد من البشر، كالعلم بحقيقة ذات الله، وحقائق صفاته، وكالعلم بوقت الساعة، وغير ذلك مما استأثر الله بعلمه من الحقائق الغائبة عن الإنسان. [وقراءة الوقف تدل عليه].

الثاني: المتشابه الإضافي أو النسبي: وهو ما يستطيع البشر معرفته عن طريق

---

(1) المصدر السابق (3/ 60).

(2) ينظر: المحكم والمتشابه في القرآن العظيم، د. عبدالرحمن المطرودي (ص17).

(3) تفسير سورة الإخلاص (ص240).

البحث والدرس، كالتشابه الناشئ عن الألفاظ الغريبة أو المشتركة، وهذا النوع متشابه من جهة، ومحكم من جهة أخرى على القراءتين، فهو محكم على قراءة الوصل، ومتشابه على قراءة الوقف، وقد يكون محكماً من جهة ومتشابهاً من جهة باعتبار الوضوح من عدمه بالنسبة للقارئ، فإن كان المعنى واضحاً – عنده – فهو من المحكم، وإن كان المعنى غامضاً فهو من المتشابه [1]. [وقراءة الوصل تدل عليه].

❊ ❊ ❊

(1) وينظر: المفردات للراغب (ص258)، الموافقات (3/ 59)، مناهل العرفان (2/ 202)، المحكم والمتشابه للمطرودي (ص73).

المطلب الرابع
تحقيق الكلام في كون آيات الأسماء والصفات من المحكم

قال شيخ الإسلام:

=وأما إدخال أسماء اللهّ وصفاته أو بعض ذلك في المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا اللهّ، أو اعتقاد أن ذلك هو المتشابه الذي استأثر اللهّ بعلم تأويله، كما يقول كل واحد من القولين طوائف من أصحابنا وغيرهم فإنهم، وإن أصابوا في كثير مما يقولونه ونجوا من بدع وقع فيها غيرهم، فالكلام على هذا من وجهين:

الأول: من قال: إن هذا من المتشابه وأنه لا يفهم معناه، فنقول: أما الدليل على بطلان ذلك: فإني ما أعلم عن أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة لا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية، ونفى أن يعلم أحد معناه. وجعلوا أسماء اللهّ وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم، ولا قالوا: إن اللهّ ينزل كلامًا لا يفهم أحد معناه، وإنما قالوا كلمات لها معان صحيحة، قالوا في أحاديث الصفات: تمر كما جاءت. ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها وأبطلوها التي مضمونها تعطيل النصوص عما دلت عليه.

ونصوص أحمد والأئمة قبله بينة في أنهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية ويقرون النصوص على ما دلت عليه من معناها، ويفهمون منها بعض ما دلت عليه، كما يفهمون ذلك في سائر نصوص الوعد والوعيد والفضائل وغير ذلك. وأحمد قد قال في أحاديث الصفات: تمر كما جاءت، وفي أحاديث الوعيد. ..وأحاديث الفضائل، ومقصوده بذلك: أن الحديث لا يحرف كلمه عن مواضعه كما يفعله من يحرفه، ويسمى تحريفه تأويلا بالعرف المتأخر.

فتأويل هؤلاء المتأخرين عند الأئمة تحريف باطل، وكذلك نص أحمد في كتاب [الرد على الزنادقة والجهمية] أنهم تمسكوا بمتشابه القرآن، وتكلم أحمد على ذلك المتشابه وبين معناه وتفسيره بما يخالف تأويل الجهمية، وجرى في ذلك على سنن

الأئمة قبله. فهذا اتفاق من الأئمة على أنهم يعلمون معنى هذا المتشابه، وأنه لا يسكت عن بيانه وتفسيره، بل يبين ويفسر باتفاق الأئمة من غير تحريف له عن مواضعه، أو إلحاد في أسماء اللهّ وآياته[1].....

الوجه الثاني: أنه إذا قيل: هذه من المتشابه، أو كان فيها ما هو من المتشابه، كما نقل عن بعض الأئمة أنه سمى بعض ما استدل به الجهمية متشابهًا، فيقال: الذي في القرآن أنه لا يعلم تأويله إلا اللهّ، إما المتشابه، وإما الكتاب كله كما تقدم ونفى علم تأويله ليس نفي علم معناه كما قدمناه في القيامة وأمور القيامة، وهذا الوجه قوي، إن ثبت حديث ابن إسحاق في وفد نجران، أنهم احتجوا على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: [إنا] و[نحن] ونحو ذلك، ويؤيده أيضًا أنه قد ثبت أن في القرآن متشابهًا وهو ما يحتمل معنيين، وفي مسائل الصفات ما هو من هذا الباب، كما أن ذلك في مسائل المعاد وأولى، فإن نفي المشابهة بين الله وبين خلقه أعظم من نفي المشابهة بين موعود الجنة وموجود الدنيا.

وإنما نكتة الجواب هو ما قدمناه أولاً أن نفي علم التأويل ليس نفيًا لعلم المعنى، ونزيده تقريرًا أن اللهّ سبحانه يقول: ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ژ [2]، وقال تعالى: ژ ٹٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ژ [3] فأخبر أنه أنزله ليعقلوه، وأنه طلب تذكرهم.

وقال أيضًا: ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ژ[4] فحض على تدبره وفقهه وعقله والتذكر به والتفكر فيه ولم يستثن من ذلك شيئًا، بل نصوص متعددة تصرح بالعموم

(1) مجموع الفتاوى (13 / 295 – 296).

(2) سورة الزمر، الآيتان: 27، 28.

(3) سورة يوسف، الآيتان: 1، 2.

(4) سورة الحشر، الآية: 21.

فيه، مثل قوله:ژ ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ژ[1]، وقوله :ژ چ چ چچ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ژ[2] ومعلوم أن نفي الاختلاف عنه لا يكون إلا بتدبره كله، وإلا فتدبر بعضه لا يوجب الحكم بنفي مخالفقما لم يتدبر لما تدبر وأيضًا فالسلف من الصحابة والتابعين وسائر الأمة قد تكلموا في جميع نصوص القرآن آيات الصفات وغيرها، وفسروها بما يوافق دلالتها وبيانها، ورووا عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة توافق القرآن، وأئمة الصحابة في هذا أعظم من غيرهم، مثل عبد اللهّ بن مسعود الذي كان يقول: لو أعلم أعلمَ بكتاب اللهّ مني تبلغه آباط الإبل لأتيته. وعبد اللهّ بن عباس الذي دعا له النبي ﷺ، وهو حبر الأمة وترجمان القرآن، كانا هما وأصحابهما من أعظم الصحابة والتابعين إثباتًا للصفات ورواية لها عن النبي ﷺ، ومن له خبرة بالحديث والتفسير يعرف هذا، وما في التابعين أجل من أصحاب هذين السيدين، بل وثالثهما في علية التابعين من جنسهم أو قريب منهم ومثلهما في جلالته جلالة أصحاب زيد بن ثابت، لكن أصحابه مع جلالتهم ليسوا مختصين به، بل أخذوا عن غيره مثل عمر وابن عمر وابن عباس، ولو كان معاني هذه الآيات منفيًا أو مسكوتًا عنه لم يكن ربانيو الصحابة أهل العلم بالكتاب والسنة أكثر كلامًا فيه. ثم إن الصحابة نقلوا عن النبي ﷺ أنهم كانوا يتعلمون منه التفسير مع التلاوة، ولم يذكر أحد منهم عنه قط أنه امتنع من تفسير آية[3].

الدراسة:

تكمن أهمية موضوع =المحكم والمتشابه + من خلال هذا المبحث، وهو =هل آيات الصفات من المتشابه أم المحكم؟ + وسبق أن ذكرت أن أهل الزيغ والضلال تسللوا إلى تفويض أو تأويل أو تعطيل معاني الصفات من خلال هذا

(1) سورة محمد، الآية: 24.

(2) سورة النساء، الآية: 82.

(3) مجموع الفتاوى (13 / 306-308).

الموضوع، وذلك بجعلهم آيات الصفات من المتشابه، فقال فريق منهم – وهم المفوضة – أنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله وعليه فوض العلم بمعناها إلى الله، وزعم أن معناها غير مفهوم لنا [1]، ومنهم: مرعي بن يوسف الكرمي في =أقاويل الثقات+ يقول:

=فاعلم أن من المتشابهات آيات الصفات، التي التأويل فيها بعيد، فلا تؤول ولا تفسر، وجمهور أهل السنة، منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها، وتفويض معناها، والمراد منها إلى الله تعالى، ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها+[2].

وقد سار على هذا المسلك؛ ففوض معاني الصفات التي استعرضها في كتابه.

وذهب الآخرون – وهم المؤولة – إلى أنها من المتشابه الذي يعلم تأويله الراسخون في العلم، فاشتغلوا بتأويل معانيها الظاهرة إلى معاني بعيدة، لا يدل عليها مراد الشارع، ولا يحتملها سياق الكلام.

وهذا المذهب الأخير – مذهب التأويل – سار عليه كثير من الخلف، كالرازي الذي خصص القسم الثاني من كتابه =أساس التقديس + لما سماه =تأويل المتشابهات من الأخبار والآيات+، ثم ذكر فيه كثيراً من الصفات الواردة في الكتاب والسنة، كالمجيء، والنزول، والوجه، والعين، واليد، وغير ذلك[3]. وقد رد عليه شيخ الإسلام في سفره العظيم (بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية).

ومثله صنع الزركشي في =البرهان+، حيث عقد فصلاً =في حكم الآيات

---

(1) ينظر: الصواعق المرسلة لابن القيم (2/ 423).

(2) أقاويل الثقات (ص60).

(3) ينظر: أساس التقديس في علم الكلام (ص67-130).

المتشابهات الواردة في الصفات+، عرض فيه جملة من آيات الصفات، وتكلم في تأويلها[1].

واقتفى أثره السيوطي في =الإتقان +، فعقد فصلاً =من المتشابه آيات الصفات+، عرض فيه جملة من الصفات، وتأويلات أهل الكلام لها[2].

وكذا فعل الزرقاني في مناهل العرفان، فأفرد مبحثاً في =متشابه الصفات +، ذكر فيه جملة من الصفات، ثم سار فيها على مذهب الأشاعرة المؤولة، وحكى كلامهم فيها، وجعله المذهب الصحيح[3].

والحاصل أن المفوضة والمؤولة يشتركان في عد آيات الصفات من المتشابه، والذي حملهم على هذا: هو توهمهم أن إثبات هذه النصوص على ظاهرها يوقع في التشبيه، فهم في الحقيقة اعتقدوا ظاهر كلام الله كفراً وضلالاً، فأطلقوا على تلك الآيات المتشابه[4].

ورحم الله ابن القيم حين قال: =إن هؤلاء المعارضين للوحي بالعقل بنوا أمرهم على أصل فاسد، وهو أنهم جعلوا أقوالهم التي ابتدعوها، وجعلوها أصول دينهم ومعتقدهم في رب العالمين هي المحكمة، وجعلوا قول الله ورسوله هو المتشابه الذي لا يستفاد منه علم ولا يقين، فجعلوا المتشابه من كلامهم هو المحكم، والمحكم من كلام الله ورسوله هو المتشابه، ثم ردوا تشابه الوحي إلى محكم كلامهم

---

(1) ينظر: البرهان في علوم القرآن (2/ 89-99).

(2) ينظر: الإتقان (1/ 649-658).

(3) ينظر: مناهل العرفان (2/ 205-217).

(4) ينظر: الرسالة التدمرية (ص 113)، موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة (1/ 416)، كتاب مناهل العرفان (دراسة وتقويم)، د. خالد السبت (2/ 520)، جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية، د. محمد أحمد لوح (ص149).

وقواعدهم+[1].

وممن ذهب إلى جعل آيات الصفات من المتشابه الإمام ابن قدامة رحمه الله، وفرق بين بن قدامة، وبين المؤلة والمعطلة، فابن قدامة أراد الإثبات والإقرار، والمنع من القول فيها بغير علم، وصرفها إلى معانٍ أخرى لا يدل عليها اللفظ بما يؤدي إلى تحريف النص وصرفه عن مراد الله له.

قال ابن قدامة: =والصحيح أن المتشابه: ما ورد في صفات الله – سبحانه – مما يجب الإيمان به ويحرم التعرض لتأويله كقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[2]، ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾ [3]... ونحوه، فهذا اتفق السلف رحمهم الله على الإقرار به، وإمراره على وجهه، وترك تأويله+[4].

وهذا الذي ذكره ابن قدامة رحمه الله، فيه إيهام ومخالفة لما هو مقرر عند السلف من الصحابة والتابعين وسائر الأمة من تفسير آيات الصفات بما يوافق دلالتها وبيانها، ولم يعرف عنهم أنهم جعلوا آيات الصفات من قبيل المتشابه.

ومن أجل هذا تعقبه الشنقيطي فقال: =وقول المؤلف لا يخلو من نظر، لأن آيات الصفات لا يطلق عليها اسم المتشابه بهذا المعنى من غير تفصيل، لأن معناها معلوم في اللغة العربية وليس متشابهاً، ولكن كيفية اتصافه جل وعلا بها ليست معلومة للخلق.

وإذا فسرنا المتشابه بأنه هو ما استأثر الله بعلمه دون خلقه، كانت كيفية الاتصاف داخلة فيه لا نفس الصفة...، وهذا التفصيل لا بد منه خلافاً لظاهر كلام

---

(1) الصواعق المرسلة (3/ 990).

(2) سورة طه، الآية: 5.

(3) سورة المائدة، الآية: 64.

(4) روضة الناظر (1/ 277)، وينظر: ذم التأويل (ص39).

المؤلف رحمه الله+[1].

وقد قرر شيخ الإسلام مذهب السلف في هذه القضية، ورد على من زعم أن آيات الصفات من المتشابه بما يأتي:

1 – أنه لايعلم عن أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية ونفى أن يعلم أحد معناه، وجعل أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم، ولا قال: إن الله ينزل كلاماً لا يفهم أحد معناه، وإنما كان السلف يقولون كلمات لها معانٍ صحيحة، وقالوا في آيات الصفات: تمر كما جاءت، ونهوا عن تأويلات الجهمية التي مضمونها تعطيل النصوص عما دلت عليه وردوها وأبطلوها.

ويقرون النصوص على ما دلت عليه من معناها، ويفهمون منها بعض ما دلت عليه...، فهذا اتفاق من الأئمة على أنهم يعلمون معنى هذا المتشابه، وأنه لا يسكت عن بيانه وتفسيره بل يُبيَّن ويفسَّر باتفاق الأئمة من غير تحريف له عن مواضعه، أو إلحاد في أسماء الله وآياته

2– أن نفى علم تأويله ليس نفي علم معناه، فإن الناس متفقون على أنهم يعرفون تأويل المحكم، ومعلوم أنهم لا يعرفون كيفية ما أخبر الله به عن نفسه في الآيات المحكمات، فدل ذلك على أن عدم العلم بالكيفية لا ينفي العلم بالتأويل الذي هو تفسير الكلام وبيان معناه، بل يعلمون تأويل المحكم والمتشابه، ولا يعرفون كيفية الرب لا في هذا، ولا في هذا.

3– يقال لمن ادعى في هذا أنه متشابه لا يعلم معناه: أتقول هذا في جميع ما سمى الله ووصف به نفسه، أم في البعض ؟

---

(1) مذكرة أصول الفقه (ص118).

فإن قلت: هذا في الجميع، كان هذا عناداً ظاهراً، وجحداً لما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام، بل كفر صريح، فإنا نفهم من قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾[1]، معنى، ونفهم من قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٌ ﴾[2] معنى ليس هو الأول، ونفهم من قوله: ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٍ ﴾ [3] معنى، ونفهم من قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾[4] معنى، وصبيان المسلمين وكل عاقل يفهم هذا+[5].

4 – أن الله قد حض على تدبر كتابه، وفقهه، وعقله والتذكر به، والتفكر فيه، ولم يستثن من ذلك شيئًا، بل نصوص متعددة تصرح بالعموم فيه، مثل قوله: ژ ک گ گ گ گ ڳ ڳ ژ[6]، وقوله: ژ چ چ چچ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ژ[7] وأيضًا فالسلف من الصحابة والتابعين وسائر الأمة قد تكلموا في جميع نصوص القرآن آيات الصفات وغيرها، وفسروها بما يوافق دلالتها وبيانها ، والصحابة نقلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يتعلمون منه التفسير مع التلاوة، ولم يذكر أحد منهم عنه قط أنه امتنع من تفسير آية.

هذا من جملة ما أبطل به شيخ الإسلام القولَ بأن آيات الصفات من المتشابه، أشرت إليه باختصار.

وقد نبه شيخ الإسلام إلى أن حقائق صفات الباري وكيفياتها، مما استأثر الله

---

(1) الآية 7 من سورة المجادلة.

(2) الآية 45 من سورة النور.

(3) الآية 156 من سورة الأعراف.

(4) الآية 47 من سورة إبراهيم.

(5) مجموع الفتاوى (13/ 297).

(6) الآية 24 من سورة محمد.

(7) الآية 82 من سورة النساء.

بعلمه، وحَجَب إدراك كنهه عن خلقه، وهو أمر قد منعنا من البحث فيه، بل الواجب الكف عنه.

قال ابن القيم:

=وأما تأويل ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر فهو نفس الحقيقة التي أخبر الله عنها، وذلك في حق الله هو كنه ذاته وصفاته التي لا يعلمها غيره، ولهذا قال مالك وربيعة : (الاستواء معلوم، والكيف مجهول)، وكذلك قال ابن الماجشون، والإمام أحمد وغيرهما من السلف: إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه، وإن كنا نعلم تفسيره ومعناه،.. وكذلك الصحابة والتابعون فسروا القرآن وعلموا المراد بآيات الصفات ؛ كما علموا المراد من آيات الأمر والنهي، وإن لم يعلموا الكيفية كما علموا معاني ما أخبر الله به في الجنة والنار، وإن لم يعلموا حقيقة كنهه وكيفيته، فمن قال من السلف: إن تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله بهذا المعنى، فهو حق، وأما من قال: إن التأويل الذي هو تفسيره وبيان المراد منه لا يعلمه إلا الله، فهذا غلط، والصحابة والتابعون وجمهور الأمة على خلافه +[1].

---

(1) الصواعق المرسلة (3/ 923).

للاستزادة، ينظر: مجموع الفتاوى (4/ 67-70)، (5/ 34-42)، (13/ 294-313)، (17/ 358)، التدمرية (ص 89 وما بعدها)، الصواعق المرسلة (1/ 157 وما بعدها)، موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة (1/ 413-420)، مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات، د. أحمد القاضي (ص 298-312)، كتاب مناهل العرفان (دراسة وتقويم) (2/ 499-520)، جناية التأويل الفاسد (ص139-161)، الإمام ابن تيمية وقضية التأويل، د. محمد السيد الجلنيد (ص65-93).

المبحث الثاني

التأويل

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: اشتقاق التأويل.
- المطلب الثاني: معاني التأويل اصطلاحاً.
- المطلب الثالث: شروط التأويل الصحيح.

المطلب الأول
اشتقاق التأويل

قال شيخ الإسلام:

التأويل مصدر أوله يؤوله تأويلا، مثل حول تحويلا، وعول تعويلا. وأول يؤول تعديتي آل يؤول أَوْلاً مثل حال يحول حَوْلاً. وقولهم: آل يؤول، أي: عاد إلى كذا ورجع إليه، ومنه [المآل] وهو ما يؤول إليه الشيء ويشاركه في الاشتقاق الأكبر [الموئل]، فإنه من وأل وهذا من أول. والموئل المرجع، قال تعالى: ژ ۈ ۇ ۆ ۆ ۅ ۅ ژ[1] ..... يؤول إليه؛ ولهذا لا يستعمل إلا في عظيم، بحيث يكون المضاف إليه أعظم من المضاف يصلح أن يؤول إليه الآل، كآل إبراهيم وآل لوط وآل فرعون، بخلاف الأهل.....فالتأويل: هو ما أول إليه الكلام أو يؤول إليه، أو تأول هو إليه. والكلام إنما يرجع ويعود ويستقر ويؤول ويؤوَّل إلى حقيقته التي هي عين المقصود به.....[2].

الدراسة:

لمعرفة اشتقاق التأويل، ومعناه في أصل اللغة، أثر كبير في تقرير كثير من مسائل العقيدة والتفسير المرتبطة بمعنى التأويل.... بين شيخ الإسلام أن التأويل مصدر من باب التفعيل، تقول: = أوَّل يؤَوِّل تأويلاً، وأصله من الأوْل، وهو الرجوع. هو ما أول إليه الكلام أو يؤول إليه، أو تأول هو إليه. والكلام إنما يرجع ويعود، ويستقر، ويؤول، ويؤوَّل إلى حقيقته، وما ذكره الشيخ موافق لما ذكره أهل اللغة.

قال ابن فارس:

=أوْل: الهمزة والواو واللام، أصلان: ابتداء الأمر وانتهاؤه، أما الأوّل

---

(1) سورة الكهف، الآية: 58.

(2) مجموع الفتاوى (13 / 292 – 294).

فالأوّل وهو مبتدأ الشيء، والمؤنثة الأولى، والأصل الثاني: قال الخليل: الأيّل الذكر من الوعول، والجمع أيائل، وإنما سمي أيلاً ؛ لأنه يؤول إلى الجبل يتحصن+[1].

وبتأمل هذين الأصلين نجد أنهما متقاربان جدّاً، ويشتركان في معنى الرجوع الذي نص عليه أهل اللغة، فالأول من الأشياء يرجع إليه ما بعده مما تأخر عنه.

وقال الراغب:

=التأويل من الأول أي الرجوع إلى الأصل، ومنه الموئل للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه علماً كان أو فعلاً، ففي العلم، نحو – قوله تعالى –: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ [2]، وفي الفعل – قوله تعالى –: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ ﴾[3]، أي بيانه الذي هو غايته المقصودة منه+ [4].

ويأتي في اللغة بمعنى التفسير، وهو غير بعيد عن الأصل الذي هو الرجوع، لأن تفسير الكلام رجوع به إلى مراد المتكلم.

قال أبو عبيدة:

=التأويل: التفسير والمرجع مصيره، قال الأعشى (ت نيف وثمانين):

على أنـها كانت تأوّل حُبِّها تأولُ رِبْعيّ السِقاب فأصحبا[5]

قوله: تأول حبها: تفسيره ومرجعه+[6].

---

(1) معجم مقاييس اللغة، مادة (أول) (ص81).

(2) سورة آل عمران: 7.

(3) سورة الأعراف: 53.

(4) المفردات (ص40).

(5) تأول: تفسر، الربعي: هو ولد الناقة ينتج في الربيع، السقاب: جمع سقب وهو ولد الناقة ساعة يولد، أصحب: صار له كالصاحب. [ينظر: شرح ديوان الأعشى لإبراهيم جزيني (ص10)].

(6) مجاز القرآن لأبي عبيدة (1/ 86).

وقال ابن جرير: =وأما معنى التأويل في كلام العرب فإنه التفسير والمرجع والمصير+[1].

ويتبين مما سبق أن التأويل في اللغة يدور حول معنى الرجوع، فتأويل الكلام هو الرجوع به إلى مراد المتكلم، وهو على قسمين:

أحدهما: بيان مراد المتكلم، وهذا هو التفسير.

الثاني: العاقبة والمرجع والمصير الذي يؤول إليه الكلام، أي ظهور المتكلَّم به إلى الواقع المحسوس، فإن كان خبراً، كان تأويله وقوع المخبَر به، وإذا كان طلباً، كان تأويله أن يفعل هذا الطلب.

وهذان المعنيان هما الواردان في القرآن والسنة وتفسير السلف واللغة[2].

***

المطلب الثاني
معاني التأويل اصطلاحاً.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

---

(1) تفسير الطبري (5/ 222).

(2) ينظر: المفردات للراغب (ص40)، الإمام ابن تيمية وقضية التأويل، د. محمد السيد الجلنيد (ص36)، مفهوم التفسير والتأويل، د. مساعد الطيار (ص91).

=وأما التأويل في لفظ السلف، فله معنيان:

أحدهما: تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أو خالفه، فيكون التأويل والتفسير عند هؤلاء متقارباً أو مترادفاً، وهذا – والله أعلم – هو الذي عناه مجاهد أن العلماء يعلمون تأويله، ومحمد بن جرير الطبري يقول في =تفسيره+: القول في تأويل قوله كذا وكذا، واختلف أهل التأويل في هذه الآية ونحو ذلك، ومراده التفسير.

والمعنى الثاني في لفظ السلف: هو نفس المراد بالكلام، فإن الكلام إن كان طلباً كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبراً كان تأويله نفس الشيء المخبر به+[1].

وقال رحمه الله:

وقد كتبت كلام أحمد بألفاظه – كما ذكره الخلال [2] في كتاب (السنة) وكما ذكره من نقل كلام أحمد بإسناده في الكتب المصنفة في ذلك في غير هذا الموضع [3].

وبين أن لفظ التأويل في الآية إنما أريد به التأويل في لغة القرآن، كقوله تعالى: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﴾[4].

وعن ابن عباس في قوله: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﴾ تصديق ما وعد في القرآن[5].

---

(1) الإكليل في المتشابه والتأويل، ضمن مجموع الفتاوى (13/ 288).

(2) هو: أحمد بن محمد بن هارون، أبو بكر البغدادي الحنبلي المشهور بالخلال، فقيه محدث، سمع عن تلاميذ الإمام أحمد وأبنائه، وعُني بأقواله ومسائله، ورحل في سبيل ذلك حتى صار إماماً في مذهب الإمام أحمد، له من التصانيف: =السنة+، =الجامع+ وغيرهما. توفي سنة (311هـ).
ينظر: طبقات الحنابلة (1/ 12 – 15)، تذكرة الحفاظ (3/ 785 – 786)، المنهج الأحمد (2/ 5–7).

(3) لعله في درء التعارض (1/ 18، 221 – 222).

(4) سورة الأعراف، الآية: 53.

(5) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (3/ 310) عن ابن عباس قال: =تصديق ما وعدوا في القرآن+.

وعن قتادة: ژ ﮋ ژ =ثوابه+[1].

وعن مجاهد: =جزاء+[2].....

وقال يوسف الصديق - عليه السلام -: ژ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ژ[3] فجعل نفس سجود أبويه له تأويل رؤياه.

وقال قبل هذا: ژ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ژ[4] أي قبل أن يأتيكما التأويل.

والمعنى: لا يأتيكما طعام ترزقانه في المنام، لما قال أحدهما: ژ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ژ[5]. ژ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ژ في اليقظة ژ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ژ التأويل. هذا قول أكثر المفسرين[6]، وهو الصواب.

.....فطلبا منه تأويل ما رأياه، وأخبرهما بتأويل ذلك، ولم يكن تأويل الطعام في اليقظة، ولا في القرآن أنه أخبرهما بما يرزقانه في اليقظة، فكيف يقول قولاً عاماً ژ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ژ وهذا الإخبار العام لا يقدر عليه إلا الله، والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يخبرون ببعض ذلك، لا يخبرون بكل هذا.....

فهذا لفظ التأويل في مواضع متعددة كلها بمعنى واحد.

---

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (3/ 203) عن قتادة بلفظه.

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (8/ 203)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم رقم الأثر (8561)، (5/ 1494)، وذكره البغوي في معالم التنزيل (بهامش تفسير الخازن) (2/ 236)، والسيوطي في الدر المنثور (3/ 168)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ كلهم عن مجاهد بلفظه.

(3) سورة يوسف، الآية: 100.

(4) سورة يوسف، الآية: 37.

(5) سورة يوسف، الآية: 36.

(6) ينظر: الطبري في جامع البيان (12/ 217)، والبغوي في معالم التنزيل (بهامش تفسير الخازن) (3/ 283)، وابن الجوزي في زاد المسير (4/ 224).

وقال تعالى: ﴿ ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ﴾[1].

قال مجاهد وقتادة: جزاءً وثواباً [2].

وقال السدي وابن زيد وابن قتيبة والزجاج: عاقبة [3].

وعن ابن زيد أيضاً: تصديقاً [4]. كقوله: ﴿ گ گ گ گ ﴾[5]. وكل هذه الأقوال صحيحة، والمعنى واحد، وهذا تفسير السلف أجمعين، ومنه قوله تعالى: ﴿ ڑ ڑ ک ک ک ک ﴾[6].

فلما ذكر له ما ذكر قال: ﴿ ئى ئى ئى ی ی ی ی ﴾[7]. وهذا تأويل فعل ليس هو تأويل قول، والمراد به عاقبة هذه الأفعال بما يؤول إليه ما فعلته، من مصلحة أهل السفينة، ومصلحة أبوي الغلام، ومصلحة أهل الجدار.....

ولما كان هذا معنى التأويل عند مجاهد[8]، وهو إمام التفسير، جعل الوقف على قوله:

---

(1) سورة النساء، الآية: 59.

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (5/ 151 – 152)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (2/ 117) كلاهما عن مجاهد وقتادة بلفظه.

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (5/ 152) عن السدي وابن زيد، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (2/ 117 – 118) عن السدي وابن زيد وابن قتيبة والزجاج كلاهما بلفظه.

(4) أخرجه الطبري في المصدر السابق (5/ 153)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (2/ 118) كلاهما عن ابن زيد بلفظه.

(5) سورة يوسف، الآية: 100.

(6) سورة الكهف، الآية: 78.

(7) سورة الكهف، الآية: 82.

(8) أخرج هذا المعنى الطبري في جامع البيان (3/ 183)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (1/ 354) كلاهما عن مجاهد.

ژ ۆ ۈ ۇ ژ[1]. فإن الراسخين في العلم يعلمون تفسيره، وهذا القول اختيار ابن قتيبة[2] وغيره من أهل السنة. وكان ابن قتيبة يميل إلى مذهب أحمد و إسحاق [3]، وقد بسط الكلام على ذلك في كتابه في المشكل[4] وغيره.

وأما متأخرو المفسرين، كالثعلبي، فيفرقون بين التفسير والتأويل، قال: فمعنى التفسير هو التنوير، وكشف المغلق من المراد بلفظه، والتأويل: صرف الآية إلى معنى تحتمله، يوافق ما قبلها وما بعدها، وتكلم في الفرق بينهما بكلام ليس هذا موضعه، إلا أن التأويل الذي ذكره هو المعنى الثالث المتأخر، وأبو الفرج ابن الجوزي يقول: اختلف العلماء هل التفسير والتأويل بمعنى واحد[5]؟ أم يختلفان؟ فذهب قوم يميلون إلى العربية إلى أنهما بمعنى واحد، وهذا قول جمهور المفسرين المتقدمين، وذهب قوم يميلون إلى الفقه إلى اختلافهما، فقالوا: التفسير: إخراج الشيء من مقام الخفاء إلى مقام التجلي، والتأويل: نقل الكلام عن وضعه إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ، فهو مأخوذ من قولك: آل الشيء إلى كذا، أي صار إليه[6].

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 7.

(2) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (1/ 354) عن ابن قتيبة.

(3) هو: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد، أبو يعقوب التميمي الحنظلي المروزي، المعروف بابن راهويه، ولد سنة (161هـ)، عالم خراسان في عصره، اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد، طاف البلاد لجمع الحديث. توفي سنة (238هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (6/ 345 - 355)، تذكرة الحفاظ (1/ 2/ 433 - 435)، ميزان الاعتدال (1/ 182 - 183).

(4) ينظر: تأويل مشكل القرآن (المقدمة) ص (76، 77، 80، 82).

(5) في زاد المسير: هل التفسير والتأويل بمعنى؟

(6) ينظر: زاد المسير (1/ 4).

فهؤلاء لا يذكرون للتأويل إلا المعنى الأول [1] والثاني[2]، وأما التأويل في لغة القرآن فلا يذكرونه، وقد عُرف أن التأويل في القرآن هو الموجود الذي يؤول إليه الكلام، وإن كان ذلك موافقاً للمعنى الذي يظهر من اللفظ، بل لا يُعرف في القرآن لفظ التأويل مخالفاً لما يدل عليه اللفظ، خلاف اصطلاح المتأخرين.

وقال رحمه الله:

=وتجد هؤلاء حائرين في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[3]، حيث ظنوا أن المراد بالتأويل صرف النصوص عن مقتضاها..، وسبب هذا الاضطراب أن لفظ التأويل في هؤلاء المتنازعين ليس معناه معنى التأويل في التنزيل، بل ولا في عرف المتقدمين من مفسري القرآن، فإن أولئك كان لفظ التأويل عندهم بمعنى التفسير، ومثل هذا التأويل يعلمه من يعلم تفسير القرآن...، وأما لفظ التأويل في التنزيل فمعناه: الحقيقة التي يؤول إليها الخطاب، وهي نفس الحقائق التي أخبر الله عنها، وأما التأويل بمعنى: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، كتأويل من تأول: استوى، بمعنى: استولى، ونحوه، فهذا – عند السلف والأئمة – باطل لا حقيقة له، بل هو من باب تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في أسماء الله وآياته+[4].

الدراسة:

قرر شيخ الإسلام أن لفظ =التأويل+ يطلق في اصطلاح السلف على

---

(1) التفسير.

(2) وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به.

(3) سورة آل عمران: 7.

(4) درء تعارض العقل والنقل (5/ 380).

معنين:

أحدهما: تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أو خالفه، فيكون التأويل والتفسير متقاربين أو مترادفين.

والمعنى الثاني: هو نفس المراد بالكلام، فإن الكلام إن كان طلباً كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبراً كان تأويله نفس الشيء المخبر به. فالتأويل هنا حقيقة الشيء وما يؤل إليه.

وهما المعنيان السابقان في اللغة العربية.

و أورد شيخ الإسلام شواهد كثيرة من القرآن والسنة والآثار على إطلاق التأويل على هذين المعنيين.

فمن الشواهد على مجيء التأويل بمعنى التفسير:

1 ـ قوله ﷺ في ابن عباس : =**اللهم فقه في الدين، وعلمه التأويل** +[1]، أي التفسير[2].

2 ـ قول جابر بن عبدالله ﷺ في حجة النبي ﷺ: =ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله وما عمل به من شيء عملنا به+[3].

قال ابن القيم:

=فعلمه صلوات الله وسلامه عليه بتأويله هو علمه بتفسيره وما يدل عليه،

---

(1) أخرجه الإمام أحمد ، مسند عبد الله بن عباس، ص 206، ح(2397)، وصححه أحمد شاكر، وفي تحقيق المسند (4/ 225): " إسناده قوي على شرط مسلم "، وأخرجه ابن حبان في باب ذكر وصف الفقه والحكمة اللذين دعا المصطفى ﷺ لابن عباس بهما ح (7055) (15/ 531)، والحاكم في معرفة الصحابة، باب ذكر عبدالله بن عباس ح (6280) (3/ 615)، وقال: " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي.

(2) ينظر: تهذيب الآثار للطبري (1/ 183).

(3) أخرجه مسلم في الحج، باب حجة النبي ﷺ ح (2950) (ص880).

وعمله به هو تأويل ما أمر به ونهى عنه+[1].

ونصوص العلماء المتقدمين في إطلاق التأويل على هذا المعنى كثيرة جداً، وأشهر من عرف عنه هذا الإطلاق ابن جرير الطبري في كتابه =جامع البيان عن تأويل آي القرآن +، وكان يصدر تفسيره للآي بقوله: =القول في تأويل قوله تعالى+، ويسمي أهل التفسير بأهل التأويل.

وقد ذكر شيخ الإسلام جملة من الشواهد على مجيء التأويل بمعنى العاقبة والحقيقة التي يؤول إليها الكلام:

1 ـ قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[3]، فالتأويل هنا بمعنى العاقبة[4]، بل قرر شيخ الإسلام في مواضع كثيرة من كتبه أن التأويل في القرآن لم يأت إلا بمعنى الحقيقة والمآل[5].

2 ـ قول عائشة رضي الله عنها: =كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، يتأول القرآن+[6].

---

(1) الصواعق المرسلة (1/ 181).

(2) سورة النساء: 59.

(3) سورة الإسراء: 35.

(4) ينظر: تفسير الطبري (7/ 187)، (14/ 592)، تفسير البغوي (2/ 242) (5/ 92).

(5) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (5/ 234)، مجموع الفتاوى (5/ 36) (13/ 290).

(6) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة " إذا جاء نصر الله "، في باب منه ح (4968) (ص431)، ومسلم في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود ح (1085) (ص754).

قال ابن حجر : =يتأول القرآن، أي يجعل ما أمر به من التسبيح والتحميد والاستغفار في أشرف الأوقات والأحوال+[1].

3 ـ عن سعيد بن جبير، عن ابن عمر: =أنه كان يصلي حيث توجهت راحلته، ويذكر أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك، ويتأول هذه الآية ﴿ **فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ** ﴾[2]+ [3].

وبهذا يتبين أن إطلاق التأويل في اصطلاح السلف على المعنيين السابقين متوافق مع آي الكتاب والسنة، وما جاء في لغة العرب.

وبين أن التأويل بهذين المعنين هو الذي كان عليه سلف الأمة من الفقهاء والمفسرين واللغويين[4]، لم يرد عنهم غير هذين المعنيين، حتى ظهر اصطلاح ثالث حادث لا أصل له في كتب اللغة المتقدمة، ولم يستعمل في عصر السلف.

وهو: صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى مرجوح لقرينة تدل عليه [5] وكان هذا الاصطلاح سبباً لوجود الاضطراب، والخلط والتشويش،وسوء الفهم لمقاصد

---

(1) فتح الباري (8/ 734).

(2) سورة البقرة: 115 .

(3) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر حيث توجهت ، ص277، ح(700)، والطبري في تفسيره (2/ 453) واللفظ له.

(4) أما ما جاء عن بعض اللغويين كابن الأثير وابن منظور وغيرهما، من أن التأويل هو صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، فهو قد دخل إلى معاجم اللغة المتأخرة نقلاً عن الأصوليين، لا عن كلام العرب الذي يحتج به، ويدل على هذا أن معاجم اللغة المتقدمة، كتهذيب اللغة للأزهري، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، وغيرهما لم تشر إلى هذا المعنى الذي ذكره الأصوليون لا من قريب ولا من بعيد. [ينظر: الإمام ابن تيمية وقضية التأويل (ص38)].

(5) ينظر روضة الناظر (2/ 563).

النصوص[1]. فحصل بسببه تحريف للكلم عن مواضعه، وإلحاد في أسماء الله وآياته.

وبين الشيخ أن هذا الاصطلاح الحادث لا يمكن الحكم عليه إجمالاً، بل لا بد من عرضه على الكتاب والسنة، ومفهوم السلف الصالح، فما وافقها فهو مقبول، وما خالفها فهو مردود.

قال ابن القيم:

=وبالجملة فالتأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة ويطابقها هو التأويل الصحيح، والتأويل الذي يخالف ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة هو التأويل الفاسد+[2].

***

(1) ينظر: درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام (5/ 380-382).

(2) الصواعق المرسلة (1/ 187).

المطلب الثالث
شروط التأويل الصحيح[1]

قال شيخ الإسلام:

ويجوز باتفاق المسلمين أن تفسر إحدى الآيتين بظاهر الأخرى، وبصرف الكلام عن ظاهره ؛ إذ لا محذور في ذلك عند أحد من أهل السنة، وإن سمي تأويلاً وصرفاً عن الظاهر فذلك لدلالة القرآن عليه، ولموافقة السنة والسلف عليه ؛ لأنه تفسير للقرآن بالقرآن، ليس تفسيراً له بالرأي، والمحذور إنما هو صرف القرآن عن فحواه بغير دلالة من الله ورسوله والسابقين [2].

وقال رحمه الله

إذا وصف الله نفسه بصفة، أو وصفه بها رسوله، أو وصفه بها المؤمنون الذين اتفق المسلمون على هدايتهم ودرايتهم فصرفها عن ظاهرها اللائق بجلال الله سبحانه وحقيقتها المفهومة منها إلى باطن يخالف الظاهر، ومجاز ينافى الحقيقة، لابد فيه من أربعة أشياء:

أحدها: أن ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازي؛ لأن الكتاب والسنة وكلام السلف جاء باللسان العربي، ولا يجوز أن يراد بشيء منه خلاف لسان العرب، أو خلاف الألسنة كلها، فلابد أن يكون ذلك المعنى المجازي ما يراد به اللفظ، وإلا فيمكن كل مبطل أن يفسر أي لفظ بأي معنى سنح له، وإن لم يكن له أصل في اللغة.

الثاني: أن يكون معه دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه، وإلا فإذا كان يستعمل في معنى بطريق الحقيقة، وفي معنى بطريق المجاز، لم يجز حمله على

---

(1) المراد بالتأويل هنا: صرف اللفظ عن ظاهره لقرينة صارفة وليس المعنيان اللذان قد تقدما وهما المعروفان في كلام السلف ولغة العرب.

(2) مجموع الفتاوى (6/ 21).

المجازيّ بغير دليل يوجب الصرف بإجماع العقلاء، ثم إن ادعى وجوب صرفه عن الحقيقة، فلابد له من دليل قاطع عقلي أو سمعي يوجب الصرف. وإن ادعى ظهور صرفه عن الحقيقة فلابد من دليل مرجح للحمل على المجاز.

الثالث: أنه لابد من أن يسلم ذلك الدليل الصارف عن معارض، وإلا فإذا قام دليل قرآني أو إيماني يبين أن الحقيقة مرادة امتنع تركها، ثم إن كان هذا الدليل نصًا قاطعًا لم يلتفت إلى نقيضه، وإن كان ظاهرًا فلابد من الترجيح.

الرابع: أن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بكلام وأراد به خلاف ظاهره وضد حقيقته،فلابد أن يبين للأمة أنه لم يرد حقيقته، وأنه أراد مجازه، سواء عينه أو لم يعينه، لا سيما في الخطاب العلمي الذي أريد منهم فيه الاعتقاد والعلم، دون عمل الجوارح، فإنه سبحانه وتعالى جعل القرآن نورًا وهدى، وبيانًا للناس، وشفاء لما في الصدور، وأرسل الرسل ليبين للناس ما نزل إليهم، وليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

ثم هذا الرسول الأمي العربي بعث بأفصح اللغات وأبين الألسنة والعبارات، ثم الأمة الذين أخذوا عنه كانوا أعمق الناس علمًا، وأنصحهم للأمة، وأبينهم للسنة، فلا يجوز أن يتكلم هو وهؤلاء بكلام يريدون به خلاف ظاهره إلا وقد نصب دليلاً يمنع من حمله على ظاهره، إما أن يكون عقليًا ظاهرًا، مثل قوله: ﮋ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﮊ[1] ، فإن كل أحد يعلم بعقله أن المراد: أوتيت من جنس ما يؤتاه مثلها، وكذلك: ﮋ ﭒ ﭓ ﭔ ﮊ[2] يعلم المستمع: أن الخالق لا يدخل في هذا العموم، أو سمعيًا ظاهرًا، مثل الدلالات في الكتاب والسنة التي تصرف بعض الظواهر.

---

(1) سورة النمل، الآية: 23.

(2) سورة الأنعام، الآية: 102.

ولا يجوز أن يحيلهم على دليل خفي، لا يستنبطه إلا أفراد الناس، سواء كان سمعيًا أو عقليًا؛ لأنه إذا تكلم بالكلام الذي يفهم منه معنى وأعاده مرات كثيرة، وخاطب به الخلق كلهم وفيهم الذكي والبليد، والفقيه وغير الفقيه، وقد أوجب عليهم أن يتدبروا ذلك الخطاب ويعقلوه، ويتفكروا فيه ويعتقدوا موجبه، ثم أوجب ألا يعتقدوا بهذا الخطاب شيئًا من ظاهره؛ لأن هناك دليلاً خفيًا يستنبطه أفراد الناس يدل على أنه لم يرد ظاهره،كان هذا تدليسًا وتلبيسًا، وكان نقيض البيان وضد الهدى،وهو بالألغاز والأحاجي أشبه منه بالهدى والبيان. فكيف إذا كانت دلالة ذلك الخطاب على ظاهره، أقوى بدرجات كثيرة من دلالة ذلك الدليل الخفي على أن الظاهر غير مراد؟! أم كيف إذا كان ذلك الخفي شبهة ليس لها حقيقة!؟ [1].

الدراسة:

تمهيد:

من معاني التأويل: صرف اللفظ عن ظاهره لقرينة صارفة، وهو معنى حادث اخترعه الأصوليون والمتكلمون.

وتقدم ذكر الإشارة من كلام الشيخ أن التأويل على اصطلاح الأصوليين لا يمكن الحكم عليه إجمالاً، بل لا بد من عرضه على نصوص الكتاب والسنة، ومفهوم السلف الصالح، فإن وافقها فهو صحيح مقبول، ويكون بمعنى التفسير والبيان، وهذا متفق على قبوله عند السلف[2].

وقرر شيخ الإسلام هنا أنه يجوز باتفاق المسلمين أن تفسر إحدى الآيتين بظاهر الأخرى ولو بصرف الكلام عن ظاهره ؛ إذ لا محذور في ذلك عند أحد من أهل السنة، وإن سمي تأويلاً وصرفاً عن الظاهر فذلك لدلالة القرآن عليه،وذلك

---

(1) مجموع الفتاوى (6 / 360 - 362).

(2) ينظر: مطلب =معاني التأويل+ (ص370).

مشروط بموافقة الكتاب والسنة والسلف عليه وعدم مخالفتها ؛ لأنه تفسير للقرآن بالقرآن، ليس تفسيراً له بالرأي، والمحذور إنما هو صرف القرآن عن فحواه بغير دلالة من الله ورسوله والسابقين.

ثم ذكر الشيخ أربعة شروط للتأويل هذا حتى يكون مقبولاً وهي:

1 - أن يكون ذلك اللفظ مستعملاً لغة على المعنى المؤول إليه ؛ لأن الكتاب والسنة وكلام السلف جاء باللسان العربي، ولا يجوز أن يراد بشيء منه خلاف لسان العرب، أو خلاف الألسنة كلها ؛ وإلا فيمكن كل مبطل أن يفسر أي لفظ بأي معنى سنح له، وإن لم يكن له أصل في اللغة

وقال الشوكاني في اشتراط هذا الشرط:

=أن يكون موافقاً لوضع اللغة، أو عرف الاستعمال، أو عادة صاحب الشرع، وكل تأويل خرج عن هذا فليس بصحيح+[1].

ولا تكفي الموافقة فقط، بل لا بد من دلالة التركيب والسياق على ذلك التأويل واحتماله له، لأن اللفظ الواحد قد يتغير معناه باختلاف سياق الكلام ؛ لذلك لا يجوز تفسير اللفظ بمعنى يحتمله في أصل اللغة دون نظر إلى موقعه من الكلام في سياقه وتركيبه.

قال ابن القيم :

=فإن اللفظ قد لا يحتمل ذلك المعنى لغة، وإن احتمله فقد لا يحتمله في ذلك التركيب الخاص، وكثير من المتأولين لا يبالي إذا تهيأ له حمل اللفظ على ذلك المعنى بأي طريق أمكنه أن يدعي حمله عليه...، وأنت إذا تأملت تأويلاتهم رأيت كثيراً منها لا يحتمله اللفظ في اللغة التي وقع بها التخاطب، وإن احتمله لم يحتمله في ذلك

---

(1) إرشاد الفحول (2/ 759).

التركيب الذي تأوله، وليس لأحد أن يحمل كلام الله ورسوله على كل ما ساغ في اللغة أو الاصطلاح لبعض الشعراء أو الخطباء أو الكتاب أو العامة، إلا إذا كان غير مخالف لما علم من وصف الرب تعالى شأنه، وما تضافرت به صفاته لنفسه، وصفات رسوله له، وكانت إرادة ذلك المعنى بذلك اللفظ مما يجوز ويصلح نسبتها إلى الله ورسوله+[1].

ثم مثّل رحمه الله لما لم يحتمله اللفظ من الحيثية اللغوية، ولا من الحيثية التركيبية، بتأويلهم قوله تعالى: ﴿ **خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ** ﴾ [2] باستولى، وبيّن أن هذا لا تعرفه العرب من لغاتها، ولم يقله أحد من أئمة اللغة المتقدمين، ولو فرض احتماله ذلك لغة لم يحتمله في هذا التركيب ؛ لأن استيلاءه سبحانه وتعالى وغلبته للعرش لم يتأخر عن خلق السموات والأرض، فالعرش مخلوق قبل خلقها بأكثر من خمسين ألف سنة، كما ثبت ذلك في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء**) [3].

2 _ أن يكون معه دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى المعنى المؤول إليه، وإلا فإذا كان يستعمل في معنى بطريق الحقيقة، وفي معنى بطريق التأويل، لم يجز حمله على التأويل بغير دليل يوجب الصرف بإجماع العقلاء،

وقال شيخ الإسلام في موضع آخر:

=والمتأول عليه وظيفتان: بيان احتمال اللفظ للمعنى الذي ادّعاه، وبيان

---

(1) الصواعق المرسلة (1/ 289).

(2) سورة يونس: 3.

(3) أخرجه مسلم في القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ح (6748) (ص1140).

الدليل الموجب للصرف إليه عن المعنى الظاهر+[1].

وقال ابن القيم:

=فمن عرف مراد المتكلم بدليل من الأدلة وجب اتباع مراده، والألفاظ لم تقصد لذواتها، وإنما هي أدلة يستدل بها على مراد المتكلم، فإذا ظهر مراده ووضح بأي طريق كان، عمل بمقتضاه+[2].

ويقول الطوفي مبيناً المقصود من اشتراط دليل التأويل:

=فالغرض من دليل التأويل أن يكون بحيث إذا انضم إلى احتمال اللفظ المؤول اعتضد أحدهما بالآخر، واستوليا على الظاهر، وقدما عليه، فما كان في احتمال اللفظ من ضعف جبر باعتبار قوته في الدليل، وما كان فيه من قوة سومح بقدره من الدليل+[3].

3 – أنه لابد من أن يسلم ذلك الدليل الصارف عن معارض، وإلا فإذا قام دليل قرآني أو إيماني يبين أن الحقيقة مرادة امتنع تركها، ثم إن كان هذا الدليل نصًا قاطعًا لم يلتفت إلى نقيضه، وإن كان ظاهرًا فلابد من الترجيح.

4– أن يبين الرسول صلى الله عليه وسلم للأمة أنه لم يرد حقيقته،وإنما أراد خلاف ظاهره.

***

(1) =الإكليل+ ضمن مجموع الفتاوى (13/ 288).

(2) إعلام الموقعين (1/ 218).

(3) شرح مختصر الروضة (1/ 563).

الفصل السادس

دلالات الألفـــاظ

وفيه ستة مباحث:

- المبحث الأول: العموم والخصوص.
- المبحث الثاني: المطلق والمقيد.
- المبحث الثالث: المنطوق والمفهوم.
- المبحث الرابع: المشترك والمتواطئ.
- المبحث الخامس: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم.
- المبحث السادس: الترادف.

المبحث الأول

العموم والخصوص

وفيه خمسة مطالب:

- المطلب الأول: تعريف العام والخاص.
- المطلب الثاني: طريقة السلف في تفسير اللفظ العام.
- المطلب الثالث: صيغ العموم.
- المطلب الرابع: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.
- المطلب الخامس: المخصصات.

المطلب الأول
تعريف العام والخاص

قال شيخ الإسلام:

=فإن الكلمة العامة ليس معناها أنها تعم كل شيء، وإنما المقصود أن تعم ما دلت عليه، أي: ما وضع اللفظ له، وما من لفظ في الغالب إلا وهو أخص مما هو فوقه في العموم وأعم مما هو دونه في العموم والجميع يكون عامًا+ [1].

ويقول في تعريف الخاص، وهو: **=اللفظ الدال على واحد بعينه+** [2].

الدراسة:

تمهيد:

العام في اللغة الشامل يقال: =عم الشيء بالناس يعم عمًّا، فهو عام، إذا بلغ المواضع كلها+ [3].

ويقول ابن فارس: =ومن الجمع قولهم: عمنا هذا الأمر يعمنا عمومًا، إذا أصاب القوم أجمعين+ [4].

أما في الاصطلاح فقد عرّف الأصوليون العام بتعريفات عديدة [5]، من

---

(1) مجموع الفتاوى (6/ 445).

(2) المسودة (ص: 571)، ولم يُنسب إليه في المحققة (2/ 976).

وبنحو هذا التعريف عرّف يوسف ابن الجوزي فقال: =هو الدال على الواحد عينًا +. الإيضاح لقوانين الاصطلاح (ص 18).

(3) كتاب العين، للخليل بن أحمد (1/ 94).

(4) معجم مقاييس اللغة (4/ 18) (عم).

(5) العدة (1/ 140)، والمستصفى (3/ 212)، والإحكام للآمدي (2/ 217)، وتنقيح الفصول (ص:38)، وكشف الأسرار (1/ 94، 95)، والبحر المحيط (3/ 5، 6).

أحسنها أن العام هو: اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له [1].

فقوله: =اللفظ+ جنس يشمل العام والخاص، وغيرهما من أصناف اللفظ.

وقوله: =المستغرق لجميع ما يصلح له+ احتراز عما ليس بمستغرق لجميع ما يصلح له، =كالرجل + إذا أُريد به شخص معيَّن، فإنه ليس بعام، لأنه لم يستغرق جميع ما يصلح له، وهو سائر الرجال، وكرجل فإنه يصلح لكل واحد من الرجال ولكنه ليس عامًا لأنه لا يستغرقهم [2].

وإذا كان العام هو: اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له، فالعموم هو: تناول اللفظ لجميع ما يصلح له[3].

وقد بين الشيخ أن العام تتفاوت مراتبه في العموم لأنه ما من لفظ في الغالب إلا وهو أخص مما هو فوقه في العموم وأعم مما هو دونه في العموم والجميع يكون عامًا.

أما الخاص في اللغة هو: الفُرَج بين الأثافي، وقولهم للقمر: بدا من خصاصة السحاب، أي: من الفرج التي فيه [4]، ومنه: إفراد الشيء بشيء دون غيره، فيقال: خصصت فلاناً بشيء، أي أفردته به دون غيره، ويقال: اختصَّ فلان بالأمر، وتخصص له، إذا انفرد [5].

وأما في الاصطلاح فقد عرفه شيخ الإسلام بأنه: =اللفظ الدال على واحد

---

(1) المعتمد (1/ 203)، التمهيد لأبي الخطاب (2/ 5)، وينظر: المحصول (2/ 309).

(2) نهاية الوصول (3/ 1222)، وشرح مختصر الروضة 2(/ 456).

وينظر: ما ورد على التعريف من اعتراضات، وما أجيب به عنها، في: الإحكام للآمدي (2/ 217)، ونهاية الوصول (3/ 1223).

(3) البحر المحيط (3/ 7).

(4) المصدر السابق، الصحيفة نفسها.

(5) معجم مقاييس اللغة (2/ 153)، ولسان العرب (7/ 24) (خصص).

بعينه+[1].

وأما الخصوص فهو: =كون اللفظ متناولاً لبعض ما يصلح له، لا لجميعه+[2].

ككون قوله تعالى: ژ ڃ ڃ ڃ ژ [3] متناولاً لما عدا نساء أهل الكتاب، مع أن اللفظ يتناول وضعًا كلَّ مشركة.

وأما التخصيص فهو: بيان أن بعض مدلول اللفظ العام غير مراد بالحكم، نحو قوله تعالى: ژ ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ژ[4]، فإنه مخصص لعموم قوله تعالى: ژ ڃ ڃ ڃ ژ، ومبيَّن أن بعض مدلول المشركات غير مراد بالتحريم، وهن الكتابيات.

* * *

(1) المسود ص: 571، ولم يُنسب إليه في المحققة (2/ 976).

وبنحو هذا التعريف عرّف يوسف ابن الجوزي فقال: =هو الدال على الواحد عينًا +. الإيضاح لقوانين الاصطلاح (ص 18).

(2) البحر المحيط (3/ 240). وانظر تعريفًا آخر له في الكافية في الجدل (ص: 50).

(3) سورة البقرة، الآية: 221.

(4) سورة المائدة الآية: 5.

المطلب الثاني
طريقة السلف في تفسير اللفظ العام

قال شيخ الإسلام :

الصنف الثاني [1] : أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل، وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه، مثل سائل أعجمي سأل عن مسمى [لفظ الخبز] فأرى رغيفًا، وقيل له: هذا، فالإشارة إلى نوع هذا لا إلى هذا الرغيف وحده مثال ذلك: ما نقل في قوله: ﮋ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ [2] فمعلوم أن الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات، والمنتهك للمحرمات، والمقتصد يتناول فاعل الواجبات وتارك المحرمات، والسابق يدخل فيه من سبق فتقرب بالحسنات مع الواجبات، فالمقتصدون هم أصحاب اليمين

**ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

داخل في الآية ذكر لتعريف المستمع بتناول الآية له وتنبيهه به على نظيره، فإن التعريف بالمثال قد يسهل أكثر من التعريف بالحد المطلق، والعقل السليم يتفطن للنوع، كما يتفطن إذا أشير له إلى رغيف، فقيل له: هذا هو الخبز [1].

الدراسة:

بين الشيخ أن الصنف الثاني من أصناف اختلاف التنوع هو أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل، وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه، مثل سائل أعجمي سأل عن مسمى [لفظ الخبز] فأري رغيفًا، وقيل له: هذا، فالإشارة إلى نوع هذا لا إلى هذا الرغيف وحده، وقد ضرب مثالا لهذا الصنف بقوله تعالى : ژ **ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ** ژ[2] فالآية جاءت بأوصاف عامة تشمل المؤمنين وهم على ثلاث مراتب:

الظالم لنفسه وهو المضيع للواجبات والمنتهك للمحرمات، والمقتصد وهو الفاعل للواجبات والتارك للمحرمات دون أن يتقرب بالمندوبات بعد الواجبات، والسابق هو الذي يتقرب بالحسنات المندوبات مع الواجبات.

وهذا عام يشمل جميع أنواع الطاعات وأنواع المنهيات فمنهم من جعله في باب من أبواب الطاعات كالصلاة والزكاة، وذكر وصفا لما يقع من هذه الأصناف فيها. ففي الصلاة مثلا: الظالم لنفسه الذي يؤخر الصلاة إلى آخر وقتها والمقتصد الذي يأتي بها في أثناء وقتها، والسابق هو الذي يؤديها في أول وقتها.

والناظر لهذا التفسير تجد أنه تفسير لما يشمله لفظ الظالم لنفسه والمقتصد والسابق للخيرات.

---

(1) مجموع الفتاوى (13/ 337-338).

(2) سورة فاطر، الآية: 32.

ومن الأمثلة الموضحة لهذا الصنف ما يأتي:

1- ما وقع من الخلاف في تفسير قوله تعالى: ﴿ ۀ ہ ہ ہ ﴾ [1] فقد روي عن ابن مسعود أن المراد بالنعيم الأمن والصحة [2] وروي عن ابن عباس أن النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار [3].

وهذا الذي ذكروه إنما هو أمثلة للنعيم وليس هو كل النعيم ولهذا ورد عن بعض السلف أنه العافية وأنه بعض ما يطعمه الإنسان ويشربه [4].

2- ما ورد في قوله تعالى: ﴿ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ﴾ [5] فقد نقل في تفسيرها عن السلف أشياء على جهة التمثيل، ومن ذلك أن المراد بمعناها: كونوا أول الصف وهو مروي عن ابن مسعود، وري عن أنس بن مالك أن المراد بها اشهدوا تكبيرة الإحرام، وروي عن علي بن أبي طالب أن معناها: كن أول داخل في المسجد وآخر خارج منه [6].

3- ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ﴾ [7].

فقيل المراد من قبل الحسنات أثبطهم عنها، وقيل من قبل الدنيا، وقيل من قبل الآخرة تكذيبا بالبعث والجنة والنار [1]، وقيل إنما ذكرت هذه الوجوه للمبالغة في التوكيد أي لآتينهم من جميع الجهات الأربع التي يأتي منها العدو في الغالب، وهذا

---

(1) سورة التكاثر، الآية: 8.

(2) ينظر: تفسير ابن جرير الطبري (24/ 603- 604).

(3) ينظر: تفسير ابن جرير الطبري (24/ 604).

(4) ينظر: تفسير ابن جرير الطبري (24/ 604 - 605).

(5) سورة الحديد، الآية: 21.

(6) ينظر: المحرر الوجيز (14/ 318).

(7) سورة الأعراف، الآية: 17.

(1) ينظر: تفسير الطبري (10/ 97-98)، إغاثة اللهفان (1/ 102-104).

القول أعم فائدة ولا يناقض ما ذكر عن السلف لأن ما ذكروه إنما كان على وجه التمثيل [1].

وقد نبه الشيخ على فائدة التمثيل فقال: **=فكل قول فيه ذكر نوع داخل في الآية ذكر لتعريف المستمع بتناول الآية له وتنبيهه به على نظيره، فإن التعريف بالمثال قد يسهل أكثر من التعريف بالحد المطلق، والعقل السليم يتفطن للنوع، كما يتفطن إذا أشير له إلى رغيف، فقيل له: هذا هو الخبز+.**

***

(1) ينظر: إغاثة اللهفان (1/ 102- 104).

المطلب الثالث
صيـــــغ العمـــــوم

قال شيخ الإسلام:

=ومعرفة عموم الأسماء الموجودة في النص وخصوصها من معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله+ [1].

وقال معلقاً على قوله تعالى: -: ژ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ژ [2]: **=فقد أخبر سبحانه وتعالى بصيغة العموم أنه كلما ألقي فيها فوج سألهم الخزنة: هل جاءهم نذير؟...+** [3].

وقال أيضاً: =غاية ما يقال في قوله صلى الله عليه وسلم: (فزوروا القبور) [4] **خطاب عام، ومعلوم أن قوله صلى الله عليه وسلم: (من صلى على جنازة، فله قيراط، ومن تبعها حتى تدفن فله قيراطان)** [5]**. هو أدل على العموم من صيغة التذكير، فإن لفظ: (من) يتناول الرجال والنساء باتفاق الناس، وإن خالف فيه من لا يدري ما يقول. ولفظ (من) أبلغ صيغ العموم**[6] **+.**

وقال أيضاً: **=وقوله تعالى:** ژ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ژ [7]**، عام في الأعيان**

---

(1) مجموع الفتاوى (19/ 289)، وانظر درء تعارض العقل والنقل (7/ 342).

(2) سورة الملك، الآية: 8.

(3) مجموع الفتاوى (19/ 215)، ومنهاج السنة (5/ 100).

(4) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه، رقم (976) ص 377.

(5) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب من انتظر حتى تدفن رقم (1325) ص 258.

(6) مجموع الفتاوى (24/ 364).

(7) سورة الأنعام، الآية: 119.

والأفعال... + [1]، وقوله: =فلما تعارض العموم الحاظر، وهو قول الله تعالى: ژ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ژ [2]، والعموم المبيح...+ [3].

وقال أيضاً: =.. فذكر الخفاف بصيغة الجمع، معرّفة بلام التعريف، وهذا يقتضي الشمول والاستغراق+ [4].

وقال أيضاً: =فإن الاسم المجموع المعرف بالألف واللام يوجب استيعاب الجنس+ [5].

وقال أيضاً: =ثم قال ژ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ژ [6]، وهذا عام كعموم قوله واحفظوا أيمانكم+ [7] [8].

وقال أيضاً: = وقال تعالى: ژ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ژ [9]، وهو الرد إلى كتاب الله، أو إلى سنة الرسول بعد موته وقوله: ژ ﭺ ﭻ ژ شرط، والفعل نكرة في سياق الشرط، فأي شيء تنازعوا فيه ردوه إلى الله والرسول، ولو لم يكن بيان الله والرسول فاصلاً للنزاع لم يؤمروا بالرد إليه+ [10].

وقال أيضاً : =قال تعالى: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ژ [11] من الحيل؛ فإنها

---

(1) مجموع الفتاوى (29/ 150).

(2) سورة البقرة، الآية: 173.

(3) اقتضاء الصراط المستقيم (2/ 561).

(4) شرح العمدة في بيان مناسك الحج والعمرة (2/ 36).

(5) مجموع الفتاوى (4/ 362).

(6) سورة المائدة، الآية: 89.

(7) سورة المائدة، الآية: 89.

(8) مجموع الفتاوى (35/ 270).

(9) سورة النساء، الآية: 59.

(10) مجموع الفتاوى (10/ 575).

(11) سورة النساء، الآية: 98.

نكرة في سياق النفي فتعم جميع أنواع الحيل +[1].

وقال أيضاً: =..ژ **ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ** ژ [2] **فهو نكرة في سياق الشرط يعم كل ما فيه ظلم الإنسان نفسه وهو إذا أشرك ثم تاب الله عليه +**[3].

الدراسة:

أشار الشيخ إلى أهمية معرفة صيغ العموم والخصوص ؛ لأثرها في فهم دلالات نصوص الكتاب والسنة، وصحة الاستدلال بها.

و يرى شيخ الإسلام – رحمه الله – أن للعموم صيغًا موضوعة له في لغة العرب، تدل بمجردها عليه، فإذا ورد شيء من هذه الصيغ في لسان الشارع أو غيره، مجرّدة من القرائن حُملت على الاستغراق، ولا تحمل على الخصوص إلا بدليل[4].

ومن الصيغ التي ذكرها شيخ الإسلام ما يأتي:

1- كل: يرى شيخ الإسلام – رحمه الله – أن لفظة =كل+ تفيد العموم نحو قوله تعالى: ژ **ڃ ڃ ڃ ڃ** ژ [5]. وقوله تعالى: ژ **ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ** ژ [6]: =فقد أخبر سبحانه وتعالى بصيغة العموم أنه كلما ألقي فيها فوج سألهم الخزنة: هل جاءهم نذير؟...+، بل هي من أبلغ ألفاظ العموم [7]، وما ذهب إليه يوافق قول

---

(1) مجموع الفتاوى (7/ 79).

(2) سورة آل عمران، الآية: 135.

(3) مجموع الفتاوى (7/ 174).

(4) مجموع الفتاوى (6/ 440، 441).

(5) سورة الرحمن، الآية: 26.

(6) سورة الملك، الآية:: 8.

(7) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (2/ 30).

عامة الأصوليين من مثبتي العموم [1].

2- **من**: تفيد من العموم وتتناول الرجال والنساء سواء كانت استفهامية أو شرطية أو موصولية.

كما يرى أن مَنْ تتناول الرجال والنساء [2].

وما ذهب إليه - رحمه الله - من إفادة =مَنْ+ الشرطية للعموم يوافق مذهب عامة الأصوليين، فقد نقل اتفاقهم على ذلك الزركشي وغيره [3].

كما أنه - رحمه الله - يوافق قول جمهور الأصوليين: بأن مَنْ الاستفهامية تفيد العموم، نقل ذلك عن جمهور الأصوليين الزركشي [4].

وما ذهب إليه - رحمه الله تعالى - من أن =مَنْ + تتناول الذكور والإناث يوافق قول أكثر الأصوليين، ونقل ذلك عنهم الآمدي [5]، وحكي عن بعض الحنفية نفي تناوله للإناث [6].

---

(1) المعتمد (1/ 206)، وإحكام الفصول (231)، وقواطع الأدلة ص: 272، وأصول السرخسي (1/ 157)، والمستصفى (3/ 347)، والمحصول (2/ 337)، وروضة الناظر (2/ 668)، والمسودة ص:101، وتنقيح الفصول ص: 179، ونهاية الوصول (4/ 1313)، وكشف الأسرار (2/ 16)، وتقريب الوصول ص:138، وتلقيح الفهوم ص:201، والبحر المحيط 3/ 64، وشرح الكوكب المنير (3/ 123)، وتيسير التحرير (1/ 224).

(2) ينظر: مجموع الفتاوى (6/ 430-432)، الإتقان (2/ 30).

(3) تلقيح الفهوم ص: 260، والبحر المحيط (2/ 73).

(4) ينظر: البحر المحيط 2/ 73، وينظر: المعتمد (1/ 206)، والعدة (2/ 485)، وإحكام الفصول ص:231، وشرح اللمع (1/ 306)، وقواطع الأدلة ص: 271، وبذل النظر ص: 162، والمحصول (2/ 317)، ومنتهى الوصول ص:103، ونهاية الوصول 4/ 1288، والتحرير بشرحه تيسير التحرير (1/ 197)، وإرشاد الفحول ص:204.

(5) الإحكام (2/ 288).

(6) البرهان 1/ 245، وتلقيح الفهوم ص:270، وشرح الكوكب المنير (3/ 242).

3- ما: ذكر شيخ الإسلام أن =ما + الموصولة تفيد العموم، كما في قوله تعالى: ﴿ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

ولام يفيد العموم [1].

وما ذهب إليه – رحمه الله تعالى– يوافق مذهب أكثر الأصوليين [2].

5– اسم الجنس المعرف بالألف واللام: المراد بالجنس – هنا –: =الاسم الدال على حقيقة موجودة في أشخاص كثيرة مختلفين بالشخصية لا بالحقيقة + [3]، كالإنسان والحيوان والأسد والماء، ونحوهما.

وقد اتفق على أن الألف واللام إذا كانت للعهد حُمل اللفظ على المعنى المعهود لدى المخاطب، كما في قوله تعالى: ژ ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ژ [4]، فقوله: (الرسول) محمولٌ على المعنى المعهود الذي دل عليه السياق المتقدم وهو موسى عليه السلام.

واختلف فيما إذا لم تكن الألف واللام للعهد.

ويرى شيخ الإسلام – رحمه الله–: أن اسم الجنس المحلى بالألف واللام يفيد العموم.

وما ذهب إليه شيخ الإسلام رحمه الله من أن اسم الجنس المحلى بالألف واللام يفيد العموم يوافق مذهب أكثر الأصوليين.

---

(1) المحصول (2/ 356، 357)، ونهاية الوصول (4/ 1296)، والبحر المحيط (3/ 86).

(2) نهاية الوصول (4/ 1296)، والبحر المحيط (3/ 86)، وشرح الكوكب المنير (3/ 131)، وينظر: المعتمد (1/ 240)، والعدة (2/ 484)، وإحكام الفصول ص: 231، وشرح اللمع (1/ 302)، والبرهان (1/ 230)، وأصول السرخسي (1/ 151)، والمستصفى (3/ 218، 219)، والمحصول (2/ 357)، وروضة الناظر (2/ 665)، والمسودة ص: 106، وتنقيح الفصول ص: 179، وتقريب الوصول ص:138، وتلقيح الفهوم ص: 328، والمختصر في أصول الفقه ص: 107، وفواتح الرجموت (1/ 260).

(3) تلقيح الفهوم ص:366.

(4) سورة المزمل الآيتان: 15، 16.

6- الجمع المعرف بالإضافة : يدل كلام شيخ الإسلام على: أن الجمع إذا أضيف إلى معرفة أفاد العموم نحو قوله تعالى: ژ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئي ئي ژ[1]، فإن قوله (أيمانكم) جمع معرف بالإضافة، فيعم كل يمين يحلف بها المسلمون [2].

وما ذهب إليه – رحمه الله – من أن الجمع المعرف بالإضافة يفيد العموم يوافق قول أكثر الأصوليين [3].

7- النكرة في سياق النفي: يرى شيخ الإسلام – رحمه الله تعالى – أن النكرة في سياق النفي تعم نحو قوله تعالى: ژ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ژ[4]، وقوله: ژ ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ژ [5]، وذلك لأن قوله: =حرج+ نكرة في سياق النفي فيعم كل ما يسمى حرجًا [6].

وما ذهب إليه – رحمه الله – يوافق قول أكثر الأصوليين: من أصحابه [7]،

---

(1) سورة المائدة الآية: 89.

(2) ينظر: القواعد النورانية ص: 264، 265، 266، ومجموع الفتاوى (35/ 270، 271، 272)، وينظر: الفتاوى الكبرى (1/ 155)، ومجموع الفتاوى (19/ 284).

(3) المعتمد (1/ 244)، والمستصفى (3/ 243، 244)، وبذل النظر ص: 162، والمحصول (2/ 312)، وروضة الناظر (2/ 666)، والمسودة ص: 106، والعقد المنظوم (1/ 259)، وشرح مختصر الروضة (2/ 466)، والتنقيح في أصول الفقه بشرحه التلويح مع التوضيح (1/ 96)، وبيان المختصر (2/ 113)، وتلقيح الفهوم ص: 158، وجمع الجوامع بشرح المحلى مع حاشية الآيات البينات (2/ 367)، ومفتاح الأصول ص:69، والبحر المحيط (3/ 108)، وشرح الكوكب المنير (3/ 130)، وتيسير التحرير (1/ 197)، وفواتح الرحموت (1/ 260).

(4) سورة الحج، الآية: 78.

(5) سورة المائدة، الآية: 6.

(6) مجموع الفتاوى (20/ 199).

(7) روضة الناظر (2/ 684)، والمسودة ص:103، وشرح مختصر الروضة (2/ 473)، والقواعد والفوائد الأصولية ص:201، وشرح الكوكب المنير (3/ 136).

وغيرهم[1].

8- النكرة في سياق الشرط: يرى شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - أن النكرة إذا جاءت في سياق الشرط تعم، نحو قوله تعالى: ژ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ژ[2]، فإن قوله: =من قول+ نكرة في سياق الشرط فتعم كلّ قول[3].

وممن صرّح بعموم النكرة في سياق الشرط: أبو المعالي الجويني[4]، والغزالي في المنخول[5]، وغيرهم[6].

(1) ينظر: الإتقان (2/ 30)، المعتمد (1/ 207)، وإحكام الفصول ص: 231، وشرح اللمع (1/ 335)، والبرهان (1/ 232)، وأصول فخر الإسلام بشرحه كشف الأسرار (2/ 25)،، وقواطع الأدلة ص:272، والمستصفى (3/ 219)، والمحصول (2/ 343)، ونهاية الوصول (4/ 1319)، وكشف الأسرار (2/ 24، 25)، والتنقيح في أصول الفقه بشرحي التوضيح والتلويح (1/ 98)،، والإبهاج (2/ 103، 104)، وفواتح الرحموت (1/ 260).

(2) سورة ق، الآية: 18.

(3) مجموع الفتاوى (7/ 49).

(4) البرهان (1/ 232)، وينظر: الإبهاج (2/ 106)، والقواعد والفوائد الأصولية ص:204.

(5) المنخول ص: 146.

(6) تلقيح الفهوم 408، والبحر المحيط (3/ 117)، والقواعد والفوائد الأصولية ص:204.

المطلب الرابع
العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

قال شيخ الإسلام:

=والناس وإن تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب، هل يختص بسببه أم لا؟، فلم يقل أحد من علماء المسلمين: إن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعيّن، وإنما غاية ما يقال: إنها تختص بنوع ذلك الشخص، فيعم ما يشبهه، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ+ [1].

ويقول أيضاً: **=وإن كان من أسباب نزول الآيات ما كان موجوداً في العرب فليس شيء من الآيات مختصاً بالسبب المعيّن الذي نزل فيه باتفاق المسلمين، وإنما تنازعوا: هل يختص بنوع السبب المسؤول عنه؟ وأما بعين السبب فلم يقل أحد من المسلمين: إن آيات الطلاق، أو الظهار، أو اللعان، أو حد السرقة والمحاربين، وغير ذلك، يختص بالشخص المعيّن الذي كان سبب نزول الآية+** [2].

ويقول: **=... ثم السبب سواء كان سؤالاً أو غيره، إما أن يكون عيناً أو نوعاً، فأما إن كان عيناً، فلا يقتصر على العين بالاتفاق، وإنما الخلاف هل يقصر على نوع العين+** [3].

الدراسة:

تمهيـــد:

لا خلاف بين العلماء أن صورة السبب مندرجة في العموم اتفافاً واختلفوا هل الحكم خاص بصورة السبب فقط أو أن الحكم شامل لها ولغيرها، مثل آية الظهار، والقذف، والمحاربة فإنها نزلت بسبب حوادث معينة، وكذلك قوله – ﷺ: **(ما كان**

---

(1) مجموع الفتاوى (13/ 339).

(2) مجموع الفتاوى (9/ 14).

(3) المسودة المحققة (1/ 275)، ولم ينسب إليه في المطبوعة ص: 132.

من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل) [1]، هل هو عام في كل شرط؟ أو هو خاص بسببه، وهو شرط الولاء لغير المعتق؟

وقد حكى شيخ الإسلام – رحمه الله تعالى – الاتفاق على أن العام الوارد على سبب ليس مختصاً بالسبب المعيّن الذي ورد عليه الخطاب العام كأعيان مَنْ نزلت فيهم آية الظهار، والقذف، والمحاربة.

وإنما النزاع في نوع السبب، هل يقصر عليه اللفظ العام؟

وخلاصة القول أن شيخ الإسلام يرى – رحمه الله تعالى – أن العبرة في العام الوارد على سبب بعموم اللفظ لا بخصوص نوع السبب.

ومع أنه – رحمه الله – يرى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص نوع السبب، إلا أنه نبه على أهمية معرفة أسباب الخطابات الشرعية، فـ =معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبّب + [2]، كما أنه =يُنتفع بالسبب في معرفة جنس الحكم تارة، وفي صفته تارة، وفي محله أخرى + [3]، ولهذا عظم خطأ كثير من المتفقهين والأصوليين والمفسرين والمتصوفة، بسبب عدم إحاطتهم بأسباب الخطابات الشرعية[4].

وما ذهب إليه شيخ الإسلام يوافق مذهب أكثر الأصوليين من أصحابه وغيرهم[5]. [6]

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب البيوع، باب إذا اشترط شروطاً في البيع لا تحل (73) برقم (2168).

(2) مجموع الفتاوى (13/ 339).

(3) المسودة المحققة (1/ 275)، ولم يُنسب إليه المطبوعة ص: 131 .

(4) المصدر السابق، الصحيفة نفسها.

(5) ينظر: إرشاد الفحول (1/ 485-486).

(6) لم أتعرض للخلاف المشهور في هذه المسألة؛ لاشتهاره، وللاستغناء بكثرة ماكتب فيه.

المطلب الخامس
المخصصات

قال شيخ الإسلام:

=إن الاستثناء بإلا ونحوهما متعلق بالأسماء لا بالكلام، والاستثناء بحروف الجزاء متعلق بالكلام... وذلك أن قوله: وقفت على أولادي إلا زيدًا، الاستثناء فيه متعلق بأولادي، وقوله: وقفت على أولادي إنْ كانوا فقراء، الشرط فيه متعلق بقوله: =وقفت+، وهو الكلام، وهو المعنى المركب...+ [1].

وقال أيضاً: **=والشرط المتعقب جملاً يعود إلى جميعها باتفاق الفقهاء، ولا عبرة في المقام بمن خالف ذلك من المتأخرين+** [2].

وقال أيضاً: **=وأما الجار والمجرور مثل أن يقول: على أنه، أو بشرط أنه، ونحو ذلك، فينبغي أن يتعلق بالجميع قولاً واحدًا، لأن هذه الأشياء متعلقة بالكلام لا بالاسم، فهي بمنزلة الشرط اللفظي+** [3].

وقال أيضاً: **=الثالث: الصفة التابعة للاسم الموصوف بها وما أشبهها...** [4]**، وعطف البيان، فهذه توابع مخصصة للأسماء المتقدمة، فهي بمنزلة الاستثناء+** [5].

وقال أيضاً -: **=فأما الصفات وعطف البيان والتوكيد والبدل، ونحو ذلك من الأسماء المخصصة فينبغي أن تكون بمنزلة الاستثناء+** [6].

الدراسة:

---

(1) مجموع الفتاوى (31/ 149).

(2) مجموع الفتاوى (31/ 148).

(3) المسودة ص:157، المسودة المحققة (1/ 331).

(4) بياض في الأصل.

(5) مجموع الفتاوى (31/ 156).

(6) المسودة ص: 157، المسودة المحققة (1/ 331).

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله جملة من المخصصات هي كالتالي :

1- **الاستثناء**: من المخصصات المتصلة الاستثناء نحو قوله تعالى: ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ژ [1] [2] ويرى شيخ الإسلام أن الاستثناء في لسان الشارع وأهل الشرع يعم الاستثناء في عرف النحاة، وهو ما كان بإلا ونحوها، وغيره من الألفاظ التي تقتضي رفع بعض ما يوجبه الكلام المتقدم، أو تقيد مقتضاه.

ولهذا كان قول القائل: له هذه الدار ولي منها هذا البيت، وأكرم بني تميم إن جاءوا، وسأعطيك إن شاء الله، من قبيل الاستثناء عنده.

2- **الشرط**: يرى شيخ الإسلام – رحمه الله تعالى – أن الشرط المذكور عقيب جمل معطوف بعضها على بعض، يرجع إلى جميع الجمل المتقدمة، ولا يختص بالجملة الأخيرة أو بغيرها إلا بدليل.

وألحق – رحمه الله – بالشروط اللغوية وهي صيغ التعاليق المعروفة [3]، ما كان في معناها، كأن يقال: وشرط ذلك كذا، أو بشرط أن يفعلوا، أو على أنه...، ونحو ذلك، فيتعلّق بجميع الجمل المتقدمة.

3- **الصفة**: من المخصصات المتصلة الصفة نحو قوله تعالى: ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ژ [4][5] و قد أكد الشيخ إفادة الصفة للتخصيص في مواضع كثيرة .

وجعل – رحمه الله – هذه المخصصات المذكورة في منزلة الاستثناء بإلا في

---

(1) سورة القصص، الآية: 88.

(2) انظر الإتقان (2/ 32).

(3) كـ: إذا، وإنْ، وغيرها. وينظر: مغني اللبيب ص:33، 127، 431.

(4) سورة النساء، الآية: 23.

(5) ينظر: الإتقان 2/ 32

عوده إلى الجمل المتقدمة، وذلك لأنها تتعلق بالاسم المتقدم لا بالجملة، كما هو الأمر في الاستثناء. فإنه إذا قيل: أكرم الطلاب إلا زيدًا، تعلق الاستثناء بالاسم، وهو الطلاب، ولم يتعلق بالجملة وهو في: =أكرم +. وكذا في عطف البيان والتوكيد والصفة النحوية.

بخلاف الشرط فإنه يتعلق بالجملة وهي النسبة الحكمية التي بين المبتدأ والخبر، وبين الفعل والفاعل، وليس بالاسم. فإذا قيل: أكرم الطلاب إن نجحوا، تعلّق الشرط بالجملة في: =أكرم+.

وما كان كالشرط في التعلق يأخذ منزلته في عوده إلى الجمل المتقدمة، كقوله: أكرم الطلاب بشرط أن ينجحوا، أو على أن ينجحوا، ونحو ذلك.

4- المفهوم: والمفهوم نوعان: مفهوم موافقة [1]، ومفهوم مخالفة[2].

ومثال التخصيص بمفهوم الموافقة: قوله ﷺ: **(ليّ الواجد يحل عرضه وعقوبته)**[3]، فإنه عام في كل واجد، خُص منه الوالدان الواجدان، بمفهوم قوله تعالى: ژ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ژ [4] فلا يحل للولد عِرْض والديه ولا حبسهما [1]، ومثال

---

(1) مفهوم الموافقة: ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت مخالفاً لمدلوله في محل النطق. الإحكام للآمدي (3/ 74).

(2) مفهوم المخالفة: ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت مخالفاً لمدلوله في محل النطق. الإحكام للآمدي (3/ 78).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه معلقاً، في كتاب الاستقراض (37)، باب لصاحب الحق مقال (13).
وأخرجه أبو داود في سننه من حديث الشريد في كتاب الأقضية، باب في الحبس في الدين وغيره رقم (3628).
وأخرجه النسائي في سننه من حديث الشريد في كتاب البيوع (44)، باب مطل الغني ظلم (100) برقم (4703، 4704)، وكذلك الحاكم في مستدركه (4/ 102) وغيرهم.
والحديث حسنه ابن حجر والألباني. ينظر: إرواء الغليل (5/ 259، 260)، وصححه السيوطي في الجامع الصغير ص:473.

(4) سورة الإسراء، الآية:23.

التخصيص بمفهوم المخالفة: قوله ﷺ: **(الماء طهور لا ينجسه شيء، إلا ما غلب على ريحه أو طعمه أو لونه)**[2]، فإنه عام في كل ماء، خص منه الماء إذا كان أقل من قلتين، فينجس بمجرد ملاقاة النجاسة، وذلك بمفهوم قوله ﷺ: **(إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث)**[3].

وكذلك تخصيص عموم قوله ﷺ: **(جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)** [4]، بمفهوم قوله ﷺ: **(جعلت لي كل أرض طيبة مسجدًا وطهورًا)** [5]، فلا تكون

---

(1) شرح الكوكب المنير (3/ 366، 367).

(2) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه عن عامر بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلاً (1/ 80)، وأخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الطهارة وسننها، باب الحياض (76) برقم (521)، وأخرجه الدار قطني في سننه من حديث ثوبان في كتاب الطهارة، باب الماء المتغير (1/ 28)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى من حديث أبي أمامة الباهلي (1/ 259)، وبسند آخر (1/ 260).

قال البيهقي: =والحديث غير قوي إلا إنا لا نعلم في نجاسة الماء إذا تغير بالنجاسة خلافًا +. السنن الكبرى (1/ 260)، وقال محمد شمس الحق العظيم آبادي: =وقال الشامي... يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجه لا يثبت أهل الحديث مثله، وهو قول العامة، لا أعلم بينهم خلافاً، وقال النووي: اتفق المحدثون على تضعيفه+ التعليق المغني على الدار قطني (1/ 28، 29).

وإذا أردت الاستزادة من كلام المحدثين حول الحديث فراجع نصب الراية 1/ 90، والدارية (1/ 52).

(3) مجموع الفتاوى (13/ 106، 107).

(4) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة (8)، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً (56) برقم (438).

(5) رواه الخطابي من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس. ذكر ذلك شيخ الإسلام في شرح العمدة، الجزء الثاني من أول كتاب الصلاة ص:403.

وذكر الألباني أن الحديث رواه الجارود بهذا اللفظ. إرواء الغليل (1/ 181). والحديث صححه شيخ الإسلام.

وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله بلفظ: =وجعلت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجداً+. في كتاب المساجد ومواضع الصلاة (5) برقم (521).

الأرض الخبيثة مسجدًا ولا طهورًا [1].

وقد وصف شيخ الإسلام هذه المسألة بـ: =أنها ذات شعب كثيرة، وهي متصلة بمسألة =المطلق والمقيد +، وهي غمرة من غمرات أصول الفقه، وقد اشتبهت أنواعها على كثير من السابحين فيه+ [2].

وحرّر شيخ الإسلام محل النزاع في مسألة تخصيص العام بالمفهوم على النحو التالي:

قسّم – رحمه الله تعالى – تقابل المفهوم مع العام ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن يكون العام والمفهوم في كلام واحد متصل بعضه ببعض.

كما لو قال: =في كل خمس من الإبل شاة إذا كانت الإبل سائمة +، وكقول الموصي: وصيت بهذا المال للعلماء يعطون منه إذا كانوا فقراء.

ففي هذا القسم حكى شيخ الإسلام الاتفاق بين القائلين بالمفهوم، ونفاته، على أن العموم في صدر الكلام لا يؤخذ به مراعاة للقيد المذكور في الكلام.

فالكلام المذكور في المثالين السابقين إنما تضمن وجوب شاة واحدة في كل خمس من الإبل السائمة، وأن العلماء الفقراء يعطون من المال، =لكن نفاة المفهوم يقولون: لم يُتعرَّض لما سوى ذلك بنفي ولا إثبات فنحن ننفيه بالأصل إلا أن يقوم دليل ناقل عن الأصل، والجمهور يقولون: بل ننفيه بدليل هذا الخطاب الموافق للأصل+ [4].

القسم الثاني: أن يكون العام والمفهوم في كلام متكلمين لا يجب اتحاد مقصودهما، كأن يقول شاهدان: إن جميع الدار لزيد، ويقول آخران: إن الموضع

---

(1) مجموع الفتاوى (31/ 107).

(2) مجموع الفتاوى (31/ 108).

(3) مجموع الفتاوى (31/ 108، 109).

(4) مجموع الفتاوى (31/ 109).

الفلاني من الدار لعمرو.

فهنا تعارض العموم الوارد في كلام الأول مع مفهوم اللقب الوارد في كلام الثاني.

وفي هذا القسم حكى شيخ الإسلام الاتفاق على أن المفهوم لا يخصص العام، بل هما كلامان متعارضان.

القسم الثالث: أن يكون العام في كلام، والمفهوم في كلام آخر مستقل عنه، من متكلم واحد، أو في حكم الواحد كأن يكون أحدهما كلاماً لله والآخر كلامًا لرسوله.

كقوله ﷺ: **(في الإبل في خمس منها شاة)** [1]، مع مفهوم قوله صلى الله عليه وسلم في حديث آخر: **(في الإبل السائمة في كل أربعين بنت لبون)**.

وكقوله ﷺ: **(لي الواجد يحل عرضه وعقوبته)** مع مفهوم قوله تعالى: ﴿ ٨ ٩ ﴾ [2].

وجعل – رحمه الله – هذا القسم محل النزاع في المسألة [3].

ويرى شيخ الإسلام – رحمه الله تعالى – أنه يجوز تخصيص العام بالمفهوم.

يدل على ذلك قوله: **=لو فرض أن هذا باب تعارض العموم والمفهوم، فالصواب أن مثل هذا المفهوم يقدم على العموم، كما هو مذهب أكثر المالكية والشافعية والحنابلة، وقد حكاه بعض الناس إجماعاً من القائلين بالمفهوم+** [4].

5- بدل البعض من الكل: نحو قوله تعالى: ﴿ ﴾ [5]

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ: =في أربع وعشرين من الإبل فما دونها من الغنم، من كل خمس شاة+. في كتاب الزكاة (25) باب زكاة الغنم (38)، برقم (1454).

(2) سورة الإسراء، الآية:23.

(3) مجموع الفتاوى (31/ 106، 107).

(4) مجموع الفتاوى (31/ 141).

(5) سورة آل عمران، الآية: 97.

.[1]

6- العطف والتوكيد

❊ ❊ ❊

(1) ينظر: الإتقان (2/ 33).

المبحث الثاني

المطلق والمقيد

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: شرط حمل المطلق على المقيد.
- المطلب الثاني: أحوال حمل المطلق والمقيد بالنسبة للحمل وعدمه.

المطلب الأول
شرط حمل المطلق على المقيد

قال شيخ الإسلام:

= ... أن المطلق إنما يحمل على المقيد إذا كان اللفظ صالحاً له عند الإطلاق ولغيره، فيتبيّن باللفظ المقيد أنما المراد هو دون غيره، مثل قوله: ژ ڈ ڈ ژ [1]، فإنه اسم مطلق يدخل فيه المؤمنة والكافرة، فإذا عنى به المؤمنة جاز، لأنها رقبة وزيادة، وكذلك صوم ثلاثة أيام يصلح للمتتابعة وللمتفرقة، فإذا بيّن أنها متتابعة جاز. وهنا أمر بلبس الخف والسراويل، ومتى قطع الخف حتى صار كالحذاء وفتق السراويل حتى صار إزاراً: لم يبق يقع عليه اسم خف ولا سراويل،... والنبي ﷺ أمر هنا بلبس الخف، وما تحت الكعبين لا يسمى خفاً، فلا يجوز حمل الكلام عليه، فضلاً عن تقييده به، بخلاف الرقبة المؤمنة، والأيام المتتابعات، فإنها رقبة وأيام+ [2].

الدراسة:

اشترط شيخ الإسلام – رحمه الله تعالى – لحمل المطلق على المقيد أن يصدق المقيد على الاسم المطلق، كما لو قيل: اعتق رقبة، ثم اعتق رقبة مؤمنة، فإن الرقبة المؤمنة يصدق أنها رقبة، ولذا ساغ هنا حمل المطلق على المقيد. ومثّل – رحمه الله – على ما تخلّف فيه هذا الشرط: بأمره – صلى الله عليه وسلم – المحرم أن يلبس النعلين، وإذا لم يجدها رخص له في لبس الخفين بعد أن يقطعهما أسفل الكعبين، فلبس الخفين مقيد بكونهما مقطوعين أسفل الكعبين، مع قوله ﷺ بعد ذلك: **(الخفاف لمن لم يجد نعلين)**، وقوله: **(ومن لم يجد نعلين فليلبس خفين)** ، فأطلق الخفين ولم يأمر بقطعهما.

---

(1) سورة المجادلة، الآية: 3.

(2) شرح العمدة في بيان مناسك الحج والعمرة (2/ 35).

فهنا لا يحمل المطلق منهما على المقيد، لأن المقيد – وهو الخف المقطوع – ليس خفاً، فلا يصح أن يكون المراد بالخفين، والخفاف، في الأحاديث المطلقة ما كان خفاً، ثم قطع حتى صار كالنعل.

بل الأحاديث المطلقة ناسخة للأحاديث التي قيدت جواز لبسهما بالقطع[1].

* * *

(1) شرح العمدة في بيان مناسك الحج والعمرة (2/ 30).

المطلب الثاني
أحوال حمل المطلق على المقيد

قال شيخ الإسلام:

=وهذه الآية المقيدة تقضي على تلك المطلق في الأنفال [1] لثلاثة أوجه...

الثاني: أن هذا مطلق ومقيد في حكم واحد وسبب واحد+ [2].

وقال أيضاً: **=والمقيد يفسِّر المطلق إذا كان الحكم والسبب واحداً+ [3].**

وقال – رحمه الله –: **=وقوله تعالى: ﮋ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ [4] فأمر بإيذائهما ولم يعلق ذلك على استشهاد أربعة، كما علق ذلك في حق النساء، وإمساكهم في البيوت، ولم يأمر به هنا كما أمر به هناك، وليس هذا من باب حمل المطلق على المقيد، لأن ذلك لا بد أن يكون الحكم واحداً، مثل الإعتاق+ [5].**

وقال رحمه الله: «**... وكذلك المسلمون لم يحملوا المطلق على المقيد في نصب الشهادة، بل لما ذكر الله في آية الدين: ﮋ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮋ [6]، وفي الرجعة =رجلين+ اقروا كلاً منهما على حاله، لأن سبب الحكم مختلف وهو المال والبضع، واختلاف السبب يؤثر في نصاب الشهادة، وكما في إقامة الحد في الفاحشة وفي القذف**

---

(1) المطلق هو قوله تعالى في سورة الأنفال: (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم) الآية رقم 75. والمقيد قوله تعالى في سورة الأحزاب: (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين) الآية رقم: 6.

(2) مجموع الفتاوى (15/ 443).

(3) شرح العمدة، الجزء الثاني من أول كتاب الصلاة ص: 439.

(4) سورة النساء، الآية: 16.

(5) مجموع الفتاوى (15/ 303).

(6) سورة البقرة، الآية: 282.

بها اعتبر فيه أربعة شهداء فلا يقاس بذلك عقود الأيمان والأبضاع+ [1].

الدراسة:

ويظهر مما تقدم من شيخ الإسلام – رحمه الله تعالى – أنه يرى أن المطلق والمقيّد إذا اتحدا في الحكم والسبب حمل المطلق منهما على المقيد، سواء وردا في سياق الإثبات، أو في سياق النفي أو أحدهما في سياق الإثبات والآخر في سياق النفي.

يدل على ذلك أمور ثلاثة:

أولها: إطلاقه القول بذلك.

الثاني: أن كلامه – رحمه الله – في النص الأول جاء في مطلق ومقيد وردا في سياق الإثبات[2].

أما في النص الثاني: فالمطلق أحاديث وردت في سياق الإثبات [3]، والمقيد أحاديث وردت في سياق النهي[4].

الثالث: أن حمل المطلق على المقيد الواردين في سياق الإثبات متفق عليه.

***

(1) مجموع الفتاوى (15/ 304).

(2) المطلق هو قوله تعالى في سورة الأنفال: (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم) الآية رقم 75. والمقيد قوله تعالى في سورة الأحزاب: (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين) الآية رقم: 6.

(3) منها قوله صلى الله عليه وسلم: (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً) الحديث.

(4) منها قوله – صلى الله عليه وسلم –: (لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها)، وقوله: (سبع مواطن لا تجوز الصلاة فيها: ظاهر البيت والمقبرة والمزبلة والمجزرة والحمام وعطن الإبل ومحجة الطريقة).

المبحث الثالث

المنطوق والمفهوم

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: دلالة المنطوق وأقسامها.
- المطلب الثاني: دلالة المفهوم وأقسامها.

المطلب الأول:
دلالة المنطوق وأقسامها

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

=ويقول الفقهاء في دلالة المنطوق والمسكوت، وهو ما نطق به الشارع،وهو الله ورسوله، وما سكت عنه: تارة تكون دلالة السكوت أولى بالحكم من المنطوق، وهو مفهوم الموافقة، وتارة تخالفه وهو مفهوم المخالفة، وتارة تشبهه وهو القياس المحض+[1].

الدراسة:

يرى شيخ الإسلام أن المنطوق هو ما نطق به الله ورسوله، وقد عرف الأصوليون المنطوق بأنه هو ما دل عليه اللفظ في محل النطق [2] نحو قوله تعالى: ژ ۀ ہ ہ ھ ژ [3] فإن دلالة هذا اللفظ في محله هو تحريم التأفيف في وجه الوالدين وهذه الدلالة دلالة نطق[4].

وينقسم المنطوق إلى قسمين:

القسم الأول: المنطوق الصريح: وهو دلالة اللفظ على ما وضع له بحسب اللغة وينقسم هذا القسم إلى أنواع منها:

1- دلالة المطابقة: وهي دلالة اللفظ على كامل معناه مثل دلالة قوله تعالى: ژ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ژ على النهي عن التأفف والنهر وتحريمهما فقد أعطى منطوق الآية هذا

---

(1) مجموع الفتاوى (6/ 179).

(2) مختصر ابن الحاجب مع شرحه (2/ 171).

(3) سورة الإسراء، الآية: 23.

(4) ينظر: مناهج الأصوليين في طرق دلالات الألفاظ ص 65.

المعنى كاملا[1].

2- دلالة التضمن هي دلالة اللفظ على جزء معناه كدلالة الإنسان على الحيوان [2].

3- الحقيقة والمجاز: والحقيقة هي اللفظ المستعمل في اصطلاح التخاطب في المعنى الذي وضع له، ويقابلها المجاز وهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة أو قرينة دعت لاستعماله في غير ما وضع له وكل من الحقيقة والمجاز ينقسم إلى لغوي وشرعي، مثل الصلاة فإنها حقيقة شرعية في العبادات ذات الأوقات المحددة، ومجاز شرعي في الدعاء، وهي حقيقة لغوية في الدعاء ومجاز لغوي في العبادة المعروفة [3].

القسم الثاني: المنطوق غير الصريح: وهو ما كان لازما للفظ بحسب وضعه اللغوي فتكون دلالته التزامية [4].

وينقسم المنطوق غير الصريح إلى ثلاثة أقسام هي:

1- دلالة الاقتضاء: وهي دلالة لفظ بالالتزام على معنى غير مذكور مع أنه مقصود بالأصالة ولا يستقيم المعنى إلا به لتوقف صدقه أو صحته عقلا أو شرعا عليه وإن كان اللفظ لا يقتضيه وضعا [5].

ومن أمثلة المقتضى الذي يجب تقديره لصدق الكلام قوله ﷺ: (**رفع عن أمتي**

---

(1) ينظر: مناهج الأصوليين في طرق دلالات الألفاظ (ص 71).

(2) ينظر: شرح تنقيح الفصول ص 23، البحر المحيط للزركشي (1/ 417).

(3) انظر المنهاج للبيضاوي 1/ 309310، نشر البنود 1/ 94، مناهج الأصوليين في طرق دلالات الألفاظ ص 72-73.

(4) ينظر: أصول الفقه لمصطفى شلبي (ص 505).

(5) ينظر: نشر البنود (1/ 92).

الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) [1]. فإن هذا الحديث لو أخذ بظاهره فإنه يدل على رفع الخطأ والنسيان والإكراه عن الأمة وكل ذلك لم يرفع، فكان لا بد من تقدير محذوف لضمان صدق هذا الكلام وهو رفع عن أمتي إثم أو حكم الخطأ والنسيان، والإثم والحكم كل منهما ليس مذكورا في الحديث غير أن صدق الكلام توقف على تقدير أحدهما فيغدو تقدير أحدهما لازما لأن صدق الكلام اقتضى ذلك[2].

ومن أمثلة المقتضي الذي يجب تقديره لصحة الكلام عقلا قوله تعالى: ژ **ي ذ ذ** ژ [3]فلا بد من تقدير كلمة الوطء ليصح عقلا لأن الأمهات أعيان والأعيان لا يرد عليها التحريم وإنما يرد على أمر متعلق بها [4].

ومن أمثلة المقتضي الذي يجب تقديره شرعاً لصحة الكلام قول القائل: أوقف منزلك عني بألف فإن هذه العبارة تقتضي التمليك أولا لأن الوقف لا ينشأ إلا عن ملك فكان القائل قال: بعني منزلك بألف ثم أوقفه عني [5].

2- دلالة الإيماء أو التنبيه: وهي دلالة اللفظ على علية وصف لو حملناه على غير التعليل لكان اقتران الحكم به غير مقبول عند أهل الفطنة بمقاصد الكلام [6].

ومن أمثلة هذا القسم قوله تعالى: ژ **ث ذ ذ ث** ژ [7] فاقتران وصف السرقة بهذا الحكم دال على أنه هو علة الحكم [8].

---

(1) أخرجه ابن ماجه رقم (908).

(2) ينظر: مناهج الأصوليين في طرق دلالات الألفاظ ص84.

(3) سورة النساء، الآية: 23.

(4) ينظر: مناهج الأصوليين في طرق دلالات الألفاظ ص 84-85

(5) ينظر: مناهج الأصوليين في طرق دلالات الألفاظ ص 85

(6) ينظر: نشر البنود (1/ 94).

(7) سورة المائدة، الآية: 90.

(8) ينظر: مناهج الأصوليين في طرق دلالات الألفاظ ص 103-104

3- دلالة الإشارة: وهي دلالة اللفظ على معنى لازم غير مقصود للمتكلم لا يتوقف عليه صدق الكلام ولا صحته [1].

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ﴾ [2]، ففي هذه الآية أباح الله المباشرة وجعل ذلك ممتدا إلى طلوع الفجر، وجواز المباشرة هو المقصود من الآية وهو منطوقها إلا أنه يلزم منه جواز أن يصبح الصائم جنبا؛ لأن ذلك لو كان مفسداً للصوم لما أبيح الجماع آخر الليل و لوجب الكف عنه قبل فترة كافية تمكن من الغسل قبل طلوع الفجر [3].

* * *

(1) ينظر: نشر البنود (1/ 93).

(2) سورة البقرة، الآية: 120.

(3) ينظر: كشف الأسرار (1/ 68).

المطلب الثاني:
دلالة المفهوم وأقسامها

قال شيخ الإسلام:

=فصل في فحوى الخطاب: منه ما يكون المتكلم فيه قَصَد التنبيه بالأدنى على الأعلى كآية البرِّ، فهذا معلومٌ أنه قصْدُ المتكلم بهذا الخطاب، وليس قياسًا... فإنه هو المراد بهذا الخطاب.

ومنه ما لم يكن قصْدُ المتكلم إلا القسم الأدنى، لكن يُعلم أنه يثبت مثل ذلك الحكم في الأعلى، وهذا القسم ينقسم إلى مقطوع ومظنون+ [1].

وقال – رحمه الله –: **=ومن لم يلحظ المعاني من خطاب الله ورسوله، ولا يفهم تنبيه الخطاب وفحواه من أهل الظاهر، كالذين يقولون: إن قوله:ژ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ژ لا يفيد النهي عن الضرب... وهذا في غاية الضعف... فإنكاره من بدع الظاهرية التي لم يسبقهم بها أحد من السلف، فما زال السلف يُحتجون بمثل هذا+** [2].

وقال أيضاً: **=إن القول بهذه الدلالة مذهب جمهور الفقهاء قديماً وحديثاً: من المالكية والشافعية والحنبلية، بل هو نص هؤلاء الأئمة، وإنما خالف طوائف من المتكلمين بعض الفقهاء... ومما يقضي منه العجب ظن بعض الناس أن دلالة المفهوم حجة في كلام الشارع دون كلام الناس، بمنزلة القياس، وهذا خلاف إجماع الناس، فإن الناس إما قائل بأن المفهوم من جملة دلالات الألفاظ، أو قائل انه ليس من جملتها، أما هذا التفصيل فمحدث.**

ثم القائلون بأنه حجة إنما قالوا هو حجة في الكلام مطلقًا، واستدلوا على كونه

---

(1) المسودة (ص347).

(2) الفتاوى الكبرى (1/ 336).

حجة بكلام الناس، وبما ذكره أهل اللغة، وبأدلة عقلية، تبين لكل ذي نظر أن دلالة المفهوم من جنس دلالة العموم والإطلاق والتقييد، وهو من دلالات اللفظ+ [1].

وقال أيضاً: **=إن هذا من باب مفهوم الصفة الخاصة المذكورة بعد الاسم العام، وهذا قد وافق عليه كثيرٌ ممن خالف في الصفة المبتدأة+** [2].

وقال الشيخ – رحمه الله تعالى– معضداً الأخذ بمفهوم في حديث–:

=ومفهومه مفهوم الشرط الذي هو أقوى المفاهيم...+ [3].

وقال أيضاً: **=وتخصيصه لعلي بالذكر هنا، هو مفهوم اللقب، وهو نوعان: لقب هو جنس، ولقب يجري مجرى العلم، مثل: زيد وأنت، وهذا المفهوم أضعف المفاهيم، ولذا كان جماهير أهل الأصول والفقه على أنه لا يحتج به، فإذا قال: محمد رسول الله، لم يكن هذا نفيًا للرسالة عن غيره، لكن إذا كان في سياق الكلام ما يقتضي التخصيص، فإنه يحتج به على الصحيح+** [4].

الدارسة:

ذكر شيخ الإسلام أن مفهوم الموافقة من حيث قوة دلالته نوعان، هما: مفهوم موافقة قطعي، ومفهوم موافقة ظني.

والمراد بالقطعي: أن يُقطع أن الحكم في المسكوت عنه مثل الحكم في المنطوق به.

ومثَّل على ذلك بالمفهوم في قوله تعالى: ژ ۈ ۇٴ ۋ ژ [5].

وباحتجاج الإمام أحمد على منع رهن المصحف عند الذمي، بنهي النبي ﷺ

---

(1) مجموع الفتاوى (31/ 136، 137).

(2) مجموع الفتاوى (31/ 137).

(3) كتاب الصيام من شرح العمدة (1/ 147).

(4) منهاج السنة (7/ 331، 332).

(5) سورة الإسراء، الآية: 23.

عن السفر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن تناله أيديهم [1].

فإنه إذا نهي عما يكون ذريعة إلى أن تناله أيديهم،فمن باب أولى أن يُنهى قطعًا عن إنالتهم إياه.

والمراد بالظني: أن يُظن أن الحكم في المسكوت عنه موافق لحكم المنطوق به، ومثَّل له شيخ الإسلام: باحتجاج الإمام أحمد على نفي حق الشفقة للذمي بقوله ﷺ: **(إذا لقيتموهم في طريق فألجئوهم إلى أضيقه)** [2]، فإنه إذا لم يكن لهم حق في الطريق فمن باب أولى ألا يكون لهم حق في الشفقة.

ولكن هذا مظنون به وليس مقطوعًا.

وتقسيم مفهوم الموافقة إلى قطعي وظني ذكره كثير من الأصوليين [3].

ويرى شيخ الإسلام – رحمه الله تعالى – أن مفهوم الموافقة حجة، يُستدل به على الأحكام الشرعية.

يدل لذلك إنكاره الشديد على من أنكره من الظاهرية يقول – رحمه الله –:

=ومن لم يلحظ المعاني من خطاب الله ورسوله، ولا يفهم تنبيه الخطاب وفحواه من أهل الظاهر، كالذين يقولون: إن قوله: ژ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ژ لا يفيد النهي عن الضرب... وهذا في غاية الضعف... فإنكاره من بدع الظاهرية التي لم يسبقهم بها أحد من

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الأمارة (33)، باب النهي أن يُسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم (24) برقم(1869).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، وجرير في كتاب السلام (39)، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يرد عليهم (4)، برقم (2167)، وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب، باب السلام على أهل الذمة، برقم (5205).

وكلاهما بلفظ: فاضطروهم، بدل فألجئوهم.

(3) البرهان (1/ 300)، والإحكام للآمدي (3/ 77، 78)، ونهاية الوصول (5/ 2037، 2038)، وشرح العضد على مختصر ابن الحاجب (2/ 173)، وشرح الكوكب المنير (3/ 486، 487).

السلف، فما زال السلف يُحتجون بمثل هذا+.

كما يرى شيخ الإسلام – رحمه الله تعالى – أن مفهوم المخالفة بوجه عام حجة، وطريق صحيح من طرق الاستدلال على الأحكام الشرعية، سواء في كلام الشارع، أو في كلام غيره.

ومعنى كونه حجة: أي أن اللفظ – الذي يتضمن مفهومًا – يدل على أن المسكوت عنه يخالف المنطوق في الحكم. فيخلص مما تقدم: أن الأخذ بمفهوم المخالفة مذهب أكثر أهل العلم، وخالف في ذلك بعض المتكلمين وبعض الفقهاء، ويدل كلام الشيخ على أن مفهوم المخالفة حجة في كلام الناس، كما أنه حجة في كلام الشارع، إذ وَصَفَ القول: بأن مفهوم المخالفة حجة في كلام الشارع دون كلام الناس، بأنه قول محدث لمخالفته الإجماع السابق.

ومفهوم المخالفة له أنواع كثيرة أوصلها بعض الأصوليين إلى أحد عشر نوعًا[1]، وبعضهم إلى عشرة أنواع [2]، وأكثر الأصوليين ذكر أقل من ذلك على تفاوت بينهم، وذلك راجع إلى أنهم يدرجون أنواعاً من مفهوم المخالفة في مفهوم الصفة، حتى قال أبو المعالي: =لو عبر عن جميعها بالصفة لكان ذلك منقدحًا+ [3].

ومن هذه الأنواع التي ذكرها شيخ الإسلام:

1- مفهوم الصفة: يرى شيخ الإسلام أن مفهوم الصفة حجة، أي أن تعليق الحكم على صفة يدل على انتفائه وثبوت نقيضه عند انتفاء تلك الصفة نحو قوله تعالى: ﴿ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ﴾ [4]، فإنه يدل على بعده عن غير المحسنين [1].

---

(1) البحر المحيط (4/ 24 إلى 50).

(2) تنقيح الفصول ص:53.

(3) البرهان (1/ 301)، وانظر المحصول لابن العربي (2/ 205).

(4) سورة الأعراف، الآية: 56.

(1) مجموع الفتاوى (15/ 27).

ويدل على ذلك قوله: =ومتى ذُكرت الصفة الخاصة بعد الاسم العام كان تخصيصها بالذكر دليلاً قوياً على اختصاصها بالحكم+ [1].

2- مفهوم الشرط: يرى شيخ الإسلام أن مفهوم الشرط حجة، بمعنى أن تعليق الحكم على شرط يدل على انتفاء الحكم وثبوت نقيضه عند انعدام الشرط.

يقول – رحمه الله تعالى معضداً الأخذ بمفهومٍ في حديث-: =ومفهومه مفهوم الشرط الذي هو أقوى المفاهيم...+ [2].

كما نص - رحمه الله – في مواضع عدة على أن المعلّق بالشرط يُعدم عند عدم الشرط[3].

3- مفهوم الغاية: يرى شيخ الإسلام – رحمه الله – أن مفهوم الغاية حجة، بمعنى أن مدّ الحكم إلى غاية يدل على انتفائه وثبوت نقيضه بعد هذه الغاية.

يدل على ذلك قوله -رحمه الله-: **=وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الحب حتى يشتد، وعن بيع العنب حتى يسود [4]، فدل على جواز بيع الحب بعد اشتداده وإن كان في سنبله+** [5].

---

(1) شرح العمدة في بيان مناسك الحج والعمرة (2/ 399).

(2) كتاب الصيام من شرح العمدة (1/ 147).

(3) كتاب الصيام من شرح العمدة 1/ 147، وشرح العمدة في بيان مناسك الحج والعمرة (2/ 276، 2/ 657)، ومجموع الفتاوى (19/ 91).

(4) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب التجارات (12)، باب بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها (32)، برقم (2217)، وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب البيوع، باب في بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها، برقم (3371)، وأخرجه الترمذي في سننه في كتاب البيوع (12)، باب ما جاء في كراهة بيع الثمرة حتى يبدو صلاحها (15)، برقم (1228)، وأخرجه الحاكم في مستدركه (2/ 19)، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحح الحديث الألباني في صحيح سنن أبي داود (2/ 648).

(5) مجموع الفتاوى (29/ 226).

وقوله - معلقًا على الحديث السابق -: =فإن هذا يدل على جواز بيعه بعد اشتداده+[1].

وقوله: =وقد دل على ذلك أنه ﷺ نهى عن بيع العنب حتى يسود، وعن بيع الحب حتى يشتد، وذلك يدل على جواز بيع ذلك بعد اسوداده، واشتداده+ [2].

ففي هذا الحديث مُدّ الحكم – وهو النهي عن البيع – بحرف الغاية حتى، فجعل شيخ الإسلام في ذلك دلالة على انتفاء ذلك الحكم وثبوت نقيضه بعد هذه الغاية.

4- مفهوم اللقب: يرى شيخ الإسلام – رحمه الله تعالى – أن مفهوم اللقب ليس حجة.

هذا ما يدل عليه ظاهر كلامه حيث قال: **=وتخصيصه لعلي بالذكر هنا، هو مفهوم اللقب، وهو نوعان: لقب هو جنس، ولقب يجري مجرى العلم، مثل: زيد وأنت، وهذا المفهوم أضعف المفاهيم، ولذا كان جماهير أهل الأصول والفقه على أنه لا يحتج به، فإذا قال: محمد رسول الله، لم يكن هذا نفيًا للرسالة عن غيره، لكن إذا كان في سياق الكلام ما يقتضي التخصيص، فإنه يحتج به على الصحيح +**، فقوله: إذا كان في سياق الكلام ما يقتضي التخصيص فإنه يحتج به، بعد أن ضعف هذا المفهوم، يدل على أن مفهوم اللقب بمجرده لغة لا يقتضي تخصيص المذكور بالحكم، ونفيه عما سواه، ومن الأمثلة الدالة على أن تخصيص الاسم بالحكم لا يقتضي نفيه عما سواه، قوله ﷺ في الحسن [3] وأسامة [1]: **(اللهم إني أحبهما، وأحب من يحبهما)** [2]،

---

(1) مجموع الفتاوى (29/ 486).

(2) مجموع الفتاوى (29/ 490).

(3) هو الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته، بويع بالخلافة بعد موت أبيه، ثم تنازل عنها لمعاوية حقنًا لدماء المسلمين، توفي رضي الله عنه سنة 49هـ.

فإنه لا يقتضي أنه ﷺ لا يحب غيرهما، بل كان يحب غيرهما أعظم من محبتهما.

ومنها قوله ﷺ: **(لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة)** [3]، لا يقتضي أن من لم يبايع تحت الشجرة يدخل النار.

* * *

(1) هو أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي، أبو محمد، مولى النبي صلى الله عليه وسلم، وابن مولاه، ولاّه رسول الله الإمرة بعد مقتل أبيه، ولذا كان عمر يناديه بالأمير، توفي رضي الله عنه سنة 54هـ.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أسامة بن زيد في كتاب فضائل أصحاب النبي (56)، باب(18)برقم (3735).

(3) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة (44)، باب فضائل أصحاب الشجرة، أهل بيعة الرضوان (37)، برقم (2496).

المبحث الرابع
المشترك والمتواطئ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

= ... فكذلك الأسماء المتفقة اللفظ قد يكون معناها متفقا وهي المتواطئة، وقد يكون معناها متباينا وهي المشتركة اشتراكا لفظيا، كلفظ سهيل المقول على الكوكب وعلى الرجل، وقد يكون معناها متفقا من وجه مختلفا من وجه ، فهذا قسم ثالث ليس هو كالمشترك اشتراكا لفظيا، ولا هو كالمتفقة المتواطئة، فيكون بينها اتفاق هو اشتراك معنوي من وجه وافتراق هو اختلاف معنوي من وجه، ولكن هذا لا يكون إلا إذا خص كل لفظ بما يدل على المعنى المختص. وهذه الألفاظ كثيرة في الكلام المؤلف أو هي أكثر الألفاظ الموجودة في الكلام المؤلف الذي تكلم به كل متكلم، فإن الألفاظ التي يقال أنها متواطئة كأسماء الأجناس مثل: لفظ الرسول والوالي والقاضي والرجل والمرأة والإمام والبيت ونحو ذلك قد يراد بها المعنى العام، وقد يراد بها ما هو أخص منه مما يقترن بها تعريف الإضافة أو اللام كما في قوله: ﴿ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

للأمرين؛ إما لكونه مشتركًا في اللفظ كلفظ ژ ﭫ ژ الذي يراد به الرامي، ويراد به الأسد، ولفظ {عَسْعَسَ} الذي يراد به إقبال الليل وإدباره، وإما لكونه متواطئًا في الأصل، لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشيئين، كالضمائر في قوله: ژ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ژ[1]، وكلفظ ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ژ[2] وما أشبه ذلك. فمثل هذا قد يجوز أن يراد به كل المعاني التي قالها السلف، وقد لا يجوز ذلك، فالأول إما لكون الآية نزلت مرتين فأريد بها هذا تارة وهذا تارة، وإما لكون اللفظ المشترك يجوز أن يراد به معنياه؛ إذ قد جوز ذلك أكثر الفقهاء المالكية، والشافعية، والحنبلية وكثير من أهل الكلام، وإما لكون اللفظ متواطئًا فيكون عامًا، إذا لم يكن لتخصيصه موجب، فهذا النوع إذا صح فيه القولان كان من الصنف الثاني[3] +.

الدراسة:

المشترك هو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين أو أكثر دلالة على السواء[4] وقد مثل الشيخ لذلك بأمثلة منها لفظ المشتري فإنه يطلق على المبتاع وعلى الكوكب، ولفظ القسورة فإنه يطلق على الرامي وعلى الأسد، ولفظ عسس فإنه يطلق على إقبال الليل وعلى إدباره، وقد أشار شيخ الإسلام إلى اختلاف العلماء في جواز استعمال المشترك في جميع معانيه حيث ذكر أن جمهور الفقهاء ذهبوا إلى جواز ذلك [5] ومنهم من منع ذلك وهو قول الكرخي [6] وبعض المعتزلة [1]، وذهب

---

(1) سورة النجم، الآيتان: 8، 9.

(2) سورة الفجر، الآيات: 1 – 3.

(3) مجموع الفتاوى (13/ 340–341).

(4) انظر شرح تنقيح الفصول (ص 29)، البحر المحيط (1/ 488).

(5) ينظر: إرشاد الفحول (1/ 106).

(6) هو: أبو الحسن عبيدالله الحسن بن دلال الكرخي المولود سنة 260 ببغداد والمتوفى 340هـ. أحد أئمة الحنفية المشهورين، من مؤلفاته: شرح الجامع الكبير، ورسالة في الأصول التي عليها مدار فروع

بعض العلماء إلى جوزاه في النفي لا في الإثبات فيجوز عندهم ما رأيت عينا ويكون المراد العين الجارحة وعين الذهب وعين الماء وعين الشمس ولا يصح أن يقال: عندي عين وتراد هذه المعاني [2].

وأما المتواطئ فهو اللفظ الموضوع لمعنى كلي مستوف محاله كالرجل فقولنا: في موضوع لمعنى كلي أخرج العلم فإنه موضوع لمعنى جزئي وقولنا مستوف محاله أخرج المشكك فإن محاله مختلفة[3].

ومن أمثلة المتوطئ لفظ الإنسان فإنه يتناول جميع الأناسي وهي متماثلة من حيث إنها أناس مع أن اللفظ غير مشترك [4]. وكذلك لفظ السواد فإنه متواطئ، وقد أشار شيخ الإسلام إلى هذا المعنى بقوله: =فإن اسم السواد مقول على هذا السواد وهذا السواد بالتواطئ وليس عين هذا السواد هو عين هذا السواد إذ الاسم دال على القدر المشترك بينهما وهو المطلق الكلي لكنه لا يوجد مطلقا بشرط الإطلاق إلا في الذهن ولا يلزم من ذلك نفي القدر المشترك بين الأعيان الموجودة في الخارج فإنه على ذلك تنتفي الأسماء المتواطئة وهي جمهور الأسماء الموجودة في الغالب وهي أسماء الأجناس اللغوية، وهو الاسم المطلق على الشيء وعلى كل ما أشبهه سواء كان اسم عين أم اسم صفة جامدا أم مشتقاً وسواء أكان جنساً منطقياً أ م فقهياً أ م لم يكن، بل اسم الجنس في اللغة يدخل فيه الأجناس والأصناف والأنواع ونحو ذلك

الحنفية.

انظر ترجمته في: البداية والنهاية (15/ 193)، الجواهر المضية 2/ 493، تاج التراجم 200، شذرات الذهب (4/ 220).

(1) ينظر: إرشاد الفحول (1/ 107).

(2) ينظر: إرشاد الفحول (1/ 109).

(3) ينظر: شرح تنقيح الفصول ص 30.

(4) ينظر: مجموع الفتاوى 20/ 430، شرح تنقيح الفصول ص 29.

وكلها أسماء متواطئة وأعيان مسمياتها في الخارج متميزة+.

❊ ❊ ❊

المبحث الخامس
الوجوه والنظائر في القرآن الكريم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

=فالوجوه في الأسماء المشتركة، والنظائر في الأسماء المتواطئة. وقد ظن بعض أصحابنا المصنفين في ذلك أن الوجو ه والنظائر [1] جميعًا في الأسماء المشتركة. فهي نظائر باعتبار اللفظ، ووجوه باعتبار المعنى، وليس الأمر على ما قاله، بل كلامهم صريح فيما قلناه لمن تأمله+ [2].

الدراسة:

بين الشيخ أن اللفظة الواحدة إذا تكررت في مواضع من القرآن ولها في كل موضع من القرآن معنى غير الآخر، فهذه اللفظة يطلق عليها بالمشترك اللفظي، وهذا هو المراد بالوجوه، أما إذا كانت اللفظة الواحدة تتكرر في مواضع من القرآن الكريم ولها في كل المواضع معنى واحد، لكنه يصدق على أفراد كثيرين، فهذا هو

---

(1) من أهم المؤلفات في هذا العلم ما يأتي:

1 – الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان البلخي (ت 150هـ). مطبوع.

2 – ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد لأبي العباس المبرد (ت 285هـ). مطبوع.

3 – تحصيل نظائر القرآن للحكيم الترمذي (ت 320هـ). مطبوع.

4 – الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية التي ترادفت مبانيها وتنوعت معانيها لعبدالملك بن محمد الثعالبي (ت 429هـ). مطبوع.

5 – قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للحسين بن محمد الدامغاني (ت 478هـ). مطبوع.

6 – نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (ت ؟هـ). مطبوع.

7 – كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر لابن العماد (ت 887هـ). مطبوع.

هذه بعض المؤلفات في علم الوجوه والنظائر، وغيرها كثير.

(2) مجموع الفتاوى (13/ 276–277).

المسمى بالمتواطئ اللفظي وهو المراد بالنظائر [1].

ومن أمثلة الوجوه في القرآن الكريم ما يأتي:

1- النكاح: فلفظة النكاح وردت في القرآن ويراد بها أمور:

- العقد ومنه قوله تعالى: ﴿ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

ذلك المؤمنين.

- آدم عليه السلام ومنه قوله تعالى: ژ ھ ے ۓ ۓ ﮲ ﮳ ﮴ ﮵ ﮶ ﮷ ﮸ ﮹ ﮺ ﮻ ﮼ ﮽ ﮾ ﮿ ژ [2].

- الكافر، ومنه قوله تعالىژ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ژ[3] لأن المؤمن لا يظنذلك[4].

2- القرية قد وردت في القرآن الكريم في مواضع كثيرة وفي كلها معنى القرية واحد لكن المراد بها مختلف ومن أمثلة ذلك قوله تعالىژ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

- يرى أن وجود الألفاظ المتواطئة في كتب الوجوه والنظائر إنما هو من قبيل تجوز المصنفين وتساهلهم.

والذي يظهر مع هذا الواقع أنه ليس أما منا إلا الكتب المصنفة في هذا العلم وهي تشمل المشترك اللفظي ولم نر منها كتابا اقتصر على المشترك فقط، وما ذكره ابن الجوزي من كون وجود المتواطئ فيها إنما هو من تساهل المصنفين فإنه يحتاج إلى دليل وبرهان.

المبحث السادس
التـــــرادف

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

=فإن الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن فإما نادر وإما معدوم، وقَلَّ أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن. فإذا قال القائل: ﴿ ۈ ۇ ۆ ۆ ﴾[1] : إن المور هو الحركة، كان تقريبًا؛ إذ المور حركة خفيفة سريعة.

وكذلك إذا قال: الوحي: الإعلام، أو قيل: ﴿ ٻ ٻ ﴾[2]: أنزلنا إليك، أو قيل: ﴿ ڃ ڃ ڃ ڃ ﴾[3] أي: أعلمنا، وأمثال ذلك، فهذا كله تقريب لا تحقيق؛ فإن الوحي هو إعلام سريع خفي، والقضاء إليهم أخص من الإعلام؛ فإن فيه إنزالاً إليهم وإيحاء إليهم. ... ومن قال: ﴿ ٻ ٻ ﴾ : لا شك، فهذا تقريب، وإلا فالريب فيه اضطراب وحركة، كما قال: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)، وفي الحديث أنه مر بظبي حاقف [أي: نائم قد انحنى في نومه] فقال: (لا يريبه أحد)، فكما أن اليقين ضمن السكون والطمأنينة فالريب ضده ضمن الاضطراب والحركة. ولفظ [الشك] وإن قيل: إنه يستلزم هذا المعنى، لكن لفظه لا يدل عليه.

وكذلك إذا قيل: ﴿ ٻ ٻ ﴾ : هذا القرآن، فهذا تقريب؛ لأن المشار إليه وإن كان واحدًا، فالإشارة بجهة الحضور غير الإشارة بجهة البعد والغيبة، ولفظ [الكتاب] يتضمن من كونه مكتوبًا مضمونًا ما لا يتضمنه لفظ القرآن من كونه

---

(1) سورة الطور، الآية: 9.

(2) سورة النساء، الآية: 163.

(3) سورة الإسراء، الآية: 4.

مقروءًا مظهرًا باديًا. فهذه الفروق موجودة في القرآن +[1].

الدراسة:

الترادف هو توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد [2]

ويرى شيخ الإسلام أن الترادف في اللغة قليل، وأما في القرآن فنادر أو معدوم، ويقل أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل إنما يكون ذلك لتقريب معناه وهذا من أوجه إعجاز القرآن، وقد مثل الشيخ لذلك بعدة أمثلة منها:

- الوحي والقضاء الواردان في قوله تعالى: ژ ٻ ٻ ژ [3] وقوله: ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ژ [4] فإن هذين اللفظين معناهما متقارب ولكن بينهما فوارق، فالوحي الإعلام على وجه السرعة والخفاء، والقضاء أخص من الإعلام؛ لأن فيه إنزالا وإحياء إليهم.

- الريب والشك فإن بينهما تقاربا لكن الريب فيه اضطراب وحركة كما أن اليقين يفيد الطمأنينة والسكون، أما لفظ الشك فإنه وإن استلزم هذا المعنى لكن لفظه لا يفيد ذلك.

ويظهر من كلام الشيخ أنه لا ترادف في القرآن الكريم وإنما لكل لفظ خاصية يتميز بها.

وقد ذهب جمهور العلماء إلى إثبات الترادف في اللغة العربية [5] واختلفوا في وقوعه في القرآن على قولين:

---

(1) مجموع الفتاوى (13/ 341-343).

(2) ينظر: التعريفات (ص 56).

(3) سورة النساء، الآية: 163.

(4) سورة الإسراء، الآية: 4.

(5) ينظر: إرشاد الفحول (1/ 102).

القول الأول: أنه لا ترادف في القرآن وإلى هذا ذهب جماعة من الأصوليين [1] وهذا القول هو مذهب الشيخ وقد استدل لذلك بإعطاء كل لفظ من الألفاظ المتقاربة معنى يتميز به عن الآخر ويختص به.

القول الثاني: أن الترادف موجود في القرآن وإلى هذا ذهب الزركشي [2] وقد استدل على ذلك بالوقوع مثل قوله تعالى: ژ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ژ[3] وقوله: (أرسلنا)[4].

والذي يترجح والله أعلم عدم وقوع الترادف في القرآن؛ إذ لكل لفظ من ألفاظ القرآن اعتبار ومعنى، واختصاص التعبير بغيره في موضعه لا يفي بكامل مدلوله ومعناه.

***

(1) ينظر: البحر المحيط للزركشي (1/ 476).

(2) انظر البحر المحيط للزركشي (1/ 476).

(3) سورة النحل الآية: 36.

(4) سورة الصافات، الآية: 72.

الفصل السابع

قصص القرآن الكريم وأمثاله وأقسامه

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: قصص القرآن الكريم.
- المبحث الثاني: أمثال القرآن الكريم.
- المبحث الثالث: أقسام القرآن الكريم.
- الجدل في القرآن الكريم.

المبحث الأول

قصص القرآن

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: أنواع القصص في القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: تكرار القصص في القرآن الكريم.
- المطلب الثالث: فوائـــد قصص القرآن الكريم.

المطلب الأول
أنواع القصص في القرآن

قال شيخ الإسلام:

" والمقصود هنا أن قوله تعالى: ﴿ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

عليه ـ بمن ظلمه وبمن دعاه إلى الفاحشة، فصبر واتق ى الله في هذا وفي هذا، وابتلي أيضًا بالملك، فابتلي بالسراء والضراء فصبر واتق ى الله في هذا وهذا، فكانت قصته من أحسن القصص، وهي أحسن من القصص التي لم تقص في القرآن، فإن الناس قد يظلمون ويحسدون ويدعون إلى الفاحشة ويبتلون بالملك، لكن ليس من لم يذكر في القرآن ممن اتق ى الله وصبر مثل يوسف، ولا فيهم من كانت عاقبته أحسن العواقب في الدنيا والآخرة مثل يوسف. وهذا كما أن قصة أهل الكهف وقصة ذي القرنين كل منهما هي في جنسها أحسن من غيرها. فقصة ذي القرنين أحسن قصص الملوك، وقصة أهل الكهف أحسن قصص أولياء الله الذين كانوا في زمن الْفِتْرَةِ.

فقوله تعالى: ژ ئے ئۆ ئۈ ئۇ ژ[1] يتناول كل ما قصه في كتابه، فهو أحسن مما لم يقصه، ليس المراد أن قصة يوسف أحسن ما قص في القرآن. وأين ما جرى ليوسف مما جرى لموسى ونوح وإبراهيم وغيرهم من الرسل؟ ! وأين ما عودي أولئك مما عودي فيه يوسف؟! وأين فضل أولئك عند الله وعلو درجتهم من يوسف ـ صلوات الله عليهم أجمعين؟ وأين نصر أولئك من نصر يوسف؟ فإن يوسف كما قال الله تعالى: ژ ڃ ڃ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ڑ ک ک ژ[2] ، وأذل الله الذين ظلموه ثم تابوا، فكان فيها من العبرة أن المظلوم المحسود إذا صبر واتق ى الله، كانت له العاقبة، وأن الظالم الحاسد قد يتوب الله عليه ويعفو عنه، وأن المظلوم ينبغي له العفو عن ظالمه إذا قدر عليه. .... .وأما قصة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم ـ صلوات الله عليهم ـ فتلك أعظم، والواقع فيها من الجانبين، فما فعلته الأنبياء من الدعوة إلى توحيد الله وعبادته ودينه ، وإظهار آياته وأمره ونهيه ووعده ووعيده، ومجاهدة المكذبين لهم، والصبر على أذاهم هو أعظم عند الله؛ ولهذا كانوا أفضل من يوسف ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ وما صبروا عليه وعنه أعظم

(1) سورة يوسف، الآية: 3.

(2) سورة يوسف، الآية: 56.

من الذي صبر يوسف عليه وعنه، وعبادتهم لله وطاعتهم وتقواهم وصبرهم بما فعلوه، أعظم من طاعة يوسف وعبادته وتقواه، أولئك أولو العزم الذين خصهم الله بالذكر في قوله: ژ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ژ [1]، وقال تعالى: ژ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ [2] وهم يوم القيامة الذين تطلب منهم الأمم الشفاعة، وبهم أمر خاتم الرسل أن يقتدي في الصبر، فقيل له: ژ ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ژ [3]، فقصصهم أحسن من قصة يوسف؛ ولهذا ثناها الله في القرآن، لا سيما قصة موسى. قال الإمام أحمد بن حنبل: أحسن أحاديث الأنبياء حديث تكليم الله لموسى.....

وهذا يدل على أن أحسن القصص يعم هذا كله، بل لفظ [القصص] يتناول ما قصه الأنبياء من آيات اللهّ غير أخبار الأمم، كقوله تعالى: ژ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ژ [4]. وقال في موضع آخر: ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ژ [5].

الدراسة:

قرر شيخ الإسلام أن المراد بأحسن القصص في قوله تعالى ژ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ژ هو كل ما قصه اللهّ، لم يخص به قصة يوسف؛ ولهذا قال: ژ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ژ، ولم يقل: بما أوحينا إليك هذه السورة، بل هي مما قصه الله، ومما يدخل في أحسن القصص؛ ولهذا قال تعالى في آخر السورة ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئي ئي ی ی ی ی ئج ئح ئم ژ.

(1) سورة الأحزاب، الآية: 7.

(2) سورة الشورى، الآية: 13.

(3) سورة الأحقاف، الآية: 35.

(4) سورة الأنعام، الآية: 130.

(5) مجموع الفتاوى (17/ 39 - 45).

وقرر الشيخ أن قصص الأنبياء، م وسى ونوح وإبراهيم وغيرهم من الرسلأحسن من قصة يوسف، وقصة موسى وما جرى له مع فرعون وغيره، أعظم وأشرف من قصة يوسف بكثير كثير؛ ولهذا هي أعظم قصص الأنبياء التي تذكر في القرآن، ثناها الله أكثر من غيرها، وبسطها وطولها أكثر من غيرها.

وخطأ الشيخ من قال إن [القَصَص] ـ بالفتح ـ هو النبأ والخبر، وعليه فقصة يوسف هي أحسن الأخبار والأنباء.

وكذا خطأ من قال أنالمراد: أحسن القِصَص ـ بالكسر ونعته بالجهلبالعربية، ثم ذكر الشيخ عدداً من الأوجه التي تدل على أنقصص سائر الأنبياء ـ كنوح وهوهوصالح وموسى وشعيب وغيرهم من المرسلين هي أحسن من قصة يوسف لما يأتي

1 - أن ما عودي به هؤلاء الأنبياء أعظم مما عـودي بـه يوسف.

2 - أن هؤلاء الأنبياء أ فضل عند الله و درجتهم أعلى من درجة يوسـف ـ صلوات الله عليهم أجمعين

3 - وأن نصر أولئك أعظم من نصر يوسف.

4 - أن الله ثرى الله تلك القصص في القرآن ولم يثن قصة يوسف.

وبهذا يتبين أن قـوله تعالى: ژ ۓ ڭ ڭ ڭ ژ يتناول كل مـا قصـه في كتابه، فهو أحسـن مما لم يقصه، فقصة يوسف أحسن القصص في جنسها مما لم يقص في القرآن الكريم ؛ وذلك لأن يوسف عودي، وحُسد على محبة أبيه له وظُلم، فصبر واتق ى الله، وابتلي ـ صلوات الله عليه ـ بمن ظلمه وبمن دعاه إلى الفاحشة، فصبر واتقى الله في هذا وفي هذا، وابتلي أيضًا بالملك، فابتلي بالسراء والضراء فصبر واتقى الله في هذا وهذا، فكانت قصته من أحسن القصص، وهي أحسن من القصص التي لم تقص في القرآن، فإن الناس قد يظلمون ويحسدون ويدعون إلى الفاحشة ويبتلون بالملك، لكن ليس من لم يذكر في القرآن ممن اتقى الله وصبر مثل يوسف، ولا فيهم من كانت عاقبته أحسن العواقب في الدنيا والآخرة مثل يوسف.

كما أن قصة أهل الكهف وقصة ذي القرنين كل منهما هي في جنسها أحسن من غيرها. فقصة ذي القرنين أحسن قصص الملوك، وقصة أهل الكهف أحسن قصص أولياء الله الذين كانوا في زمن الْفِتْرَةِ.

وتبين من خلال كلام الشيخ رحمه الله تعالى أن القصص القرآني يشمل ما يلي:

1- ما قصه علينا من أخبار الأنبياء مع قومهم ؛ ولهذا قال تعالى في بداية قصة يوسف: ژ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ژ [1]، ومن جملة قصص الأنبياء قصة يوسف وموسى وهود ويونس وإبراهيم وعيسى وأيوب.

2- ما ذكره الله تعالى من أخبار الأمم السالفة كقصة ذي القرنين وأصحاب السبت وأصحاب الجنة وقصة أهل الكهف وغير ذلك.

3- ما قصه الأنبياء علينا من آيات الله غير أخبار الأمم السالفة كما قال تعالى: ژ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ژ [2] [3].

***

(1) الآية -3 من سورة يوسف.

(2) الآية 130 من سورة الأنعام

(3) ينظر: مجموع الفتاوى 17/ 42

المطلب الثاني
تكرار القصص في القرآن الكريم وحكمه

قال شيخ الإسلام :

"وقد ذكر الله هذه القصة [1] في عدة مواضع من القرآن، يبين في كل موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعًا غير النوع الآخر، كما يسمي الله ورسوله وكتابه بأسماء متعددة، كل اسم يدل على معنى لم يدل عليه الاسم الآخر، وليس في هذا تكرار، بل فيه تنويع الآيات..... وكذلك في الجمل التامة، يعبر عن القصة بجمل تدل على معان فيها، ثم يعبر عنها بجمل أخر ى تدل على معان أخر، وإن كانت القصة المذكورة ذاتها واحدة فصفاتها متعددة، ففي كل جملة من الجمل معن ى ليس في الجمل الأخر. وليس في القرآن تكرار أصلاً، وأما ما ذكره بعض الناس [2] من أنه كرر القصص مع إمكان الاكتفاء بالواحدة، وكان الحكمة فيه: أن وفود العرب كانت ترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقرئهم المسلمون شيئًا من القرآن، فيكون ذلك كافيا، وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة، فلو لم تكن الآيات والقصص مثناة متكررة لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسي إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم، فأراد الله أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض، وأن يلقيها إلى كل سمع. فهذا كلام من لم يقدر القرآن قدره... [3]".

وقال أيضا:" وكذلك قصص القرآن ليس فيها تكرار كما ظنه بعضهم [4]".

الدراسة:

---

(1) يعني قصة موسى.

(2) ممن ذكر ذلك ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص 180.

(3) مجموع الفتاوى 19/ 167-169.

(4) مجموع الفتاوى 16/ 537

بين الشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن قصص القرآن ليس فيها تكرار وأن كل موضع ذكرت فيه القصة اشتمل على أنواع من الاعتبار والاستدلال ما لم يشتمل عليه الموضع الآخر، وقد علل عدم وجود التكرار في القصص القرآني بما يأتي:

1- أن في كل موضع من القصص القرآني من الاعتبار والاستدلال نوعا غير النوع الآخر، كما يسمي الله ورسوله وكتابه بأسماء متعددة كل اسم يدل على معنى لم يدل عليه الاسم الآخر وليس في هذا تكرار، بل فيه تنويع الآيات مثل أسماء النبي، فإنه إذا قيل محمد وأحمد والحاشر والعاقب والمقفى ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة كان في كل اسم دلالة على معنى ليس في الاسم الآخر، وإن كانت الذات واحدة فالصفات متنوعة. وكذلك أسماء الرب تعالى إذا قيل الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الذي في الاسم الآخر فالذات واحدة والصفات متعددة فهذا في الأسماء المفردة [1].

2- أن القرآن يعبر عن القصة بجمل تدل على معان فيها ثم يعبر عنها بجمل أخرى تدل على معان أخر وإن كانت القصة المذكورة ذاتها واحدة فصفاتها متعددة ، فيكون في كل جملة من جمل القصص القرآني معنى ليس في الجمل الأخرى، وذلك دال على أن القرآن ليس فيه تكرار أصلاً [2].

وقد ذهب بعض العلماء إلى وجود التكرار في القصص القرآني مستدلاً على ذلك بأن وفود العرب كانت ترد على النبي ﷺ" للإسلام فيقرئهم المسلمون شيئا من القرآن فيكون ذلك كافيا لهم، وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة، فلو لم

(1) ينظر: مجموع الفتاوى 19/ 167

(2) ينظر: مجموع الفتاوى 19/ 168-169.

تكن الأنباء والقصص مثناة ومكررة لوقعت قصة موسى إلى قوم وقصة عيسى إلى قوم وقصة نوح إلى قوم، وقصة لوط إلى قوم؛ فأراد الله بلطفه ورحمته أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض، ويلقيها في كل سمع، ويثبتها في كل قلب، ويزيد الحاضرين في الإفهام والتحذير [1]".

وقد أشار شيخ الإسلام إلى أن هذا قول من لم يقدر القرآن قدره [2].

والذي يترجح والله أعلم هو نفي التكرار في القصص القرآني إذا كان المراد به إعادة اللفظ في سياق واحد ولمعنى واحد، أما إذا ذكر اللفظ أكثر من مرة لاعتبار آخر فلا يكون ممنوعا، لأن نفي التكرار ليس معناه أن لا يذكر حدث من أحداث القصة في سورة أو أكثر لأن هناك أمورا كلية وأحداثاً مهمة رئيسة لا يجوز أن تخلو منها سورة من السور، وعلى هذا فالمنهج القصصي في القرآن هو المنهج البديع المعجز، حيث تذكر القصة في سور كثيرة وتخص بعض السور بذكر حدث واحد ثم توزع المشاهد والأحداث على السور التي ذكرت فيها القصة قلت أم كثرت بحيث تجد في كل سورة ما لا تجده في غيرها، وبحيث يذكر في كل سورة ما يتلاءم مع موضوعها وسياقها [3] وهذا ما قرره شيخ الإسلام.

وبهذا يتبين أنه لا يوجد تعارض ألبتة فيما سمي بالتكرار في القرآن ذلك أن الخلاف بين من ينفي التكرار ومن يثبته لا يعدو أن يكون لفطياً ولا يترتب عليه أي أثر لأن من نفى التكرار قصد نفي تكرار الألفاظ ذاتها للقصة الواحدة في المواضع التي ذكرت فيها فقد يذكر في موضع آخر للقصة ذاتها حدث جديد لم يذكر في موضع سابق ومن قال بالتكرار قال بتكرار القصة بالنسبة لذات الأشخاص وإن

---

(1) تأويل مشكل القرآن ص 180. وينظر: الإتقان 2/ 133.

(2) ينظر: مجموع الفتاوى 19/ 169.

(3) ينظر: قصص القرآن الكريم ص 71، 81.

اختلفت ظروفها وتباينت وقائعها [1].

وقد أشار شيخ الإسلام وغيره إلى بعض الحكم من تثنية القصص في القرآن الكريم ومن ذلك:

1- اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة: فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام، وتبرز معان أخرى في سائر المقامات حسب اختلاف مقتضيات الأحوال [2].

2- الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها في النفس فإن التكرار من طرق التأكيد وأمارات الاهتمام، كما هو الحال في قصة موسى مع فرعون لأنها تمثل الصراع بين الحق والباطل أتم تمثيل [3].

3- بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر، وتصاغ في قالب غير القالب ولا يمل الإنسان من تكرارها [4].

4- قوة الإعجاز: فإيراد المعنى الواحد في صور متعددة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة منها أبلغ في التحدي [5].

المطلب الثالث
فوائد قصص القرآن الكريم

(1) عظمة القرآن الكريم ص 295.

(2) ينظر: عظمة القرآن الكريم ص 298- 299.

(3) ينظر: عظمة القرآن الكريم ص 298.

(4) ينظر: الإتقان في علوم القرآن 2/ 133، عظمة القرآن الكريم ص 298.

(5) ينظر: الإتقان في علوم القرآن 2/ 133، عظمة القرآن الكريم ص 298.

قال شيخ الإسلام:

"... وفي قصص هذه الأمور [1] عبرة للمؤمنين بهم، فإنهم لابد أن يبتلوا بما هو أكثر من ذلك، ولا ييأسوا إذا ابتلوا بذلك، ويعلمون أنه قد ابتلي به من هو خير منهم، وكانت العاقبة إلى خير، فليتيقن المرتاب، ويتوب المذنب ويقو ى إيمان المؤمنين، فبها يصح الاتساء بالأنبياء كما في قوله: ژ ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئى ئى ئې ئى ئى ئى ى ژ[2] ،وفي القرآن من قصص المرسلين التي فيها تسلية وتثبيت؛ ليتأس ى بهم في الصبر على ما كذبوا وأوذوا، كما قال تعالى: ژ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ئا ئا ئە ئە ئو ژ[3] [بياض بالأصل]... ولهذا قال: ژ ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ژ[4] ، وقال: ژ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ژ[5] وقال: ژ ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ژ [6]، ژ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ ژ [7] [8].

الدراسة:

القصص القرآني لا يقصد به بيان التاريخ بذاته وإنما له فوائد عظيمة ومقاصد سامية، وهذه الفوائد متنوعة، وموزعة على قصصه حسب موضوعاتها وسياقها، ومن هذه الفوائد التي أشار الشيخ إلى جملة منها:

---

(1) إشارة إلى قصة إبراهيم في قوله تعالى(وإذ قال إبراهيم أرب أرني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي)

(2) سورة الأحزاب، الآية: 21.

(3) سورة الأنعام، الآية: 34.

(4) سورة يوسف، الآية: 111.

(5) سورة فصلت، الآية: 43.

(6) سورة الأحقاف، الآية: 35.

(7) سورة هود، الآية: 120.

(8) مجموع الفتاوي 15/ 78-79

1- تثبيت النبيﷺ وتسليته: فمن أعظم فوائد القصص القرآني تثبيت النبي ﷺ وأمته على الدعوة إلى الحق، وتحمل مشاقها والصبر على العذاب في سبيلها، وبذلك تقوى ثقة المؤمنين بنصر الحق وجنده وخذلان الباطل وأهله، كما قال تعالى: ژ ڤ ڤ ڤ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ

4- تربية المؤمنين: من فوائد القصص القرآني تربية المؤمنين التربية الصحيحة وخاصة التربية على العقيدة الصحيحة من الإيمان بالله و الإيمان بالبعث والجزاء والإيمان بالأنبياء والصبر على أذى الكافرين، نجد ذلك في قصة السحرة الذين آمنوا بموسى فقضى عليهم فرعون بالصلب والقتل فثبتوا على عقيدتهم رغم فظاعة ما هددوا به وفي قصة أصحاب الكهف تربية في الثبات على التوحيد والإيمان بالبعث والجزاء وفي قصة لقمان تربية على بر الوالدين وشكر الله والوالدين، وفي قصة يوسف تربية على الوفاء والأمانة حيث ذكر يوسف إكرام العزيز له [1].

5- الدعوة إلى الخير والإصلاح: من فوائد القصص القرآني الدعوة إلى الخير والإصلاح ومنع الفساد ومن ذلك اشتمال قصة شعيب على الدعوة الصريحة إلى النهي عن التطفيف وبخس الناس أشياءهم، وهي مسألة تتصل بالإصلاح الاجتماعي ومنع الفساد في الأرض والقيام بحق الأمانة في التعامل، وفي قصة ابني آدم بيان لعاقبة الصلاح والفساد [2].

6- مواجهة اليأس بالصبر: وتظهر هذه الفائدة جلية في قصة يوسف عليه السلام حيث قال تعالى حكاية عن يعقوب: ﴿ ۈ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ﴾ [3]. وقال أيضاً: ﴿ ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ﴾ [4] [5].

7- إثبات الوحي والرسالة لمحمد ﷺ: من فوائد القصص القرآني إثبات الوحي والرسالة لمحمد ﷺ فقد جاء في ثنايا القصص القرآني أن هذه القصص غيب

---

(1) ينظر: عظمة القرآن الكريم (ص 309-310).

(2) ينظر: عظمة القرآن الكريم (ص 312).

(3) سورة يوسف، الآية: 83.

(4) سورة يوسف، الآية: 87.

(5) ينظر: عظمة القرآن (ص 313).

ومجهولة لا يعلمها النبي ﷺ ولا قومه، كما قال تعالى عقب قصة نوح ژ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

- المطلب الأول: مدار ضرب الأمثال في القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: أنواع الأمثال المضروبة في القرآن الكريم.
- المطلب الثالث: فوائد ضرب الأمثال في القرآن الكريم.

تمهيد: في تعريف المثل:

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:" **المثل في الأصل هو الشبيه** [1]".

وقال أيضاً: "**فلفظ المثل يراد به النظير الذي يقاس عليه، ويعتبر به، ويراد به مجموع القياس قال سبحانه** ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ژ[2] **أي لا أحد يحييها وهي رميم فمثل الخالق بالمخلوق في هذا النفي، فجعل هذا مثل هذا لا يقدر على إحيائها...**[3]".

الدراسة:

الأمثال في اللغة جمع مثل، والمثل كالشبه لفظا ومعنى، فمادة الكلمة تفيد معنى المشابهة والمناظرة والاعتبار [4] وهذا ما قرره شيخ الإسلام. وأما في الاصطلاح فهي إبراز المعاني في صورة رائعة موجزة لها وقعها سواء كان ذلك على وجه التشبيه أو القول المرسل [5].

ومن أمثلة المثل الذي بمعنى الشبيه قوله تعالى: ژ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ ژ [6] حيث شبه الله تعالى من يحمل العلم ولا ينتفع به بالحمار يحمل أسفاراً، ومن أمثلة المثل الذي بمعنى النظير الذي يقاس عليه ويعتبر به ما ذكره القرآن من الأعمال والسنن لأجل الاعتبار نظرا للتشابه الموجود بين أفراد النوع الواحد إلى اطراد سنن الله فيأتي الاعتبار والقياس استنادا إلى مبدأ شمول الأحكام للمتماثلات فينتج أحكاما عامة تشمل سائر أفراد المتشابه للمثل،ذلك مثل قصص الأولين الواردة في

---

(1) مجموع الفتاوى 14/ 54.

(2) الآية 78 من سورة يس.

(3) مجموع الفتاوى 13/ 16-17.

(4) ينظر: معجم مقاييس اللغة 5/ 296-297، اللسان 11/ 612 مادة (مثل).

(5) انظر الواضح ص 197 مباحث في علوم القرآن للقطان ص 282.

(6) الآية 5 من سورة الجمعة.

القرآن وما جرى لهم من أحداث فإنها تعتبر أمثالا يعتبر بها ويقاس عليها نظائرها بمقتضى التشابه بين أفراد النوع الواحد وثبات سنن الله في الكون [1].

(1) ينظر: القياس في القرآن الكريم ص 264-265.

المطلب الأول
مدار ضرب الأمثال في القرآن الكريم

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : "**فينبغى أن يعرف أن م دار ضرب المثل ونصب القياس على العموم والخصوص والسلب والإيجاب؛ فإنه ما من خبر إلا وهو إما عام أو خاص؛ سالب أو موجب، فالمعين خاص محصور، والجزئي أيضاً خاص غير محصور، والمطلق إما عام وإما في معنى الخاص.**

فينبغي لمن أراد معرفة هذا الباب أن يعرف صيغ النف ي والعموم؛ فإن ذلك يجيء في القرآن على أبلغ نظام.[1]"

الدراسة:

بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن الأمثال تدور على العموم والخصوص والنفي والإثبات، وعلى من أراد معرفة الأمثال أن تكون له معرفة بصيغ النفي والعموم؛ لما لذلك من أثر كبير في معرفة الأقيسة والأمثال ؛ ولهذا كان ضرب الأمثال في القرآن ينقسم إلى نوعين: أحدهما: الأمثال المعينة التي يقاس فيها الفرع بأصل معين موجود أو مقدر كقوله تعالى: ژ ٱ ب ب ب ب ژ [2]، والثاني: الأمثال الكلية وهي الأمثال العامة وسميت بذلك لكونها مطابقة ومماثلة لكل ما يندرج تحتها [3].

---

(1) مجموع الفتاوى (14/ 62).

(2) سورة البقرة، الآية: 17.

(3) ينظر: مجموع الفتاوى (14/ 54).

المطلب الثاني
أنواع الأمثال المضروبة في القرآن الكريم

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "فالأمثال المضروبة في القرآن منها ما يصرح فيه بتسميته مثلا، ومنها ما لا يسمى بذلك...[بياض بالأصل] ﴿ ﴾ ﴿ ﴾[1]، والذي يليه: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾[2]، ﴿ ﴾ ﴿ ﴾[3]، ﴿ ﴾ ﴿ ﴾[4]، ﴿ ﴾ ﴿ ﴾[5]، ﴿ ﴾ ﴿ ﴾[6] الآية، ﴿ ﴾ ﴿ ﴾[7]، والذي بعده ليس فيه لفظ"مثل": ﴿ ﴾[8]، في الثلاثة ﴿ ﴾[9]، ﴿ ﴾[10]، وقوله: ﴿ ﴾[11].

ومن هذا الباب قوله: ﴿ ﴾[12] الآية، ويسمى جدالاً ﴿ ﴾ إلى قوله: ﴿ ﴾[13]، ﴿ ﴾[1] الآية، ﴿ ﴾[2] ﴿ ﴾

---

(1) سورة البقرة، الآية: 17.

(2) سورة البقرة، الآية: 26.

(3) سورة البقرة، الآية: 171.

(4) سورة البقرة، الآية: 214.

(5) سورة القرة، الآية: 261.

(6) سورة البقرة، الآية: 264.

(7) سورة البقرة، الآية: 265.

(8) سورة آل عمران، الآية: 11.

(9) سورة آل عمران، الآية: 13.

(10) سورة آل عمران، الآية: 117.

(11) سورة آل عمران، الآية: 46.

(12) سورة هود، الآية: 31.

(13) سورة الأعراف، الآية: 176.

ﮋ ﮌ ﮍ[3]، وقول يوسف:ﮋ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ[4]، ﮋ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

وحجج تفيد تصوراً أو تصديقاً ژ پ پ پ پ ڀ ڀ ژ[1] ، ژ ٱ ب ب ب ب پ پ ژ[2] ، ژ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ژ[3] ، ژ ے ۓ ژ إلى قوله: ژ ئې ئې ئى ئى ئۈ ژ[4] ، ژ چ چ چ چ ڇ ڇ ژ[5] المثلين، مثل نور المؤمنين في المساجد وأولئك في الظلماتژ ٱ ب ب ب ب پ پ ژ[6] ، فالتفسير يعم التصوير، ويعم التحقيق بالدليل، كما في تفسير الكلام المشروح ژ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڈ ڈ ژ[7] الآية،ژ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ ژ[8] ، ژ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ژ[9]،ژ ڍ ڍ ڈ ڈ ژ[10] ، ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ژ[11] الآية،ژ ٱ ب ب ب ب پ پ ژ[12] ، ژ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ژ[13] ، وقوله: ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ژ[14]،ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ژ إلى قوله:ژ ئا ئا ئە ئە ئو ئو ژ[15]، ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ژ[16] إلى آخره لما أوردوه نقضاً على قوله:

(1) سورة الحج، الآية: 31.
(2) سورة الحج، الآية: 73.
(3) سورة النور، الآية: 34.
(4) سورة النور، الآية: 35.
(5) سورة النور، الآية: 39.
(6) سورة الفرقان، الآية: 33.
(7) سورة العكنبوت، الآية: 41.
(8) سورة العنكبوت، الآية: 43.
(9) سورة الروم، الآية: 27.
(10) سورة الروم، الآية: 28.
(11) سورة الروم، الآية: 58.
(12) سورة يس، الآية: 13.
(13) سورة يس، الآيتان: 77 – 78.
(14) سورة ص، الآية: 23.
(15) سورة الزمر، الآيات: 27 – 29.
(16) سورة الزخرف، الآية: 57.

ژ ڈ ڈ ۀ ہ ہ ہ ژ[1] ، فهم الذين ضربوه جدلاً، ژ ٱ ٻ ٻ ژ إلى قوله: ژ چ چ چ چ ژ[2] ، ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ژ[3] ، ژ ۈ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ژ[4] ، ژ ڈ ژ ژ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ژ[5] ، ژ ژ ژ ڑ ک ک ک ژ[6] الآية ، ژ ک ک ک گ گ ژ[7] ، وژ ے ے ژ[8] ، ژ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ژ[9] ، ژ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ژ[10] ، ژ ڈ ژ[11] وژ ق ژ[12] [13].

ويقول أيضاً: " وضرب الأمثال في المعاني نوعان، هما نوعا القياس:

أحدهما: الأمثال المعينة التي يقاس فيها الفرع بأصل معين موجود أو مقدر، وهي في القرآن بضع وأربعون مثلاً، كقوله: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ژ[14] إلى آخره، وقوله: ژ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ڑ ژ[15]، وقوله: ژ ۈ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۇ ٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي ٱ

(1) سورة الأنبياء، الآية: 98.

(2) سورة محمد، الآيات: 1 -3.

(3) سورة الحشر، الآية: 15.

(4) سورة الحشر، الآية: 16.

(5) سورة الحشر، الآية: 21.

(6) سورة الجمعة، الآية: 5.

(7) سورة التحريم، الآية: 10.

(8) سورة التحريم، الآية: 11.

(9) سورة المدثر، الآية: 31.

(10) سورة المعارج، الآية: 43.

(11) سورة القارعة، الآية: 4.

(12) سورة القارعة الآية: 5.

(13) مجموع الفتاوى (14/ 65- 67).

(14) سورة البقرة، الآية: 71.

(15) سورة البقرة، الآية: 261.

ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ [1] فإن التمثيل بين الموصوفين الذين يذكرهم من المنافقين، والمنفقين والمخلصين منهم والمرائين، وبين ما يذكره سبحانه من تلك الأمثال هو من جنس قياس التمثيل، الذي يقال فيه: مثل الذي يقتل بكودتى القَصَّار [كودتا القَصّار: هما خشبتا القصار. والقصار: هو المحور والمهذب للثياب؛ لأنه يدقها بالقصرة. ينظر: لسان العرب، مادة: قصر] كمثل الذي يقتل بالسيف، ومثل الهرة تقع في الزيت كمثل الفأرة تقع في السمن ونحو ذلك، ومبناه على الجمع بينهما، والفرق في الصفات المعتبرة في الحكم المقصود إثباته أو نفيه، وقوله: مثله كمثل كذا، تشبيه للمثل العلمي بالمثل العلمي؛ لأنه هو الذي بتوسطه يحصل القياس، فإن المعتبر ينظر في أحدهما فيتمثل في علمه، وينظر في الآخر فيتمثل في علمه ثم يعتبر أحد المثلين بالآخر فيجدهما سواء، فيعلم أنهما سواء في أنفسهما لاستوائهما في العلم، ولا يمكن اعتبار أحدهما بالآخر في نفسه حتى يتمثل كل منهما في العلم، فإن الحكم على الشيء فرع على تصوره؛ ولهذا والله أعلم يقال: مثل هذا كمثل... [بياض بالأصل].

وبعض المواضع يذكر سبحانه الأصل المعتبر به ليستفاد حكم الفرع منه من غير تصريح بذكر الفرع، كقوله: ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ إلى قوله: ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ [2]، فإن هذا يحتاج إلى تفكر.

النوع الثانى[3]: الأمثال الكلية، وهذه التي أشكل تسميتها أمثالا، كما أشكل تسميتها قياساً، حتى اعترض بعضهم قوله: ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ [4] فقال: أين المثل

(1) سورة البقرة، الآية: 265.

(2) سورة البقرة، الآية: 266.

(3) من أنواع صرب الأمثال في المعاني.

(4) سورة الحج، الآية: 73.

**المضروب؟ وكذلك إذا سمعوا قوله: ژ ۋ ۋ ې ې ې ې ۉ ۉ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ

ﭐﭑﭒﭓﭔ ﭕ ﭖ ﭗ[1] ففي هذه الآية ثلاثة أمثال ضربها الله في مثل واحد يقول كما اضمحل هذا الزبد فصار جفاء لا ينتفع به كذلك يضمحل الباطل عن أهله، وكما مكث الماء في الأرض فأمرعت وأخرجت نباتها، كذلك يبقى الحق لأهله وقوله تعالى: ﭐﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

النوع الأول: الأمثال القصصية: ويراد بها القصص الواردة في القرآن للاعتبار بها، بأن يقاس عليها نظائرها لمقتضى التشابه بين أفراد النوع الواحد وهي من القياس التمثيلي، ولكنها وردت بأسلوب قصصي [1] ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى: ژ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ژ [2].

ولم يذكر شيخ الإسلام من أنواع الأمثال بحسب الدلالة سوى هذا النوع، وذكر غيره النوعين الآخرين:

النوع الثاني: الأمثال العقلية ويقصد بها إلحاق الأمور الغائبة بالمشاهدة لجامع بينها وهي من قبيل القياس العقلي [3] ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى: ژ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ژ [4].

النوع الثالث: الأمثال التمثيلية: ويراد بها مشابهة الشيء لغيره في معنى من المعاني حيث أقام الله تعالى فيها المشبه مقام المشبه به في المعنى الذي يتماثلان فيه، ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ [5][6].

ثالثاً: الأمثال في القرآن من حيث المعاني : وقد ذكر الشيخ أن الأمثال تنقسم بهذا الاعتبار إلى نوعين:

النوع الأول: الأمثال المعينة: وهي التي يقاس فيها الفرع بأصل معين موجود أو مقدر ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى: ژ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ

---

(1) ينظر: مجموع الفتاوى 14/ 57.

(2) سورة يس، الآيتان: 13-14.

(3) ينظر: مجموع الفتاوى 12/ 350.

(4) سورة الحج، الآية: 73.

(5) سورة البقرة، الآية: 171.

(6) ينظر: القياس في القرآن الكريم والسنة النبوية ص 278.

.[1]

وهذا النوع من جنس قياس التمثيل لأنه مبني على الجمع بين المتماثلات والتفريق بين المختلفات في الصفات المعتبرة في الحكم المقصود إثباته أو نفيه [2].

النوع الثاني: الأمثال الكلية: وهي التي يطابق فيها الفرد المعين للمعنى العام الشامل للأفراد مثال هذا النوع قوله تعالى: ﴿ ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽

المطلب الثالث
فوائد صرب الأمثال في القرآن الكريم

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" و[المثل] هو الأصل والنظير المشبه به، كما قال: ﴿ ۈ ۇ ۆ ۆ ۈ ۇ ﴾[1] ، أي: لما جعلوه نظيرًا قاسوا عليه آلهتهم، وقالوا: إذا كان قد عُبِد وهو لا يعذب فكذلك آلهتنا، فضربوه مثلا لآلهتهم، وجعلوا يصدون، أي: يضجون، ويعجبون منه احتجاجًا به على الرسول، والفرق بينه وبين آلهتهم ظاهر، كما بينه في قوله تعالى: ﴿ ۋ ۋ ې ې ې ﴾[2] ، وقال في قوم فرعون: ﴿ ے ۓ ﴾[3] ، أي: مثلاً يعتبر به ويقاس عليه غيره، فمن عمل بمثل عمله جُوزِي بجزائه؛ ليتعظ الناس به فلا يعمل بمثل عمله. وقال تعالى: ﴿ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ﴾[4] ، وهو ما ذكره من أحوال الأمم الماضية، التي يعتبر بها ويقاس عليها أحوال الأمم المستقبلة، كما قال: ﴿ ئا ئە ئە ئو ئو ﴾[5]، فمن كان من أهل الإيمان قيس بهم، وعلم أن اللهّ يسعده في الدنيا والآخرة، ومن كان من أهل الكفر قيس بهم، وعلم أن اللهّ يشقيه في الدنيا والآخرة، كما قال في حق هؤلاء: ﴿ ۋ ۋ ې ې ې ﴾[6] ، وقد قال: ﴿ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ﴾[7] ، وقال في حق المؤمنين:﴿ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ﴾[8] ، وقال: ﴿ ک ک ک ک ﴾

(1) سورة الزخرف، الآية: 57.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 10.

(3) سورة الزخرف، الآية: 56.

(4) سورة النور، الآية: 34.

(5) سورة يوسف، الآية: 111.

(6) سورة القمر، الآية: 43.

(7) سورة آل عمران، الآية: 137.

(8) سورة النور، الآية: 55.

ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ[1]، وقال في قصة أيوب: ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ[2]، ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ[3]، وقال: ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ[4]، وقال: ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ[5]، وقال: ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ[6][7].

ويقول أيضاً:" **وخير الكلام ما قل ودل؛ فلهذا كانت الأمثال المضروبة في القرآن تحذف منها القضية الجلية، لأن في ذكرها تطويلا وعيا**[8]"

الدراسة:

بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى جملةً من فوائد ضرب الأمثال في القرآن.

ولضرب الأمثال في القرآن الكريم فوائد كثيرة ،ودوراً كبيراً في إيضاح الحق للخلق وإقامة الحجة عليهم ومن هذه الفوائد ما يأتي:

1- الاعتبار والاتعاظ

2- **الإيجاز في الخطاب** : إذا كان المقام يستدعي ذلك وقد أشار الشيخ إلى هاتين الفائدتين.

3- إظهار المعنى المعقول في صورة محسوسة: وذلك كالمثل الذي ضربه الله تعالى لحال الذي ينفق ماله رياء حيث شبهه بالحجارة التي عليها التراب فينزل عليها الماء

---

(1) سورة الأنبياء، الآيتان: 87، 88.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 84.

(3) سورة ص، الآية: 43.

(4) سورة الأنعام، الآية: 9.

(5) سورة البقرة، الآية: 214.

(6) سورة هود، الآية: 120.

(7) مجموع الفتاوى (13/ 15-15).

(8) مجموع الفتاوى (14/ 61).

فيتركها جرداء لا شيء عليها فقال تعالى: ﴿ ۋ ۋ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئي ئي بج بح بخ بم بى بي تج ﴾[1][2].

4- التنفير: من فوائد ضرب الأمثال تنفير النفس وصدها عن القبيح وذلك بإبراز المنهي عنه بأبشع صورة، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ﴾[3][4].

5- **الترغيب**: من فوائد ضرب الأمثال الترغيب كقوله تعالى: ﴿ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ﴾[5][6].

6- قوة الحجة: من فوائد الأمثال القرآنية أنها أبلغ في الوعظ وأقوم وأقوى في الحجة والإقناع قال تعالى: ﴿ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ﴾[7][8].

7- تقريب المعنى للأفهام: من فوائد ضرب الأمثال تفهيم المعنى وإيصاله إلى الذهن ليكون أقرب إلى التعقل والفهم، يقول العز بن عبد السلام " الغرض من ضرب الأمثال المبالغة في الإيضاح والبيان حتى يصير الغائب كالحاضر والمتخيل كالمتحقق والمتوهم كالمتيقن ولذلك كثرت في كتاب الله[9] "

---

(1) سورة البقرة، الآية: 264.

(2) ينظر: البرهان 1/ 487، الإتقان 2/ 254، الأمثال في القرآن الكريم ص 44-45، القياس في القرآن الكريم والسنة النبوية ص 296.

(3) الآية 5 من سورة الجمعة.

(4) ينظر: البرهان 1/ 486، الإتقان 2/ 254، الأمثال في القرآن الكريم ص 50، القياس في القرآن الكريم والسنة النبوية ص 296.

(5) الآية 261 من سورة البقرة.

(6) ينظر: الإتقان 2/ 254، الأمثال في القرآن الكريم ص 50.

(7) الآية 27 من سورة الزمر.

(8) ينظر: القياس في القرآن الكريم والسنة النبوية ص 295-296.

(9) مجاز القرآن ص 387، وينظر: الإتقان 2/ 254.

وقد جمع الزركشي كثيراً من فوائد ضرب الأمثال في القرآن فقال: " وضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة: التذكير والوعظ، والحث، والزجر والاعتبار والتقرير، وترتيب المراد للعقل وتصويره في صورة المحسوس بحيث يكون نسبته للفعل كنسبة المحسوس إلى الحس، وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر [1]".

***

المبحث الثالث

(1) البرهان 1/ 486-487.

أقســـــام القـــــرآن

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: المقسم به في القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: أحوال المقسم به.
- المطلب الثالث: القسم والشرط.

المطلب الأول
المقسم به في القرآن الكريم

يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى :" **وهو سبحانه يقسم بأمور على أمور، وإنما يقسم بنفسه المقدسة الموصوفة بصفاته، أو بآياته المستلزمة لذاته وصفاته، وإقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته.**[1]"

ويقول أيضا:" **فالأقسام التي في القرآن عامتها بالذوات الفاعلة وغير الفاعلة. يقسم بنفس الفعل،كقوله:** ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ︀ ︁ ︂ ︃ ︄ ︅ ︆ ︇ ︈ ︉ ︊ ︋ ︌ ︍ ︎ ️ ︐ ︑ ︒ ︓ ︔ ︕ ︖ ︗ ︘ ︙ ︚ ︛ ︜ ︝ ︞ ︟ ︠ ︡ ︢ ︣ ︤ ︥ ︦ ︧ ︨ ︩ ︪ ︫ ︬ ︭ ︮ ︯ ︰ ︱ ︲ ︳ ︴ ︵ ︶ ︷ ︸ ︹ ︺ ︻ ︼ ︽ ︾ ︿ ﹀ ﹁ ﹂ ﹃ ﹄ ﹅ ﹆ ﹇ ﹈ ﹉ ﹊ ﹋ ﹌ ﹍ ﹎ ﹏ ﹐ ﹑ ﹒ ﹓ ﹔ ﹕ ﹖ ﹗ ﹘ ﹙ ﹚ ﹛ ﹜ ﹝ ﹞ ﹟ ﹠ ﹡ ﹢ ﹣ ﹤ ﹥ ﹦ ﹧ ﹨ ﹩ ﹪ ﹫ ﹬ ﹭ ﹮ ﹯ ﹰ ﹱ ﹲ ﹳ ﹴ ﹵ ﹶ ﹷ ﹸ ﹹ ﹺ ﹻ ﹼ ﹽ ﹾ ﹿ ﺀ ﺁ ﺂ ﺃ ﺄ ﺅ ﺆ ﺇ ﺈ ﺉ ﺊ ﺋ ﺌ ﺍ ﺎ ﺏ ﺐ ﺑ ﺒ ﺓ ﺔ ﺕ ﺖ ﺗ ﺘ ﺙ ﺚ ﺛ ﺜ ﺝ ﺞ ﺟ ﺠ ﺡ ﺢ ﺣ ﺤ ﺥ ﺦ ﺧ ﺨ ﺩ ﺪ ﺫ ﺬ ﺭ ﺮ ﺯ ﺰ ﺱ ﺲ ﺳ ﺴ ﺵ ﺶ ﺷ ﺸ ﺹ ﺺ ﺻ ﺼ ﺽ ﺾ ﺿ ﻀ ﻁ ﻂ ﻃ ﻄ ﻅ ﻆ ﻇ ﻈ ﻉ ﻊ ﻋ ﻌ ﻍ ﻎ ﻏ ﻐ ﻑ ﻒ ﻓ ﻔ ﻕ ﻖ ﻗ ﻘ ﻙ ﻚ ﻛ ﻜ ﻝ ﻞ ﻟ ﻠ ﻡ ﻢ ﻣ ﻤ ﻥ ﻦ ﻧ ﻨ ﻩ ﻪ ﻫ ﻬ ﻭ ﻮ ﻯ ﻰ ﻱ ﻲ ﻳ ﻴ ﻵ ﻶ ﻷ ﻸ ﻹ ﻺ ﻻ ﻼ ﻽ ﻾ ＀ ！ ＂ ＃ ＄ ％ ＆ ＇ （ ） ＊ ＋ ， － ． ／ ０ １ ２ ３ ４ ５ ６ ７ ８ ９ ： ； ＜ ＝ ＞ ？ ＠ Ａ Ｂ Ｃ Ｄ Ｅ Ｆ Ｇ Ｈ Ｉ Ｊ Ｋ Ｌ Ｍ Ｎ Ｏ Ｐ Ｑ Ｒ Ｓ Ｔ Ｕ Ｖ Ｗ Ｘ Ｙ Ｚ ［ ＼ ］ ＾ ＿ ｀ ａ ｂ ｃ ｄ ｅ ｆ ｇ ｈ ｉ ｊ ｋ ｌ ｍ ｎ ｏ ｐ ｑ ｒ ｓ ｔ ｕ ｖ ｗ ｘ ｙ ｚ ｛ ｜ ｝ ～ ｟ ｠ ｡ ｢ ｣ ､ ･ ｦ ｧ ｨ ｩ ｪ ｫ ｬ ｭ ｮ ｯ ｰ ｱ ｲ ｳ ｴ ｵ ｶ ｷ ｸ ｹ ｺ ｻ ｼ ｽ ｾ ｿ ﾀ ﾁ ﾂ ﾃ ﾄ ﾅ ﾆ ﾇ ﾈ ﾉ ﾊ ﾋ ﾌ ﾍ ﾎ ﾏ ﾐ ﾑ ﾒ ﾓ ﾔ ﾕ ﾖ ﾗ ﾘ ﾙ ﾚ ﾛ ﾜ ﾝ ﾞ ﾟ ﾠ ﾡ ﾢ ﾣ ﾤ ﾥ ﾦ ﾧ ﾨ ﾩ ﾪ ﾫ ﾬ ﾭ ﾮ ﾯ ﾰ ﾱ ﾲ ﾳ ﾴ ﾵ ﾶ ﾷ ﾸ ﾹ ﾺ ﾻ ﾼ ﾽ ﾾ ﾿ ￀ ￁ ￂ ￃ ￄ ￅ ￆ ￇ ￈ ￉ ￊ ￋ ￌ ￍ ￎ ￏ ￐ ￑ ￒ ￓ ￔ ￕ ￖ ￗ ￘ ￙ ￚ ￛ ￜ ￝ ￞ ￟ ￠ ￡ ￢ ￣ ￤ ￥ ￦ ￧ ￨ ￩ ￪ ￫ ￬ ￭ ￮ ￯ ￰ ￱ ￲ ￳ ￴ ￵ ￶ ￷ ￸ ￹ ￺ ￻ ￼ � ￾ ￿ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

ژ ڈ ژ ژ ڑ ژ ، ژ ک ک ف ژ . فلم يصلح أن يقسم بفعل النفس، لأنها تفعل البر والفجور وهو سبحانه لا يقسم إلا بما هو معظم من مخلوقاته. لكن ذكر في ضمير القسم أنه خالق أفعالها بقوله: ژ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ژ[1] . فإذا كان قد بين أنه خالق فعل العبد الذي هو أظهر الأشياء فعلا واختيارًا وقدرة فلأن يكون خالق فعل الشمس، والقمر والليل، والنهار، بطريق الأولى والأحرى.

وأما السماء والأرض، فليس لهما فعل ظاهر يعظم في النفوس حتى يقسم بها إلا ما يظهر من الشمس، والقمر، والليل، والنهار. والسماء والأرض أعظم من الشمس والقمر والليل والنهار، والنفس أشرف الحيوان المخلوق، فكان القسم بصانع هذه الأمور العظيمة مناسبًا، وكان إقسامه بصانعها تنبيهًا على أنه صانع ما فيها من الشمس والقمر والليل والنهار. فتضمن الكلام الإقسام بصانع هذه المخلوقات، وبأعيانها، وما فيها من الآثار والمنافع لبني آدم. وختم القَسَم بالنفس، التي هي آخر المخلوقات، فإن الله خلق آدم يوم الجمعة آخر المخلوقات، وبين أنه خالق جميع أفعالها، ودل على أنه خالق جميع أفعال ما سواها. وهو سبحانه مع ما ذكر من عموم خلقه لجميع الموجودات على مراتبها حتى أفعال العبد المنقسمة إلى التقوى والفجور وبين انقسام الأفعال إلى الخير والشر، وانقسام الفاعلين إلى مفلح وخائب، سعيد وشقي. وهذا يتضمن الأمر والنهي، والوعد والوعيد. فكان في ذلك رد على القدرية المجوسية الذين يخرجون أفعال العباد عن خلقه وإلهامه، وعلى القدرية المشركين، الذين يبطلون أمره ونهيه، ووعده ووعيده احتجاجًا بقضائه وقدره. [2]".

(1) الآيتان: 7، 8 من سورة الشمس.

(2) مجموع الفتاوى 16/ 228-230.

الدراسة:

بين شيخ الإسلام جملة من أنواع المقسم به في القرآن وهي:

1- قسمه سبحانه بنفسه المقدسة الموصوفة بصفاته كقوله تعالى: ژ ۈ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۇ ۆ ۅ ژ [1]. وقوله: ژ ے ۓ ۓ ڭ ژ [2]. وقوله: ژ ں ڻ ڻ ڻ ژ [3].

2- قسمه سبحانه وتعالى بمخلوقاته: فأكثر ما يقسم الله به في قرآنه مخلوقاته المختلفة كقوله تعالى: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ژ [4][5].

والحكمة من قسمه تعالى بمخلوقاته هو من أجل أن نتفكر في عظمتها ونستدل بها على عظمة خالقها، ولينبه سبحانه وتعالى على ما في هذه المخلوقات من الفوائد العظيمة لننتفع بها و نشكره على تلك المنافع [6] يقول ابن القيم:" وإنما يقسم بنفسه الموصوفة بصفاته وآياته المستلزمة لذاته وصفاته وإقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته [7] ".

* * *

(1) الآية 65 من سورة النساء

(2) الآية 23 من سورة الداريات.

(3) الآية 3 من سورة الليل

(4) الآية 1-7 من سورة الشمس

(5) ينظر: مجموع الفتاوى 13/ 314-315، التبيان في أقسام القرآن ص 3-4، القسم في اللغة وفي القرآن ص 104.

(6) ينظر: مجموع الفتاوى 13/ 314-315.

(7) التبيان في أقسام القرآن ص 3

المطلب الثاني
أحوال المقسم عليه

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

=وهو سبحانه وتعالى لما أقسم بـ[الصافات] و[الذاريات] و[المرسلات] ذكر المقسم عليه. فقال تعالى: ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﮊ[1] ، وقال تعالى: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ[2] ، وقال تعالى:ﮋ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮊ[3]. ولم يذكره في النازعات؛ فإن الصافات هي الملائكة، وهو لم يقسم على وجودها، كما لم يقسم على وجود نفسه؛ إذ كانت الأمم معترفة بالصافات، وكانت معرفته ظاهرة عندهم لا يحتاج إلى إقسام، بخلاف التوحيد، فإنه كما قال تعالى: ﮋ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﮊ[4] . وكذلك الملائكة يقر بها عامة الأمم، كما ذكر اللهّ عن قوم نوح، وعاد، وثمود، وفرعون، مع شركهم وتكذيبهم بالرسل، أنهم كانوا يعرفون الملائكة. قال قوم نوح : ﮋ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ[5] ، وقال: ﮋ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮊ[6] ، وقال فرعون: ﮋ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ[7] .

وكذلك مشركو العرب، قال تعالى: ﮋ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﮊ[1] ، وقال تعالى: ﮋ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ[1] ، وقال

---

(1) الآية 4 من سورة الصافات.

(2) الآيتان: 5، 6 من سورة الذاريات.

(3) الآية 7 من سورة المرسلات.

(4) الآية 106 من سورة يوسف.

(5) الآية 24 من سورة المؤمنون.

(6) الآيتان: 13، 14 من سورة فصلت.

(7) الآيتان: 52، 53 من سورة الزخرف.

(1) الآية 8 من سورة الأنعام.

تعالى عن الأمم مطلقًا: ژ ۋ ۋ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۄ ۄ ۅ ۅ ۉ ۉ ۊ ۊ ۋ ۋ ی ی ۍ ۍ ێ ێ ۏ ۏ ې ې ۑ ۑ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ژ[2] .

فكانت هذه الأمم المكذبة للرسل المشركة بالرب مقرة بالله وبملائكته، فكيف بمن سواهم؟ فعلم أن الإقرار بالرب وملائكته معروف عند عامة الأمم؛ فلهذا لم يقسم عليه وإنما أقسم على التوحيد؛ لأن أكثرهم مشركون.

وكذلك [الذاريات] و[الحاملات] و[الجاريات]، هي أمور مشهودة للناس، و[المقسمات أمرًا] هم الملائكة، فلم يكن فيما أقسم به ما أقسم عليه، فذكر المقسم عليه، فقال تعالى: ژ ۇٴ ۋ ۋ ۄ ۄ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ژ[3] . و [المرسلات] سواء كانت هي الملائكة النازلة بالوحي والمقسم عليه الجزاء في الآخرة، أو الرياح، أو هذا وهذا، فهي معلومة أيضًا. وأما {النازعات غرقا } فهي الملائكة القابضة للأرواح، وهذا يتضمن الجزاء، وهو من أعظم المقسم عليه،"[4].

ويقول أيضاً:" فالقسم إما على جملة خبرية، وهو الغالب، كقوله تعالى: ژ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ژ[5] .وإما على جملة طلبية، كقوله تعالى: ژ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ژ مع أن هذا القسم قد يراد به تحقيق المقسم عليه، فيكون من باب الخبر، وقد يراد به محض القسم. والمقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه، فلابد أن يكون مما يحسن فيه ذلك كالأمور الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها. فأما الأمور المشهودة الظاهرة كالشمس والقمر، والليل والنهار، والسماء والأرض، فهذه يقسم بها ولا يقسم

---

(1) الآية 7 من سورة الفرقان.

(2) الآيتان: 94، 59 من سورة الإسراء.

(3) الآيتان: 5، 6 من سورة الذاريات.

(4) مجموع الفتاوى 13/ 18-20

(5) الآية 23 من سورة الذاريات.

عليها، وما أقسم عليه الرب عز وجل فهو من آياته، فيجوز أن يكون مقسمًا به ولا ينعكس [1]".

(1) مجموع الفتاوى 13/ 314-315.

الدراسة:

بين شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أن المقسم عليه قد يكون مذكورا وقد يكون محذوفا، كما بين أن المقسم عليه قد يكون جملة خبرية وقد يكون جملة طلبية.

وذكر الشيخ أن المقسم عليه في القرآن ينقسم إلى الأنواع الآتية:

1- القسم على التوحيد: فقد أقسم الله تعالى على ذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱ ب ب ب

ٹ ٹ ٹ ٹ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ۇ [1] [2].

3- القسم على أن القرآن حق ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ۇ [3][4].

4- القسم على إحصاء أعمال الإنسان وذلك في قوله تعالى: ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ۇ [5][6].

وأما الحكمة من المقسم عليه فهي تحقيقه وتوكيده كما قرر ذلك شيخ الإسلام؛ ولهذا فلابد أن يكون مما يحسن فيه ذلك كالأمور الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها. فأما الأمور المشهودة الظاهرة كالشمس والقمر، والليل والنهار، والسماء والأرض، فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها.

* * *

(1) الآية 1-8 من سورة العاديات.

(2) التبيان في أقسام القرآن ص 5، الزيادة والإحسان في علوم القرآن 6/ 469-470.

(3) الآية 75-77 من سورة الواقعة.

(4) ينظر: التبيان في أقسام القرآن ص 5، القسم في اللغة وفي القرآن ص 96، الزيادة والإحسان في علوم القرآن 6/ 469.

(5) الآية 1-4 من سورة الطارق.

(6) ينظر: القسم في اللغة وفي القرآن ص 94.

المطلب الثالث
القسم والشرط

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "**الكلام إذا اجتمع فيه شرط وقسم وقدم القسم سد جواب القسم مسد جواب الشرط والقسم كقوله تعالى: ﴿ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ﴾**[1]، **ومنه قوله تعالى: ﴿ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ﴾**[2]. **وقوله: ﴿ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﴾**[3]. **وقوله: ﴿ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ﴾**[4]. **وقوله: ﴿ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ﴾**[5][6].

ويقول أيضاً: "**... فإن الكلام إذا اشتمل على قسم و شرط و كل منهما يقتضي جوابه أجيب الأول منهما و هو هنا: القسم، و هو المقصود، و على هذا القول يكون المعنى و الله لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم بقلوبكم...**"[7]

الدراسة:

بين شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أن الكلام إذا اشتمل على قسم وشرط فإن الجواب يكون للمقدم منهما فإذا كان القسم هو المتقدم سواء كان ظاهراً أو مقدراً فإن الجواب المذكور في الكلام يكون للقسم، ويسد مسد جواب الشرط ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ﴾[1] وقوله: ﴿ ۀ ہ ہ ہ ﴾

---

(1) الآية 12 من سورة الحشر.

(2) الآية 75 من سورة التوبة120.

(3) الآية 109 من سورة الأنعام.

(4) الآية 53 من سورة النور.

(5) الآية 42 من سورة فاطر.

(6) الجواب الصحيح 2/ 120 -121.

(7) مجموع الفتاوى 16/ 518.

(1) الآية 75 من سورة التوبة120.

ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﷼ (1). وقوله:

ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﷼ (2). وقوله تعالى: ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﷼ (3). فإن الجواب في هذه الآيات إنما هو جواب للقسم لتقدمه ولكنه مع ذلك قد سد مسد جواب الشرط (4).

يقول الرضي (5):" إذا تقدم القسم أول الكلام ظاهرا أو مقدرا وبعده كلمة الشرط سواء كانت إن أو لو أو لولا أو أسماء الشرط فالأكثر والأولى اعتبار القسم دون الشرط فيجعل الجواب للقسم ويستغنى عن جواب الشرط لقيام القسم مقامه(6)".

***

(1) الآية 109 من سورة الأنعام.

(2) الآية 53 من سورة النور.

(3) الآية 5-6 من سورة التكاثر.

(4) مجموع الفتاوى 16/ 518، الجواب الصحيح 2/ 120-121، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ق2/ 2/ 1416.

(5) هو: محمد بن الحسن الإستراباذي السماني النجفي المعروف بالرضي ولد سنة 624 هـ من مؤلفاته شرح كافية ابن الحاجب انظر ترجمته في روضات الجنان ص 286، الأنوار الساطعة ص 155.

(6) شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ق2/ 2/ 1416.

المبحث الرابع

الجدل في القرآن الكريم

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: أنواع الجدل في القرآن الكريم (أساليب الجدل في القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: موضوعات الجدل في القرآن الكريم.

المطلب الأول
أنواع الجدل في القرآن الكريم(أساليب الجدل في القرآن)

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (... وذلك أن الله تعالى في كتابه ذكر من دلائل المعاد وبراهينه ما لا يقدر أحد على أن يأتي بقريب منه وذكر فيه من أصناف الحجج ما ينتفع به عامة الخلق، فإنه سبحانه دل على إمكان إحياء الموتى وقدرته على ذلك بطريق الوجود والعيان وبطريق الاعتبار والبرهان والأول أعظم الطريقين فلا شيء أدل على إمكان الشيء من وجوده فذكر في كتابه ما أحياه من الموتى في غير موضع كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ ھ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﷺ ﷺ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ﴾[1]. فهذه في قصة موت بني إسرائيل الذين سألوه الرؤية وقال في قصة البقرة: ﴿ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ ﴾ [2]. وقال في الذين خرجوا من ديارهم: ﴿ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﴾ [3]. وهي قصة معروفة وقال تعالى: ﴿ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﷺ ﷺ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج ﴾ [4]، فقص هذه القصة التي فيها موت البشر مائة عام وموت حماره ومعه طعامه وشرابه، ثم إحياء هذا الميت وإحياء حماره وبقاء طعامه وشرابه لم يتغير ولم يفسد، وهو في دار الكون والفساد التي لا يبقى فيها في العادة طعام وشراب بدون التغير بعض هذه المدة، وهذا يبين قدرته على إحياء الآدميين والبهائم وإبقاء الأطعمة والأشربة لأهل الجنة في دار الحيوان بأعظم الدلالات... فهذه القصص فيها من الإخبار بالموجود ما هو من أعظم الدلائل على

---

(1) الآية 55-56 من سورة البقرة.

(2) الآية 73 من سورة البقرة.

(3) الآية 243 من سورة البقرة.

(4) الآية 259 من سورة البقرة.

القدرة والإمكان لإحياء الله الموتى، وصدق هذه الأخبار يعلم بما به يعلم صدق الرسول، ويعلم بأخبار أخرى من غير طريق الرسول وإخباره بها من أعلام نبوته كما قد بسط في موضع آخر، وأما الصنف الثاني: وهو طريق إثبات الإمكان والقدرة بالاعتبار والقياس بطريق الأولى فإنه سبحانه يستدل على ذلك تارة بخلق النبات ويبين أن قدرته على إحياء الموتى كقدرته على إنبات النبات وتارة يستدل على ذلك بخلق الحيوان نفسه وأن قدرته على الإعادة كقدرته على الابتداء وأولى وتارة يبين ذلك بقدرته على خلق السماوات والأرض كما في قوله تعالى:

ﮋ ﮊ ﮋ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الدراسة:

بين شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أن الله تعالى جادل المكذبين بالكتب والرسل والمعاد بأنواع الحجج والبراهين وقد ذكر شيخ الإسلام نوعين من أنواع الجدل في القرآن وهما:

1- **الاستدلال بطريق الوجود والعيان**: والأول أعظم الطريقين فلا شيء أدل على إمكان الشيء من وجوده فذكر في كتابه ما أحياه من الموتى في غير موضع كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ھ ھ ھ ے ۓ ۓ ﷺ ﷺ ﷺ

وقد ذكر العلماء أنواعا أخرى من أنواع الجدل في القرآن وهي:

1- قياس الخلف ويسمى بدليل التمانع: وهو إثبات الأمر بإبطال نقيضه؛ وذلك لأن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان، وقياس الخلف الوارد في القرآن هو إبطال الباطل الذي هو نقيض الحق لإثبات الحق، ومن أمثلته قوله تعالى: ژ ٻ ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ [1] فإذا امتنع بالحس اختلال نظام الكون وثبت بالحس دقة صنعه امتنع أن يكون له أكثر من خالق [2].

2-قياس التمثيل: وهو أن يقيس المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه أو على أمر بدهي لا تنكره العقول والأفهام، وكثير من أدلة لبعث في القرآن تقوم على قياس التمثيل ومنه قياس الغائب بالشاهد، ومن ذلك قوله تعالى: ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ژ [3][4].

3- التسليم: وهو أن يفرض المحال إما منفيا أو مشروطا بحرف الامتناع ليكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع شرطه ثم يسلم وقوع ذلك تسليما جدليا ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ژ ٻ ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ [5].

والمعنى ليس مع الله إله ولو سلم أنه معه سبحانه إلها لزم من ذلك التسليم ذهاب كل إله بما خلق وعلو بعضهم على بعض فلا يتم في العالم أمر ولا تنتظم أحواله، والواقع خلاف ذلك فوجود إلهين فصاعدا محال لما يلزم عليه من المحال[1].

---

(1) سورة المؤمنون، الآية: 91.

(2) ينظر: منهج الجدل والمناظرة 1/ 401-402.

(3) سورة يس، الآيات: 78 - 81.

(4) ينظر: منهج الجدل والمناظرة 1/ 404، مناهج الجدل في القرآن ص78-79.

(5) سورة المؤمنون، الآية: 91.

(1) ينظر: الإتقان 2/ 266، منهج الجدل والمناظرة 1/ 406.

4- الانتقال:: وهو أن ينتقل المستدل من دليل إلى دليل آخر لعدم فهم الخصم لدليله الأول، ومن أمثلة ذلك ما جاء في مناظرة إبراهيم عليه السلام للجبار حيث قال تعالى: ﴿ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ ﴾ [1] [2].

5- الإسجال: وهو أن تثبت على خصمك ألفاظا في سياق آخر تسجل به عليه ما كان منكرا له وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ﴾ [3] [4].

6 - المناقضة: وهي تعليق الأمر على مستحيل للدلالة على استحالة وقوعه ومن أمثلة ذلك في القرآن قوله تعالى: ﴿ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ﴾ [5][6].

7- السبر والتقسيم: وهو قيام المستدل بحصر الأوصاف للموضوع الذي يجادل فيه ثم يبين أن جميعاً ليس فيها ما يدل على صحة دعوى الخصم، ومن ثم تبطل دعوى الخصم، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ﴾ [1].

يقول السيوطي:"فإن الكفار لما حرموا ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة أخرى

---

(1) سورة البقرة، الآية: 258..

(2) ينظر: الإتقان 2/ 266، مناهج الجدل في القرآن ص 82-83.

(3) سورة الأعراف، الآية: 44.

(4)) ينظر: الإتقان 2/ 266، مناهج الجدل في القرآن ص 82، منهج الجدل والمناظرة 1/ 407-408.

(5) سورة الأعراف، الآية: 40.

(6) ينظر: مناهج الجدل في القرآن ص 83.

(1) سورة الأنعام، الآيات: 143-144.

رد عليهم بطريق السبر والتقسيم فقال إن الخلق لله خلق من كل زوج مما ذكر ذكرا وأنثى فمم جاء تحريم ما ذكرتم؟ أي ما علته؟ لا يخلو إما أن يكون من جهة الذكورة، أو الأنوثة أو اشتمال الرحم الشامل لهما، أو لا يدرى له علة – وهو التعبدي – بأن أخذ ذلك عن الله تعالى، والأخذ عن الله تعالى إما بوحي، أو إرسال رسول أو سماع كلامه، ومشاهدة تلقي ذلك عنه، وهو معنى تعالى: ژ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ژ [1]، فهذه وجوه التحريم لا تخرج عن واحد منها، والأول: يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حراما، والثاني: يلزم عليه أن يكون جميع الإناث حراماً، والثالث: يلزم عليه تحريم الصنفين معا فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة وبعض في حالة؛ لأن العلة على ما ذكر تقتضى إطلاق التحريم والأخذ عن الله بلا واسطة باطل، ولم يدعوه، وبواسطة رسول كذلك لأنه لم يأت إليهم رسول قبل النبي ﷺ وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدعى وهو: أن ما قالوه افتراء على الله وضلال [2].

* * *

(1) سورة الأنعام، الآية: 144.

(2) الإتقان 2/ 265.

المطلب الثاني
موضوعات الجدل في القرآن الكريم

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

" وأما ما في القرآن من ذكر أقوال الكفار وحججهم وجوابها فهذا كثير جدا، فإنه يجادلهم تارة في التوحيد، وتارة في النبوات، وتارة في المعاد، وتارة في الشرائع بالأحسن الحجج وأكملها، كما قال تعالى: ژ ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو

أخبرهم بالمعاد عارضوه بعقولهم، وقد ذكر الله تعالى من حججهم التي احتجوا بها في إنكار المعاد ما هو مذكور في القرآن، كقوله تعالى: ﴿ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮲ ﮳ ﮴ ﮵ ﮶ ﮷ ﮸ ﮹ ﮺ ﮻ ﮼ ﮽ ﮾ ﮿ ﯀ ﯁ ﯂ ﯃ ﯄ ﯅ ﯆ ﯇ ﯈ ﯉ ﯊ ﯋ ﯌ ﯍ ﯎ ﯏ ﯐ ﯑ ﯒ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

ويقول أيضاً: "... **وهكذا القرآن، فإنه قرر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن اللهّ وعن اليوم الآخر، وزاد ذلك بيانًا وتفصيلًا، وبين الأدلة والبراهين على ذلك، وقرر نبوة الأنبياء كلهم، ورسالة المرسلين، وقرر الشرائع الكلية التي بعثت بها الرسل كلهم، وجادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجج والبراهين، وبين عقوبات اللهّ لهم ونصره لأهل الكتب المتبعين لها، وبين ما حرف منها وبدل، وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة، وبين أيضًا ما كتموه مما أمر اللهّ ببيانه، وكل ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج التي نزل بها القرآن، فصارت له الهيمنة على ما بين يديه من الكتب من وجوه متعددة، فهو شاهد بصدقها وشاهد بكذب ما حُرِّفَ منها، وهو حاكم بإقرار ما أقره اللهّ، ونسخ ما نسخه، فهو شاهد في الخبريات حاكم في الأمريات**[3]".

(1) سورة الفرقان، الآية: 9.

(2) الدرء 7/ 64-67.

(3) مجموع الفتاوى 17/ 44.

الدراسة:

ذكرشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى جملة من موضوعات الجدل في القرآن، ومن هذه الموضوعات ما يأتي:

1- الجدل في إثبات وحدانية الله تعالى: ومبدأ وحدانية الله وترك ما يعبد من دونه من أولياء هو الذي جاءت به الرسل من عند الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

3- الجدال في البعث والجزاءلقد جاء القرآن بكثير من الأدلة والبراهين القاطعة على البعث والجزاء، وعرض ذلك في نماذج حية وضمنها شبه المنكرين للبعث، وأبطل تلك الشبه بالبراهين العقلية التي تزيل الفناء الأبدي، ومن تلك الحجج ما يأتي:

أ- قياس الإعادة على الابتداء كما قال تعالى: ژ ﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩ ژ [2]. وقوله: ژ ﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩ ژ [3].

ب- قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات كما في قوله تعالى: ژ ﯾﯿﰀﰁ ﰂ ﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿ ژ [4].

ج- قياس الإعادة على خلق السماوات والأرض وكل ما يكبر في أذهان المشركين بطريق الأولى قال تعالى: ژ ﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩ ژ [5]، وقال: ژ ﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩ ژ [6].

د- قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر كما في قوله تعالى: ژ ﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙ ژ [7] [8].

وإلى هذه الأنواع من الحجج على البعث أشار شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله:"...**وأما الصنف الثاني وهو طريق إثبات الإمكان والقدرة بالاعتبار والقياس**

---

(1) ينظر: درء تعارض العقل والنقل 7/ 67، مناهج الجدل في القرآن ص 277-296.

(2) سورة الأعراف، الآية: 29..

(3) سورة ق، الآية: 15..

(4) سورة الأعراف، الآية: 57.

(5) سورة يس، الآية: 81.

(6) سورة الإسراء: الآيات: 49 -52.

(7) سورة يس، الآية: 80.

(8) ينظر: الإتقان 2/ 264، استخراج الجدل من القرآن ص 50-52، مناهج الجدل في القرآن ص 308-326، منهج الجدل والمناظرة 1/ 456-465.

بطريق الأولى فإنه سبحانه يستدل على ذلك تارة بخلق النبات ويبين أن قدرته على إحياء الموتى كقدرته على إنبات النبات، وتارة يستدل على ذلك بخلق الحيوان نفسه وأن قدرته على الإعادة كقدرته على الابتداء وأولى، وتارة يبين ذلك بقدرته على خلق السماوات والأرض[1]"

4- الجدل في التشريعات: من الأمور التي اشتد الجدال فيها بين النبي ﷺ واليهود مسألة التشريع حيث أنكر اليهود رسالة محمد ﷺ بدعوى أن الشرائع السابقة قائمة وأن النسخ لا يقع على الشرائع وقد جاء القرآن رادا على هؤلاء بأوضح بيان. ومن هذه الردود قوله تعالى: ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ﴾[2]. وقد أبطل الله هذه الشبه التي أثارها اليهود بنقض أساسها الذي تقوم عليه وهو إنكار النسخ فأثبت وقوعه من واقع توراتهم وقرره كما نصت عليه كتبهم التي بين يديهم[3].

(1) الدرء 7/ 388.

(2) سورة آل عمران، الآية: 94.

(3) ينظر: مناهج الجدل في القرآن الكريم ص 333-334.

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير خلقه وأشرف رسله نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد :

فإني أحمد الله عزّ وجل وأشكره على أن منّ عليّ بفضله وتوفيقه لإتمام هذه الرسالة، بعد أن عشت خلالها مع كتب الإمام الجليل شيخ الإسلام، وجنيت خلالها بفضل الله أطيب الثمار ؛ فقد عشت مع علوم شيخ الإسلام سنوات من البحث والنظر كان لها أثراً عظيماً في حياتي العلمية والعملية، مع ماصاحب ذلك الاطلاع على طائفة من كتب التفسير، وعلوم القرآن، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله واللغة، وغيرها من شتى الفنون لإنجاز هذا العمل، مما كان له أطيب الأثر في إثراء حصيلتي العلمية، فالحمد لله أولاً وآخراً، والشكر له ظاهراً وباطناً.

وبعد : فهذة أبرز النتائج والتوصيات التي أذيل بها هذا البحث، وأجعلها خاتمة مسكه، وتكملة عقده، وهي مندرجة فيما يأتي :

1 – شرف هذا العلم؛ علوم القرآن ؛لتعلقه بالكتاب العزيز، وشرف العلم بشرف معلومه.

2 – تفرّد شيخ الإسلام في منهجه في تقريره للمسائل العلميه، يتجلّى ذلك في جودة اختياراته وترجيحاته المبثوثة في كتبه، المدعّمة بالأدلّة والبراهين ووجوه الترجيح المختلفة.

3 – قوّة شخصيّة الشيخ العلميّة وثقته بما لديه من علم، يتجلّى ذلك في صيغه الجازمة في الاختيار والترجيح، وردّ الأقوال المرجوحة وتضعيفها. وحُقّ له

ذلك وقد بلغ رتبة الاجتهاد.

4 – سرعة علم الشيخ، وتبحّره في مختلف الفنون، فهو مفسّر ومحدّث وفقيه وأصولي وبلاغي ونحوي ولغوي وإخباريّ، فله من كلّ فنّ نصيب.

5 – شدّة ارتباط الشيخ بالكتاب والسنّة واحتكامه إليهما، يتجلّى ذلك في الكمّ الهائل من الآيات والأحاديث التي يستشهد بها الشيخ، حتّى لا تخلو صفحة من كتبه من آية أو حديث أو أكثر من ذلك.

6 – أن بعض موضوعات علوم القرآن كا لنزول، والوحي، والمحكم والمتشابه، والتأويل وغيرها كان للانحرافات العقدية أثر سلبي في دراستها، ومن خلالها توصل الضالون إلى تعطيل وتحريف النصوص الشرعية، ومن ثمَّ كان من الأهمية بمكان تحقيق القول في هذه الموضوعات.

7 – أن علمي علوم القرآن وأصول الفقه بينهما ارتباط وثيق ، ورابط قوي، ولهذا المفسرون قد تأثر بالأصوليين في كثير من المباحث الأصولية، ويعود هذا إلى أن قواعد الأصوليين قواعد عامة يصلح أن تعمل خارج مجال الوصول إلى الحكم الفقهي، وساعد على ذلك أن قواعد علم الأصول قد وُضعت لتفسير النصوص الشرعية، فهذه الطبيعة التفسيرية لأصول الفقه حملت المفسرين على إدخال كثير من مسائله في علوم القرآن، وأراحتهم من عملية التقعيد والتأصيل.

ولهذا ينبغي ألا يغفل الباحث في علوم القرآن عن كتب الأصوليين، فإنها حافلة بكثير من موضوعات علوم القرآن ؛ بل أكاد أجزم أن بعض هذه الموضوعات بحثها من خلال كتب الأصول هو الأصل والأولى.

8 – أن أقرب ما قيل في اشتقاق القرآن أنه مهموز مشتق من قرأ بمعنى تلا، وهو اختيار شيخ الإسلام.

9 – أن أسماء القرآن هي: القرآن والكتاب والفرقان والذكر، وما يذكر بعد ذلك إنما هو من قبيل الأوصاف.

10 – أن تعدد أسماء القرآن الكريم وصفاته، دلالة على عظمة هذا الكتاب، وتعدد خصائصه، وسعة علومه، وتنوع هدايته وشمولها.

11 – أن التحزيب الأحسن هو تحزيب السور الذي كان عليه الصحابة رضي الله عنهم لخلوه من الإشكالات التي تقع في التحزيب بالأجزاء والحروف.

12 – أن مدة ختم القرآن الكريم تتفاوت وتختلف باختلاف الأشخاص والأحوال فكل بحسبه.

13 – أن أول من جمع القراءات السبع، هو الإمام أبو بكر بن مجاهد، وسبب جمعه هو انتخاب ما اشتهر ضبطه وذاع صيته تسهيلاً وضبطاً.

14 – الوحي والتكليم بينهما عموم وخصوص، فإذا ذكر أحدهما اندرج فيه الآخر، وإذا افترقا اختلفا.

15 – أن للقرآن تنزلات ثلاثة.

16 – أن التزام الرسم العثمان في كتابة المصاحف أمر واجب.

17 – أن الأمر الذي استقر عليه في ترتيب السور التوقيف، وأغلق باب الاجتهاد فيه بعد إجماع الصحابة على مصحف عثمان رضي الله عنه.

18 – أن النقط والشكل إنما حصل بعد عهد الصحابة للحاجة إليه في ضبط القراءة، ثم استقرالأمر على وجوده في المصاحف.

19 – أن ترجمة معاني القرآن إلى لغة أخرى مما تدعو إليه ضرورة تبليغ الدين.

20 – أن الجائز والمشروع من أنواع الترجمة هو ترجمة معاني القرآن أو ترجمة تفسيره، أما ترجمته ترجمة حرفية ممنوعة غير جائزة.

21 – أن السلف كانوا يطلقون النسخ على كل رفع لدلالة النص الظاهرة فيطلقونه

على النسخ بمعنى الرفع وهو معنى النسخ عند المتأخرين، ويطلقونه على التخصيص، والتقييد، والبيان.

22 – المتشابه قسمان:

أ – المتشابه الإضافة (النسبي) وهو ما يشتبه ويخفى معناه على أحد دون أحد، وهذا مما يعلم تأويله الراسخون في العلم.

ب – المتشابه الحقيقي (الكلي): هو ما لا يعلمه تأويله إلا الله كحقائق الصفات وكيفياتها، وما يتعلق بأحوال الآخرة، وأحداث القيامة، والأخبار الغيبية.

23 – القول بأن آيات الصفات من المتشابه، قول باطل مردود، وسبيل إلى تأويل النصوص وتعطيلها.

24 – التأويل عند السلف يطلق على معنيين:

1 – التفسير. 2 – حقيقة الشيء وما يؤول إليه.

25 – التأويل بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره لقرينة صارفة، مصطلح حادث بعد السلف، ولا يصح إلا بشروط.

26 – أن تثنية قصص القرآن وتكرارها له مقاصد وأغراض مفيدة، وحكم رشيدة.

27 – أن طريقة القرآن في الجدل تتميز بقوة الحجاج، ووضوح المعنى، وسلامة المآل.

28 – أن للعموم والتخصيص صيغاً وطرقاً ينبغي لمن يتصدى للتفسير معرفتها.

أمّا أهمّ التوصيات، فهي:

1 - الاستفادة من البحوث والدراسات في منهج الشيخ في التفسير وغيره، وتقرير ما يصلح منها على طلاب الدراسات العليا، لما في ذلك من النفع العظيم، والفائدة الجمّة.

2 - تزويد الجامعات ومراكز البحوث في البلاد الأخرى ـ بل حتّى في هذه البلاد ـ بالرسائل العلميّة والدراسات المتعلّقة بالشيخ، لتمكين الباحثين من التعرّف على الشيخ من مصادر موثوقة، وكسر الحدّة التي لدى بعض المنتسبين إلى بعض المدارس الإسلاميّة الأخرى، والتي تصل أحياناً إلى تكفير الشيخ، أو تبديعه وتضليله.

3 - لا تزال الحاجة قائمة إلى البحوث العلمية المحررة في مسائل علوم القرآن التي تجمع بين التأصيل العلمي، وسلامة المعتقد.

لذا فمن المقترح إعادة بناء موضوعات علوم القرآن الكريم في موسوعة علمية محررة، على ما يعتقده أهل السنة والجماعة، ويكون القائمون على هذا المشروع العلمي ثلة من علماء وأساتذة الدراسات القرآنية.

4 - مراعاة مقاصد التأليف وأغراضه من الآداب النفيسة التي ينبغي أن يتخلق بها كل باحث، فلا عبرة بتسويد الأوراق، وتكثير التآليف وتكريره، وإنما العبرة بالجدة والجودة والإفادة.

5 - العناية بكتب شيخ الإسلام لا تزال الحاجة تشد إليها تحقيقاً، ودراسةً ، مع ما نرى من جهود مبذولة مشكورة لطائفة من أهل العلم والفضل في خدمة تراث شيخ الإسلام رحمه الله.

هذه أبرز نتائج البحث وتوصياته، وهناك غيرها من النتائج التي لا يعدم الناظر في هذا البحث من الوقوف عليها.

وفي الختام أسأل الله أن يغفر لي خطأي، ويتجاوز عن تقصيري، وأن يجعل هذا البحث خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون في ميزان حسناتي، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والله الموفّق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.